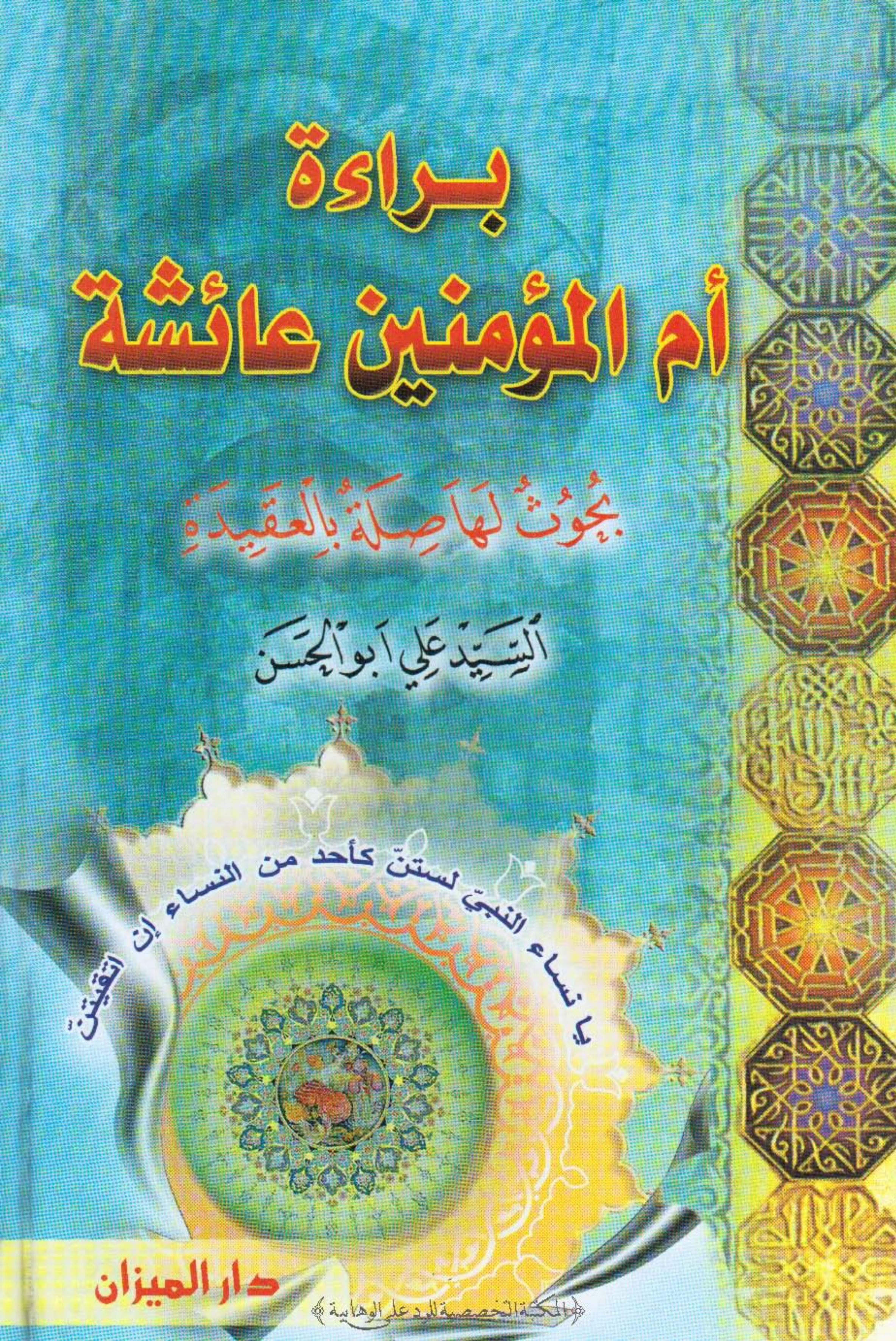


براءة
أم المؤمنين عائشة
بحوث لها صلة بالعقيدة
السيد علي أبو الحسن
يا نساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتنّ
دار الميزان
المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

بــراءة

أم المؤمنين عائشة

بحوث لها صلة بالعقيدة

بـراءة
أم المؤمنين عائشة

بحوث لها صلة بالعقيدة

السيد علي أبو الحسن

دار الميزان

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

دار الميزان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

وبعد، فهذه هي الحلقة الخامسة من جملة حلقات نبحث فيها أموراً عقائدية وما له مساس بها.

وإن من الأمور التي تسالم عليها العقلاء ومن اليوم الأول، أنَّ النقاش والحوار العلمي أمْرٌ يرجع إلى الأمة كل أمة بالخير والنفع، وأنَّ التقليدَ بما هو تقليد أمْرٌ مذموم، بل الأمر كذلك عند الشارع الأقدس الذي ندب أصحاب الرأي إلى المناقشة الهادفة، وذمَّ التقليد الأعمى وهو الاتِّباع والانقياد وراء رأي معين أو فكرة معينة، دونما اعتماد على حجة أو برهان، ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[1].

وإنَّ من البداهة بمكان أننا في غنى عن أنْ نُقيم الحجج والبراهين على أهمية البحث في الأمور العقائدية أو ما يرتبط بها، ومن حيث أن تلك المباحث تُمثِّل الروح الحية، وما نفْع الجسم من دون روح؟ فكذا الإنسان من دون

(١) سورة الزخرف الآية ٢٣.

عقيدة صحيحة لهو ملحق بأخس المخلوقات، لذا فنرى أنفسنا في مندوحة عن التدليل على أهميتها وضرورة البحث في ما يُستطاع البحث فيه.

وإننا وإنْ نعترف بأنَّ في الأمور العقائدية تفاوتاً من حيث أهمية بعض مباحثها على بعضها الآخر، ومن جهة ترتب لوازم معينة خطيرة على جملة من الأمور الأصلية والأصيلة فيها، غير أن ذلك لا يعني خلو باقي المباحث عن فائدة عظيمة ومهمة.

نعم يبقى أنَّ تقييمَ ضرورة البحث في بعض المفردات بالخصوص أمْرٌ يرجع إلى الخبير وحده، وليس من اللازم أنْ تتوافق الآراء في التقييم، فربَّ رأيٍ يذهب إلى عدم وجود ضرورة تدعو إلى البحث في بعض الأمور، ورب رأيٍ ثانٍ يرى أنَّ من الضروري عدم الخوض في بعض الأمور، وفي المقابل يرى ثالث أنَّ التحقيق في هذا الأمر أو ذاك أمرٌ لا بُدَّ منه، ولا مندوحة عنه.

وإذا كان أمْرُ التقييم يعتمد على مقدمات كثيرة، فلا غرو أنْ تختلف الآراء وتتخالف تبعاً لاختلاف وجهات النظر، فإن المقدمات ليست من الأمور البديهية حتى يتفق الجميع في النتيجة والرأي.

ثم إننا لسنا في معرض تصويب ما نذهب إليه أو تزييف ما يراه الآخر في مجال لزوم البحث فيما سيوافيك البحث فيه، فإن لهذا محلاً آخر، ولكننا رأينا أن نشير إلى ما أشرنا إليه، حتى لا يتسرع بعض هنا أو بعض هناك في إلقاء التهمة، فإن لكلٍّ رأيه فيما لم يقع عليه اتفاق العلماء ولم يخالف نصاً قرآنياً أو سنة ثابتة، وحديثُ منابر الخطابات حديثٌ لا ينصرف في سوق الاعتقاد الحق، ولا نرى من ملزم لنا بالالتزام بمضمونه، ومن يرى وجوب الالتزام بذلك فله

رأيه، ونحن راضون بما عندنا.

على أننا في مقام الدفاع والذب لا في مقام الحرب والهجوم، وإنْ كان من أحد يحسن ويصح منا أن نقدح فيه فهو المهاجم، فإنَّ المدافع عن عقيدته وعقيدة أبناء طائفته آمنٌ من سخْط العقل والعقلاء، ومَن يتعدى الحدود هو الذي يستحق الحد، وليس من العدل أن نراعي طرفاً هنا بحجة أنَّ الساحة لا تتحمل، وأنْ نسكت عن طرف آخر هناك بذريعة أنَّ الاستكبار يتربص، ولو اشتغلنا على هذا الأساس، لبطلت الكثير من الحقائق، ولاندَرسَ الكثير من معالِم الدين.

وعليه فلا يجوز أنْ نتهم شخصاً يبرز للتصدي في مقام تحقيق الحق مشفوعاً بالأدلة والبراهين، وتزييف ما هو باطل، وليس لأحد غير سيدنا محمد وأهل بيته الأطهار عليهم السلام طريقٌ للاطلاع على الضمائر، وما تخفيه السرائر، ولا يصح بحكم العقل والشرع اتِّباع ما لا نملك فيه حجة قاطعة.

على أنَّ الدفاع عن الأمور العقائدية أو الأمور المرتبطة بها من جملة الأمور الداخلة على أقل تقدير تحت دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا كان النهي عن المنكر عبادة وواجباً، فإنَّ تزييفَ الباطل لئلا يتطرق إلى عقيدة الناس لهو من أوجب الواجبات، وإقامةُ الحجة على المعتقد بالباطل أمْرٌ حثَّ الشارع الأقدس عليه، وألزم به، والسكوت عن البدع والبدعة على حد الدعوة إليها مع توفر مقدمات الرد وتحقق شرائطه، ونحن نرى أنَّ ما يتوقف عليه الرد من مقدمات موجودٌ، وأن الشرائط متحقِّقة، ولا نعلم بوجود مانع يمنع عن ذلك بعد بحث دقيق بحسب القواعد المقررة الموروثة بحق عن النبي صلى الله عليه وآله.

وقد علِمنا أن الله تعالى لم يأخذ على الجهّال ولم يُلزِمهم بالتعلم إلا بعد أن أخذ على العلماء القيام بواجب التعليم.

وبعد أن كان الحق أمراً واحداً متشخِّصاً لا وجوه له ولا اعتبارات فيه، كما أن الطريق المستقيم وهو الحق بمعنى آخر لا تعدُّد فيه ولا اعوجاج، وبعد أن كان كل المسلمين متفقين على أنَّ الحق عند الحق تعالى ومنه سبحانه، وهو ما جاء به أيضاً رسوله الأكرم سيدنا محمد ﷺ، فلا معنى أن يكون زيد محقاً في حين أنه يلتزم بنقيض أو بضد ما يلتزم به خالد الذي يدَّعون أنه محق أيضاً!

فإما أن يكونا أي كل من زيد وخالد جميعاً على باطل، فإن للباطل وجوهاً كثيرة، أو يكون أحدهما محقّاً فحسب، فإن للحق وجهاً واحداً، ولوناً فارداً، فلا شرقية في الحق ولا غربية.

ولكن ما جاء به الرسول الأكرم ﷺ لا مجال لنا لإثباته إلا من طريق ثقات أصحابه، وغير المتهمين بالتحريف والتضليل.

وأما الحديثُ المشهور على الألسن المنسوب إلى الرسول الأكرم ﷺ «أصحابي كالنجوم بمن اقتديتم اهتديتم»، ـ مضافاً إلى تصريحهم بضعْف سنده ووضْعه[1] ـ فهو حديثٌ لا يصح عند ذي حجى بعد اختلاف أعيان الصحابة في جملة من الأمور الأساسية مما تخص صميم الشريعة أصولاً وفروعاً، فكيف يكون كل من الرأي والرأي المناقض له حقاً؟!

بل الحديثُ المزعوم حديثٌ مخالِف لكتاب الله تعالى، إذ قد أثبت سبحانه

---

(١) الفوائد لابن منده ص٢٩؛ الإحكام ج٥ ص٦٤٢ وج٦ ص٨١٠؛ ميزان الاعتدال ج١ ص٤١٣ و٦٠٦ ـ ٦٠٧؛ لسان الميزان ج٢ ص١١٨ و١٣٧ـ ١٣٨ و٣١٢؛ تحفة الأحوذي ج١٠ ص١٥٥ ـ ١٥٦.

في محكم كتابه وقوع الارتداد من بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، حيث قال سبحانه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْله الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَن يَنقَلبْ عَلَىَ عَقبَيْه فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا ﴾[1].

ولا مجال للتأويل في الآية فإنها صريحة المفاد، وليست الآية تتحدث عن وقوع ارتداد في زمن ما في المستقبل البعيد عن رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وإنما هي نص صريح في وقوع الانقلاب عقيب وفاته صلى الله عليه وآله.

والاستفهام في الآية لا يُراد منه الاستفهام الحقيقي، فإن المستفهِم الحقيقي هو الذي يستفهم عن أمْر يجهله، وهو تعالى العالم بالغيب، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

بل الاستفهام في الآية استفهام إنكاري توبيخي، كمن يقول لغلامه وقد أمره بأن يجلب له الماء، فلم يفعل: ألم آمرك بأن تجلب لي الماء؟ فإنه لا يكون مستفهِماً سائلاً إياه، وإنما هو في الحقيقة مستنكر عليه عدم امتثاله للأمر الذي أمره به.

والمتأمل في الآية وما حملته من معنى التهديد والوعيد والتنديد يخرج بنتيجة حاصلها: أن الارتداد واقع من أشخاص لهم وجودهم وتأثيرهم، فاقتضى ذلك التنبيه والتبيين، ولو أنَّ الارتدادَ واقعٌ من أشخاص لا تأثير لهم فلا تدعو حاجة إلى هذا النحو من الوعيد والتهديد، فإن قيام الآخرين ببيان الحق وهم ذوو الكلمة المسموعة يرد كيد الخائنين.

بل سمعنا الله تعالى في محكم كتابه يتحدث عن صحابة النبي صلى الله عليه وآله ولم

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

يُثبت الإيمان لبعضهم، فقد قال سبحانه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1].

ولا يحتاج المقام إلى تأمل أو إعمال فكْر، فلاحظ قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾، إذ لو كان جميع الذين كانوا مع الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هم من المؤمنين لَمَا صحَّ في قانون المحاورة الإتيان باللفظ الذي يفيد التبعيض، وهو لفظ «منهم» في الآية الكريمة.

فلفظ «مِنْهُمْ» لا يصح بحال فيما لو كانوا جميعاً من المؤمنين وممن عملوا الصالحات، ومهما كان المتكلمُ باللسان العربي غيرَ محيط باللغة العربية، ومهما كان ضعيفاً في فهم معاني كلمات لغة العرب، فإنه على جميع التقادير يعي جيداً أن كلمة «منهم» في هذا الاستعمال تفيد التبعيض، فلو لم يكن المولى مريداً بيان إيمان البعض بالخصوص ، ولو أنه كان يكفي مجرد الصحبة والنصرة الظاهرية، فلا معنى للإتيان بلفظ «منهم».

لعلك تقول: إن حرف «من» في لفظ «منهم» كما يمكن أن يكون للتبعيض يمكن أن يكون للبيان، فلمَ لا تلتزمون هنا بأن «من» بيانية؟

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

ونجيب بنحو الاختصار أنَّ «من» إنْ أمكن أنْ تكون بيانيةً في غير هذه الآية، غير أنه لا مجال لذلك هنا.

إذ لا يخلو الحال في شأن الصحابة، إما أنه يشترط في غفران الله تعالى لهم أن يكونوا مؤمنين ابتداءً ولا يشترط بقاؤهم على الإيمان حتى آخر أعمارهم، وإما أنه كما يشترط ذلك ابتداءً فهو شرط استمراراً أيضاً.

أو فقل، إما أنه يكفي تحقق الإيمان ولو آناً ما ولا يشترط البقاء على الإيمان والعمل الصالح، وإما أنه يشترط بعد تحقق الإيمان البقاء عليه وعلى العمل الصالح إلى نهاية العمر.

فإن كان الإيمان والعمل الصالح شرطاً حدوثاً وبقاءً، فهذا يناسب كون لفظ «من» للتبعيض فإنها تفيد فائدة الشرط، أي يكون معنى الآية وعدهم الله بالمغفرة بشرط الإيمان والبقاء عليه وعلى العمل الصالح، ولا نعلم بتحقق الشرط في جميع الصحابة، وليست الآية تتحدث عن وجود وعن تحقق الشرط في الجميع، فلا يمكن أن تكون «من» بيانية، ومن الضروري والبديهي أنَّ الشرطَ متحقِّقٌ يقيناً في بعض الصحابة، فتعين أن تكون «من» للتبعيض، أي للدلالة على تحقُّق الشرط في بعضهم رضوان الله تعالى على ذلك البعض.

على أنَّ تحقُّقَ الشرط ووجوده في جميع الصحابة ينافيه الآية المتقدمة التي حكت وتحدثت عن وقوع الارتداد من البعض، والقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأنْ يكون هناك آية تتحدث عن نجاة جميع الصحابة، وفي المقابل تكون آية أخرى تتحدث عن ارتداد بعض الصحابة، فهذا من تكذيب القرآن نفسه بنفسه، وهذا باطل قطعاً.

وأما أنه لا يشترط البقاء على الإيمان وعلى العمل الصالح حتى آخر العمر، فإن هذا مما لا يُحتمل إرادته، إذ معناه أنَّ تحقُّق الإيمان من الصحابي يكفي للمغفرة وللأجر العظيم وإنْ لم يمت الصحابي على الإيمان، مع أنه تعالى قال في كتابه الحكيم ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾(١).

فهل يمكن أن يكفي الصحابي مجرد الإيمان دون البقاء والاستمرار عليه، ولا يكفي ذلك للأنبياء والرسل الكرام على نبينا وآله وعليهم السلام أجمعين؟!

ولو أن المولى تعالى يعلم بأنَّ جميع الصحابة يموتون على الإيمان والعمل الصالح، فأي فائدة في أن يذكر سبحانه هذه الجملة في الآية، والتي على أقل تقدير تحتمل المعنى الذي ذكرناه!

مع أنَّ المعنى الذي ذكرناه صريح الآية جداً، ولكننا نفترض جدلاً أنه معنى محتَملٌ.

بل دفعاً عن أن يفهم القارئ والمستمع للآية المعنى الذي ذكرناه ولو من باب كونه معنى محتملاً، فإن حق الخطاب أن يقول تعالى **وَعَدَهُمُ اللهُ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**، فإن الآية بهذا السياق فرضاً تكون سليمة الدلالة في إفادتها مدْح جميع الصحابة.

بل حتى لو كانت الآية كذلك، فماذا نفعل بآية الارتداد المتقدمة، وماذا نقول في آية النفاق ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ**

(١) سورة الزمر الآية ٦٥.

نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[١].

وبماذا نجيب عن قوله تعالى **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾**[٢].

أوَ ترى أنَّ الخطاب في هذه الآيات كان خطاباً لمن سيتولد بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ؟!

وليكن معلوماً أننا لسنا في مقام التفصيل في هذا المعنى، فإن في الآيات التي سقناها إفادات وإفادات، ولنكتفي بهذا المقدار من أدلة الكتاب.

على أن أعلام أبناء العامة قد أودعوا صحاحهم ومصنفاتهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المتواتر الوارد بألفاظ شتى، الذي يدل بوضوح على وقوع الارتداد من بعض الصحابة.

فقد أخرج البخاري، ومسلم وغيرهما بإسنادهم عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنَّ إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربِّ أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك[٣].

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما بإسنادهم عن ابن عباس ـ واللفظ للبخاري ـ قال: خطب النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة

---

(١) سورة براءة الآية ١٠١.

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وآله الآية ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٤٣٩؛ صحيح البخاري ج٨ ص٨٧؛ صحيح مسلم ج٧ ص٦٨؛ مسند أبي يعلى ج٩ ح٥١٦٨ ص١٠٢ وح٥١٩٩ ص١٢٦.

غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين، ثم إنَّ أول مَن يُكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي، فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك[1].

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما بإسنادهم عن أنس، عن النبي ﷺ قال: ليرِدنَّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتُهم اختلجوا دوني، فأقول أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك[2].

أقول: وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ من طريق حذيفة، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وغيرهم[3].

وبعد اجتماع صحاحهم على رواية الحديث وصحته، فلا نحتاج إلى بيان حال رواته وبيان وثاقتهم.

وعليه، فقد وافقنا أبناء العامة فيما أوردوه، وكفى بذلك قرينة قطعية في أنَّ المعنى الذي ذكرناه من الآيات المتقدمة صحيح.

فلهذا لا داعي للتهويل وللوعد والوعيد بأن أبناء المذهب الفلاني يتبرؤون

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح٩٦ ص١٣٩ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٥٧ ؛ صحيح البخاري ج٥ ص٢٤٠ ؛ صحيح مسلم ج٨ ص١٥٧ ؛ سنن الترمذي ج٤ ح٢٥٣٩ ص٣٨ وج٥ ح٣٢١٥ ص٤ ؛ سنن النسائي ج٤ ص١١٧ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج١ ح٢٢١٤ ص٦٦٨ وج٦ ح١١٣٣٧ ص٤٠٨ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٣٤٣ ؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٣٤٣ ؛ المعجم الأوسط للطبراني ج٣ ص١٨٥.

(٢) صحيح البخاري ج٧ ص٢٠٧ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص٧٠ ؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٣٩٥١ ص٤٠ ؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح١٢١٣ ص٣٦٥.

(٣) صحيح البخاري ج٧ ص٢٠٨ وج٨ ص٨٧ ؛ صحيح مسلم ج١ ص١٥٠ وج٧ ص٦٦ ؛ سنن ابن ماجة ج٢ ح٣٠٥٧ ص١٠١٦ وح٤٣٠٦ ص١٤٣٩ ؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٤٤٥٥ ص٤٣٣ ؛ المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٨٥٤ ص٤٠٦ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٣٥ ص٤١٥ وج٨ ح٦٩ ص٦٠٢ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٤٥٣ وص٤٥٥ وج٥ ص٣٣٣ وص٣٣٩ وص٣٩٣ ؛ كتاب الفتن لنعيم بن حماد ص٤٧ وص٩٧ ؛ المعجم الأوسط للطبراني ج١ ص١٢٥ وج٦ ص٣٥١ ؛ المعجم الكبير للطبراني ج٦ ص١٤٢ وص١٥٦ وص١٧١ وص١٩٩ ؛ مسند الشاميين للطبراني ج٢ ح١٤٠٥ ص٣١١.

من بعض الصحابة، فإن في الصحابة مَن ارتد عن الحق، وأبناء الفرقة الناجية قد أقاموا الأدلة على أنَّ فلاناً وفلاناً هما من جملة مَن ارتد، لذا فعلى طالب النجاة يوم العرض على الله تعالى أن يعمد إلى ما حققه محققو أبناء الفرقة الناجية في مقام تطبيق الارتداد على فلان من الصحابة، فينظر في أدلتهم ويناقشهم ويرد عليهم، ولا حجة بعد الذي ذكرناه لقول القائل أن الصحابة جميعهم من العدول والثقات، فلا تُهوِّلوا على العوام وعلى السواد من الناس، بأن فلاناً كافر لأنه يتبرأ من فلان الصحابي ويلعنه.

هذا، ولا ريب أنه لا يوجد بحكم العقل والشرع أية مزية لصحابية على صحابي أو على صحابية أخرى، لمجرد أن الأولى مثلاً كانت من زوجات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ولا يعني هذا أننا نتهم إحداهن، أو أننا نتحامل والعياذ بالله تعالى على زوجات النبي صلى الله عليه وآله، فإنَّ التحامل على أي شخص هو من الشيء الباطل.

ولكن لا يعني ذلك أن التحقيق والتدقيق في بعض أحوال بعض من مضى غير جائز، سواء في ذلك الصحابي القريب من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أم البعيد، فإنَّ التعرُّفَ على مصداقية ما قيل أو قد يقال مع التقيُّد بشرائط المناقشة الهادفة والحوار الموضوعي، أمْر راجح في العقل والدين، اللهم إلا إذا كان ذلك مع التعدي والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإن هذا غير جائز، بل على حد الكفر أو الشرك بالله العظيم، والعياذ به تعالى.

نعم إذا أبطل المناقش صحة حديث بحسب الموازين المتبعة عند من يعتقد بصحته، فإنه لا يكون لتلك الفرقة محارباً، بل هو في الحقيقة ناصح مشفقٌ، ومع

إبطاله للحديث فلا يمكن أن يلتزم ذاك بمضمون الحديث، كما أنه لا معنى على إلزام المناقش بمفاده أيضاً، فإنه قد أوضح فساده.

ولكن أن يلتزم شخص بصحة حديث عن رسول الله ﷺ، وهو نص في معنى من المعاني، ثم يعمد إلى تكذيب رسول الله ﷺ، فإن هذا مما لا يمكن قبوله ولا السكوت عنه.

ومن هذا المنطلق، وبعد أن أهداني أخي الأستاذ أنور شقير كتاباً بعنوان موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لشخص مدعو بالدكتور عبد المنعم الحفني، لفت انتباهي ما رسمه على ظهر الغلاف، وقد اشتمل على جملة «الصدِّيقة بنت الصدِّيق أعظم نساء العالمين»، ولكن سرعان ما أدركت أنَّ مثله لا ينبغي أنْ نُنكر عليه ما سطره على ظهر الغلاف، إذ قد سطر في كتابه كلاماً يرد فيه رداً فظيعاً على رسول الله ﷺ، وقد اجترأ عامداً على تكذيب الرسول الأكرم ﷺ، وأعتقدُ جازماً أنه لم يكن في مقام الانتصار للسيدة عائشة من جهة أنها إحدى زوجات النبي ﷺ، إذ ما معنى أن يعمد شخص إلى تكذيب رسول الله ﷺ في مقام الذب عن بعض أزواجه؟!!

وقد طالعت خصوص موضع الحاجة من الكتاب، فوجدت فيه تحاملاً على السيدة عائشة من حيث لا يقصد الكاتب، وتحاملاً فظيعاً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، فدعاني ذلك إلى التحقيق فيما زعموه من أحاديث للسيدة عائشة.

وبما أن الحفني قد تعمد التزوير والتحريف والافتراء والبهتان من جهة، ومن جهة ثانية تعمد تكذيب رسول الله ﷺ، وقد استبطن كلامه الذي أورده

في جملة من صفحات كتابه تحدياً واضحاً لنا، وكأنه يقول ها قد حججناكم، فرأيت لزاماً عليَّ أن أستنطق جملة من الأحاديث التي تمسك هو وغيره بها كدليل على ما زعموه.

قال الدكتور الحفني في آخر الفصل الثالث: ولعمري، كيف لم يتبين أهل الإسلام عظمة عائشة كمفكِّرة، ومؤرِّخة، وراوية، ومشرِّعة؟ ولماذا لم تُؤلَّف المصنفات فيها كغيرها؟ وإني لأتساءل أيهما أهم لعِلْم الإسلام عائشة أم عليٌّ، وعائشة أم فاطمة؟ ولا أجد إلا أن ما فعلته عائشة لشيء معجز بكل المقاييس، فلماذا هذا التحامل البشع المقيت عليها، ولماذا هذا الذكر الشائن والاستهانة بأمرها وهي سيدة نساء العالمين بلا منازع[1].

أقول: وهذا الكلام من الدكتور الحفني نحمله على أنه سؤال حقيقي، وبدورنا سنكتب جواباً له ولكل سائل مستفهم طالب للحق بما يتناسب مع هذا المختصر.

ولكن قبل أن نجيب عن سؤاله ضمن فصول نضمنها كتابنا، نرى أن نستعرض بعضاً من كلمات الحفني ونضع بعض النقاط على بعض الحروف تزييفاً لافترائه.

أما قوله المتقدم: فلماذا هذا التحامل البشع المقيت؟

فجوابه: أنه وإنْ لم يُوجِّه هذا البهتان إلى طائفة بعينها، ولكننا تبعاً لأئمتنا عليهم السلام نرى أنه لا يجوز التحامل على أي شخص مهما حقر وصغر، فإن التحامل أمْر باطل، فكيف بالتحامل على زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله!

---

(١) موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ص١١١.

ولكن بما أنَّ الحقَّ هو الميزان، وحيث أنه لم يثبت كون السيدة عائشة معصومة، بل لم يدَّعِ ذلك أحد، فإنَّ استعراض جملة من القضايا المتعلقة بها، ومناقشتها موضوعياً أمْرٌ لم تمنع عنه شريعة السماء، وسنلتزم بالتمسك بخصوص ما ورد في كتبهم من جهة، ومن جهة ثانية مضافاً إلى أننا نتحرى الاختصار غير المخل، فإننا نناقش ما نناقشه بعيداً عما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وبعيداً عن تحقيقات المذهب الحق، فإن هذا المختصر لا يتحمل إلا محاكمتهم على أصولهم ومبانيهم، وإنْ كنا لا نعتقد بسلامة أي أصل ولا بصحة أي مبنى لم يكن مرجعه إلى أهل البيت عليهم السلام.

فإنْ كان فيما سنذكره ضعْفٌ، أو خللٌ، أو افتراءٌ، أو... فمرحى ومرحى بمَن يدلنا على مواقع ذلك، وله منا أن نُصحِّح ما دلَّل بحجة على فساده، وأن نعدل عن رأي أثبت بالبرهان الساطع بطلانه.

وأما أن يُهوَّل على عوام الناس، بأنَّ فلاناً يتعرض للسيدة عائشة والعياذ بالله، فهذا كلامٌ بارت سلعتُهُ، وبطُل سوقُهُ، والحريُّ بالمنصِف أن يردَّ بالحجة والبرهان، لا بالتكفير واللعن والبهتان.

ولا يصح من زيد أن يعمد إلى تكفير خالد لأنه يُنكِر عليه ما يعتقد به، ولا يصح أن نُجرِّح بشخص لعدم التزامه بما نلتزم به.

نعم، إذا أقمنا الحُجَّة عليه، أو ألزمناه بما يلتزم به، فهذا بحث آخر.

فيا أيها القارئ المنصف! إنْ كنتَ من أهل التحقيق فإننا نرحب بمناقشتك ومناقشاتك، وهلم يدلو كل واحد منا بدلوه، وليكن كتاب الله ربنا وما ثبت عن نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله مما لا يخالف القرآن أو العقل هو الحَكَم الفصل.

قال الدكتور الحفني عن السيدة عائشة على ما تقدم: «**وهي سيدة نساء العالمين بلا منازع**».

أقول: لا نظن بالسيدة عائشة أن تقبل بأن يمدحها شخص بتوسط تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وحيث إنَّ الحفني لم يُؤتَ علْماً بأحوال نساء العالمين ممَّن مضين، وليس هو رسول رب العالمين، فلا يكون إخباره يرجع إلى وحي المولى تعالى له، وهو وحده سبحانه العالم بمَن خلق.

والحفني كرجل يدعي الاسلام، لا بُدَّ وأن يكون قد قرع سمعه الآيات التي نهت عن اتباع غير العلم، وذمت التخرص بالغيب ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾[1]، ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاء إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَ يَخْرُصُونَ**﴾[2].

ولا نعلم أن الله تعالى أوحى إلى الحفني فأذِنَ له في أن يُخبِر عن الغيب، والمفروض أنَّ التخرُّص شيء باطل.

هذا والدكتور الحفني الذي قام بجمع تلك الموسوعة الضخمة من صحاحهم وكتبهم في ما يقرب من ألف وثلاثمأة وخمسين صفحة، لا بد وأن يكون قد أتى على ما في تلك الكتب من أحاديث حتى استخرج ما أودعه في تلك الموسوعة، وعليه فلا نحتمل منه أنه يجهل بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦.

(٢) سورة يونس عليه السلام الآية ٦٦.

من أن سيدات نساء العالمين محصورات في أربع وقد سماهنَّ وعيَّنهن.

فقد أخرج أحمد بن حنبل، والنسائي، والحاكم، والطبراني، وابن حبان وغيرهم بإسنادهم عن عكرمة، عن ابن عباس: قال خط رسول الله صلى الله عليه وآله أربع خطوط ثم قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح(١).

وأخرج أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وابن ماجة، وغيرهم بإسنادهم عن مسروق، عن عائشة ـ واللفظ لابن حنبل ـ قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله فلم تغادر منهن امرأة، قالت: فجاءت فاطمة عليها السلام تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بابنتي ثم أجلسها فأسر إليها حديثاً فبكت، فقلتُ حين بكت: خصَّك رسول الله صلى الله عليه وآله بحديثه دوننا، ثم تبكين! ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً قط أقرب من حزن، فسألتها عما قال لها؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا قُبِض سألتها، فقالت: إنه كان حدثني، قال: كان جبريل عليه السلام

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٩٣ وص٣١٦؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٧٤؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٦٢ ص٣٦٤؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٥٧ ص٩٣؛ مسند أبي يعلى ج٥ ح٢٧٢٢ ص١١٠؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٩٧؛ المعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٢٦٦ وج٢٢ ص٤٠٧؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٧٠؛ تاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ح١٣٨٠٦ ص١٠٨؛ مجمع الزوائد ج٩ ص٢٢٣.

يعارضني كل عام مرة وإنه عارضني العام مرتين، ما أراني إلا وقد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك، فبكيتُ، ثم إنه سارني: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمة، قالت: فضحكت لذلك.

وفي صحيح البخاري: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، فضحكتُ لذلك.

وعند النسائي: ألا ترضين أنك سيدة نساء هذه الأمة، أو سيدة نساء العالمين[1].

وأخرج الصنعاني، وابن حنبل، والترمذي، وابن حبان، وغيرهم بإسنادهم عن قتادة، عن أنس، أن النبي ﷺ قال: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون.

قال الترمذي بعد أن أورد الحديث: هذا حديث صحيح.

أقول: وأخرجه الحاكم في المستدرك بإسناده عن الزهري، عن أنس، قائلاً: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[2].

أقول: ويكفينا تصريح الترمذي والحاكم بصحة الحديث.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٨٢ ؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٧٧ ؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٨٣ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٤٣ ؛ سنن ابن ماجة ج١ ح١٦٢١ ص٥١٨ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص١٩٦ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٤ ح٧٠٧٨ ص٢٥١ وج٥ ح٨٣٦٨ ص٩٦ وح٨٥١٦ ص١٤٦ ؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي ص١١٩ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٦٨ ص٣٦٨.

(٢) المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٩١٩ ص٤٣٠ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٦٠ ص٣٦٣ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٣٥ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٨١ ص٣٦٧ ؛ مسند أبي يعلى ج٥ ح٣٠٣٩ ص٣٨٠ ؛ المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٠٢ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٦٤ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥٧.

وقد ورد بهذا المضمون بل وأبلغ منه الشيء الكثير، وما نقلناه يكفي حجة لنا وعلى الدكتور الحفني.

ولا شبهة أن أهل الجنة هم خير الخلق بلا ارتياب، وسيدتنا خديجة الكبرى وابنتها الصديقة الزهراء صلوات الله عليهما هما على جميع التقادير من جملة نساء عالَم السيدة عائشة بنت أبي بكر، فلا يمكن أن تكون عائشة سيدة نساء العالمين، وفي نساء العالمين فاطمة الزهراء وأمها خديجة الكبرى عليهما السلام.

وبعد اليقين بكون الحديث المتقدم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثابتاً ولا مجال للتشكيك في صدوره بأي نحو من الأنحاء، لاتفاقهم على صحة جميع أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، على أنه قد صرح أعلامهم بصحة إسناد الحديث بقطع النظر عن كونه من أحاديث الصحيحين، فإن ما ذكره عبد المنعم الحفني من كون عائشة سيدة نساء العالمين بلا منازع، هو تكذيب صريح للنبي صلى الله عليه وآله.

ومهما يكن فالإعراض عن مناقشة الحفني أولى، ورأينا أن ننظر باختصار في بعض ما ورد من أحاديث عن السيدة عائشة، والله تعالى أسأل الرشد والسداد، والهداية والرشاد، هو ربي عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الغازية ـ صيدا

ربيع المولد الأزهر ١٤٢٦ هـ

علي بن حسين أبو الحسن

الموسوي العاملي.

تمهيد:

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يكاد يحيط علماً باشتماله على كثير من الأمور الصالحة للاحتجاج بها على الكثيرين في المفردات التي يقع فيها النزاع، ولا نقصد من قولنا هذا إلا أنَّ حظَّ الإنسان غير المعصوم من التأمل في كتاب الله تعالى هو الاحاطة ببعض ما اشتمل عليه القرآن الكريم، وأما بالنسبة لِمَا يفيده الكتاب للمعصوم عليه السلام فهو خارج عن مقصودنا، بداهة أنَّ الكتاب تبيانٌ لكل شيء من جهة تضمُّنه لإشارات وعلائم لا يعرفها إلا من خوطب بالقرآن الكريم، وكلامنا لا يشمل المعصوم عليه السلام.

فلو قيل في مقام مدْح شخص أنه كان حافظاً كذا، وعالماً بكذا، وأريد من ذلك إثبات الفضل له والمنزلة عند ربه، فإن بمقدورنا أن نجيب قائلين على سبيل المثال لا الحصر: قال الله تعالى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ**﴾[1]، وليس كل عالم يثبت له التقوى والفضل لمجرد إحاطته بأنحاء العلوم، وحفْظه لمسائلها.

وأمثلة هذا ونحوه خارج عن حد الاحصاء.

ومن اللطائف أن الله تعالى ذكر جملة من الأنبياء العظام عليهم السلام، وذكر طرفاً من أحوال متعلقيهم.

فذكر آدم ونوحاً على نبينا وآله وعليهما السلام، وذكر ابنيهما وهما من

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

جملة أهل النار، فقال سبحانه في الأول: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ منَ الْخَاسرينَ﴾[١]، وقال في الثاني: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ منَ الْمُغْرَقينَ﴾[٢].

وضرب الله تعالى في كتابه الحكيم مثلاً للذين كفروا امرأتي نوح ولوط فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للَّذينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ منْ عبَادنَا صَالحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنيَا عَنْهُمَا منَ الله شَيْئاً وَقيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخلينَ﴾[٣].

وتلطَّف سبحانه، فذكر عقيب الآية المتقدمة ضارباً مثلاً للذين آمنوا زوجة المتكبر الظالم فرعون فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للَّذينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لي عنْدَكَ بَيْتاً في الْجَنَّة﴾[٤].

ولعل من جملة الحكَم التي دعت المولى سبحانه إلى إثبات ذلك هو تعليم المسلمين، أنَّ العبرة ليس في مجرد انتساب الإنسان إلى أولياء الله الطاهرين بأي نحو من أنحاء النسبة الظاهرية الحاصلة في هذه الحياة الدنيا، فليس كون آدم على نبينا وآله وعليه السلام نبياً يقضي بصيرورة جميع أبنائه المباشرين من أهل الحق، وليس كون نوح على نبينا وآله وعليه السلام نبياً من أولي العزم، يدل على كون امرأته من أهل النجاة والغفران، وهكذا.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٠.

(٢) سورة هود الآية ٤٣.

(٣) سورة التحريم الآية ١٠.

(٤) سورة التحريم الآية ١١.

وكأنه سبحانه أيضاً في مقام تنبيه الناس على عدم الاغترار بوقوع الانتساب الظاهري من أي إنسان إلى أحد من أوليائه الطاهرين، بحيث يحكمون بثبوت الفضل له بمجرد ذلك.

ومن هذا المنطلق، واقتداءً بهدي كتاب ربنا سبحانه، فلا يصح بحال وبجميع المقاييس أن نتهم شخصاً لمجرد أن حاول دراسة حياة بعض الأشخاص من الذين مضوا، بحجة أنَّ فلاناً من أصحاب نبي الله نوح عليه السلام، أو أنَّ هذه المرأة هي من زوجات ذاك الولي العظيم، فإن مثل هذه الحجج الواهية مضافاً إلى بطلانها في نفسها، قد تلطف سبحانه بإبطالها في كتابه الهادي إلى الحق بشكل لا يسمح التأويل، ولا يحتمل التضليل.

وأيضاً، ليس في حكم العقل السليم ولا في مضمون الكتاب الكريم ولا في شرائع السماء من الأولين والآخرين، أنَّ فلاناً من الناس لا يجوز البحث والتحقيق في بعض شؤونه وأحواله، فقط لأنه من جملة الأشخاص الذين اجتمعت طائفة من الناس على ثبوت الفضل له.

فإن اجتماع جماعة عظيمة من الناس مهما كثروا ـ فيما لا يكون من جملتهم المعصوم عليه السلام ـ على أمْر باطل، لا يمنع منه عقل، ولا تنفر منه طباع.

بل في القرآن العظيم فإن ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾[1]، ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[2]، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[3]،

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٠.

(٢) سورة يوسف عليه السلام الآية ١٠٣.

(٣) سورة هود عليه السلام الآية ١٧.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

كما أنه ليس الشيء القديم بما هو قديم وقد ألفه الناس يدل على كونه داخلاً في دائرة الحق، فإن الناس قد يألفون الباطل وقد ألفوه، والقِدَمُ لا يكسب الشيء قيمةً إيجابية بما هو شيء قديم، وقد ألف المشركون والكفار ما نشأ عليه آباؤهم من القدم، وكانت تلك حجتهم، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَة مِنْ نَذِير إِلاَ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[2].

والخلاصة: أننا معاشر المسلمين أمرنا الله تعالى إرشاداً منه لِمَا يستقل بإدراكه العقل السليم باتباع الدليل والسبيل القويم، ولا يوجد في منطق العقل شيء قديم وشيء جديد بما هو قديم أو جديد، بل في منطق الفطرة والعقل لا مسرح إلا للبرهان والحجة.

ولا يحسن من إنسان يعتقد بكونه مصيباً محقّاً أن يخاف من مناقشة الآخر لفكره ورأيه، وليس هذا بدعاً من الأمر.

نعم قد يتحتم على شخص أن يبادر إلى التنبيه والتذكير لسبب ما، وقد يجب على آخر أن يجيب سائلاً مستفهماً، وقد أشرنا في المقدمة إلى أن الدكتور عبد المنعم الحفني قد سأل أبناء الفرقة الناجية، بل سأل بإلحاح وإلحاح، فرأينا أن من الواجب علينا إغاثة الملهوف، هذا فضلاً عن أن تعليم

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٢) سورة الزخرف الآية ٢٢ ـ ٢٣.

الجاهل صدقة.

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه، أننا فيما يأتي من أخبار وروايات لا نحاكمها بالتفصيل على أصول مذهبنا الحق، وقد اقتصرنا في إيراد الروايات على ما أثبته الأبناء المخلصون للسيدة عائشة في صحاحهم وكتبهم، وجهدنا أن ننظر فيها بتجرد محض وفقاً لِمَا قررناه آنفاً. نعم حيث وقع في تلك المصادر الترضي على من لا يجوز الترضي عليهم، كما أنه جرى ديدنهم على بتْر آل محمد عنه صلوات الله عليهم أجمعين في صلاتهم عليه، عمدنا إلى تتميم الناقص وحذْف الباطل، مضافاً إلى إثباتنا السلام على من وجب عليهم السلام، وهذا خصوص ما تصرفنا فيه مما يخص ألفاظ الحديث الذي ننقله.

كما أننا أشرنا في حاشية الكثير من الأحاديث إلى بيان وثاقة رجال إسنادها، وجهدنا في تحصيل الخبر الذي أخرجه البخاري ومسلم، وإن لم يكن الحديث من أحاديث كتابيهما فجهدنا أن يكون رجاله ورواته من رواة ورجال صحيحيهما، إذ بذلك لا مجال لهم للتنكر من الحديث بادعاء عدم حجيته، فإن الأحاديث إما من جملة أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، أو أن رواة الحديث هم من رجال صحيحيهما.

ولا نخفي على القارئ الكريم أن اشتغالنا في بيان رواة الحديث هو الذي أخذ منا جل الوقت، حيث جهدنا في بيان وثاقتهم وأنهم من رجال الصحيح، وغرضنا من ذلك أن نُلزِم أبناء العامة بأحد أمرين:

الأمر الأول: إما الإعراض عن الالتزام بصحة جميع أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، وبالتالي سقوط جميع الموثِّقين لرجال ورواة أحاديث

الصحيحين عن الاعتداد بهم، ولا مجال لأبناء العامة بعد ذلك لأخذ معالم الدين عنهم وعن أمثالهم.

الأمر الثاني: أن نلزمهم بالاعتقاد بمضمون تلك الأحاديث، وهي الطامة الكبرى، فإن أكثر تلك الأحاديث تُبطِل نبوة سيدنا محمد ﷺ، فضلاً عما اشتملت عليه من الطعن في حيائه، وغيرته، وحشمته، ونزاهته.

وستقف بنفسك على أن الأحاديث الطاعنة، القادحة، المنسوبة افتراءً وزوراً على الرسول الأكرم ﷺ، هي من أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، أو أحدهما، أو مما رواها أعيان وأجلاء من يعتقدون بوثاقتهم.

ونعود فنكرر أننا لسنا ممن يتهجَّم على أحد، ولا ممن يتحامل على أحد، وأظن أنَّ الدكتور عبد المنعم الحفني وغيره ممن يدَّعون الغيرة على الحق والحقيقة، سيبادرون إلى محاولة نقْض ما سيوافيك من دراسة مختصرة، ونحن مستعدون جداً للنظر في أجوبتهم، ومنه وحده سبحانه نستمد العون، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.



الفصل الأول

من هو رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديث السيدة عائشة

إشارة:

إنَّ من الواضح جداً أنَّ كافة العقلاء يحكمون بأن من أقرب الناس إلى الصواب في مقام تحديد شخصية رجل ما من حيث السلوك والطباع والأخلاق هي زوجته، فإنه قضاءً لوجود مزيَّة خاصة في حياة الزوجين لا مجال لتحققها خارج إطار حياتهما الخاصة، يتسنى للزوجة أن تطَّلع على جملة من التفاصيل الجزئية المختصة بزوجها.

نعم لا شبهة في اشتراط إحراز الأمانة والمعرفة الموضوعية في الزوجة، بحيث نأمن من تطرُّق التحريف والتزوير في شهادتها، سواءٌ في ذلك جميع ما تُخبِر به.

فربَّ زوجة يحملها الحب والاخلاص لزوجها كما ترى هي معنى الاخلاص على إخفاء جوانب كثيرة من عيوبه التي عرفتها فيه، لا سيما تلك التي لا تخصه كزوج.

وقد قيل: وعين الرضا عن كل عيب كليلة ...

كما أنه ربَّ زوجة يحملها البغض لزوجها، سواء كان بغضاً موروثاً متجذِّراً، أم كان بغضاً عارضاً بسبب سوء معاملته معها، أم بسبب عدم نقاوة نفسها، يحملها على اختلاق أمور من شأنها أن تسيء إلى زوجها كرجل، وتحط من قدره ومحله.

وربَّ زوجة فاقدة للعلم والمعرفة، فترى الأمور من زاوية ظلام الجهل، ولا

تقف عند حقيقة ما يحيط بها، وبالتالي فلا بد وأن ينعكس ذلك على شهاداتها وإخباراتها، فلا وثوق عندئذ.

وبالجملة، فالزوجة الأمينة، الصادقة، العالمة، الورعة، هي التي يعتبر العقلاء شهادتها شهادة خبير مطَّلِع، ويعتدُّون بها.

ولا يفوتنا التنبيه على لزوم دراسة بعض الجوانب النفسية للزوجة من جهة، وعلى ملاحظة حظها من التجربة، فإن للسن والتجارب أثراً لا مجال لغض الطرف عنه.

وقد يختلف الأمر عند ذوي العقول المضاءة المستنيرة بنور الله تعالى ونور أوليائه عليهم السلام، فلا يتوسلون بشهادات الزوجة مهما زعم الزاعمون أنَّ لها عند الله تعالى قدَمَ صدْق، بل ينطلقون مما وعوه من الحق عن لسان الحق تعالى وعن لسان أوليائه عليهم السلام إلى تقييم تلك الزوجة فيما تُخبِر وتشهد به في حق زوجها.

فزوجة المعصوم الذي ثبتت عصمته في العقل والشرع، ليست كزوجة رجل آخر مهما كان شأنه الديني أو الدنيوي رفيعاً، ومن غير المقبول به أن لا نعمد إلى التأمل فيما تُخبِر به زوجة المعصوم عليه السلام، بل لا بد وأن نلحظه من حيث احتمال كونه مضاداً ومنافياً لِمَا يحكم به العقل أو العرف من جهة، أو من حيث منافاته مع ما ثبت في مستند معصوم كالقرآن الكريم.

وقد عمدنا بعد أن أغدق الأبناء المخلصون للسيدة عائشة، المعتقدون بعظيم محلها وفضلها في إيراد المدائح في حقها وإثبات الفضائل التي لا يدانيها فيها أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وآله، عمدنا إلى التعرف على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من خلال ما حكته وأخبرتْ به تارة، أو أجابتْ عنه سائليها تارة أخرى.

ولا يسعنا بادئ ذي بدء إلا التشكيك في الراوين عن السيدة عائشة، وإلا التشكيك في الذين أثبتوا تلك الروايات في كتبهم، مع أنهم -رواةً وكتّاباً ومصنفين- من أعظم الرجال عند أبناء السنة، بل ممن اجتمعت كلمتهم على غاية عدالتهم، وكفى أنّ الأحاديث التي سيوافيك نقْلها والتعرض لها قد أورد أكثرها أصحاب الصحاح الستة.

والذي دعانا إلى التشكيك في الراوين عن السيدة عائشة، والتشكيك في المثبتين لتلك الأحاديث على أنها أحاديث صحيحة، أننا بعد مطالعتنا لجملة من تلك الأحاديث عن بعض أحوال النبي الأكرم ﷺ وجدنا أنفسنا أمام شخصٍ مسحور تلعب به السحرة، أمام شخص ينسى آيات من كتاب ربه، أمام شخص لا تدمع عينه، أمام شخص سبّاب شتّام، لاهٍ لاعبٍ تارة، يتقلب في المحرمات طوراً، أمام جاهلٍ بما لا يمكن أن يجهل به أحدٌ من أبناء عصره وبيئته، أمام رجلٍ لا يتقي الله تعالى في شرف عرضه، أمام رجل يلعب به هوى صبية جارية صغيرة، أمام رجل يكاد يخجل من قلة حيائه مَن لا يستحي، أمام شخص ينام على الجنابة، أمام رجل...

لهذا فلا يسعنا بادىء ذي بدء وقبل التحقيق في المطلب إلا تكذيب الرواة عن السيدة عائشة وتكذيب أصحاب الكتب والصحاح.

فإنْ كان لبعض الرواة عذْرٌ فيما رواه أو فيما أخبر به -إذ قد يكون بعضهم في مقام التحديث بما سمعه من شيخه ليس إلا- وإنْ كان لبعض المصنفين وأصحاب الكتب أن يعتذروا بأننا جمعنا في كتبنا وأودعناها ما انتهى إليه سمْعُنا، بقطع النظر عن صحة ما أودعناه، فإنه ليس لمثل البخاري ومسلم اللذين

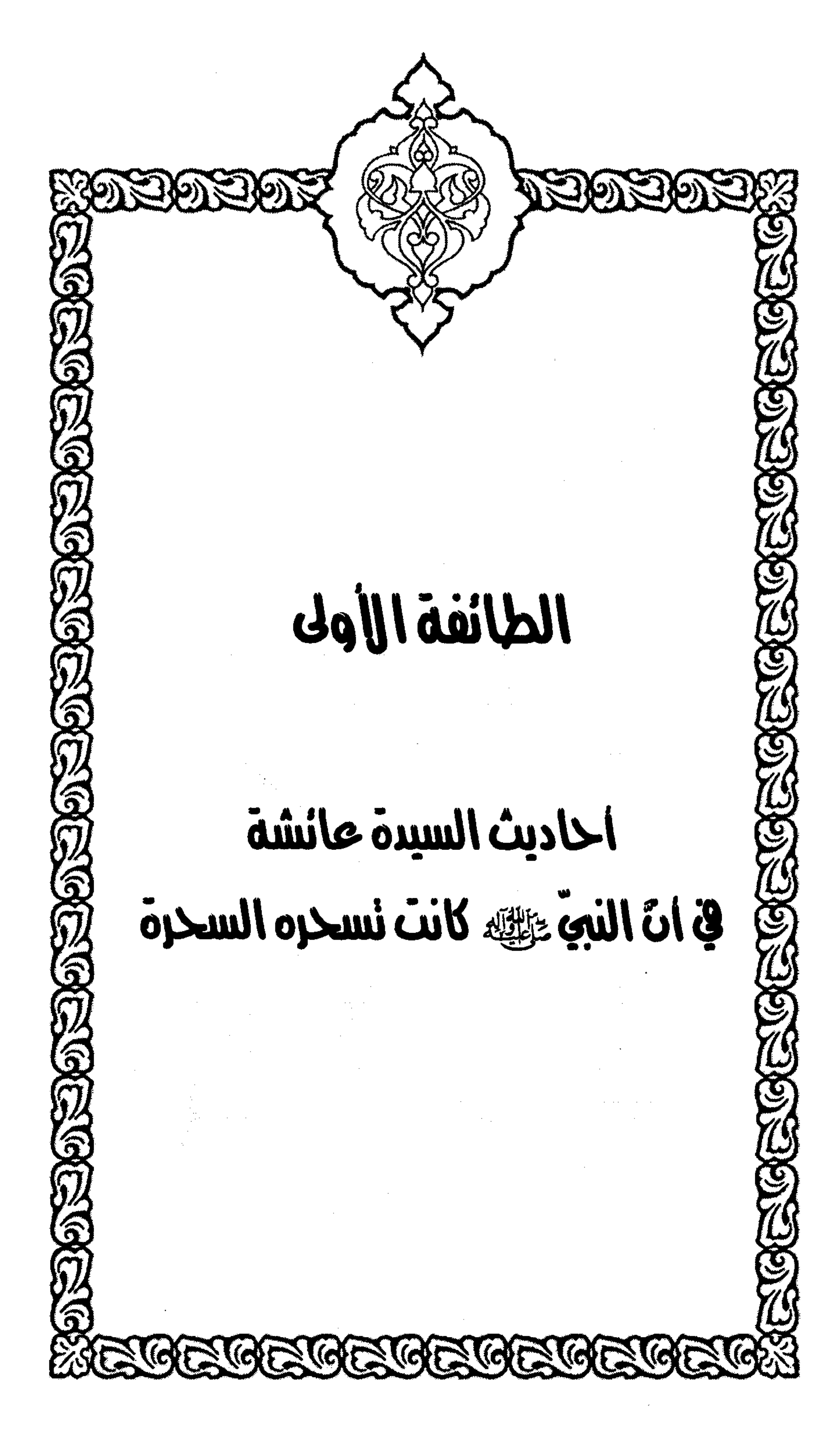
التزما أن لا يوردا في كتابيهما إلا الصحيح من الأحاديث والآثار أن يعتذرا بذلك أو بغيره.

وكيف طوّعت لكل واحد منهما نفسه أن يثبتا في كتابيهما أحاديث تبطل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ناسبين إياها للسيدة عائشة!

وكيف ساغ عندهما أن يثبتا أحاديث تقدح في شرف، وحشمة، وغيرة، وحياء النبي صلى الله عليه وآله ناسبين جميع ذلك لزوجة النبي صلى الله عليه وآله السيدة عائشة!

وأيضاً إن الذي لم نهتدِ لوجهه أنَّ مثل أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والنسائي، والعجلي وغيرهم، كيف اجترأوا على الله تعالى في توثيقهم ومدْحِهم لرواة تلك الأحاديث والأخبار!

فهل فعلاً كانوا ثقات فيما أخبروا به عن السيدة عائشة، أو أنهم جميعاً متواطئون مفترون على زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله!!



الطائفة الأولى

أحاديث السيدة عائشة
في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كانت تسحره السحرة

الحديث الأول: أخرج ابن أبي شيبة، وابن حنبل، والبخاري، ومسلم، وغيرهم بإسنادهم عن عائشة ـ قال مسلم: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن نمير، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: سَحَر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: يا عائشة، أشعرت أنَّ الله أفتاني فيما استفتيتُه فيه، جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: مَن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: فقلت يا رسول الله: أفلا أحرقته، قال: لا، أما انا فقد عافاني الله، وكرهتُ أن أثير على الناس شراً، فأمرتُ بها فدفنت[1].

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ٩٠ ـ ٩١ وج٧ ص٣٠ وص١٦٤ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٤ ؛ سنن ابن ماجة ج٢ رقم٣٥٤٥ ص١١٧٣ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٧ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٥ ح٣ ص٤٣٥ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٢٢٩ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٤ ح٧٦١٥ ص٣٨٠ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٣٥ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨٨٢ ص٢٩٠ ؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٤٥ ؛ الطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٦.

أقول: بعد اتفاق أصحاب الصحاح على رواية الحديث لا سيما البخاري ومسلم فلا ضرورة تدعو لبيان وثاقة رجال إسناده، حيث أجمع أبناء العامة على صحة جميع أخبار كتابيهما، ولكن تثبيتاً للحُجَّة، فلعله يأتينا شخص فيقول أنا لا أعتقد بصحة جميع روايات الصحيحين أو أحدهما، لذا نُبيِّن وثاقة رجال إسناد صحيح مسلم[1].

---

(١) ١ ـ **أبو كريب محمد بن العلاء**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص٢٨ و٣٢ و٥٧ و١٤٢ وج٢ ص٣٠ و١١٤ و١١٩؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٠ و٨٢ و٨٧ و١٢١ و١٣٠ و١٣٤)

قال المزي: محمد بن العلاء، أبو كريب، روى عن عبد الله بن نمير، روى عنه الجماعة يعني أصحاب الصحاح، ومنهم البخاري ومسلم، فإنه شيخهما. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٥٢٩ ص٢٤٣ ـ ٢٤٥).

صحَّح حديثه الترمذي في سننه، بل قال الحاكم في المستدرك: متفَقٌ على الاحتجاج به. ووثقه النسائي، ومسلمة بن قاسم وغيرهما. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال الذهبي: الحافظ، الثقة، محدث الكوفة. (سنن الترمذي ج١ ص٢٥٠ ص١٥٨ وح٢٩١ ص١٧٩ وح٣٤٧ ص٢١٧ وح٣٨١ ص٢٣٧؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٢٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٢٣٩ ص٥٢ ؛ الثقات ج٩ ص١٠٥ ؛ تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٥٢٩ ص٢٤٣ ـ ٢٤٧؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٥١٢ ص٤٩٧؛ سير أعلام النبلاء ج١١ رقم٨٦ ص٣٩٣ ـ ٣٩٦؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٦٣٦ ص٣٤٢ ـ ٣٤٣).

٢ ـ **عبد الله بن نمير من رجال الصحيح**. (صحيح البخاري ج١ ص٨٦ و١١٩ و١٢٦ و١١٦؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٤ و٥٦ و٦٥ و٧٧).

قال المزي: عبد الله بن نمير، روى عن هشام بن عروة، روى عنه أبو كريب محمد بن العلاء. (تهذيب الكمال ج١٦ رقم٣٦١٨ ص٢٢٥ ـ ٢٢٨).

وثقه ابن معين، والعجلي، وابن سعد، وابن حبان، وغيرهم، وقال أبو حاتم: مستقيم الأمر. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من المتقنين. وقال الذهبي: حجة، وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان من كبار أصحاب الحديث. (تاريخ ابن معين للدارمي رقم٥١ ص٥٢؛ معرفة الثقات ج٢ رقم٩٨٦ ص٦٥ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم٨٦٩ ص١٨٦؛ الثقات ج٧ ص٦٠؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٧٧ ص ٢٧٣؛ تهذيب الكمال ج١٦ ص٢٢٥ ـ ٢٢٩؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٣٠٢٤ ص٦٠٤؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣١١ ص ٣٢٧؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم ١١٠ ص٥٢ ـ ٥٣).

الحديث الثاني: أخرج البخاري، وابن حنبل، والأصبهاني بإسنادهم عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، ـ أقول: وفي لفظ ابن حنبل مكث ستة أشهر ـ قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال يا عائشة: أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه، ثم ساقوا الحديث بنحو ما تقدم في الحديث الأول(١).

---

٣ ـ **هشام بن عروة بن الزبير**. (صحيح البخاري ج١ ص٢ و٣٣ و٤٦ و٦٢ وو٧٢ و٧٤؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٧ و٦٢ و٧٩ و١٣٣ و١٤١ و١٧٢).

قال المزي: هشام بن عروة بن الزبير، روى عن أبيه عروة بن الزبير، روى عنه عبد الله بن نمير. (تهذيب الكمال ج ٣٠ رقم٦٥٨٥ ص٢٣٢ ـ ٢٣٥).

وثقه ابن سعد، والعجلي، ويعقوب بن شيبة. وقال أبو حاتم: ثقة، إمام في الحديث. وقال ابن خراش: كان هشام صدوقاً. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان متقناً، ورعاً، فاضلاً، حافظاً. وقال في المشاهير: من حُفَّاظ أهل المدينة، ومتقنيهم وأهل الورع والفضل في الدين. قال الذهبي: هشام بن عروة بن الإمام الحافظ الحجة. (الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٢٤٩ ص٦٣ ـ ٦٤؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٥٨٣ ص١٣٠ ـ ١٣١؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٩٠٦ ص٣٣٢؛ تهذيب الكمال ج ٣٠ رقم٦٥٨٥ ص٢٣٢ ـ ٢٣٩؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٣٨ ص١٤٤؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٨٩ ص٤٤؛ تاريخ بغداد ج١٤ رقم٧٣٨٣ ص٣٦ ـ ٤١).

٤ ـ **عروة بن الزبير**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٢ و٣٣ و٤٦ و٦٢ و٧٢ و٧٤؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٧ و٦٢ و٧٩ و١٣٣ و١٤١ و١٧٢).

قال المزي: عروة بن الزبير، روى عن خالته عائشة، روى عنه ابنه هشام بن عروة. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٣٩٠٥ ص١١ ـ ١٥).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وغيرهما. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من فقهاء المدينة، وأفاضل التابعين. وقال سفيان بن عيينة: كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة، القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن. وقال أبو الزناد: قال كان فقهاء أهل المدينة أربعة، وعد منهم عروة بن الزبير. أقول: والمدائح الواردة فيه كثيرة. (الطبقات الكبرى ج٥ ص١٧٩؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٢٢٩ ص١٣٣؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم٢٢٠٧ ص٣٩٥؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٤٢٨ ص١٠٥؛ تهذيب الكمال ج ٢٠ ص١٥ ـ ٢٣؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٥١ ص٦٢؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٣٥٢ ص١٦٣).

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٣؛ صحيح البخاري ج٧ ص٢٩ وص٨٨؛ دلائل النبوة ص١٧٠.

الغاية من خلق الجن والأنس:

أقول: إنَّ الغاية من خلْقِ الجن والأنس هي عبادة الله تعالى، قال سبحانه في محكم كتابه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُون﴾[١].

وللعبادة أشكال كثيرة وأنحاء متفاوتة، وقد تلطَّف المولى سبحانه بأنْ دلَّ عباده عليه، وهداهم إليه، فأرسل الرسل مبشِّرين ومنذرين، معلِّمين ومؤدِّبين، حاملين للرسالة التي أمرهم تعالى بتبليغها لعباده.

ومن البديهي أنَّ عبادته تعالى تفرض وجود قوانين خاصة سنَّها سبحانه، وقد تفضَّل سبحانه بوعْد المطيع بالثواب والجنة، وأوعد العاصي الجاحد بالعذاب والعقاب.

فكانت الغاية التي بعث الله تعالى الرسل من أجلها هي هداية العباد إلى الحق، لتتحقق للناس سعادتهم في الدارين من خلال التزامهم بالتعاليم الإلهية.

والالتزام بأوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه يتوقف لا محالة على إقامة الحجة على الناس بما شرَّعه سبحانه لهم، فاقتضى ذلك وجود سفير له تعالى بين العباد، موثوقاً مأموناً، تسقط معه حجة العباد يوم العرض عليه تعالى شأنه، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَة﴾[٢].

والرسول المبعوث من قِبله تعالى حيث إنه حجته سبحانه، فلا بدَّ وأنْ يتميز عن سائر الخلق بصفات لها دخالة في إقامة الحجة على الناس، كما أنه لا بُدَّ وأن يكون مأموناً عن كثير من الأمور التي من شأنها فيما إذا تحقق بعضها أن

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٢.

يبطل الاحتجاج به.

فكل أمْر إذا كان ينفذ من خلاله الشيطان بالتشكيك وما شاكل في صدْق أو في صحة ما يُخبر به النبي ﷺ مثلاً، يلزم أن يكون الدليل القاطع قائماً على عصمة النبي ﷺ منه، وإلا فإن لم يكن معصوماً منه فلا مجال لتحقيق الغرض الذي بُعث النبي لأجله، وقد قال سبحانه **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**[1].

وهذه الآية الكريمة تختصر علينا الطريق في المقام، فلا نحتاج لإبراز الأدلة العقلية، إذ أن كلامنا مع المؤمنين بالقرآن الكريم.

بشرية الأنبياء:

والأنبياء والرسل عليهم السلام وإنْ كانوا بشراً، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، غير أنهم من جهة كونهم حجج الله تعالى على العباد فلا مجال للقول بأنَّ بشريَّتهم هي مثل بشرية سائر الناس.

فهم عليهم السلام وإنْ كانوا بشراً غير أنهم لا يخطئون، وإنْ كان الخطأ ينسجم مع بشريَّة البشر.

فلا يقال: كيف لا يُخطىء النبي وهو من البشر.

لأننا نقول: بما أنهم حجج الله تعالى، فإن احتمال ورود الخطأ عليهم، يُبطِل الاحتجاج بهم على الخلق.

وبالجملة، كل صفة لا تنافي بشريَّة الإنسان فلا مانع من أن يتصف بها النبي

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٥.

مع عدم منافاتها لشخصه بما هو نبي ورسول.

هذا من حيث النبي نفسه فيما يشمل صفاته وطبعه، وأما من حيث كونه سفيراً له تعالى، فلا بد وأن يُحصِّنه ويحفظه ربه سبحانه عن إمكان تلاعب عدوه به، فإن إمكان تسلُّط الشيطان والباطل على النبي يقضي باحتمال عروض الباطل على تشريعات النبي وعدم الوثوق بما يُخبِر به عن وحي السماء.

فلا يكفي كون النبي صادقاً في نفسه، صالحاً، و.. و..، بل لا بد وأن يكون مأموناً عن جميع تسويلات الشيطان، معصوماً عن سلطانه بالتمام والكمال.

ولا يكفي أن يكون صادقاً، بل لا بد من وجود أمور فيه تعطي اليقين للناس باستحالة وقوع غير الصدق منه ولو سهواً، أو نسياناً، أو عن غير اختيار.

إذ لا شبهة أن مجرد احتمال إمكان مخالفته للصدق مثلاً ولو بدون اختيار، يقضي بزوال الوثوق به، ولا طريق للناس لإحراز صدقْه من طريق آخر.

فإن الطريق الآخر هو من خلال نبي مثله غير معصوم عن السهو والغفلة والنسيان، وما هذا حاله ومآله يبطل الاحتجاج به على الخلق، ولا يتم به الغرض الذي بعث الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام من أجل تحقيقه وإثباته.

السحر من الشيطان:

ثم إنه لا شبهة بأن السحر شأن من شؤون الشيطان اللعين، وضرْب من ضروب الباطل.

والراوي عن السيدة عائشة يُخبِر الأمة أن النبي صلى الله عليه وآله كان عرضة للسحر من جهة، بل وأنَّ بعض السحرة سحره بالفعل.

والغريب أن الراوي عن السيدة عائشة، قال: «حتى كان رسول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله»، وهذا التعبير يفيد تسلُّطَ السحر على النبي ﷺ في شؤونه وتصرفاته، ولم يخص الراوي ذلك بشيء خاص معيَّن.

ولكننا مضطرون هنا إلى تكذيب الراوي عنها أو أن نحمله على الاشتباه والسهو فيما سمعه منها، وأنها أخبرت عن وقوع السحر على النبي ﷺ على خصوص حالة إتيان النساء كما ورد في المتن الثاني للحديث.

ومع ذلك فالإشكال وارد، وقد يتصور البعض أنَّ هناك فرقاً جوهرياً بين وقوع السحر على خصوص أمر معيَّن، وبين عدم اختصاصه بأمر معيَّن.

فنقول: بما أن الحديث عن النبي ﷺ فإن هذا التصور خاطىء جداً.

إذ على كلا التقديرين وبما أن السحر من الشيطان، فهذا يعني أن الشيطان تسلَّط فعلاً على النبي ﷺ، وكونه تسلط في أمر واحد أو أمور كثيرة لا يُمثِّل فرقاً فارقاً، وإنْ كان احتمال تسلطه عليه في أمور كثيرة أفظع من حيث وقوع السحر فعلاً.

وبتعبير آخر: إن الإخبار عن تسلُّط الشيطان على أي شخص قد يكون إخباراً عن تسلطه تسلطاً فعلياً في أمور كثيرة، وقد يكون إخباراً عن تسلطه في خصوص أمر واحد.

ولكن في الحقيقة الإخبارُ عن تسلُّط الشيطان في خصوص أمر واحد، إخبارٌ عن إمكان تسلطه عليه في باقي الأمور.

إذ بعد وقوع السحر فعلاً على شخص في أمر معيَّن، فهذا يعني أن هذا الشخص تحت مرمى السحر فعلاً في باقي الأمور. وإنْ رفضتَ هذا، فنقول:

هذا يعني احتمال كون الشخص تحت مرمى السحر.

وهذا الشخص إنْ كان شخصاً عادياً، فإنه يفرق الحال بين أحد النحوين من وقوع السحر عليه، وإما إذا كان نبياً ورسولاً فإنه من حيث الأثر السلبي المنعكس على شخصيته ومقامه ومهمته واحد، ولا يفرق الحال في ذلك الأثر السلبي بين أحد نحوي وقوع السحر عليه.

بل الأثر السلبي واقع ومتحقِّق في ما إذا فرضنا أنَّ وقوعَ السحر على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شيء محتَمَلٌ، حتى لو لم يقع فعلاً.

إذ مجرد احتمال ورود السحر على النبي صلى الله عليه وآله وإن لم يقع فعلاً يعني إمكان ورود الشيطان عليه، وإمكان وروده عليه من شأنه أن يُولِّد التشكيك في شؤون النبي صلى الله عليه وآله، فيبطُل كونه حجةً لله تعالى.

وكيف يمكن أن تقوم الحجة من الله تعالى على العباد برسول نحتمل فيه أن يكون محلاً قابلاً لسلطان الشيطان عليه؟!

فإن للكافرين والجاحدين أن يعتذروا وأن يُبرِّروا عن عدم انقيادهم وتصديقهم به، بأنه يمكن أن يكون في هذا الأمر أو ذاك مسحوراً.

تشكيك الظالمين:

وفعلاً، فإن هذا ما قاله الظالمون، ﴿**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَ رَجُلاً مَسْحُوراً**﴾(١).

ولا مجال للراوي عن عائشة أن يحتجَّ على الظالمين بأن النبي صلى الله عليه وآله كان

(١) سورة الإسراء الآية ٤٧.

مسحوراً في خصوص أمر معيَّن، فإن الظالمين سيجيبون:

بأننا لا نملك ما نرفع وندفع به شكوكنا.

فأنت تخبرنا بأن النبي ﷺ كان رجلاً مسحوراً بالنسبة لإتيان النساء، وهذا سبَّب عندنا شك في أنه يمكن أن يكون مسحوراً في غير ذلك أيضاً.

ولا يمكن للراوي أن يُلزِمهم بخصوص ما أخبر به عن عائشة، فإن لبعض الأخبار مدلولاً ومعنى يتجاوز حدها المقصود.

بل لبعض الأخبار دلالات وإن لم تكن مقصودة.

ولا نظن بأن الراوي عن عائشة قصد أن النبي ﷺ كان رجلاً مسحوراً في جميع شؤونه، ولكنَّ إخباره عنها أنه ﷺ كان قد وقع عليه السحر آناً ما في أمر معيَّن، يفيد إمكان وقوع السحر على سيدنا محمد ﷺ في باقي الأمور.

وهذا المعنى الذي يمكن وقوعه هو ما يفيده كلام السيدة عائشة وإن لم تكن هي قاصدة له.

فتكون السيدة عائشة من حيث لا تقصد قد أعطت الذريعة والعذر للظالمين بالتشكيك إلى آخر الدهر بنبوة نبينا ﷺ.

والسيدة عائشة من حيث هي زوجة النبي ﷺ ومن حيث إنها بعد أبيها أحب الخلق إليه كما يعتقد بذلك أبناء العامة، أقول هي بلحاظ ذلك لا تكون بنظر الظالمين متَّهمَةً في الإفتراء على رسول الله ﷺ، فيكون إخبارُها بأنَّ النبي ﷺ قد وقع عليه السحر، شهادةَ خبيرةٍ موثوق بها، ولا أقل يستطيع الظالمون المشكِّكون إلزامَ أبناء العامة بالأخذ بهذه الأحاديث من باب إلزامهم بما يعتقدونه في عائشة.

حديث السيدة عائشة يسيء إليها:

ولكن اللطيف أن الراوي عن عائشة التي أخبرتنا عن أن النبي الأكرم ﷺ قد سحره بعض السحرة، قد أبطل هو نفسه جميع المدائح الواردة في حقها على لسان النبي ﷺ.

إذ لأي شخص أن يقول، لعل النبي ﷺ كان مسحوراً في جميع ما قاله في حق السيدة عائشة، بشهادتها هي نفسها بأنه ﷺ قد وقع عليه السحر في إتيان النساء.

والشخص الذي يحتمل ذلك لا مجال لنا أصلاً أن نُنكر عليه الاحتمال الذي يحتمله في شأن جميع المدائح الواردة في حق السيدة عائشة كما أشرنا آنفاً.

فإنه يقول لنا: بما أن الراوي عن عائشة قال بأن النبي ﷺ كان عُرضةً للسحر في أمْر معين، فهذا يعني أنه قابلٌ لأن يكون مسحوراً في أيٍّ شأن من شؤونه، ولا شبهة أن من جملة شؤونه هو ما أخبرتم به عن النبي ﷺ من فضائل في حق عائشة.

بل الأمر لو كان يتوقف عند هذا الحد لأمكن معالجته بنحو ما، ولكنه يسري إلى جميع شؤون النبي ﷺ بلا استثناء.

ضعْف حجة المسلمين أمام الظالمين:

ولا يملك المسلمون حُجَّةً في مقام الرد والدفاع، لأن النبي ﷺ إما أن يكون مأموناً من السحر في جميع الشؤون، أو لا يكون مأموناً في أي شأن، ولا يمكن لنا فيما إذا قبلنا بما أخبرتنا به السيدة عائشة أن نرد على الظالمين ونقول

لهم، بأن النبي كان مأموناً عن السحر في باقي الأمور، أو أنه بعد تلك الواقعة قد عصمه الله تعالى وحفظه.

إذ إنْ لم يكن النبي ﷺ مأموناً عن السحر وعن تأثيره قبل تلك الحادثة التي روتها لنا السيدة عائشة، فهذا يعني نفوذ وورود التشكيك على جميع شؤون النبي ﷺ قبل الحادثة، وهذا شيءٌ خطير جداً.

ولو قيل بأنَّ النبي ﷺ كان مأموناً من أول الأمر عن السحر في جميع شؤونه إلا في ما يتعلق بشأن إتيانه النساء، فهذا المعنى يمكن القبول به لو أمكن البرهان عليه، بحيث لو استطعنا إبراز وإقامة الدليل الذي يمكن من خلاله إسكات الظالمين والمشكِّكين بنحو لا يستطيعون معه التشكيك بصحة باقي وجميع شؤون النبي ﷺ، لقلنا بأن تصريح السيدة عائشة بوقوع السحر على النبي ﷺ في الشيء المعيَّن لا يكون ذريعةً لهم من جهة، ولا يكون حُجةً لهم على المسلمين من جهة ثانية.

وأنت تعرف أن أيَّ شيء يمكن أن يُورِث القدْحَ أو التشكيك بنبوة أي نبي من الأنبياء عليهم السلام أو التشكيك بصحة أي شأن من شؤونه، لا بدَّ وأن يكون النبي معصوماً عنه، ومأموناً عليه منه بحكم العقل، فضلاً عن حكم الشرع بذلك إرشاداً منه إلى صحة ما يحكم به العقل.

أي يلزم أن يستقل العقل بالحكم بذلك بقطع النظر عن وجود دليل من الشرع، فإن النبي يجيء بالشرع، ولا يصح أن تكون حجية ما يجيء به أمراً يفرضه الشرع، وإلا لبطلت نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام.

وبعبارة أخرى: إن الله تعالى قد أودع في الإنسان القدرة على إدراك بعض

الأمور خارج إطار الشرع، وتلك الأمور هي التي تقضي عليه بأن يرجع ويطيع ويؤمن بالنبي، ولا يصح أن يقال: إن الطاعة للنبي يأمر بها النبي، فإنَّ طاعته متفرِّعةٌ عن التصديق والاعتقاد به، والتصديق به متوقِّفٌ على التصديق والاعتقاد بلزوم وجود نبي، والاعتقاد بوجود نبي لا يمكن أن يكون متفرِّعاً عن ادعائه أنه نبي وأنه يجب طاعته، إذن لا بدَّ وأن يرجع الأمر إلى شيء آخر خارج إطار الشرع وخارج إطار ادعاء النبي للنبوة، وهذا الأمر في مقامنا هو ما يُصطلَح عليه بالعقل، وفي بعض الموارد في غير مقامنا يصطلح عليه بالفطرة.

فالعقل هو الذي يحكم بلزوم وجود نبي حجة لله تعالى على عباده، والعقل هو الذي يُدرك لزوم وجود شرائط وخصائص معينة في النبي، حتى يصلح كونه حجة لله الحق تعالى.

ولا يوجد في حكم العقل أن النبي يتأثر بالسحر في بعض الأمور دون بعض، بل إما أن يكون مأموناً عن السحر في جميع الشؤون، أو لا يكون مأموناً في أي شأن.

على أنه لا يستقيم الاحتجاج على الآخر بقاعدة ما فيما إذا كان للقاعدة ثغرات ينفذ من خلالها الآخر لإبطال القاعدة نفسها، بل لا بدَّ وأن تكون القاعدة سليمة عن إمكان إبطالها ونقْضها تحت أي عنوان، وبذلك يصح الاستناد إليها والاحتجاج بها.

فإذا التزمنا بوقوع السحر على النبي ـ أي نبي من الأنبياء عليهم السلام ـ فهذا يعني الالتزام بأنه تحت سلطان الشيطان، ولا يمكن لنا أن نُسكِت المشكِّك بالنبي أو بأي شأن من شؤونه بعد أن نكون قد التزمنا بذلك.

وبعد أن أخبرت عائشة عن وقوع السحر على النبي صلى الله عليه وآله، فإن الظالمين وأصحاب القلوب والعقول المريضة لا يحتاجون إلى شيء آخر غيره في مقام التشكيك بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وبما يأتي به.

تساؤلات تفرض نفسها:

وأخيراً في هذا السياق، فإننا لا نعرف سبباً يجعل اللهُ تعالى بإزائه حبيبه، وأمينه، وحجته، ورسوله، وسفيره فريسةً لجماعة من أصحاب الأباطيل المشعوِذين، حيث مكث ستة أشهر يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله.

لذا فنحن بدورنا نحتمل أن حديث وقوع السحر على النبي صلى الله عليه وآله حديث موضوع على لسان السيدة عائشة، وإلا فكيف تكون السيدة عائشة ممن تتبرع بإعطاء الحجة القاطعة لكل مشكِّك بالتشكيك بالنبي صلى الله عليه وآله وبجميع شؤونه؟!!

ولكن المريب، أن الحديث قد رواه عن السيدة عائشة أعلام رواة صحاح أبناء العامة، وهذا يقود إلى الالتزام بعدم الوثوق بهم وبما في صحاحهم، وينتج عن هذا أيضاً بطلان وفساد الرجوع إلى الصحاح في أخْذ معالم الدين، وفساد الاحتجاج بما في الصحاح كلها.

لا أراك تقول: لا معنى لأنْ يفسُد ويبطُل جميع ما في الصحاح لفساد وبطلان حديث واحد رواه مجموعة من الرواة.

فنجيب: إن أحاديث الصحاح قد اتفق جميع أبناء العامة على صحتها وعلى غاية وثاقة وعدالة رواتها.

وحديث وقوع السحر على النبي صلى الله عليه وآله حديث يهدم أساس نبوته صلى الله عليه وآله،

ولا نظن بالسيدة عائشة أنها افترته، ونحتمل أن الذي افتراه بعض رواة أحاديث الصحاح، فإذا كان بعض رجال الصحاح ممَّن يضعون الحديث الذي يهدم أساس نبوة النبي ﷺ، فهذا يُورِثنا الشك في صحة مدائحهم وتوثيقاتهم لرواتهم من جهة، ويورثنا أيضاً الشك في الرجال المادحين والموثِّقين لهم، والشك بصحة ذلك شكٌّ في صحة باقي أحاديث الصحاح.

وكيف نثق بشهادة ابن معين، والعجلي، وأبي حاتم وغيرهم في حق رواة أحاديث الصحاح، بعد أن كانوا هم أنفسهم من شهدوا بوثاقة رجال حديث وقوع السحر على النبي ﷺ!!

وكيف لنا أن نثق بخبرة البخاري، ومسلم، وابن ماجة وغيرهم فيما أودعوه من أحاديث في صحاحهم وكتبهم، بعد أن أودعوا في صحاحهم هذا الحديث الذي يُبطِل نبوة سيدنا محمد ﷺ!!

ولا نرضى أن ننسب إلى السيدة عائشة حديثاً يهدم أساس نبوة نبينا ﷺ، فالأولى أن نتهم الراوين عنها، والموثِّقين لأولئك الرواة.

والعجيب أن الكافرين والمشركين وجميع الظالمين لم يكن بمقدورهم مجتمعين أن يُبرِزوا دليلاً واحداً على وقوع السحر على النبي ﷺ، وفي المقابل نرى أن الراوي عن السيدة عائشة قد أسدى لهم خدمة عظيمة خطيرة المفاد، وأبرز بهتاناً منه ما لم يكن بمقدورهم ولا بمقدور أربابهم إبرازه.

فهل نأخذ بمضمون الحديث؟

أو نتهم السيدة عائشة بالافتراء على النبي ﷺ؟

أو نتهم رجال ورواة الحديث ومِن ورائهم مَن أودعوا الحديث في

خصوص الصحاح، ومَن وثَّقوا ومدحوا رجال الحديث كابن معين، وابن سعد، وأحمد بن حنبل، والنسائي وغيرهم؟

هذا ونحن لم نسلك في هذا الكتاب مسلكاً علمياً كما يتطلبه واقع البحث وكما ينسجم مع مباني أبناء الفرقة الناجية، بل بنينا على أن نحاكم النصوص محاكمة بسيطة جداً فحسب، لذا لا نطيل الكلام بالنقض والإبرام، والتوضيح والبيان، ونقتصر على إبداء بعض الملاحظات التي نعتقد أنها تكفي جداً لكشف النقاب، وإن كان النقاب قد انكشف في الواقع ومن اليوم الأول.

حديث السحر في القرآن:

ثم إننا لسنا بصدد التحقيق في أنه هل للسحر واقعٌ وحقيقةٌ، أو أنه محض توهُّم وخيال ولا يعدوهما، فإن لهذا محلاً آخر لا يحتمله هذا البحث المختصر.

ولكن اللطيف أن الله تعالى يقول في محكم كتابه ﴿**وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾[1]، وقد ذكر سبحانه أيضاً في سورة طه فقال ﴿**وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾[2].

ومن حقنا هنا أن نسأل الراوي عن السيدة عائشة، فنقول له: كيف أفلح اليهودي الساحر لبيد بن الأعصم؟!!

والذي هو ألطف وأعجب أن سورة طه صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه نزلت بمكة بالإجماع، وفي

---

(١) سورة يونس عليه السلام الآية ٧٧.

(٢) سورة طه صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه الآية ٦٩.

تعبير ابن الجوزي: مكية كلها بإجماعهم[1]، أي قبل زواج النبي ﷺ من عائشة بسنين.

فيا ترى هل أن الساحر لا يُفلِح عند الله تعالى في مكة المكرمة، وقد أفلح في المدينة المنورة، فصنع بالنبي ﷺ ما صنع به!!

أو أن الساحر لا يُفلِح إلا مع سيدنا محمد ﷺ!!!

وقد قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام **﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[2].

ويا ترى هل كانت غاية الله تعالى من عدم إبطال السحر على سيدنا رسول الله ﷺ أن يزداد المؤمنون به بصيرة، وبنبوته يقيناً!

أو أن الله تعالى لم يُبطله رغبةً منه في إعطاء المكذِّبين الجاحدين حجة لهم عليه!

وكأن الراوي عن السيدة عائشة نسي أن يقول: إن الناس بعد أن اطَّلعوا وعرفوا بما جرى لرسول الله ﷺ، أسرعت جماعاتهم في الدخول إلى الإسلام والتصديق بنبوة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

أو كأنه نسي أن يقول: إن الجاحدين غلبوا على أمْر المسلمين، فارتد الكثيرون عن الحق بعد أن شككهم الجاحدون بصحة كون النبي ﷺ نبياً.

وكأن المشركين قالوا لهم: لطالما قلنا لكم بأن محمداً رجلٌ مسحور فلم

---

(١) تفسير القرطبي ج١١ ص١٦٣؛ زاد المسير ج٥ ص١٨٧؛ جامع البيان ج١٦ ص١٧٠؛ تفسير الثعالبي ج٤ ص٤٣؛ الدر المنثور ج٤ ص٢٨٨؛ فتح القدير ج٣ ص٣٥٤.

(٢) سورة يونس الآية ٨١

تُذعنوا لنا ولم تقبلوا قولنا، وها قد أقر محمدٌ بذلك.

وأضاف الظالمون بلسان الحال قائلين لضعاف المسلمين: ألم نقل لكم فيما مضى أن محمداً قد اعتراه بعض آلهتنا بسوء!

وقد قيل على نحو حكاية لسان الحال: لمَّا أن أخبرت السيدة عائشة بهذا الحديث، تشاور أعيان المشركين والظالمين، فاتفقوا على تعيين ذلك اليوم الذي وقع فيه الإخبار يوماً عظيماً، واتفقوا وتعاهدوا على حفْظ هذا الحديث وتدوينه في الكتب والمجاميع، والتحديث به في كل الأندية، فإن أقرب الناس إلى النبي ﷺ قد أخبرت بما يُصدِّق زعْمهم، فلطالما زعموا ﴿**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً**﴾.

ثم إن الساحر مفسدٌ، والآية الكريمة الحاكية قول نبي الله موسى عليه السلام، نصٌّ في هذا المعنى، فكيف صح عند الراوي عن السيدة عائشة إصلاح ربها لعمل المفسدين!

ولو أن الله تعالى لم يُصلِح عَمَل المفسِد في حق نبينا ﷺ، لَمَا تمكن الساحر من أن يسحر سيدنا محمد ﷺ.

فإن الله تعالى لو لم يُصلِح عمله لأبطله، وإبطاله تعالى لعمل الساحر يعني أنه لا يقدر ولا يستطيع أن يفعل شيئاً وأن يسحر، ولكن السيدة عائشة أخبرتنا أن الله تعالى قد أصلح عمل الساحر المفسد، من خلال إخبارها لنا عن وقوع السحر على رسول الله ﷺ.

ويحق لنا أن نخاطب ربنا قائلين: ما الذي كان يمنعك عن حفْظ ورعاية نبيك من أيدي العابثين به واللاعبين فيه!

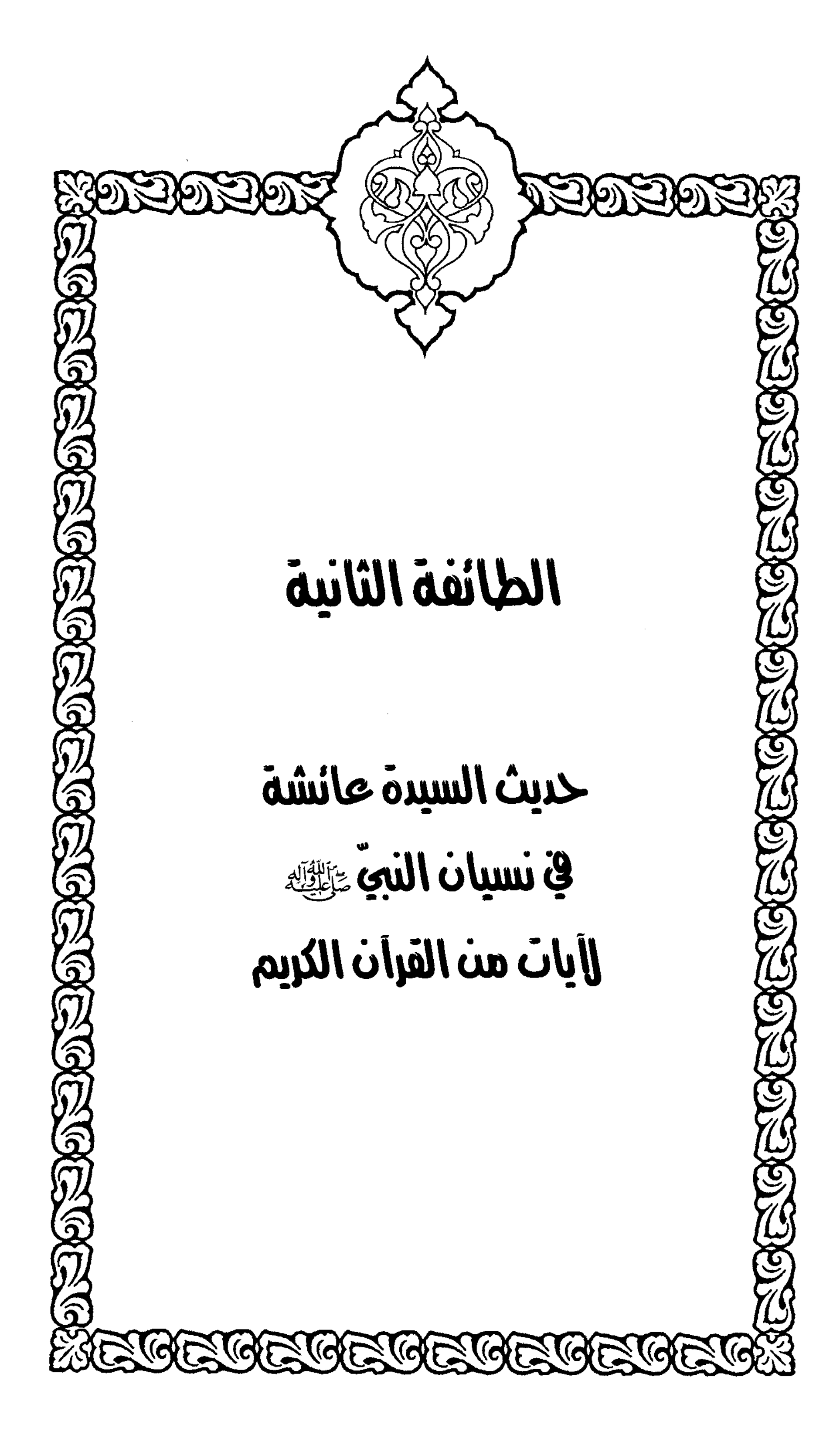
وهل في حكمتك يا سيدي خذلان حبيبك!

أو أن حكمتك تقضي في أن تعطي الحجة القاطعة لجاحديك!

ولكن هذا لا نعرفه في جميع ما أخبرنا به قرآنك عن سيرتك مع أنبيائك ورسلك السابقين.

فهل لسيدنا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه خصوصية، أو أنه لذنب ارتكبه، وخطيئة اقترفها!!

ولنكتفِ بهذا المقدار، وفيما ذكرناه كفاية لأولي الأبصار والضمائر والأنظار، والحمد لله المنتقم الجبار، وسلامه على حبيبه المصطفى وآله الأبرار.



الطائفة الثانية

حديث السيدة عائشة في نسيان النبيّ صلى الله عليه وآله لآيات من القرآن الكريم

الحديث الأول: أخرج البخاري، ومسلم، بإسنادهما عن عائشة - واللفظ للبخاري - قالت: سمع النبي صلى الله عليه وآله قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتها من سورة كذا وكذا.

وفي لفظ البيهقي: نسيتها من سورة كذا وكذا[١].

الحديث الثاني: أخرج ابن حنبل، ومسلم بإسنادهما عن عائشة، واللفظ لأحمد بن حنبل، قال: حدثنا وكيع، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يقرأ آية، فقال: رحمه الله، لقد ذكرني آية كنت أنسيتها[٢].

وفي لفظ آخر لابن حنبل: لقد أذكرني آية كنت نسيتها[٣].

الحديث الثالث: أخرج البخاري، وابن راهويه، والنسائي بإسنادهم عن عائشة - واللفظ للبخاري - قالت: سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهن من سورة كذا وكذا[٤].

الحديث الرابع: أخرج ابن راهويه، قال: أخبرنا المؤمل بن إسماعيل، أخبرنا حماد بن سلمة، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام ليلة يصلي فلما مطرف، قال: ليرحم الله فلاناً، كأين من قراءته

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص١١٠ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٩٠ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٣٨ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٩٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٢.

(٤) صحيح البخاري ج٣ ص١٥٢ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص١٤٢ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٠٠٦ ص١٠.

أذكرنيها وقد كنت نسيتها[١].

أقول: بعد اتفاق البخاري ومسلم على رواية الحديث فلا موجب لبيان وثاقة رجال إسناد الأحاديث، وتثبيتاً للحجة نُبيِّن حال رجال إسناد ابن حنبل في الحديث الثاني، ورجال إسناد ابن راهويه في الحديث الرابع[٢].

---

(١) مسند ابن راهويه ج٣ ص١٠٤١.

(٢) ١ ـ **وكيع بن الجراح**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٣٦ و٦١ وج٢ ص٦٠ و٧٣ و١٣٦ وج٣ ص٩؛ صحيح مسلم ج١ ص٧ و٩ و٣٧ و٦١ و٧٢ و٧٧ و٨١).

قال المزي: وكيع بن الجراح، روى عن هشام بن عروة، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٦٩٥ ص٤٦٢ ـ ٤٦٧).

قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أحفظ من وكيع، ما رأيت وكيعاً شك في حديث إلا يوماً واحداً. وقال أيضاً: ما رأيت رجلاً قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب، مع خشوع وورع. وقال أيضاً: كان وكيع بن الجراح إمام المسلمين في وقته. وقال أيضاً: الثبت بالعراق يحيى، وعبد الرحمن، ووكيع. وقال يحيى بن معين: ما رأيت أفضل من وكيع. وقال محمد بن سعد: كان ثقة، مأموناً، عالياً، رفيعاً، كثير الحديث، حجة. وقال العجلي: كوفي، ثقة، عابد، صالح، أديب، من حفاظ الحديث، وكان يفتي. وقال ابن حبان في المشاهير: من الحفاظ المتقنين، وأهل الفضل في الدين. وقال الذهبي: الامام الحافظ، الثبت، محدث العراق، أحد الائمة الاعلام. (معرفة الثقات ج٢ رقم١٩٣٨ ص٣٤١؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١٦٨ ص٣٧ ـ ٣٨؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٧٤ ص٢٧٢؛ تهذيب الكمال ج٣٠ ص٤٧١ ـ ٤٨٢؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٨٤ ص٣٠٦ ـ ٣٠٩؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٢١١ ص١٠٩ ـ ١١٤).

٢ ـ و٣ ـ **هشام هو ابن عروة بن الزبير**، تقدم ذكره هو وأبوه في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى، وقد قال المزي: هشام بن عروة بن الزبير، روى عن أبيه عروة بن الزبير، روى عنه وكيع بن الجراح. (تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٥٨٥ ص٢٣٢ ـ ٢٣٧).

٤ ـ **ابن راهويه**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص٤٣ و١١٨ ص١٥٢ وج٣ ص٢٢ و٦١ و٩٦ وج٤ ص٩؛ صحيح مسلم ج١ ص١١ و٢٠ و٤٧ و٥٠ و٥٣ و٨٥).

قال المزي: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه، أحد أئمة المسلمين، وعلماء الدين، اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد، روى عن مؤمل بن إسماعيل. (تهذيب

الكمال ج٢ رقم٣٣٢ ص٣٧٣ ـ ٣٧٥).

قال أحمد بن حنبل: إسحاق عندنا من أئمة المسلمين. وقال أيضاً: لا أعلم ولا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً. وقال قتيبة بن سعيد: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إماما الدنيا. وقال أبو حاتم: إسحاق بن راهويه إمام من أئمة المسلمين. وقال ابن حبان في الثقات: وكان إسحاق من سادات زمانه فقهاً، وعلماً، وحفظاً، ونظراً. وقال الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد. وقال الدارمي: ساد إسحاق بن إبراهيم أهل المشرق والمغرب بصدقه. وقال النسائي: ثقة، مأمون، إمام. أقول: المدائح التي أوردها فيه كثيرة. (الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٧١٤ ص٢٠٩ ؛ الثقات ج٨ ص١١٥ ؛ تاريخ بغداد ج٥ ص١٨٣ وج٦ رقم٣٣٨١ ص ٣٤٣ ـ ٣٥٢ ؛ تهذيب الكمال ج٢ ص٣٧٣ ـ ٣٨٦ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم ٤٤٠ ص٤٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٤٠٨ ص ١٩٠ ـ ١٩٢).

٥ ـ مؤمل بن إسماعيل.

قال المزي: مؤمل بن إسماعيل، روى عن حماد بن سلمة، روى عنه إسحاق بن راهويه. (تهذيب الكمال ج٢٩ رقم٦٣١٩ ص١٧٦ ـ ١٧٧).

وثقه ابن سعد، وابن معين، وابن راهويه، والدارقطني، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن مؤمل بن إسماعيل: فعظَّمه ورفع من شأنه. وقال يعقوب بن سفيان: شيخ جليل. وقال ابن قانع: صالح. وقال الساجي وأبو حاتم: صدوق. (الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم١٧٠٩ ص٣٧٤ ؛ الثقات ج٩ ص١٨٧ ؛ تهذيب الكمال ج٢٩ رقم٦٣١٩ ص١٧٦ ـ ١٧٨ ؛ تهذيب التهذيب ج١٠ رقم٦٨٢ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠).

أقول: قد اتفق الكل على أن مؤمل بن إسماعيل كان كثير الخطأ وأنه يغلط، ولكنك تعرف أن ذلك غير ضائر هنا في صحة حديثه، فإن الحديث قد ورد من طريق غيره من أعيان الثقات.

٦ ـ حماد بن سلمة، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج١ ص٥٦ و٧٧ و٩٩ و١٠١ و١١٢ و١١٩ و١٢٣ و١٣٢ و١٣٥ و١٦٩ وج٢ ص٣ و٦٦ و٩٠ و١١٦ و١٢٠ و١٢٩ و١٣٦ و١٤٢).

قال المزي: حماد بن بن سلمة، روى عن هشام بن عروة، روى عنه مؤمل بن إسماعيل. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٤٨٢ ص٢٥٣ ـ ٢٥٨).

وثقه ابن معين، وابن سعد، والعجلي، والساجي، والنسائي، بل قال أبو الفضل بن طاهر: أجمع أئمة أهل النقل على ثقته وأمانته. وقال حجاج بن المنهال: كان من أئمة الدين. وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين. وقال يحيى بن معين: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة، وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام. وقال ابن حبان في المشاهير: من عباد أهل البصرة ومتقنيهم ممن لزم العبادة والعلم والورع. وقال عبد الرحمان بن مهدي: حماد بن سلمة صحيح السماع، حسن اللقى، أدرك الناس، لم يتهم بلون

أقول: قال ابن حجر معقِّباً على حديث عائشة: وفي الحديث حُجَّةٌ لمَن أجاز النسيان على النبي ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقاً، وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين، أحدهما أنه بعدما يقع منه تبليغه، والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره.

وقال في موضع آخر، قال الجمهور: يجوز على النبي ﷺ أن ينسى شيئاً من القرآن بعد التبليغ لكنه لا يقرُّ عليه، وكذا يجوز أن ينسى ما لا يتعلق بالإبلاغ[1].

العقل منحةٌ إلهية:

أقول أولاً مخاطباً وجدان الأمة من خلال مخاطبة ابن حجر: يا ابن حجر، هل في كتاب الله ربكم آية تدل على أن ما دوَّنه البخاري ومسلم وغيرهما يجب الأخذ به حتى ولو كان يُسيء إلى نبي ربكم!

وهل أن الله تعالى الذي منَّ وتفضَّل على خلْقه بنعمة العقل والفكر والتفكر، قد منَّ بها على جماعة من الناس دون سواهم، بحيث أمر الله تعالى بمتابعتهم دونما أدنى تأمل!

ألم يصح عندك يا ابن حجر أن الله تعالى إنما يُعبد ويُعرف بالعقل والفكر، وأن الله تعالى ميَّزك عن بقية مخلوقاته بما أودع فيك من قوة عاقلة مدرِكة؟!

من الألوان. (معرفة الثقات ج١ رقم٣٥٤ ص٣١٩ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٢٤٣ ص٢٤٧ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٦٢٣ ص١٤٠ ؛ تهذيب الكمال ج٧ ص٢٥٣ ـ ٢٦٩ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٩٧ ص٢٠٢ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم١٤ ص١١).

(١) فتح الباري ج٩ ص٧٠ وج١١ ص١١٧.

فكيف صح عندك أن تحتج بحديث نسيان النبي ﷺ، وبحديث جواز اللعب في المسجد حيث كان رسول الله ﷺ مجتمعاً مع شياطين الجن والأنس، وبحديث الغناء في أيام العيد لمَّا أن دخل ابن أبي قحافة على بيت النبي ﷺ ووجد مزمار الشيطان عنده كما سيأتي الحديث عن ذلك؟!!

بعض تحقيق في النسيان:

أقول: وقوع الغفلة عن المعنى في الذهن يرجع إلى أسباب، بعضها تخصُّ حال الغافل بحيث لا دخالة لشيء آخر فيه، ككونه ضعيف الذاكرة، أو لعدم تعهُّده لِمَا حفظه، أو لعدم اهتمامه بالمطلب وغير ذلك. وقد يكون ضخامة المطلب المعقَّد العبارة مثلاً، له مدخل في وقوع الغفلة مضافاً إلى ذلك، بمعنى أنه مضافاً لكونه غير مهتمٍّ به، فإن المطلب مما يصعب حفظُهُ عادة.

والنسيان مهما كانت دائرته ضيقة شيء لا يمدح عليه العقلاء في أي ظرف من الظروف البتة، بغض النظر عما تعلق به النسيان، وبغض النظر عن خصوصية الناسي، أو خصوصية ما نسيه من أمر أو أمور.

والنسيان في بعض المواقع قد يؤدي إلى نتائج وخيمة جداً، بحيث يسقط الناسي لبعض الأمور عن صلوحه في بعض المواقع التي لا يُغتفَر لصاحبها نسيانه ما يتعلق بشكل وثيق بمهمته ووظيفته.

ومن ناحية ثانية فإن النسيان لبعض المفردات ذات الصلة بوظيفة الناسي تقضي بعروض الشك والتشكيك في وقوع الزيادة أو النقيصة في الشأن الذي كُلِّف القيام به.

فرسول السلطان مثلاً يسقط عن كونه أهلاً وصالحاً للقيام بوظيفته لمجرد نسيانه بضع كلمات من جملة رسالة كان قد كلَّفه السلطان بتبليغها، وفي المقابل يحكم العقلاء على السلطان فيما إذا اعتمد على هذا الرسول في التبليغ بعد ذلك بخروجه عن كونه حكيماً.

وأما فيما يتعلق بالطرف المقابل للسلطان، فإنهم يَرَون أنفسهم معذورين في عدم الانقياد وعدم التجاوب مع مضمون ما ينقله الرسول بعد ذلك، بادعاء عدم الاطمئنان بحامل الرسالة وناقلها، متمسكين باحتمال تبديله لمضمون رسالة الرسول من خلال احتمال عروض النسيان له أو السهو في هذا المورد كما وقع منه في مورد سابق.

وبالجملة، فإنه لا شبهة أن نسيان رسول السلطان لبعض ما أنيط القيام به، يُسقطه عن صلاحية الاحتجاج به على الآخرين، وعن صحة الاعتماد عليه من السلطان الحكيم.

كما أنه لا ينبغي أن يفوتنا التنبيه على أن ذلك النسيان يُعتبر عيباً فاضحاً في رسول السلطان بما هو رسول له.

والحكمة القاطعة للعذر، والدافعة عن تحقق أي مبرر في الرعية لترك امتثالهم أوامر السلطان، تحمل السلطان على تنحية ذلك الرسول عن منصبه، وإلا فهو مخالف للحكمة من ناحية، ومن ناحية ثانية يكون قد أعطى العذر المقبول عند العقلاء للمخالف له.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله أشرف وأفضل الخلق في كل شيء ومن كل جهة. والشخص الذي لا ينسى أفضل من الشخص الذي ينسى من جهة الإضافة

إلى النسيان، ومن المعلوم أنه يوجد في الناس من لا ينسون ولا يعرفون معنى النسيان، فيلزم بناءً على حديث السيدة عائشة أن تكون تلك الجماعة من الناس أفضل من النبي صلى الله عليه وآله من هذه الجهة، وهذا شيء باطل.

النبي صلى الله عليه وآله هو الحجة والإمام:

ونسيان النبي صلى الله عليه وآله لمّا أن كان نسياناً لبعض آيات كتاب الله تعالى، فهو نسيان لشيء أنيط بالنبي صلى الله عليه وآله القيام بتبليغه للناس وحفْظه.

ولا شبهة أن النبي صلى الله عليه وآله هو الحُجَّة على الناس في كل شيء، ولو نازعنا أحد في هذا المعنى من العموم، فلا يمكن أن ينازعنا أحد في أنه صلى الله عليه وآله هو الحجة على الناس في جميع ما يتعلق بالقرآن الكريم، فهو الحجة والإمام، وإليه المرجع والمنتهى في كل شؤونه.

وحيث قد نسي أو أنسي النبي صلى الله عليه وآله بعض الآيات القرآنية، فلا يخلو الحال إما أن يعرف صحة وقرآنية ما سمعه أو يسمعه من تلاوة شخص آخر أو أشخاص آخرين، أو أنه أيضاً لا يعرف ذلك لشدة نسيانه، وتمام غفلته.

فإن لم يعرف ذلك، فهذا يعني أنه يمكن أن يجتمع ثلة من الصحابة على أن جملة ما هي من القرآن الكريم، وهنا إما أن يوافق الآخرون تلك الثلة، أو يخالفوهم.

فإن وافق الباقي، فيكون الناس هم الحجة على النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم، وهذا أمر باطلٌ عقلاً، وصدع القرآن الكريم بما يُبطِلُه أيضاً، فقد قال

سبحانه ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[(١)].

وظاهر جداً أن الذي كلَّفه الله تعالى بقراءة القرآن على الناس قد كلفه بقراءته كله لا بعضه، فإن كان النبي ﷺ يمكن أن ينسى شيئاً من آيات الكتاب الكريم، فلا يصح من الله تعالى تكليفه بقراءته كله.

وإذا رجع النبي ﷺ إلى الناس في قرآنية بعض آيات القرآن الكريم، فلا يكون ممن يقرأ القرآن كله على الناس.

وأما إذا اختلف الناس في قرآنية ما نسيه النبي ﷺ من آيات، ولم يوافق باقي الناس تلك الثلة، فهنا الطامة الكبرى، ولا ندري هل أن السيدة عائشة ترى الاعتماد على القرعة في مثل هذه الموارد، أو أنها روت في هذا المعنى ما ينفع لِمَا نحن فيه؟

وأما إذا كان نسيان النبي ﷺ لبعض الآيات لم يمنعه من تذكرها عند سماعه لها، فهنا وإن خلا هذا الحال عن بعض الإشكالات المتقدمة، غير أنه من الواضح أن سماع النبي ﷺ هو السبب في تذكره، وهذا يعني أن الشخص الذي سمعه النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن الكريم أضحى الحجة على النبي الأكرم ﷺ، وأنت تعرف أنه ﷺ في زمان حضوره هو الحجة والإمام فحسب، ولا حجة عليه.

فطنة سيدنا محمد ﷺ:

ومع ذلك فإن سيدنا محمد ﷺ لم يكن ينقصه من الحكمة والفطنة

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٦.

بحيث يخفى عليه أن إخفاءه أمْر نسيانه للآيات التي سمعها أرجح من إظهاره لذلك، فإنَّ نسيانه أمْرٌ غير راجح على جميع التقادير.

فلماذا يا ترى أظهر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أمراً يخفى على الناس، وسارع إلى إظهاره حالة النسيان منه لبعض الآيات، وهذا يقضي بولوغ الشك في نفوس الضعاف!!

والمريب أن السيدة عائشة تقول بأن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا»، وفي لفظ آخر: «لقد أذكرني كذا وكذا آية نسيتها من سورة كذا وكذا».

ولا نعرف عدد الآيات التي كان نسيها صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وكم آية أسقط من كتاب الله تعالى!

ولا يسعنا هنا إلا أن نترحم على ذلك القارئ الذي أنقذ الله تعالى به موقف سيدنا محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وحفظ ـ بحفظه لتلك الآيات ـ كتاب الله تعالى.

لوازم خطيرة:

ولكن نسيان النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لآية أو لآيات كثيرة يفتح باب الشك على مصراعيه في صحة ما بلَّغه عن ربه، ولا ندري ماذا كانت تملك السيدة عائشة من ضمانة في عدم عروض النسيان من النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لغير تلك الآيات، بحيث فارق ـ روحي فداه ـ الدنيا ولمَّا يُذكِّره أحد.

وهنا نسأل السيدة عائشة: كيف لكِ أيتها السيدة أن تردي على الظالمين والمشكِّكين في تمامية أو نقصان القرآن الكريم؟

وما هي الحجة لكِ فيما إذا زعموا أن النبي زاد أو نقَّص سهواً ونسياناً؟

ولا أظن أن السيدة عائشة ستعمد إلى التمسك بالآيات القرآنية الدالة على ذلك، فإن الظالمين والمشكِّكين لا يعتقدون بها.

وخلاصة أدنى ما يفيده حديث نسيان النبي ﷺ لآية أو لآيات من كتاب الله تعالى، أن النبي ﷺ يمكن أن ينسى، وبما أنه نسي فعلاً، فنسيانه لآيات أخرى أو زيادته لآيات أو تنقيصه سهواً ونسياناً أمْر ممكن، وهذا يُسقِط النبي الأكرم ﷺ عن كونه أهلاً لحفْظ وتبليغ وبيان القرآن الكريم، ويُسقِطه عن مقام كونه الحجة على الخلق في جميع ما يتعلق ببيان الكتاب العزيز.

ونسيان النبي ﷺ لآيات القرآن الكريم بعد أن بلَّغها، يحمل المشكِّك على الاعتقاد باحتمال نسيانه ﷺ لغير ما بلَّغه من آيات القرآن الكريم وما يتعلق ببيان الأحكام والتكاليف، وهذا الاحتمال يُفسِد ويهدم أساس نبوة سيدنا محمد ﷺ.

وهل يصح من الله تعالى الحكيم أن يبعث رسولاً يمكن أن ينسى بعض الآيات فضلاً عن أنه قد نسي فعلاً كما ذكرت لنا السيدة عائشة!!

وكيف يذكر المولى سبحانه في كتابه أن النبي ﷺ هو الحجة على العباد، وفي المقابل نرى أن السيدة عائشة تسمع النبي ﷺ وهو يعترف ويقر بأن ذلك القارئ كان الحجة عليه، ومرجعه إليه!

ولا أدري كيف صح عند الله تعالى أن يحتج على عباده برسول ينسى آيات من كتابه!!

وكيف يريد الله جلت كلمته أن نؤمن بالقرآن الكريم ـ ونحن المؤمنون به إنشاء الله تعالى ـ وبمَن جاء بالقرآن وبما جاء به من غير القرآن، والمفروض أنه

نسي وأسقط كذا وكذا آية من سورة كذا وكذا!

وما الذي منع الله تعالى أن يبعث رجلاً فطناً يلتفت إلى تبعات ولوازم بعض شؤونه، فبدلاً من أن يُظهِر لنا ويُعرفنا أنه نسي كما وقع من النبي ﷺ ـ والعياذ بالله تعالى ـ فإن فطنته تمنعه عن التصريح بذلك، وبالتالي فلا يقع المسلمون في حرج من جهة، ولا يحصل المشكِّكون على ذريعة وحجة لهم غداً أمام العرض على الله تعالى؟!

ولماذا لا يبعث الله تعالى نبياً لا يصدر منه ما يُسبِّب حصول الشك وعدم الاطمئنان بما أنيط إليه القيام به؟!!

والذي نعرفه ونعتقده أن الله تعالى هو الحكيم اللطيف، وأن العقل يدرك بأن الله تعالى يستحيل أن يبعث شخصاً ينسى آيات من كتابه، فإن ذلك ينقض الغرض الذي دعا الله سبحانه إلى بعثه الرسول، وما ينقض غرض الحكيم يقبُح من الحكيم أن يقوم به، والقبيح مستحيل على رب الحكماء سبحانه.

وأخيراً في هذا السياق، فإن من حقنا أن نسأل الله تعالى ما الذي منعه أن يهب حبيبه وخيرته من خلقه ملكة الحفظ وعدم النسيان، وهو سبحانه العالم بل الذي فطر عباده على الحكم بأن النسيان ليس مما يُمدَح عليه الشخص!

بل من حقنا أيضاً أن نسأله سبحانه عما منعه عن أن يلطف بعباده حتى بعث إليهم رسولاً ينسى!

آداب مشكورة:

ثم إن من عظيم كمال السيدة عائشة وأدبها مع النبي ﷺ أنها لم تعارض

النبي ﷺ بسؤالها إياه عن جواب الشبهات التي يمكن أن تخطر على بال الناس فيما إذا حدَّثتهم بحديث نسيانه لآيات من كتاب ربه.

بل إن من كمالها أنها لم تعترض على النبي ﷺ وهو الذي بلَّغ عن المولى سبحانه قوله مخاطباً حبيبه المصطفى ﷺ ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى**﴾[1]، فإنها لم تعترض على النبي ﷺ ولا على الله تعالى بأنه كيف يقول بأنك يا محمد لا تنسى القرآن، وها أنت تصرِّح بلسان عربي مبين أنك نسيت!

والغريب أن سورة الأعلى مكية، وبتعبير ابن الجوزي: «وهي مكية كلها بإجماعهم»، وفي كلام غيره أنها مكية بقول الجمهور ولم يخالف إلا الضحاك[2]، على أن السيوطي ذكر أن ابن مردويه أخرج عن عائشة قالت: نزلت سورة سبح اسم ربك بمكة[3]، والنبي ﷺ قد تزوج وبنى بعائشة بعد الهجرة في المدينة المنورة.

ولسنا هنا في مقام تفسير الآية، ولكن نُنبِّه على أن قوله تعالى ﴿**فَلاَ تَنْسَى**﴾ ليس صيغة نهي، فإنه لا يصح النهي عن النسيان، بل هي صيغة نفي قطعاً، والظاهر أن هذا المعنى مجمَعٌ عليه.

ولو قلتَ: بل يصح النهي عن النسيان من خلال النهي عن ارتكاب المقدمات التي تُولِّد النسيان.

فنقول لك: إذا كان النبي ﷺ منهياً عن النسيان، فهل يمكن أن يخالف

---

(١) سورة الأعلى الآية ٦.

(٢) جامع البيان ج٣٠ ص١٨٩؛ الناسخ والمنسوخ ص٦٥؛ زاد المسير ج٨ ص٢٢٧؛ تفسير القرطبي ج٢٠ ص١٣؛ فتح القدير ج٥ ص٤٢٢.

(٣) الدر المنثور ج٦ ص٣٣٧.

في المدينة ما نهاه الله تعالى عنه في مكة!

وهل يصح في مذهب السيدة عائشة أن لا يمتثِل النبي ﷺ أمْر الله تعالى ولا ينتهي عن نهيه.

والذي نظنه أن السيدة عائشة قد أخبرت عن النبي ﷺ ما أخبرتنا به سهواً ونسياناً، وكانت تقصد شخصاً آخر.

لو سمحوا باللوم:

ولكننا نلوم البخاري ومسلم وأصحاب الصحاح الذين التزموا بأن لا يُورِدوا ولا يُودِعوا في صحاحهم إلا ما صح عن النبي ﷺ، نلومهم كيف أنهم لم يُدرِكوا أن هذا الحديث يسيء إلى النبي الأكرم ﷺ، ويقضي بالتشكيك بنبوته، ويفتح باب التشكيك على مصراعيه بما جاء به ﷺ، ولم يُدركوا أن هذا الحديث حديث مكذوب موضوع على لسان السيدة عائشة، اخترعه ووضعه المنافقون على لسانها.

ونحن في مقابل ذلك نشك بعد هذا في وثاقة وأمانة الراوين للحديث عن السيدة عائشة، ونشك في أمانة ووثاقة وخبرة المدوِّنين له في صحاحهم، ولا نتعدى أصحاب الصحاح.

أي لا نلوم أيضاً أصحاب بقية الكتب مما عدا الصحاح الستة، فإن أصحاب الصحاح هم وحدهم الذين التزموا بإيراد خصوص الأحاديث الصحيحة، وأن جميع ما في تلك الصحاح هو مما صح عن النبي ﷺ، لا سيما صحيح البخاري وصحيح مسلم.

القرآن الكريم مما يمكنُ حفْظُه:

ثم إننا نأتي إلى كتاب الله تعالى، فنجده كتاباً يسهُلُ للمريد حفظُهُ، وقد عرف الدهر وأبناؤه على مرِّ العصور وتعاقب الأزمان حُفَّاظاً متقنين للقرآن الكريم، بل عرف الناس حُفَّاظاً للقرآن الكريم بما يشمل آياته الكريمة، وألفاظه الشريفة، وأعداد الكلمات والحروف، ورقم الآية في السورة، ونحو تكرار اللفظ والآية، وأين تكرر اللفظ واختلف المعنى تارة، وأين تكرر اللفظ وكان المعنى واحداً، وغير ذلك فضلاً عن إحاطتهم بمعاني آيات الكتاب وأسبابِ نزولها.

وبالجملة فالناس جميعاً قد اطلعوا على مثل هذه النماذج وعرفوهم، ولا شبهة أن هذا مما يُعدُّ فضلاً ومنقبة، فكيف يقصر الرسول الأكرم ﷺ عن هذه المرتبة عند السيدة عائشة؟

وكيف يكون في أتباع سيدنا محمد ﷺ مَن يفوقه في حفْظ القرآن، وهو نفسه ﷺ قد رغَّب، وحثَّ، وأكد على حفْظه!

إذن ليس نسيان شيء من القرآن الكريم يرجع إلى صعوبة في حفْظه، فقد حفظَه المئات في كل عقد من عقود القرون السالفة.

وأنت تعرف أن النبي ﷺ لا يصح منه عقلاً وشرعاً أن لا يكون مهتماً بكتاب ربه، فإن كتاب الله تعالى محفوظ في قلب حبيب الله المصطفى ﷺ، ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[1].

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٢ـ ١٩٥.

فكيف للمهتم المحب لشيء أن ينساه!

وأعجب من ذلك أن ينسى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ما نزل به جبرئيل الأمين عليه السلام بلسان عربي مبين على قلبه!

والأعجب من ذلك، أنه نزل به كذلك ليكون من المنذرين به!

وهل يمكن أن تتصور شخصاً ينسى شيئاً نزل على قلبه، واستقر في جوفه، ووعاه عقله؟

نعم، إذا تعمد أن ينسى، بحيث يمنع نفسه عنه، فإنه يمكن أن ينسى شيئاً بعد مرور فترة من الزمن.

ولكن الشخص بما هو رسول لله تعالى وبما هو حجته سبحانه لا يمكن أن يتعمد ذلك، بقطع النظر عن أن النبي والحجة هو سيد الخلق، التام الكامل، الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

والخلاصة، أنه ليس في رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الكامل المطهَّر عيبٌ ولا نقْصٌ، ولا في القرآن الكريم خصوصية تمنع عن التمكن من حفظه، هذا كله بغض النظر عن كونه صلى الله عليه وآله هو المبشِّر المنذر الحاكم بالقرآن الكريم.

وفي نهاية المطاف، كأن السيدة عائشة نسيت أن تسأل النبي صلى الله عليه وآله هل أنه كان نسي معنى الآيات وما تضمنته من أحكام مضافاً إلى نسيانه الآيات نفسها؟!

وهل أن النبي صلى الله عليه وآله قد بلَّغ أحكاماً تنافي مضمون الآيات التي كان ناسيها!

ونحتمل ـ كما سيأتي في هذا المعنى شيء كثير ـ أن يكون أبو بكر أو عمر بن الخطاب هما اللذين انبريا إلى تنبيه حبيب الله المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد أُنسِيت عائشة إخبارنا بذلك، أو نسي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله إخبارها.

ويبقى شيء لم نعرفه في حديث نسيان النبي ﷺ لآيات من القرآن الكريم، وهو أنه كم هي المدة التي قضاها النبي ﷺ ناسياً لآيات القرآن الكريم؟

وهل أنه بعد أن أذكره فلان وقع منه أيضاً النسيان في مورد ثانٍ، وثالث، ورابع، و... ؟

وكأن السيدة عائشة نسيت أن تقول: بأن نسيان النبي ﷺ لآيات كتاب ربه كان من أهم المرجِّحات عندها على كونه صادقاً في ادِّعائه النبوة!!

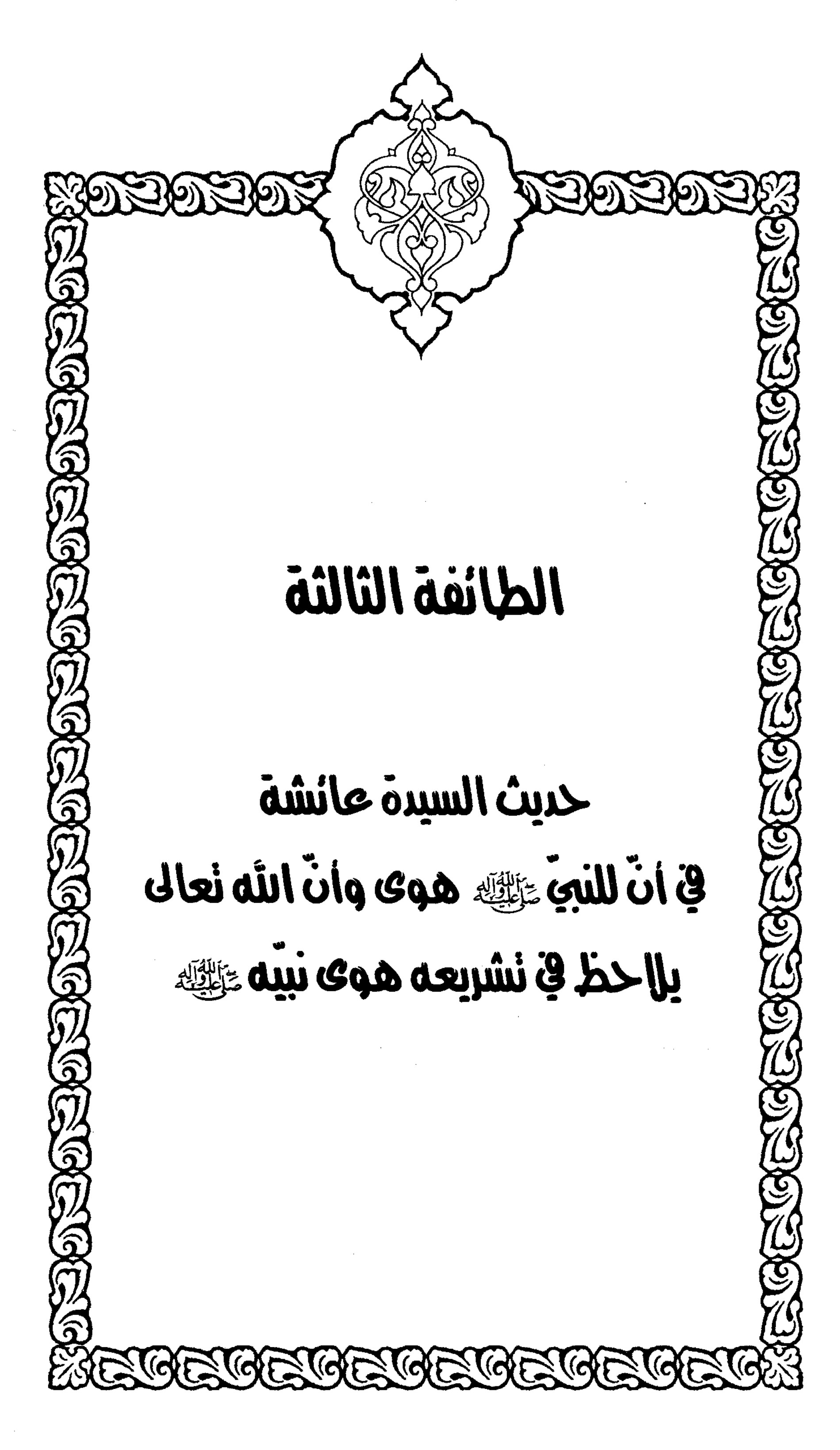
وختاماً، فنعود ونكرر شكرنا لذاك القارئ الذي أذكر سيدنا محمداً ﷺ ما كان نسيه من الآيات، فرحمة الله عليه.

كما لا ينبغي أن يفوتنا شكْر السيدة عائشة على ما عرَّفتنا به عن مدى حرص الرسول الأكرم ﷺ واهتمامه بالكتاب المأمون على حفظه، وصونه، ورعايته، وتعاهده.

فلا تهتموا ولا تحزنوا أيها المقصِّرون في حفظ كتاب الله تعالى، فإن الذي بلَّغ وبشَّر وأنذر به كان ينسى آياته.

وأبشروا أيها القاصرون عن حفْظ القرآن الكريم، فإن نبيكم ﷺ كان على ما أنتم عليه من...

ويا أيها المشكِّكون في كتاب الله تعالى، وفي حكمته سبحانه، وفي نبوة نبي الله ﷺ، دونكم حديث نسيان نبي الله تعالى لآيات من كتاب ربه فاستوثقوه، ولْيتعاهَدْه أصاغركم عن أمثالهم، فإن في حديث النسيان حجة لكم على ما كنتم تزعمون، وشكراً للراوي عن السيدة عائشة على حديث النسيان.



الطائفة الثالثة

حديث السيدة عائشة
في أنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله هوى وأنّ الله تعالى
يلاحظ في تشريعه هوى نبيّه صلى الله عليه وآله

أخرج البخاري، ومسلم، وابن حنبل، وابن ماجة، والنسائي، وغيرهم بإسنادهم عن عائشة ـ واللفظ للبخاري ـ قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأقول: أتهب المرأة نفسها! فلما أنزل الله تعالى ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾[1]، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[2].

أقول: اجتماع أصحاب الصحاح على رواية هذا الحديث يكفينا مؤونة بيان وثاقة رجال إسناده، ومع ذلك نُبيِّن حال رجال إسناد ابن حنبل وابن ماجة.

فقد رواه أحمد بن حنبل عن يونس، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة. ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة[3].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٦١؛ صحيح البخاري ج٦ ص٢٤ وص١٢٨؛ صحيح مسلم ج٤ ص١٧٤؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ح٧ ص٤٢١؛ سنن النسائي ج٦ ص٥٤؛ سنن ابن ماجة ج١ ح٢٠٠٠ ص٦٤٤؛ السنن الكبرى للنسائي ج٣ ح٥٣٠٦ ص٢٥٩ وج٥ ح٨٩٢٧ ص٢٩٤ وج٦ ح١١٤١٤ ص٤٣٤؛ أسباب نزول الآيات ص٢٤١؛ تفسير مجاهد ج٢ ص٥١٨؛ جامع البيان ج٢٢ ح٢١٨٠٧ ص٣٢؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص٢٨٢؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٣٦؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٥٥.

(٣) هشام وأبوه عروة بن الزبير تقدما في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى، وحماد بن سلمة في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية، وقد قال المزي: حماد بن سلمة، روى عن هشام بن عروة، وروى عنه يونس بن محمد المؤدب. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٤٨٢ ص٢٥٣ ـ ٢٥٩).

أقول: لا شبهة أن التشريع الإلهي تشريع حكيم من حكيم لطيف، يلحظ

---

١ ـ **يونس بن محمد**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٤٨ وج٣ ص١٤١ وج٤ ص٨٧ وج٦ ص١٤ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٠ و١٠٥ وج٢ ص٩٠ وج٤ ص١٣١ وج٧ ص١٥١).

قال المزي: يونس بن محمد، روى عن حماد بن سلمة، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٧١٨٤ ص٥٤٠ ـ ٥٤٢).

وثقه ابن معين، وابن سعد، ويعقوب بن شيبة، وغيرهم. وذكره ابن حبان في الثقات. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٣٧ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٨٧٦ ص٢٢٨ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١٠٣٣ ص٢٤٦ ؛ الثقات ج٩ ص٢٨٩ ؛ تاريخ بغداد ج١٤ رقم٧٦٦٩ ص٣٥١ ؛ تهذيب الكمال ج٣٢ ص٥٤٠ ـ ٥٤٣ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٥٣ ص٣٦١ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٧٦٤ ص٣٩٣).

٢ ـ **ابن أبي شيبة**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص٢٥ و٦٢ و١٢٨ وج٢ ص١٥ و٦٣ و٩٣ و١١٧ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٧ و٨ و١٧ و٣٩ و٤٠ و٤٣ و٤٩).

قال المزي: عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن أبي شيبة، روى عن عبدة بن سليمان، روى عنه ابن ماجة. (تهذيب الكمال ج١٦ رقم٣٥٢٦ ص٣٤ ـ ٣٧).

وثقه العجلي، وأبو حاتم، وابن خراش، وابن قانع. وقال أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين: صدوق. وقال ابن حبان في الثقات: كان متقناً حافظاً ديناً. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو زرعة: انتهى الحديث إلى أربعة: إلى أبي بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني. وقال الخطيب البغدادي: كان أبو بكر متقناً، حافظاً. وقال الذهبي: الحافظ، عديم النظير، الثبت النحرير. (معرفة الثقات للعجلي ج٢ رقم٩٦١ ص٥٧ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم٧٣٧ ص١٦٠ ؛ تهذيب الكمال ج١٦ ص٣٩ ـ ٤١ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٤٣٩ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم١ ص٣ ـ ٤).

٣ ـ **عبدة بن سليمان**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٠ و١١٢ و١٤٦ و١٧٨ وج٢ ص١٢٨ و٢٤٢ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٩٣ و١٦٥ وج٢ ص٥ و١٩ و٩٦).

قال المزي: عبدة بن سليمان، روى عن هشام بن عروة، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٦١٣ ص٥٣٠ ـ ٥٣٢).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، والعجلي، وعثمان بن أبي شيبة، وغيرهم. وذكره ابن حبان في الثقات قائلاً: مستقيم الحديث جداً. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٩١ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٢٤٢ ص٩٢ ؛ معرفة الثقات رقم١١٤٨ ص١٠٨ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم٤٥٧ ص٨٩ ؛ تاريخ أسماء الثقات ص١٧٩ ؛ الثقات ج٧ ص١٦٤ ؛ تهذيب الكمال ج١٨ ص٥٣٠ ـ ٥٣٣ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٩٠ ص٣١٢ ؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم٨٤٩ ص٤٠٥).

في جميع تشريعاته مصالح العباد في العاجل والآجل، ولا يمكن أن يلتزم أحد من المسلمين بأنَّ التشريعَ الإلهي تشريعٌ جزافيٌّ، فإن في هذا الالتزام محاذيرَ خطيرةً جداً.

وليس المولى تعالى من جملة الموالي الذين يتأثرون بالعوامل الخارجية أو الداخلية والعياذ بالله تعالى، فإنه الغني المطلق عن جميع من سواه، والغني المطلق لا يلحظ حاجة في الغير بما هي حاجة له، وإنما لكمال لطفه يلحظ حاجة الغير في ميزان النفع العائد إلى الغير.

ولو أراد الله تعالى أن يجري في تشريعاته وفق أهواء الناس، ملاحظاً تطلعاتهم، لفسدت السماوات والأرض.

والمولى اللطيف الخبير هو مشرِّع بما هو حكيم عالِم بالمصالح والمفاسد، وحاجةُ الغير لا يمكن أن تدعوه سبحانه إلى تشريع الحكم بما ينسجم مع ذلك الغير ويلبي حاجته، إلا فيما إذا كان ذلك منسجماً ومتوافقاً مع الحكمة الإلهية.

ولو كان الله تعالى يُشرِّع الأحكام وفق رغبات هذا الشخص أو ذاك، فإنه تبطل حكمته، ويضمحل سلطانه، ويغدو علمُهُ جهلاً، نعوذ بالله تعالى من سوء الاعتقاد بذلك.

على أنه سبحانه هو القاهر المختار بإرادته وعلمه، لذا لا يمكن أن تقهرَهُ رغبةُ فلان مهما كانت منزلته عنده، جلَّت كلمته.

وكلُّ ادِّعاءٍ بصدور تشريع منه سبحانه لا يكون منوطاً بالحكمة فهو ادِّعاءٌ باطل، ويمكن أن تكون السيدة عائشة غير عالمة بهذا المعنى وقتئذ.

ولكن السيدة عائشة هي زوجة النبي صلى الله عليه وآله وهي كما يقولون العالمة التي

لا يوازيها ولا يدانيها أحد، فكيف لم تكن عالمة بأن الله تعالى لطيف حكيم!

هذا ما يتعلق بجانب المولى سبحانه مما اشتمل عليه الحديث، ولكن المحذور يتعدى هذا الجانب، فإنَّ السيدة عائشة تتحدث عن وجود هوى خاص في النبي ﷺ، قد اضطر الله تعالى إلى ملاحظته، بل كان سبحانه يسارع إلى هوى حبيبه ﷺ.

والهوى في اللغة هو الميل، قال الراغب: الهوى ميلُ النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة[1].

الاعتذار للسيدة عائشة بشيء مردود:

قال ابن حجر في شرح الحديث المتقدم: قال القرطبي: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وإلا فإضافة الهوى إلى النبي ﷺ لا تُحمَل على ظاهره، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى، ولو قالت: إلى مرضاتك لكان أليق، ولكن الغيرة يُغتفَر لاجلها إطلاق مثله[2].

أقول: التأمل في كلام القرطبي يفيد بوضوح أنه في مقام الاعتذار للسيدة عائشة، ولو أن القرينة الواضحة قائمة على أنها أرادت المعنى الممدوح فلا معنى للاعتذار لها بأن ما حملها على التفوُّه بما لا يليق مع رسول الله ﷺ هو الغيرة والدلال.

على أنَّ مَن تتبع موارد استعمال الهوى في كلمات العرب وفي جميع موارد

---

(١) سنن الدارمي ج١ ص١٠٩ ؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٣ ص١٦٣ ؛ مفردات غريب القرآن ص٥٤٨ ؛ الدر المنثور ج٤ ص٢٩٤ فتح القدير ج١ ص١١٠ ؛ غريب الحديث ج١ ص٢٣ ؛ الفروق اللغوية ص٥٦٢ ؛ مجمع البحرين ج٤ ص٤٤٧.

(٢) فتح الباري ج٩ ص١٣٥.

القرآن الكريم يقف على حقيقةٍ، وهي أنه لم يُستعمل إلا في الأمر المذموم قطعاً، وقد قال ابن عباس وطاووس: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه[١].

والسيدة عائشة من جملة أبناء العرب، فلا معنى لأن نحمل كلامها على غير ما تعارف استعمال الهوى فيه إلا مع وجود قرينة صارفة عما تعارفوا عليه من الاستعمال فيه.

على أن السيدة عائشة المؤمنة بأن النبي ﷺ هو سيد الخلق وأفضلهم وأشرفهم غير مضطرة لاستعمال لفظ يشير إلى معنى فاسد، فإن مثلها لا يحسن منها أن تعمد إلى التوسُّل بألفاظ تدل على معانٍ خطيرة جداً، ومقام التأدُّب مع المولى تعالى ومع رسوله ﷺ لا يصح مجانبته مهما كان السبب في ذلك.

والسيدة عائشة على دراية بأن المتربصين بالإسلام وبنبيه ﷺ يبحثون جاهدين عن ثغرة ينفذون من خلالها الى قلوب الضعفاء بالتشكيك بقداسة ونزاهة الرسول الأكرم ﷺ.

فكيف تتكلم عائشة بكلام يسيء بظاهره إلى مقام النبوة؟

وقد جهد المنافقون في أن يخترعوا أمراً يسيء إلى النبي فما استطاعوا سبيلاً، وفي المقابل تأتي السيدة عائشة وهي عند أبناء العامة أعرف الناس وأقربهم من النبي ﷺ، فتنسبه إلى الهوى!!

فيا ترى كيف تمكن المدافعون عن مقام النبوة من الرد على المنافقين عندما استدلوا على مدعاهم بما ذكرته السيدة عائشة؟

لا بد وأن المخلص يتبرأ من أن ينسب إليه الناسبون حديث الهوى.

---

(١) تفسير القرطبي ج١٦ ص١٦٧؛ الدر المنثور ج٦ ص٤٩.

القرينة الحالية في المقام:

ثم إن السيدة عائشة لم تكن في مقام المدح للنبي ﷺ ولا في مقام الاعتذار له، وإنما حملتها الغيرة على أن تنسب النبي ﷺ إلى اتباع الهوى من جهة، ولم تكتفِ بذلك حتى نسبت إلى المولى جلَّت كلمته أنه سارع في هوى حبيبه المصطفى ﷺ.

ولمَّا أن كانت الغيرة هي التي دفعت عائشة إلى ادِّعاء وجود هوى وميلٍ في النبي ﷺ، فلا يكون كلامها كلاماً معتمداً على قرينة تقضي بأن نحمل الهوى الذي زعمته في النبي ﷺ على غير معناه المعروف، بل تكون غيرتُها قرينةً على العكس.

والمناسب من الشخص الذي يغار أن يتكلم بما يتوافق مع حالته النفسية، وما يتوافق مع حالة عائشة النفسية في مقام غيرتها هو نسبتها ميل نفس النبي ﷺ إلى النساء والشهوة، ولا يمكن أن نفرض شيئاً آخر قصدته السيدة عائشة من لفظ الهوى.

فإن النبي ﷺ كان يقبل ويرتضي المرأة التي تهب نفسها له، ولما أن نزل قوله تعالى ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾[1]، قالت عائشة مخاطبة سيدنا رسول الله ﷺ: «إن ربك يسارع في هواك».

ولا يكاد يتبادر إلى الذهن أن عائشة في مقام المدح للنبي ﷺ قطعاً، وهذا قرينة على أنها لم تقصد غير المعنى المتبادر عادة من إطلاق لفظ الهوى.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥١.

على أنه لو سلمنا جدلاً بأن لفظ الهوى قد يستعمل في المعنى الممدوح، فإن السيدة عائشة الغاضبة بسبب الغيرة الشديدة لديها، لا يمكن أن تكون قاصدةً للمعنى الممدوح.

إذن يكون النبي صلى الله عليه وآله بنظر السيدة عائشة ذا هوى، وليت الأمر اقتصر على النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، بل تعدَّى إلى ساحة المولى جلَّت كلمتُه، فقد كان سبحانه يسارع في هوى حبيبه صلى الله عليه وآله بحسب ادعائها!

قال القرطبي: قال الجوهري: وسُميَ الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، ولذلك لا يُستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق، وفيما لا خير فيه[(١)].

أقول: إذا كان لفظ الهوى لا يُستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق، وفيما لا خير فيه، فإن ما يناسب مقام النبوة من المؤمن بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله أن لا يستعمل لفظ الهوى في حقه.

ولكن السيدة عائشة لم تُبدِ لنا قرينة على أنها أرادت غير المعنى المعروف، والقرينة الحالية تؤيِّد إرادة المعنى المعروف.

وهنا نسأل: كيف صح عند السيدة عائشة أن تُحدِّث بهذا الحديث بعد ما يزيد عن ثلاثين سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وآله؟

ولا نحتمل أن عائشة أخبرت وحدَّثت ابن اختها عروة بهذا الحديث قبل أن يبلغ سن التكليف، وقد استصغره أصحاب الجمل في حرب الجمل إذ كان ابن ثلاث عشرة سنة، فقد تولَّد سنة ثلاث وعشرين للهجرة[(٢)].

---

(١) تفسير القرطبي ج٢ ص٢٥.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص١١٢ ؛ تهذيب الكمال ج٢٠ ص٢٢ ـ ٢٤ ؛ تهذيب التهذيب ج٧ ص١٦٥.

أقول: إن السيدة عائشة بعد تلك الفترة لا بد وأن تكون قد بلغت من الوعي والنضوج مرتبة تمنعها كمؤمنة بالنبي صلى الله عليه وآله عن أن تُحدِّث بكلام يحتمل معنى باطلاً على أقل تقدير.

السياق يفضح ما يحاولون إخفاءه:

على أن سياق كلام السيدة عائشة لا يساعد على إرادتها معنى آخر للهوى غير المعنى المعروف، فقد قالت: «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك».

وهذا السياق لا يمكن تحميله إرادة المعنى الممدوح، ولعل استعمال لفظ «ربك» بدلاً من استعمال لفظ «الله» أو لفظ «ربنا»، يكفي قرينة على ذلك.

ومما يلفت انتباه كل ناظر في الحديث، أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستنكر على عائشة قولها، ولم يزجرها، ولم ينهها، ولم ينبهها، والذي يناسب مقام النبوة أن يسارع النبي صلى الله عليه وآله في التنبيه والتعليم على أقل تقدير.

فهل أن النبي صلى الله عليه وآله لم يزجرها ولم ينبهها فعلاً، أو أنه كان يمنعه من ذلك شيء آخر؟

وما هو ذاك الشيء الذي يمنع النبي صلى الله عليه وآله عن تنبيه السيدة عائشة، وهي كما يقولون كانت أحب الناس إليه، وهو الكامل الحكيم؟!!

على أننا نحن ندرس حديث عائشة لنتعرف على شخصية النبي صلى الله عليه وآله، ولنتعرف عليها بحسب ما تذكره هي عنه صلى الله عليه وآله.

وأيضاً، نحن ندرس شخصية النبي صلى الله عليه وآله من خلال ما أبرزته لنا السيدة عائشة من صفات تفرَّدت هي في نقْل معظمها وفي التحديث عنها بعد وفاة

النبي ﷺ بمدة مديدة من الزمن.

وفي المقابل، فإنَّ مما يريب هو أن المتربصين وأعداء الدين يجدون في أحاديث السيدة عائشة مادة دسمة للطعن والتشكيك في مقام النبوة على أقل التقادير على ما أوقفناك عليه من تلك الأحاديث حتى الآن، وسيوافيك فيما يأتي المزيد.

وماذا يمكن للمدافع عن نبوة سيدنا محمد ﷺ أن يرد على من يتمسك بهذه الأحاديث في مقام الطعن بمقام النبي ﷺ؟!

والذي يُحيِّر الباحث أن المدافع عن نبي الإسلام وعن الإسلام يجد نفسه في مقام الرد على السيدة عائشة، التي يُفترض فيها أن تكون هي أول مدافعة عن النبي الأكرم ﷺ!!

فالباحث يرى أنه مضطر إلى تكذيب الراوين عن السيدة عائشة، وأنهم قد أساؤوا إليها حيث نسبوا إليها أحاديث تطعن في حامل الرسالة والأمين عليها طعناً بالصميم.

وأيضاً، فإن الباحث تزداد حيرته عندما يجد أن أصحاب الصحاح وأئمة التابعين وأعلام ثقات الرواة هم الذين حدَّثوا عن السيدة عائشة تلك الأحاديث الخطيرة.

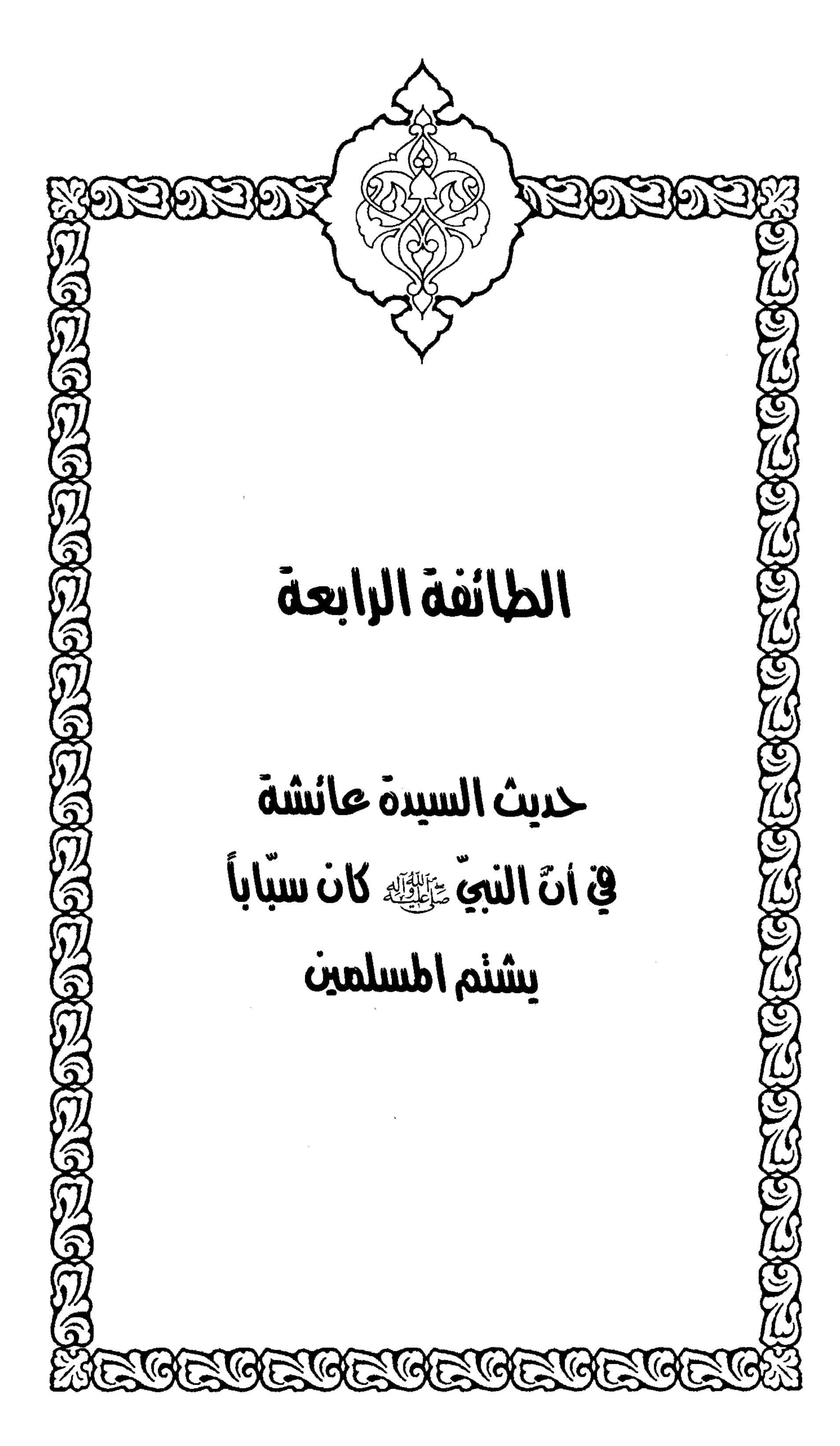
فهل أنهم قد تواطؤوا على الإساءة إلى السيدة عائشة، أو أنهم كانوا من الجهل بمكان بحيث لم يدركوا خطورة هذه الأحاديث؟!

وعلى كلا التقديرين فإنهم بذلك يسقطون عن إمكان الاعتداد بخبرتهم أو بأمانتهم.

وحتى لا نكون ظالمين، فلا أقل أنَّ جملةً منهم لا مجال للاعتداد والاعتبار بخبرتهم أو بوثاقتهم وأمانتهم.

ولكننا نجهل من هم تلك الجماعة بالخصوص، وفي مثل هذه الحالة فلا بد وأن نصون ديننا عنهم جميعاً، فإنَّ تلك الجماعة محصورةٌ ضمن جماعة معينة، والاحتياط يقضي بأن نترك جميع أفراد الجماعة المعينة إلا من ثبتت براءته.

ونحن لا نملك أيضاً حتى الآن إلا أنْ نبرِّىء السيدة عائشة من تَبِعة هذه الأحاديث، إذ أي زوجة مخلصة للنبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يمكن أن تنسب له ما نسبته السيدة عائشة؟



الطائفة الرابعة

حديث السيدة عائشة
في أنّ النبيّ ﷺ كان سبّاباً
يشتم المسلمين

الحديث الأول: أخرج ابن أبي شيبة، وابن حنبل، ومسلم في صحيحه، والبيهقي، بإسنادهم عن عائشة، قال مسلم: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا، قلتُ يا رسول الله: مَن أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: وما ذاك؟ قالت: قلتُ لعنتهما وسببتهما، قال أوَ ما علمتِ ما شارطت عليه ربي، قلتُ: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته، فاجعله له زكاةً وأجراً[1].

أقول: والحديث مضافاً إلى رواية مسلم له في صحيحه وهذا يكفي على مذهبهم، فإننا تثبيتاً للحجة نُبيِّن وثاقة رجال الحديث عندهم[2].

---

(١) المصنف ابن أبي شيبة الكوفي ج٧ ح٦ ص٨٩؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤٥؛ صحيح مسلم ج٨ ص٢٤؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٦١.

(٢) ١ ـ **زهير بن حرب**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج٣ ص٤٠ و٤٢ و١٢٢ وج٤ ص٢٤٦ وج٥ ص١١٥ وج٦ ص٢٣١؛ صحيح مسلم ج١ ص٧ و٢٨ و٣٠ و٤٤ و٤٦ و٤٩ و٥٠).

قال المزي: زهير بن حرب أبو خيثمة، روى عن جرير بن عبد الحميد، روى عنه البخاري، ومسلم. (تهذيب الكمال ج٩ رقم ٢٠١٠ ص٤٠٢).

وثقه أبو حاتم، وابن معين، وابن سعد، والنسائي، وابن شيبة، وابن فهم، وابن وضاح، وابن قانع، وابن حبان، والخطيب البغدادي، وغيرهم. وقال الذهبي: الحافظ الحجة، أحد أعلام الحديث. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٥٤؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم ٢٦٨٠ ص٥٩١؛ تاريخ بغداد ج٨ رقم ٤٥٩٧ ص٤٨٤ ـ ٤٨٥؛ تهذيب الكمال ج٩ ص٤٠٣ ـ ٤٠٥؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم ٤٤٣ ص٤٣٧؛ سير أعلام النبلاء ج١١ رقم ١٣٠ ص٤٨٩؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم ٦٣٧ ص٢٩٦ ـ ٢٩٧).

٢ ـ **جرير عبد الحميد** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٠٧ و١٥٧ وج٣ ص١٢٢ و١٦٠ وج٥ ص١١٥؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٠ و٤٦ و٥٣ و٨٣ و١٢٩ و١٦٢ وج٢ ص٣٢ و٣٥).

قال المزي: جرير بن عبد الحميد، روى عن سليمان الأعمش، روى عنه أبو خيثمة زهير بن حرب. (تهذيب الكمال ج٤ رقم٩١٨ ص٥٤٠ ـ ٥٤٢).

وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي، وابن سعد، وابن حبان، وغيرهم. وقال أبو القاسم اللالكائي: مجمَع على ثقته. وقال الخليلي في الإرشاد: ثقة متفق عليه.وقال أبو أحمد الحاكم: هو عندهم ثقة. (معرفة الثقات ج١ رقم٢١٥ ص٢٦٧؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم ٢٠٨٠ ص٥٠٥ ـ ٥٠٧؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١٧٣ ص٥٦؛ تهذيب الكمال ج٤ رقم٩١٨ ص٥٤٠ ـ ٥٥٠؛ تاريخ بغداد ج٧ رقم٣٧٤٤ ص٢٦٢ ـ ٢٦٩؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٥٧ ص٢٧١؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم١١٦ ص٦٥ ـ ٦٦).

٣ ـ **سليمان بن مهران الأعمش**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٤ و٢٥ و٤٠ و٤٢ و٥٢ و٦١ و٦٢ و٦٨؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٣ و٣٩ و٥٠ و٥٣ و٥٦ و٥٨ و٦٠).

قال المزي: سليمان بن مهران، روى عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، روى عنه جرير بن عبدالحميد. (تهذيب الكمال ج١٢ رقم ٢٥٧٠ ص٧٦ ـ ٨٠).

وثقه ابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، والنسائي، وغيرهم. أقول: وورد في مدحه شيء كثير منه: قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض. وقال أبو بكر بن عياش: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين. وقال يحيى بن سعيد القطان: هو علامة الإسلام. وقال عبدالله الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه. وقال أبو داود: الأعمش، والزهري، وقتادة لا يقاس بهم أحد. وقال أبو زرعة: سليمان الأعمش إمام. وقال الذهبي: وكان رأساً في العلم النافع، والعمل الصالح. (معرفة الثقات ج١ رقم٦٧٦ ص٤٣٢ ـ ٤٣٤؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم ٦٣٠ ص١٤٦؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٨٤٨ ص١٧٩؛ الكامل ج١ لابن عدي ص٦٢؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٦١١ ص٤ ـ ١٤؛ التعديل والتجريح ج٣ رقم ١٣١٨ ص١٢٦١ ـ ١٢٦٣؛ تهذيب الكمال ج١٢ رقم ٢٥٧٠ ص٧٦ ـ ٩٠؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٤٩ ص١٥٤؛ سير أعلام النبلاء ج٦ رقم ١١٠ ص٢٢٦ ـ ٢٣٦؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم٣٨٦ ص١٩٥ ـ ١٩٦).

٤ ـ **أبو الضحى مسلم بن صبيح**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٩٣ وج٢ ص١٥ و١٩ و٢٥٥ وج٣ ص١١ و١٣ و٤١؛ صحيح مسلم ج٢ ص٥٠ و١١٢ و١٦٨ وج٣ ص١٧٦ وج٤ ص١١ وج٥ ص٤٠ وج٦ ص١٦١).

قال المزي: مسلم بن صبيح، روى عن مسروق بن الأجدع، روى عنه سليمان الأعمش. (تهذيب الكمال ج٢٧ رقم٥٩٣١ ص٥٢٠ ـ ٥٢١).

وثقه ابن معين، وأبو زرعة، والعجلي، وابن سعد، والنسائي، وابن حبان، وغيرهم. وقال الذهبي: ثقة حجة. (الثقات ج٥ ص٣٩١؛ الطبقات الكبرى ج٦ ص٢٨٨؛ معرفة الثقات ج٢ رقم ١٧٢٠ص٢٧٨؛ الجرح والتعديل للرازي

الحديث الثاني: أخرج الصنعاني، وأحمد بن حنبل بإسنادهما عن عائشة، قال عبد الرازق الصنعاني: حدثنا إسرائيل بن يونس، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يرفع يديه يدعو حتى أني لأسأم له مما يرفعهما، يدعو: أللهم فإنما أنا بشر، فلا تعذبني بشتم رجل شتمته، أو آذيته[1].

الحديث الثالث: روى أحمد بن حنبل عن محمد بن عبد الله، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يرفع يديه يدعو حتى أسمع: أللهم إنما أنا بشر، فلا تعاقبني بشتْمِ رجل من المسلمين أنْ آذيته[2].

ج٨ رقم٨١٥ ص١٨٦ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٨٢١ ص١٧٤ ؛ تهذيب الكمال ج٢٧ ص٥٢٠ ـ ٥٢٢ ؛ سير أعلام النبلاء ج٥ رقم٢٧ ص٧١ ؛ تهذيب التهذيب ج١٠ رقم٢٣٧ ص١١٩).

٥ ـ **مسروق بن الأجدع**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٥٠ و١١٠ و١١٨ و١٣٠ و١٨٣ و١٩٣ و١٩٩ وج٢ ص١٣ و٤٥ و١٠٢ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٦ و٦٩ و١١٠ و١٣٦ و١٥٥ و١٥٦ و١٥٨ وج٢ ص٥٠ و٦٠ و٩٢).

قال المزي: مسروق بن الأجدع، روى عن عائشة، روى عنه أبو الضحى مسلم بن صبيح. (تهذيب الكمال ج٢٧ رقم٥٩٠٢ ص٤٥١ ـ ٤٥٣).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وابن حبان، وغيرهم. وقال ابن معين: ثقة لا يسئل عن مثله. وقال أبو السفر: ما ولدت همدانيه مثل مسروق. وقال الشعبي: ما علمت أن أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق. وقال علي بن المديني: ما أقدِّم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله. وقال الذهبي: أحد الأعلام، الإمام، القدوة، العَلَم. (الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم١٨٢٠ ص٣٩٦ ؛ الطبقات الكبرى ج٦ ص٨٤ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٧٠٩ ص٢٧٣ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٧٤٦ ص١٦٢ ؛ الثقات ج٥ ص٤٥٦ ؛ تاريخ بغداد ج١٣ رقم٧٢٠٢ ص٢٣٢ ـ ٢٣٥ ؛ تهذيب الكمال ج٢٧ رقم٥٩٠٢ ص٤٥١ ـ ٤٥٦ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٦٢ ص٤٩ ؛ سير أعلام النبلاء ج٤ رقم١٧ ص٦٣ ـ ٦٩ ؛ تهذيب التهذيب ج١٠ رقم٢٠٦ ص١٠٠ ؛ تقريب التهذيب ج٢ ص١٧٥).

(١) المصنف للصنعاني ج٢ ح٣٢٤٨ ص٢٥١ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٦٠.

أقـول: وإسـناد الحـديثين صـحيح، ورواتـه ثقـات ومـا ورد ـ فـي النسـخة المطبوعة في الحديث الثاني محمد بن أبي عبـد الله عـن إسـرائيل ـ تصـحيف، والصحيح ما أثبتناه وهو الزبيري، فإن ابـن حنبـل لـم يـروِ عـن شـخص بعنـوان محمد بن أبي عبد الله ، وكذا لم يروِ شخص بهذا العنوان عن إسرائيل[1].

(١) قال المزي: أحمد بن محمد بن حنبل، روى عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري. (تهذيب الكمال ج١ رقم٩٦ ص٤٣٧ ـ ٤٣٩).

وقال أيضاً: محمد بن عبدالله بن الزبير، أبو أحمد الزبيري، روى عن إسرائيل بن يونس، روى عنه أحمد بن محمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٢٥ رقم٥٣٤٣ ص٤٧٦ ـ ٤٧٧).

وقال المزي: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، روى عن إسرائيل بن يونس، وروى عنه أحمد بن محمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٤١٥ ص٥٢ ـ ٥٤).

وقال أيضاً: إسرائيل بن يونس، روى عن سماك بن حرب، وروى عنه عبد الرازق بن همام، ومحمد بن عبد الله بن الزبير. (تهذيب الكمال ج٢ رقم ٤٠٢ ص٥١٥ ـ ٥١٨).

وقال المزي: سماك بن حرب، روى عن عكرمة مولى ابن عباس، وروى عنه إسرائيل بن يونس. (تهذيب الكمال ج١٢ رقم٢٥٧٩ ص١١٥ ـ ١١٧).

وقال أيضاً: عكرمة القرشي الهاشمي، مولى عبد الله بن عباس، روى عن عائشة، روى عنه سماك بن حرب. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٤٠٠٩ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦).

١ ـ **عبد الرزاق بن همام** الصنعاني من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٦ و٤٣ و٧٣ و١٠٤ و١٠٧ و١٠٩ و١٤٢ و١٥٠ و١٧٦ و٢٠٤ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٧ و٥٥ و٦٢ و٧٣ و٨٢ و٩١ و٩٥ و٩٨ و١٠٦ و١١٤).

قال أبو صالح محمد بن إسماعيل الصراري: بلغنا ونحن بصنعاء عند عبد الرزاق أن أصحابنا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما تركوا حديث عبد الرزاق وكرهوه، فدخلنا من ذلك غم شديد، وقلنا: قد انفقنا ورحلنا وتعبنا وآخر ذلك سقط حديثه، فلم أزل في غم من ذلك إلى وقت الحج فخرجت من صنعاء إلى مكة، فوافقت بها يحيى بن معين وقلت له: يا أبا زكريا ما الذي بلغنا عنكم في عبد الرزاق؟ فقال: ما هو؟ فقلنا: بلغنا أنكم تركتم حديثه ورغبتم عنه. فقال: يا أبا صالح، لو ارتد عبد الرزاق عن الإسلام ما تركنا حديثه.

وقال أحمد بن صالح المصري: قلت لأحمد بن حنبل: رأيت أحداً أحسن حديثاً من عبد الرزاق؟ قال:

لا. وقال أبو زرعة: عبد الرزاق أحد من ثبت حديثه. وقال ابن حنبل أيضاً: أتينا عبد الرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر، ومن سمع منه بعدما ذهب بصره، فهو ضعيف السماع.

أقول: وحيث إن ابن حنبل روى هذا الحديث عن عبد الرازق، فلا إشكال فيه لِمَا صرَّح به. وقال أبو أحمد بن عدي: ولعبد الرزاق أصناف وحديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه، ولم يروا بحديثه بأساً. وقال هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا. وقال الذهلي: كان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث. وقال الذهبي: عبد الرزاق بن همام: وثقه غير واحد، وحديثه مخرَّج في الصحاح.

أقول: وقد وثقه أيضاً أبو داود، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، وابن حبان، وغيرهم. (معرفة الثقات ج٢ رقم١٠٩٧ ص٩٣؛ معرفة علوم الحديث ص١٣٩ ـ ١٤٠؛ تهذيب الكمال ج١٨ ص٥٦ ـ ٦١؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٥٧ ص٣٦٤؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم٦١١ ص ٢٧٨ ـ ٢٨١).

٢ ـ إسرائيل بن يونس، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٤٠ و٥٠ و١٠٤ و١٣١ و١٩٧ وج٢ ص٤٥ و١١٦ و١٧٩ و٢١٦ و٢٣٠؛ صحيح مسلم ج١ ص١٦٥ وج٢ ص٣٠ و٦٩ وج٣ ص١٤٩ وج٤ ص٢٥).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، ويعقوب بن شيبة، وابن نمير، وابن سعد، وغيرهم. وذكره ابن حبان في الثقات وفي المشاهير. وقال ابن عدي في الكامل: كثير الحديث، مستقيم الحديث في أبي إسحاق وغيره، وقد حدث عنه الأئمة، ولم يتخلف أحد في الرواية عنه. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٧٤؛ معرفة الثقات ج١ رقم ٨٠ ص٢٢٢؛ الكامل لابن عدي ج١ ص٤٢٥؛ الثقات ج٦ ص٧٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٤٣ ص٢٦٧؛ تاريخ بغداد ج٧ رقم٣٤٨٨ ص٢٣ ـ ٢٦؛ تهذيب الكمال ج٢ رقم ٤٠٢ ص٥١٥ ـ ٥٢٣؛ سير أعلام النبلاء ج٧ رقم١٣٣ ص٣٥٥ ـ ٣٦٠؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم ٤٩٦ ص٢٢٩ ـ ٢٣٠).

٣ ـ محمد بن عبد الله بن الزبير أبو أحمد الزبيري، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٩٩ وج٤ ص١٧١ وج٥ ص ١٠ وج٦ ص٥٢ و٢٤٣ وج٧ ص١٢؛ صحيح مسلم ج١ ص٧٤ و١٢٢ وج٣ ص٦٢ وج٤ ص ١٦٠ وج٧ ص١٠٢ وج٨ ص٣٨).

وثقه ابن معين، والعجلي، وابن نمير، وابن قانع، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو زرعة، والأسدي، وابن نمير، وابن خراش، وابن سعد: صدوق. وقال بندار: ما رأيت رجلاً قط أحفظ من أبي أحمد الزبيري، وقال الذهبي: الحافظ الثبت. (معرفة الثقات ج٢ رقم١٦١١ ص٢٤٢؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١٦١١ ص٢٩٧؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١٢٩١ ص٢١٤؛ تاريخ بغداد ج٣ رقم٩٩١ ص١٩ ـ ٢١؛ تهذيب الكمال ج٢٥ رقم٥٣٤٣ ص٤٧٦ ـ ٤٨٠؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٤٧ ص٣٥٧؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٤٢٢ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨).

٤ ـ سماك بن حرب، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج١ ص١٤٠ وج٢ ص٣١ و٤٠ و٥٥ و١٠٢ و١٠٩ و١٣٢ وج٣ ص١١ و٦٠).

أقول: إن السيدة عائشة دخلت بيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد الهجرة، أي بعد ما يزيد عن بعثة الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بثلاث عشرة سنة.

وسيدنا محمد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقطع النظر عن كونه معصوماً، وأنه أكمل الخلق وأفضلهم وأشرفهم، فإنه صاحب دعوة ورسالة.

وثقه ابن معين، وأبو حاتم، وقال النسائي: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات، وفي مشاهيرهم أيضاً. وقال العجلي: كان جائز الحديث، لم يترك حديثه أحد، ولم يرغب عنه أحد. وقال سفيان الثوري: ما سقط لسماك بن حرب حديث. وقال البزار في مسنده: كان رجلا مشهوراً، لا أعلم احداً تركه. وقال ابن عدي: ولسماك حديث كثير مستقيم إن شاء الله كلها، وقد حدَّث عنه الأئمة وهو من كبار تابعي الكوفيين، وأحاديثه حسان عمن روى عنه، وهو صدوق لا بأس. وقال أحمد بن حنبل: سماك أصح حديثاً من عبدالملك بن عمير. وقال أبو إسحاق الهمداني: خذوا العلم من سماك بن حرب. وقال الذهبي: صدوق صالح، من أوعية العلم، مشهور. (معرفة الثقات ج١ رقم٦٨٠ ص٤٣٦؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم١٢٠٣ ص٢٧٩؛ الثقات ج٤ ص٣٣٩؛ مشاهير علماء الامصار رقم٨٤٠ ص١٧٧؛ الكامل لابن عدي ج٣ ص٤٦٢؛ تاريخ أسماء الثقات رقم٥٠٥ ص١٠٧؛ تهذيب الكمال ج١٢ رقم٢٥٧٩ ص١١٥ ـ ١٢٠؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٧٩٢ ص٢١٣ ـ ٢١٤؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٣٥٤٨ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم٤٠٥ ص٢٠٤ ـ ٢٠٥).

٥ ـ **عكرمة مولى ابن عباس**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٢٧ و٨٠ و٩٥ و١١٥ و١٢٠ و١٩١ و٢٢٣ وج٢ ص٣٤ و٣٩ و٩٥ و١٥٣ و١٦٢ و١٦٦ و١٦٧ و١٨٣ و١٨٨).

وثقه أيوب، وابن أبي ذئب، وابن معين، وأبو حاتم، والنسائي، والعجلي، وغيرهم.

أقول: وما ورد فيه من مدْح لا يسع هذا المختصر نقله، ولكننا ننقل بعضاً منها. قال إسحاق بن راهويه: عكرمة عندنا إمام الدنيا. وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة. وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: قد أجمع عامة أهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عكرمة. وقال أحمد بن زهير: عكرمة أثبت الناس فيما يروي. وقال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وعن أبي أمامة أن ابن عباس قال: ما حدثكم عني عكرمة فصدقوه، فإنه لم يكذب علي. وقال يحيى بن معين: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام. (التاريخ الكبير ج٧ رقم٢١٨ ص٤٩؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٢٧٢ ص١٤٥؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم٣٢ ص٧ ـ ٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٥٩٣ ص١٣٤؛ تهذيب الكمال ج٢٠ ص٢٦٤ ـ ٢٩٠؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٨٧ ص٩٥؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٤٧٦ ص٢٣٤ ـ ٢٤٢).

والرجل فيما إذا كان صاحب رسالة لا يحسن منه أن يسب وأن يشتم، فإنه بذلك يسقط ويفشل مشروعه، بل لا بد وأن يكون ذا صدر واسع رحب، يقابل السيئة بالحسنة.

والرجل العادي بعد أن يمضي له في تبليغ رسالته ودعوته مدة طويلة من الزمن، لا بد وأن يكون قد تخلَّق بالفضائل والمبادىء التي يدعو إليها، تخلُّقاً تاماً كاملاً، وإلا فإنه لا يُرتجى من دعوته النجاح، فإن الصادع بالدعوة إلى التحلي بالفضائل والمكارم لا ينجح إنْ لم يكن هو نفسه متحلِّياً بذلك، وقد قيل: وغيرُ تقيٍّ يأمر الناسَ بالتقى طبيبٌ يداوي والطبيبُ مريض.

إذن، السيدة عائشة تخبرنا عن سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بأنه كان يشتم ويسب ويؤذي المسلمين بعد ما يزيد عن ثلاث عشرة سنة من بدء دعوته، ومن البديهي جداً أن رجلاً مثله حينئذ لا يكون مؤهَّلاً للتبليغ، والتعليم، والتهذيب، والتبشير، وهداية الناس إلى الخير والصلاح، إذن هو في الحقيقة من حيث كونه صاحب دعوة ليس أهلاً لذلك البتة.

تكرُّر السب والشتم من النبي صلى الله عليه وآله:

والسيدة عائشة لم تُخبرنا أن سيدنا النبي صلى الله عليه وآله رفع يديه وقال كذا...، بل أخبرتنا: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرفع يديه يدعو، وهذا يعني أن رفْعه ليديه لم يقع منه صلى الله عليه وآله مرة واحدة فقط، إذ لا تصح العبارة لو كان الأمر كذلك.

وبعبارة أخرى: لو أن النبي صلى الله عليه وآله رفع يديه مرة واحدة ودعا، لقالت عائشة وهي من أبناء العرب: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يديه وقال كذا..، ولكنها

قالت: كان رسول الله ﷺ يرفع يديه يدعو حتى أني لأسأم له مما يرفعهما، وجملة «كان رسول الله ﷺ يرفع يديه» تدل على تكرار ذلك من النبي الأكرم ﷺ، فقد كان يتكرر منه السبُّ والشتم.

والشتم والسب ليسا من صفات المؤمن، فإن المؤمن لا يكون سباباً قط، وصدور الشتم والسب من النبي ﷺ لا يتناسب مع كونه رجلاً مؤمناً، فكيف أمره الله تعالى أن يصدع بالشريعة السمحاء، وكيف بعثه سبحانه لتتميم مكارم الأخلاق!!

ومن كان على مذهب السيدة عائشة يغفر لسيدنا محمد ﷺ أن يسب وأن يشتم مسلماً مرة واحدة ـ والعياذ بالله تعالى ـ فيما إذا كان مستحقّاً لذلك، ولكن لا يصح عند أي مسلم أن يتكرر السب والشتم من نبي الإسلام لمسلم، فإنَّ ذلك تجنٍّ على المسلم وظلْمٌ له، ومما يجب فيه التعزير على النبي والعياذ بالله.

وما صدر من النبي ﷺ من شتْم وسبٍّ وأذية لأفراد المسلمين لا بد وأن يرجع إلى سبب وداعٍ له، وهنا نسأل السيدة عائشة، هل أن النبي الأكرم ﷺ كان محقاً فيما صدر منه، أو كان على باطل؟

فإن كان محقاً، فلا يكون ما وقع منه داخلاً تحت عنوان الأذية، فلماذا يتضرع النبي ﷺ إلى ربه ليغفر له ما كان يتكرر منه من السب والشتم؟!

وإن كان النبي ﷺ ـ والعياذ بالله تعالى ـ على باطل، فهذا يعني أن ما دعاه إلى السب والشتم غضبه، وغلظة طبعه وحدته.

فيتوجه على هذا المعنى إشكالان، إشكال السب والشتم، وإشكال كونه صاحب طبْع سيء.

وهنا نسأل السيدة عائشة أيضاً، فنقول لها: كيف صلح عندها سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله مع ذلك أن يكون صاحبَ دعوةٍ ورسالة!!!

ولكن الشتم والسب قبيح من الرجل العاقل، وقبيح من الرجل الشريف وإنْ لم يتكرر منه، وإنْ لم يكن نبياً، فكيف يصلح رجل يشتم أفراد المسلمين للنبوة، والمفروض أنه كان يشتم ويسب بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته!!

إذن لا بد وأن السيدة عائشة تتحدث عن رجل آخر غير النبي، تتحدث عن رجل كان ساقطاً في مجتمعه، وضيعاً خسيساً، لكنها خانها التعبير، فبدلاً من أن تقول: كان فلان يرفع يديه ويدعو، قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله...

على أن أذية المسلم وسبه وشتمه من جملة المعاصي الكبيرة، والسيدة عائشة لا تُخبرنا عن سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله أنه كان يشتم ويسب ويؤذي في الجاهلية وقبل البعثة بناءً على مذهبهم من جواز ذلك في حقه، بل أخبرتنا أنه كان يصدر منه ذلك بعد بعثته بمدة طويلة من الزمن. إذن لا بد وأن تكون قد خانتها الذاكرة وخانها التعبير، فإن النبي صلى الله عليه وآله بعد البعثة معصوم عن كل ذنب في مذهب أتباع السيدة عائشة.

على أن السب والشتم وأذية المؤمنين بالدعوة مما لا يجوز ارتكابها من الصادع بالدعوة حتى لو لم يكن السبُّ ذنباً، وحتى لو لم يكن النبي صلى الله عليه وآله عند عائشة معصوماً عن صغائر الذنوب، فإن مثل هذه الأخلاق تنافي الدعوة، وما ينافي الدعوة لا يصح أن يكون صاحبها متَّصفاً بها ولو في أول أزمنة الدعوة.

والعجيب، أن السب والشتم مما يُعاب فيهما أراذل الناس، وإننا نغبط السيدة عائشة كيف استطاعت أن تؤمن بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله على أنه نبي ورسول، وقد

كانت تعاين منه أذيته لأتباعه، وسبه لهم، وشتمه إياهم!!

مخالفة السيدة عائشة لما هو أولى:

وفي المقابل نرى أن السيدة عائشة قد ارتكبت خلاف الأولى وخلاف الأفضل، إذ كان يجب عليها أنَّ تعظ النبي ﷺ من جهة، وأن تزجره من ناحية ثانية، كأن تقول له:

يا محمد، كيف تأمر الناس بالعفو والصفح، والتخلُّق بالأخلاق الحميدة، وتزكية النفس من الرذائل، وأراك تشتم وتسب؟

كيف يا محمد، ترجو من الناس اتِّباع الحق، واتصافهم بالأخلاق الحميدة، وأراك تشتم وتسب؟

كيف تقول للناس إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وأنت تخالف ذلك؟

كيف تنهى الناس عن السب والشتم، وتقول بأن المؤمن لا يكون سباباً، وأراك وأسمعك تسبُّ وتشتم حتى في بيتك؟

بل أكثر من ذلك: كان على عائشة أن تعترض على الله تعالى حيث قال في محكم كتابه مادحاً نبيه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1]، وإن لم تعترض على الله تعالى، فعلى أقل تقدير كيف أمكن لها أن تُصدِّق بأنَّ هذه الآية هي من عند الله تعالى؟

وعائشة التي ترى وتسمع النبي ﷺ وهو يسب ويشتم، لا يخلو إما أن لا تصدِّق بالآية، أو أنها لا تصدِّق بعلْم وباطلاع مَن أنزل الآية، أو أنها صدَّقت

(١) سورة القلم الآية ٤.

ولكنها لم تعترض لكمال أدبها مع النبي ﷺ، ولغاية خشوعها لربها تعالى.

مع أن هذه الآية من سورة القلم مما أجمع العلماء على أنها نزلت بمكة[1]، فلعل عائشة لم تعترض على الآية ولا على مَن أنزل الآية ظناً منها أن الحديث في الآية عما مضى من أخلاق النبي ﷺ، أو أنها كانت تظن أن الذي أنزل الآية وهو الله تعالى لم يكن مطلعاً على حال النبي ﷺ في المستقبل.

ولكنك تعرف: أن الله تعالى لا يحسن منه أن يمدح شخصاً بأنه على خلق عظيم وهو يعلم بأنه سوف يتغيَّر ويتبدل.

والنبي ﷺ الذي كان في بدء الدعوة على خُلُق عظيم، كيف يصبح بعد ما يزيد عن ثلاث عشرة سنة من الجهاد في سبيل الله تعالى سبَّاباً، شتاماً، مؤذياً!!

فهذا يعني أنه تبدل من حسن إلى غير حسن، وأنت تعرف أن المؤمن العادي إذا تساوى غده مع أمسه فهو مغبون، وأما إذا كان أمسه أفضل من يومه فهو ملعون.

وأنت تعرف أيضاً أن المؤمن هو مَن يترقى يوماً فيوماً، ويتدرج من الكمال إلى الأكمل، فما ظنك بشخص يكون في أول بدء دعوته إلى تهذيب النفوس وتزكيتها على خُلُق عظيم، ثم في أواخر دعوته يكون سبَّاباً شتاماً؟

إذن فالدعوة التي يدعو إليها والرسالة التي يحملها، لا تخلو عن ارتياب وشبهة.

وأخيراً، فالسيدة عائشة إما أنها خانتها الذاكرة، أو خانها التعبير، أو أنها لم تتفطن إلى إخفاء مثل هذه الأخلاق التي عرفتها من رسول الله ﷺ، فهي لم

(١) جامع البيان ج٢٩ ص١٨ ؛ زاد المسير ج٨ ص٦٤ ؛ تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٢٢.

تقصد الإساءة قط، ولكنها من باب الحرص على أن لا يفوتنا شيءٌ مما عرفته من سيرة سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حرصتْ على تعريفنا وتعليمنا حتى نأخذ حذْرنا!!

إعتذار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أقنع عائشة:

هذا والغريب، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يعتذر لعائشة عما كان يقع منه بأنه بشر، وهذا يعني أنَّ لغلبة بشريَّته قد كان ما كان منه.

وعلى هذا فلا مجال لتأويل ما كان يصدر من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإنه لمكان بشريته يسب ويشتم، ولا مجال للاعتراض.

وفي المقابل نرى أن السيدة عائشة كانت في غاية الأدب مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إذ لم تطالبه بدليل يقطع العذر، ويدفع الريبة والشك من أن تطال بشريَّتُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سائرَ المعاصي والكبائر والموبقات من الذنوب.

فإنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حيث يعتذر عن سبِّه وشتمه للمسلمين بأنه بشر، فهذا يعني أنَّ العلة والسبب في صدور ذلك منه كونه من أبناء البشر، والسيدة عائشة تعرف أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي هو بشرٌ بالنسبة إلى الشتم والسبِّ، هو أيضاً بشرٌ بالنسبة إلى الكذب، والافتراء، والبهتان، والخيانة، و.. و.. وسائر الموبقات.

فكان على السيدة عائشة أن تقول للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنك تعتذر عما صدر منك من السب والشتم بأنك بشر، فيا تُرى هل أن حدود بشريَّتك تنتهي فقط عند السب والشتم، أو أنَّ بشريَّتك تتعدَّى بقية المحرَّمات والموبقات من الذنوب والمعاصي؟

ولا بد وأن يكون جوابه: كلا يا عائشة، إنَّ بشريَّتي لا تتجاوز السب والشتم،

فاطمئنِّي وقرّي عيناً!

السيدة عائشة مصرة على عدم مخالفة الآداب:

وكأن السيدة عائشة لم تناقشه في هذا ولم تسأله، ولم تطالبه بالدليل الذي يدفع الشك والريبة، فإنها المصدِّقة به!

ولكن مما نسامح السيدة عائشة عليه هو أنها لم تسأل النبي ﷺ لأجلنا ولأجل سائر المسلمين ممن لم يبلغوا درجتها في التصديق بالنبي ﷺ، فكان ينبغي عليها أن تُنبِّه النبي ﷺ وتُلفِت نظره إلى أن جوابه لها واعتذاره عن السبِّ والشتم بأنه بشرٌ، يفتح الباب أمام كثير من التشكيكات الخطيرة جداً.

فكان يجب عليها أن تقول للنبي ﷺ: لو تكرمت يا رسول الله لو تجيب على سؤالي رأفةً ورحمةً بمَن سيأتي بعدنا، فإنَّ جوابك هذا سيفتح باب التشكيك على مصراعيه بصحة وبصدق جميع ما أتيت به، فلو تفضلت بأنْ تُبيِّن لي كيف أنَّ بشريَّتَك تقف عند حدود سبِّ المسلم وشتمه ولا تتعدَّى ذلك، حتى أنقل وأُخبِر الناس بالجواب، وأريد منك ضماناً أن جوابك لا تتطرق إليه بشريَّتُك، أي أريد دليلاً على أنك في جوابك الثاني لم تغلبك بشريَّتك، وأنك صادق في جميع ما أخبرتَ وتُخبِرنا به عن الله تعالى.

وبعبارة أخرى: إن السيدة عائشة وإن كانت محافظةً على الأدب مع النبي حيث لم تعترض عليه، ولم تزجره، ولم تناقشه، غير أنها في المقابل نقلت لنا كلاماً عن النبي ﷺ يفتح الباب أمام تشكيكات خطيرة، ومن الطبيعي أن تنقدح في الذهن تساؤلات، منها:

هل أن النبي الذي يسبُّ ويشتم لأنه بشر، تصدر عنه بقية المعاصي والموبقات من باب أنه بشر؟

فإن كان الجواب: نعم، فهذه الطامة الكبرى.

وإنْ كان الجواب: كلا، فهنا نسأل؟

أولاً: كيف أن بشريَّته لا تُؤثِّر فيه إلا في خصوص السبِّ والشتم؟

مع أنَّ بشريَّةَ أدنى الناس لم تحملهم على السب والشتم في بعض الموارد بل في كثير منها، وحملتهم بشريَّتُهم على كبائر الآثام.

ولا شبهة أنَّ من تحمله بشريته على السب والشتم لهو أضعف، وأجهل، وأدنى، وأخس ممن حملتهم وتحملهم بشريتهم على ارتكاب الموبقات.

ولو سلمنا بالجواب وأنه كلا، فهنا نسأل ما هي الضمانة؟

وهل أن جواب النبي ﷺ صدر منه من باب كونه بشراً؟

وعليه، فنحتمل أن تغلبه بشريته في المستقبل.

ويا ترى هل أن الضمانة قد أحرزتها عائشة من بشر آخر يمكن أن يخطىء أو يكذب سهوا ونسياناً لغلبة بشريَّته، أو أنها أحرزتها من نفس النبي ﷺ، وصدق الشاعر القائل: فيك الخصامُ وأنت الخصْمُ والحَكَمُ!

أو أنها أحرزت الضمانة من القرآن الكريم، وأنت تعرف أن صحة القرآن وصدقه متوقفان على صدق النبي ﷺ، وعلى أنَّ بشريَّته لم تطغَ عليه فيما يشمل تبليغه للقرآن الكريم.

ولا ندري لعل محمداً زاد حرفاً في هذه الآية، ونقَّص كلمة في تلك، وغفل عن بيان خصوصية في أمْر هناك، وأهمل بيان قيد في أمْر رابع، من باب

كونه بشراً، والبشر يغفل، ويخطىء، وينسى، ويسهو.

إن قلت: إنَّ الوحي يُسدِّده.

قلت، أولاً: ما سطرناه هو كلام المشكِّك بالنبوة من جهة، وما سيعمد إلى التمسك به من تشكيك قلوب ضعاف الإيمان من جهة ثانية.

ثانياً: نحتمل أن ينسى النبي وأن يسهو ويغفل عن الوحي الثاني، وهكذا.

ثالثاً: ما الذي يضمن لنا أن هذا الذي يزعمه محمد من الوحي هو وحيٌ، وما المانع عند السيدة عائشة أن النبي ظن كونه وحياً اشتباهاً وغفلةً!!!

كان على السيدة عائشة أن تجهد في تحصيل الدليل لمن يأتي بعدها، ولكن قد يقال: بأن السيدة عائشة اكتفتْ بتصديقها لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله بالنحو الذي صدَّقتْ وآمنت به على أن يكون دليلاً لكل مَن يأتي بعدها.

وكأن عائشة تخاطب الأمة التي ستطَّلع على ما أخبرتنا به، ولسان حالها يقول:

ألا يكفيكم أنني أنا الذي كنتُ أعرف النبي بأنه يسبُّ ويشتم ومع ذلك آمنتُ به، فادفعوا الشكوك عنكم بما كان عندي من اليقين بنبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بالنحو الذي أخبرتُكم به عن يقيني.

يا أيها الناظرون في مثل هذه الأحاديث التي رويتُها لكم، إنكم تعاينون ألفاظاً دالة على معانٍ سيئة وقبيحة، ولكنني كنتُ أعاين المعاني نفسها، ومع ذلك آمنت بمحمد وبنبوته.

آمنتُ به، وقد عرفتُ فيه ضعْفَه حيث كان عرضةً للسحر!

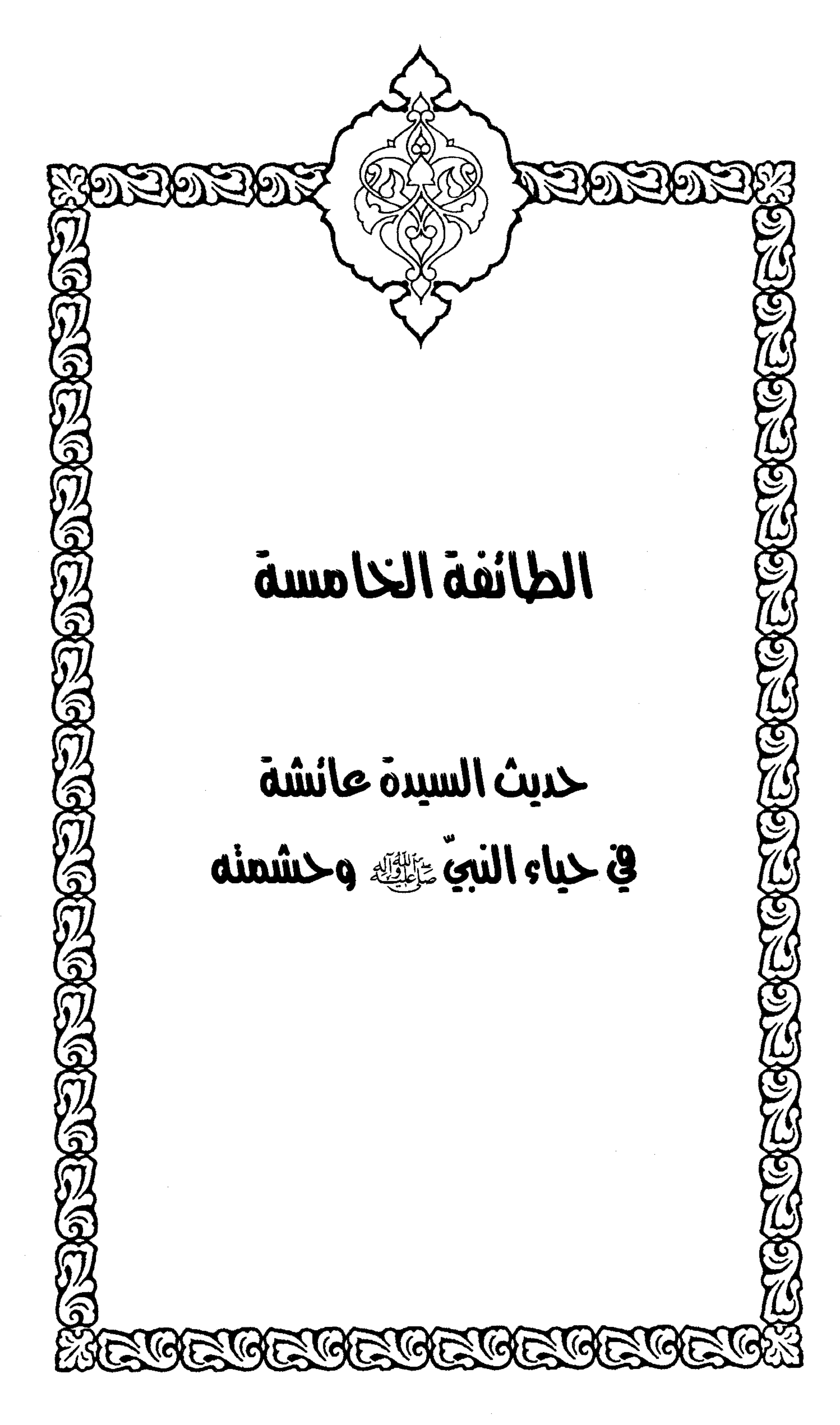
آمنتُ به، وقد عرفته صاحبَ هوى!

آمنتُ به وأنا أسمعُ إقراره على نفسه بأنه كان ينسى آيات من كتاب ربه!

آمنتُ وأنا أراه وأسمعه يشتم ويسب في داره وبيته!

أقول: ونظن أن عبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، وزهير بن حرب، والبخاري، ومسلم، ومن ورائهم هشام بن عروة بن الزبير، وأبوه، ومسروق، وجرير بن عبد الحميد، وحماد بن سلمة، وعكرمة، وسماك، والزبيري، والأعمش، وغيرهم ممن رووا هذه الأحاديث قد تواطؤوا في الافتراء على السيدة عائشة.

وأخيراً وليكن معلوماً، بأننا نحاول أن نختصر في المناقشة قدر المستطاع، فلا تظن أن ما ذكرناه هنا أو ما سنذكره فيما يأتي إن شاء الله تعالى قد استكملنا فيه النقاش، بل لا نذكر إلا الشيء القليل المبسَّط جداً، فإن هذا المختصر لا يسع النقض والإبرام، ولم نعدّه إلا تنبيهاً للأنام.



الطائفة الخامسة

حديث السيدة عائشة
في حياء النبيّ ﷺ وحشمته

الحديث الأول: أخرج أحمد بن حنبل، ومسلم، والبيهقي، وأبو يعلى، وغيرهم بإسنادهم عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة ـ واللفظ لابن حنبل ـ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه كان جالساً كاشفاً عن فخذه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه فلما قاموا، قلت يا رسول الله: استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك؟ فقال: يا عائشة ألا أستحي من رجل والله إنَّ الملائكة تستحي منه[1].

أقول: مضافاً لرواية مسلم للحديث في صحيحه وهذا يكفي، لاجتماع أبناء العامة على صحة جميع أحاديث صحيح مسلم، ولكن مع ذلك نُبيِّن وثاقة رجال إسناده، فقد رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة[2].

---

(١) مسند ابن راهويه ج٢ ص٤٥٠ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٢ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١١٦ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢٣٠ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨١٥ ص٢٤٠ ؛ المعجم الأوسط للطبراني ج٨ ص٢٦٨ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ص٣٣٦ ؛ تاريخ دمشق ج٣٩ ح٧٨٤٢ ص٨٦

(٢) ١ ـ **يحيى بن يحيى**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج٢ ص١٢٠ وج٣ ص٦٥ وج٥ ص١٧٠ وج٧ ص٨ وج٨ ص١٢٥ صحيح مسلم ج١ ص٨ و٩ و٣٣ و٥٢ و٥٦ و٥٩ و٦١ و٦٩).

قال المزي: يحيى بن يحيى النيسابوري، روى عن إسماعيل بن جعفر المدني، روى عنه البخاري، ومسلم. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٦٩٤٣ ص٣١ ـ ٣٣).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن مصعب المروزي، وابن سيار، والنسائي، وأبو زرعة، وغيرهم. وقال عبد الرحمان بن مهدي، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي: ما رأيت مثل يحيى بن يحيى، ولا رأى يحيى مثل نفسه. وقال الحاكم: هو إمام عصره بلا مدافعة.

وقال يحيى بن محمد: ما رأيت محدثاً أورع من يحيى بن يحيى. وقال قتيبة بن سعيد: يحيى بن يحيى رجل صالح إمام من أئمة المسلمين. (معرفة علوم الحديث ص٦٩؛ التعديل والتجريح للباجي ج٣ رقم١٤٨١ ص ١٣٩٥ ـ ١٣٩٦؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٣ رقم٥٨٦١ ص٤٣٧؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٨٢٣ ص١٩٧؛ تهذيب الكمال ج٣٢ ص٣١ ـ ٣٦؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٤٢١ ص٤١٥ ـ ٤١٦؛ سير أعلام النبلاء ج١٠ رقم١٦٧ ص٥١٢ ـ ٥١٩؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٤٧٩ ص٢٥٩ ـ ٢٦١).

٢ ـ **إسماعيل بن جعفر**، من رجال الصحيح. (صحيح الخاري ج٧ ص٩٥ و١٥٨ و٢٠٣ و٢٠٤ وج٨ ص٦٠؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٢ و٤٩ و٥٢ و٥٦ و٥٧ و٨٥ و١٤٤ و١٥٠ و١٥١ و١٥٦).

قال المزي: إسماعيل بن جعفر، روى عن محمد بن أبي حرملة، روى عنه يحيى بن يحيى النيسابوري. (تهذيب الكمال ج٣ رقم٤٣٣ ص٥٦ ـ ٥٩).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وابن سعد، وعلي بن المديني، وأبو زرعة، والنسائي، والخليلي، وغيرهم. (تاريخ أسماء الثقات رقم١٧ ص٢٩؛ تاريخ بغداد ج٦ رقم٣٢٧٤ ص٢١٧ ـ ٢١٩؛ تهذيب الكمال ج٣ رقم٤٣٣ ص٥٦ ـ ٦٠؛ سير أعلام النبلاء ج٨ رقم٤٣ ص٢٢٨ ـ ٢٣٠ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٣٦٣ ص٢٤٤؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٥٣٣ ص٢٥١).

٣ ـ **محمد بن أبي حرملة**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٧٦؛ صحيح مسلم ج٤ ص٧٠).

قال المزي: محمد بن أبي حرملة القرشي روى عن سليمان بن يسار، وعطاء بن يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف. روى عنه إسماعيل بن جعفر. (تهذيب الكمال ج٢٥ رقم٥١٣٩ ص ٤٧ ـ ٤٨).

وثقه النسائي، وابن حجر، وكذا الترمذي وابن خزيمة والدراقطني حيث صححوا حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات. (الثقات ج٥ ص٣٦٥؛ تهذيب الكمال ج٢٥ رقم٥١٣٩ ص ٤٧ ـ ٤٨؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم١٤٩ ص٩٦؛ تقريب التهذيب ج٢ ص٦٥ سنن الترمذي ج٢ ح٦٨٩ ص١٠١؛ صحيح ابن خزيمة ج٢ ص١٤٤ وص٢٢٧ وص٢٦٢ وج٣ ص٢٠٥ وص٣٠٠؛ سنن الدارقطني ج٢ ص١٥١).

٤ ـ **أبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١١٦ و٢١٨ وج٢ ص٢٥ و٤٨ و٩٧ و١٨٩ و٢٤٢؛ صحيح مسلم ج١ ص٢٥ و٥٢ و٩٨ و١٣١ و١٤٧ و١٦٧).

قال المزي: أبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف، روى عن عائشة، روى عنه محمد بن أبي حرملة. (تهذيب الكمال ج٣٣ رقم٧٤٠٩ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٣).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وغيرهم. وقال أبو زرعة: ثقة إمام. وقال مالك بن أنس: كان عندنا رجال من

الحديث الثاني: أخرج الصنعاني، وابن راهويه، وابن حنبل، والبخاري في الأدب، ومسلم في الصحيح، وغيرهم بإسنادهم عن يحيى بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن عائشة، وبعضهم رواه عن يحيى عن عائشة ـ واللفظ لابن حنبل ـ قالت استأذن أبو بكر على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأنا معه في مرط واحد، قالت: فأذن له فقضى إليه حاجته وهو معي في المرط، ثم خرج ثم استأذن عليه عمر فأذن له فقضى إليه حاجته على تلك الحال، ثم خرج ثم استأذن عليه عثمان فأصلح عليه ثيابه وجلس فقضى إليه حاجته ثم خرج، فقالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله إستأذن عليك أبو بكر فقضى اليك حاجته على حالك تلك، ثم استأذن عليك عمر فقضى اليك حاجته على حالك، ثم استأذن عليك عثمان فكأنك احتفظت؟ فقال: إن عثمان رجل حيي، وإني لو أذنت له على تلك الحال خشيت أن لا يقضي إلي حاجته[1].

أقول: الحديث مضافاً إلى رواية مسلم له في صحيحه وهذا يكفي للاحتجاج عليهم، فنحن نُبيِّن رجال إسناد الصنعاني تثبيتاً للحجة، فقد رواه عبد

أهل العلم اسم أحدهم كنيته، منهم أبو سلمة بن عبد الرحمان. وقال ابن حبان في المشاهير: كان من أفاضل قريش وعبادهم وفقهاء أهل المدينة وزهادهم. وقال الذهبي: كان من كبار أئمة التابعين، غزير العلم، ثقةً، عالماً. (الطبقات الكبرى ج٥ ص١٥٧ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم٢١٦٣ ص٤٠٦ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٤٣٠ ص١٠٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي رقم٤٢٩ ص٩٣ ؛ تهذيب الكمال ج٣٣ رقم٧٤٠٩ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٥ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٥ ص٦٣ ؛ تهذيب التهذيب ج١٢ ص١٠٣ ـ ١٠٥).

(١) المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٤٠٩ ص٢٣٢ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٥٦٥ وج٣ ص١٠٢٠ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٧١ وج٦ ص١٦٥ وص١٦٧ ؛ الأدب المفرد للبخاري ح٦٠٠ ص١٣١ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١١٧ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢٣١ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨١٨ ص٢٤٢ ؛ المعجم الكبير للطبراني ج٦ ص٦١ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٣٤ ؛ تاريخ دمشق ج٣٩ ح٧٨٣٦ وح٧٨٣٨ ص٨٣ ؛ أسد الغابة ج٣ ص٣٨٠.

الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن الزهري، عن يحيى بن سعيد بن العاص، عن عائشة[(١)].

(١) تقدم بيان حال الصنعاني في حاشية الحديث الثالث من الطائفة الرابعة، وقال المزي: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، روى عن معمر بن راشد. (تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٤١٥ ص٥٢ ـ ٥٤).

٢ ـ **معمر بن راشد** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص٤٢ و٢٠٧ وج٣ ص٣٧ و١٧٨ وج٤ ص٣٠ و٣٣ و٣٤ و٥٦؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٦ و٦٢ و٧٣ و٧٩ و٩٨ و٩٩ و١٠٦).

قال المزي: معمر بن راشد، روى عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، روى عنه عبد الرزاق بن همام. (تهذيب الكمال ج٢٨ رقم٦١٠٤ ص٣٠٣ ـ ٣٠٥).

وثقه يحيى بن معين، والعجلي، والنسائي، ويعقوب بن شيبة، وغيرهم. وقال أحمد بن حنبل: لستَ تضمُّ معمراً إلى أحد إلا وجدتَه فوقه. وقال يحيى بن معين: أثبت الناس في الزهري، مالك بن انس ومعمر. وقال ابن حبان في المشاهير: معمر بن راشد من الفقهاء المتقنين والحفاظ المتورعين. وقال الذهبي: ومع كون معمر ثقة ثبتاً، فله أوهام، وحديث هشام وعبد الرزاق عنه أصح، لأنهم أخذوا عنه من كتبه. (معرفة الثقات ج٢ رقم١٧٦٦ ص٢٩٠؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم١١٦٥ ص٢٥٥ ـ ٢٥٧؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٥٤٣ ص٣٠٥؛ تهذيب الكمال ج٢٨ ص٣٠٧ ـ ٣١١؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٨٤ ص١٩٠ ـ ١٩١؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم٨٦٨٢ ص١٥٤؛ سير أعلام النبلاء ج٧ ص٥ ـ ١٥؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٥٥٦٧ ص٢٨٢؛ تهذيب التهذيب ج١٠ رقم٤٤١ ص٢١٨ ـ ٢٢٠؛ تقريب التهذيب ج٢ ص٢٠٢).

٣ ـ **الزهري**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٠ و١٢ و٢٠ و٣١ و٣٢ و٣٧ و٤٠ و٤٢ و٤٥ و٤٨؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٨ و٤٦ و٥٢ و٥٥ و٦٢ و٧٣ و٩١ و٩٢ و٩٨).

قال المزي: محمد بن مسلم الزهري، روى عن يحيى بن سعيد بن العاص، روى عنه معمر بن راشد. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٦٠٦ ص٤١٩ ـ ٤٣٠).

وثقه محمد بن سعد، والعجلي، وغيرهما. وقال مالك: بقي ابن شهاب وما له في الدنيا نظير. وقال أبو مسعود: ليس فيهم أجود مسنداً من الزهري. وقال مكحول: ما بقي على ظهرها أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري. وقال الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً منه. وقال أيوب: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري. وقال النسائي: أحسن أسانيد تروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة، منها: الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام، عن الحسين بن علي عليه السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله. (معرفة الثقات ج٢ رقم١٦٤٥ ص٢٥٣؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٣١٨ ص٧١ ـ ٧٤؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٤٤٤

قال ابن كثير بعد أن أورد الحديث من طريق ابن العاص: ورواه مسلم من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان بن يسار وأبو سلمة عن عائشة، ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة، ورواه جبير بن نفير، وعائشة بنت طلحة عنها (أي عن عائشة)[1].

أقول: وفي لفظ الحديث اختلاف، فلاحظ المصادر المشار إليها في هامش الحديثين، وليكن معلوماً أنه مع التأمل لا يوجد اختلاف في مفاد الحديث، غايته أن رواية ابن حنبل ومَن وافقه أوضح في أن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان هو وعائشة لابسين مرطها، وفي المتن الآخر أنه صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان لابساً مرطها، ولكن بقرينة قوله لعائشة: «إجمعي إليك ثيابك»، فإنه يتضح أنهما كانا يلبسان مرطاً واحداً وهو مرطها، ولا يفوتني التنبيه على أنَّ المرط: «رداء من صوف أو خز أو كتان»[2].

أقول: لا نريد الدخول في النقاش حول حرمة كشف الفخذين كما هو

ص١٠٩؛ تهذيب الكمال ج٢٦ ص٤٣١ ـ ٤٤٣؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٩٧ ص١٠٨ ـ ١١٣؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم٨١٧١ ص ٤٠؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٧٣٤ ص٣٩٥ ـ ٣٩٩).

٤ ـ **يحيى بن سعيد بن العاص**، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج٧ ص١١٧).

قال المزي: يحيى بن سعيد بن العاص، روى عن عائشة، روى عنه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٣٣ ص٣٢٥ ـ ٣٢٦).

ذكره يحيى بن معين في تابعي أهل المدينة ومحدثيهم، ووثقه النسائي، ويعقوب بن سفيان، وابن حبان، والذهبي، وابن حجر، وغيرهم. وقال الحافظ أبو القاسم: بلغني أن عبدالملك بن مروان كان يفضله، ويقول: ما رأيت ابن زوملة أفضل من يحيى بن سعيد. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٣٣ ص٣٢٥ ـ ٣٢٧؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٦١٧٤ ص٣٦٦؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٣٥٨ ص١٨٩؛ تقريب التهذيب ج٢ رقم٥٩١ ص٣٠٣).

(١) البداية والنهاية ج٧ ص٢٢٧.

(٢) كتاب العين للفراهيدي ج٧ ص٤٢٧؛ مجمع البحرين ج٤ ص١٩٢؛ الصحاح للجوهري ج٣ ص١١٥٩؛ النهاية في غريب الحديث ج٤ ص٣١٩؛ لسان العرب ج٧ ص٤٠١.

مذهب أبناء العامة، ولا نريد أيضاً أن نتكلم في حرمة بقاء الرجل مع زوجته مرتديَيْن رداءً واحداً مع دخول الأجنبي عليهما، ولكن من البديهي أنَّ بقاءَ شخص جالس هو وزوجته كاشفاً عن فخذيه، أو مرتدياً هو وزجته رداءً واحداً مع دخول الأجنبي عليهما، شيءٌ ينافي الحشمة والحياء، مسقِطٌ لعدالة الزوجين بغض النظر عن وجود خصوصية في أحد الزوجين أو كليهما.

الحشمة من صفات المؤمن:

والمعلوم بنحو لا يشوبه أي تردد، أن الغيرة والحشمة والحياء هي من أبرز صفات المؤمن، بل هي ثابتة في بعض الحيوانات ببعض الأنحاء كالجمل مثلاً.

ونحن لن نحاكم الرواية من جهة منافاتها للكثير من الآداب التي حث الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عليها، وأمَرَ بها، فكيف يكون هو المخالِف لِمَا أمر به بأفظع وأبشع أنحاء المخالفة!

ولكن سيدنا محمد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بقطع النظر عن كونه أشرف الخلق، ومربي الأمم، وقبلة أولياء الله الصالحين، قد عرف القاصي والداني عنه أنه كان رجلاً حيياً غيوراً، وفي منتهى الحشمة في جميع تقلباته في غاية ما يمكن أن يتصوره شخص.

فكيف يدخل عليه أبو بكر وابن الخطاب ولا يستر فخذيه، وكيف يدخلان عليه فيبقى مرتدياً مع زوجته رداءً واحداً؟!!

بالله تعالى عليك أيها القارئ الكريم، هل ترى في نفسك أنك تتصرف مثل هذا التصرف وأنت ابن القرن الحادي والعشرين، مع ما نشهده من انحلال

خُلُقي لا سابقة له؟

بالله تعالى عليك، لو أخبروك عن أحد فضلاء محلتك أو مدينتك أنه تصرف كذلك، فهل ترضى له ذلك؟

أوَ لسنا جميعاً نحكم بسقوط عدالته حيث أتى بما ينافي المروءة على أقل تقدير!

فكيف صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ما صنعه بحسب هذا الزعم؟

وهل هناك من يجهل بأنَّ الحياء من العقل، وأنَّ عدم الغيرة وعدم الحشمة من الشيطان والجهل؟!

وهل هذا الذي تصرف كما زعمته عائشة هو صاحب خُلُق عظيم!

والله وبالله إنَّ مَن يرضى بدخول الأجنبي عليه حال كونه مرتدياً هو وزوجته رداءً واحداً، لهو من أراذل الناس.

وعمر بن الخطاب أجنبي عن عائشة.

يا للغيرة والحمية، ألم يكن بمقدور الوضّاعين أن يضعوا حديثاً في فضْل عثمان بن عفان وأن الملائكة تستحي منه، دون أن يقدحوا بسيد الخلق صلى الله عليه وآله!

هل انقطعت الحيل، وانسدت الأبواب؟

أين العقلاء؟ أليس فيهم رجل رشيد؟

يا سبحان الله، أشرف خلق الله تعالى، يستحي من عثمان الذي تستحي منه الملائكة، ولا يستحي هو من نفسه وفي نفسه، أن يكون جالساً مجلساً يكاد لا يجلسه إلا أهل الفسوق والعصيان!

ولا أظن أن مثل هذه الأحاديث تخدم غرض الوضّاعين المحرِّفين، وظاهرٌ

جداً أن طريقتهم جارية على الطعن في سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لإثبات فضيلة لغيره!

هذا ولا نظن أن يستأهل صاحب الفضيلة المزعومة له هنا تفصيل الكلام فيه، فإن لهذا محلاً آخر إن شاء الله تعالى.

ولا بد هنا من تسجيلنا الاعتراض على البخاري ومسلم، سائلين إياهما لماذا هذا الإصرار منهما على الافتراء على زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ!

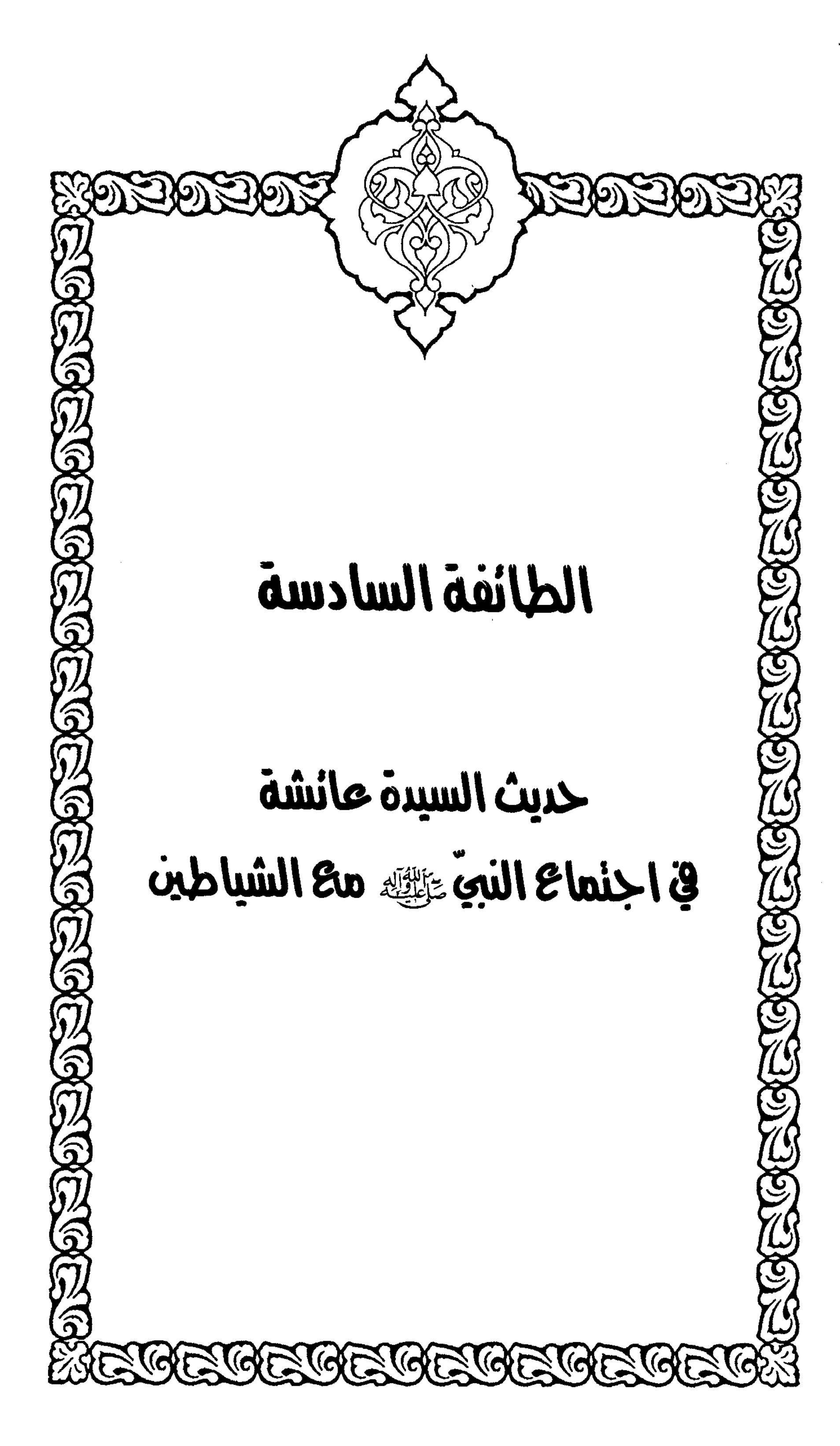
ولماذا لا نجد في صحيحيهما ولا في غيرهما من كتب أبناء العامة حديثاً من هذا القبيل جرى لمحمد وكان عند أم سلمة، أو زينب بنت جحش، أو غيرهما من نسائه!

فهل أنه لم يكن يجالس نساءه، أو أنهم يجدون في الافتراء على السيدة عائشة طعماً آخر!

وأخيراً، فشتان بين ما روته لنا عائشة عن حياء سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وبين ما رواه لنا أبو سعيد الخدري، قال رضوان الله تعالى عليه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[1].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٧١ وص٧٩؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٦٧ وج٧ ص٩٦ وص١٠٠؛ صحيح مسلم ج٧ ص٧٨؛ سنن ابن ماجة ج٢ ح٤١٨٠ ص١٣٩٩؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٩٢؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٢٩٥؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٦ ح٨ ص٩٢؛ الشمائل المحمدية ص٢٩٧؛ مسند أبي يعلى ج٢ ح٩٩١ ص٢٧٧؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص٢١٣.



الطائفة السادسة

حديث السيدة عائشة
في اجتماع النبيّ صلى الله عليه وآله مع الشياطين

الحديث الأول: أخرج الصنعاني، والبخاري، ومسلم، والطبراني وغيرهم بإسنادهم عن عائشة ـ واللفظ للبخاري ـ قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وآله! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا. وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألتُ النبي صلى الله عليه وآله وإما قال أتشتهين تنظرين؟ قلت: نعم، فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللتُ، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي[١].

وفي لفظ آخر للبخاري: أن السودان كانوا يلعبون في المسجد[٢]، وقد وقع التصريح بذلك أيضاً في الحديث الآتي.

الحديث الثاني: أخرج أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وغيرهم بإسنادهم عن عائشة قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وآله يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم، فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو[٣].

---

(١) المصنف للصنعاني ج١١ ح١٩٧٣٦ ص٤؛ صحيح البخاري ج٢ ص٢ وج٣ ص٢٢٨؛ صحيح مسلم ج٣ ص٢٢؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص ٢١٨؛ المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١٨٠ ـ ١٨١؛ أمالي الحافظ الأصبهاني ص٥٥؛ صحيح ابن حبان ج١٣ ص١٨٧.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص١٦١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٨٤ وص١٨٦؛ صحيح البخاري ج٦ ص١٥٩؛ صحيح مسلم ج٣ ص٢٢؛ سنن النسائي ج٣ ص١٩٥؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٢٧٣؛ السنن الكبرى للنسائي ج١ ح١٨٠٠ ص٥٥٣؛ غريب الحديث لابن سلام ج٤

الحديث الثالث: أخرج الترمذي، والنسائي، وابن عساكر بإسنادهم عن عائشة قالت: كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها، فقال يا عائشة: تعالي فانظري فجئت، فوضعت لحيي على منكب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبعتِ، أما شبعتِ؟ قالت: فجعلتُ أقول لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قالت: فارفض الناس عنها، قالت: فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: إني لأنظر إلى شياطين الجن والأنس قد فروا من عمر، قالت: فرجعت[1].

أقول: قال الترمذي بعد روايته للحديث الثالث: «هذا حديث حسن صحيح». وأما الحديثان الأولان فقد اتفق أصحاب الصحاح على روايتهما وصحتهما، وعليه فلا موجب للتفصيل في بيان وثاقة الرواة، ومع ذلك فنُبيِّن حال رجال إسناد الصنعاني للحديث الأول، وإسناد الترمذي للحديث الثالث.

أما الحديث الأول، فقد رواه عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، والحديث الثالث رواه الترمذي عن الحسن بن الصباح البزار، عن زيد بن الحباب، عن خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة[2].

ص٣٣١؛ صحيح ابن حبان ج١٣ ص١٨٦.

(١) سنن الترمذي ج٥ ح٣٧٧٤ ص٢٨٤؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٩٥٧ ص٣٠٩؛ تاريخ دمشق ج٤٤ ح٩٥٠٧ ص٨٢

(٢) تقدم بيان حال الصنعاني في حاشية الحديث الثالث من الطائفة الرابعة، ومعمر في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وتقدم بيان حال عروة بن الزبير في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى، وقد قال المزي: عروة بن الزبير، روى عن خالته عائشة، وروى عنه يزيد بن رومان. (تهذيب الكمال ج٢٠

رقم٣٩٠٥ ص١١ ـ ١٥).

وتقدم هناك بيان حال معمر بن راشد، وقد قال المزي: معمر بن راشد، روى عن أيوب السختياني، وروى عنه عبد الرزاق بن همام. (تهذيب الكمال ج٢٨ رقم٦١٠٤ ص٣٠٣ ـ ٣٠٥).

١ ـ **أيوب السختياني** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٧٥ وج٢ ص٦٦ و٧٣ وج٣ ص٧٨ وج٥ ص٩٠ صحيح مسلم ج٢ ص١٢٩ و١٩١ وج٣ ص١٠٤ و١٥٠ وج٤ ص٥٧ و٨٥ و١٢٥ و١٣٩ و١٥٢ وج٥ ص٨٩ و١٠٤).

قال المزي: أيوب بن أبي تميمة السختياني، روى عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وروى عنه معمر بن راشد. (تهذيب الكمال ج٣ رقم٦٠٧ ص٤٥٧ ـ ٤٦٠).

وثقه يحيى بن معين، وعلي المديني، وابن خيثمة، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم. وقال ابن سعد في طبقاته: وكان أيوب ثقة، ثبتاً في الحديث، جامعاً، عدلاً، ورعاً، كثير العلم، حجة. وقال ابن حبان في المشاهير: أيوب السختياني، وكان من سادات أهل البصرة، وعباد أتباع التابعين وفقهائهم، ممن اشتهر بالفضل، والعلم، والنسك، والصلابة في السنة، والقمع لأهل البدع. وقال شعبة: إن أيوب سيد الفقهاء. وعن أشعث: كان أيوب جهبذ العلماء. وعن أبي حاتم: أنه ثقة لا يسأل عن مثله. (الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٩١٥ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ ؛ الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٤٦ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١١٨٣ ص٢٣٧ ؛ تهذيب الكمال ج٣ ص٤٦١ ـ ٤٦٤ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١١٧ ص١٣٠ ـ ١٣٢ ؛ سير أعلام النبلاء ج٦ رقم٧ ص١٥ ـ ٢٤ ؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٧٣٣ ص٣٤٨ ـ ٣٤٩).

٢ ـ **ابن أبي مليكة**، من رجال الصحاح. (صحيح البخاري ج١ ص٣٤ و١٨١ و١٨٦ و٢٠٧ وج٢ ص٦٤ و١١٨ و١٥٩ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص٥١ وج٣ ص٤٢ و٤٣ و١٠٣ و١٠٤ و١٤٣).

قال المزي: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، روى عن عائشة، روى عنه أيوب السختياني. (تهذيب الكمال ج١٥ رقم٣٤٠٥ ص٢٥٦ ـ ٢٥٧).

وثقه محمد بن سعد، والعجلي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وغيرهم. وقال الذهبي: كان إماماً، فقيهاً، حجة، فصيحاً، مفوّهاً، متفقاً على ثقته. (معرفة الثقات ج٢ رقم٩٧٧ ص٦٢ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٥٩٧ ص١٣٥ ؛ تهذيب الكمال ج١٥ ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٩٤ ص١٠١ ـ ١٠٢ ؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم٥٢٣ ص٢٦٨ ـ ٢٦٩).

٣ ـ **الحسن بن الصباح البزار**، شيخ البخاري. (صحيح البخاري ج١ ص١٦ و١٤٤ وج٣ ص٢٠٠ وج٤ ص١٠٠ و١٦٧ و١٦٨ وج٦ ص١٦٦ و٢٤١).

قال المزي: الحسن بن الصباح بن محمد البزار، روى عن زيد بن الحباب، روى عنه البخاري والترمذي. (تهذيب الكمال ج٦ رقم١٢٣٩ ص١٩١ ـ ١٩٢).

وثقه أحمد بن حنبل، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو حاتم: صدوق وكان له جلالة عجيبة ببغداد، وكان أحمد بن حنبل يرفع من قدره ويجله. وقال النسائي: صالح. وقال السراج: من خيار الناس. وقال أبو قريش محمد

بن جمعة: كان أحد الصالحين. وقال الذهبي: الحافظ، الإمام، عَلَم السنة. (الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٧١ ص١٩ ؛ الثقات ج٨ ص١٧٦؛ تاريخ بغداد ج٧ رقم٣٨٤٥ ص٣٤٠ ـ٣٤٢ ؛ تهذيب الكمال ج٦ رقم١٢٣٩ ص١٩١ ـ ١٩٤ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٤٨٩ ص٤٧٦ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٠٣٨ ص٣٢٦ ؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم٥١٨ ص٢٥٢).

٤ ـ **زيد بن الحباب** من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج١ ص١٤٥ و١٨٣ وج٢ ص١٦٤ وج٣ ص٩٥ و١١٠ وج٤ ص٣٤ وج٦ ص١٠٩ و١٦٦).

قال المزي: زيد بن الحباب، روى عن خارجة بن عبدالله بن سليمان بن زيد بن ثابت، روى عنه الحسن بن الصباح البزار. (تهذيب الكمال ج١٠ رقم٢٠٩٥ ص٤٠ ـ ٤٤).

وثقه ابن معين، والعجلي، وعلي بن المديني، وعثمان بن أبي شيبة، وأبو جعفر السبتي، والدارقطني، وغيرهم. وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الذهبي: الإمام، الحافظ، الثقة، الرباني. (الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٢٥٣٨ ص٥٦١ ـ ٥٦٢ ؛ تاريخ أسماء الثقات رقم٣٩١ ص٩٢ ؛ الثقات ج٦ ص٣١٤ ؛ تهذيب الكمال ج١٠ رقم٢٠٩٥ ص٤٠ ـ ٤٦ ؛ سير أعلام النبلاء ج٩ رقم١٢٦ ص٣٩٣ ـ ٣٩٥ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم٧٣٨ ص٣٤٧ ـ ٣٤٨).

٥ ـ **خارجة بن عبدالله بن سليمان.**

قال المزي: خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت، روى عن يزيد بن رومان، روى عنه زيد بن الحباب. (تهذيب الكمال ج٨ رقم١٥٩١ ص١٥).

صحح حديثه الترمذي في سننه، وقال ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: شيخ، حديثه صالح. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من أجلَّة أهل المدينة. وقال ابن عدي: هو عندي لا بأس به وبرواياته. وقال الأزدي: لا بأس به وحديثه مقبول. وقال ابن حجر: صدوق.

أقول: وأما أحمد بن حنبل فلم يُضعِّفه كما ظنه ابن حجر على ما ذكر ذلك في التهذيب، بل قال ابن حنبل: ضعيف الحديث كما نقله الرازي وابن عدي عنه، والضعف في الحديث لا ينافي الوثاقة، إذ يعني أنه ضعيف من حيث روايته عن الضعفاء أو اعتماده المراسيل ونحو ذلك، على أن تضعيف ابن حنبل له لا ينهض بمعارضة توثيق ابن معين وأبي حاتم له، فإنهما معتمدا أبناء العامة دون ابن حنبل، ولا مجال للتفصيل. (سنن الترمذي ج٥ ح٣٧٦٤ و٣٧٦٥ ص٢٨٠ و٣٧٧٤ ص٢٨٤ ؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم١١٨٧ ص١٨٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم١٧١٠ ص٣٧٤ ـ ٣٧٥ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٠٧٥ ص٢١٨ ؛ الثقات ج٦ ص٢٧٣ ؛ الكامل لابن عدي ج٣ ص٥٠ ـ ٥٢ ؛ تهذيب الكمال ج٨ رقم١٥٩١ ص١٥ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم١٤٦ ص٦٦ ـ ٦٧ ؛ تقريب التهذيب ج١ رقم١٦١٦ ص٢٥٤).

أقول: قد اشتملت هذه الأحاديث على نسبة الباطل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من وجوه لا مجال للتفصّي عنها بأي نحو.

الوجه الأول:

إنَّ الحديث الأول قد اشتمل على توصيف أبي بكرٍ لِمَا رآه وسمعه بـ«مزمارة الشيطان»، والغريب أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتكلف مؤونة تنبيه أبي بكر إلى أنَّ ذلك ليس مزمار شيطان، وإنما اكتفى بقوله: دعهما.

وهذا يعني أنَّ ذلك كان مزمار شيطان، غايته أنه لوجود عنوان عارض امتنع النبي صلى الله عليه وآله عن الزجر والنهي عنه.

ولكن، إنْ كان ذلك جائزاً في حق عائشة لسبب أو لآخر، فما هي الضرورة التي حملت سيد الخلق صلى الله عليه وآله على المكوث في مكان فيه مزمار شيطان؟!

مع أنك تعرف أنَّ المزمار حيث نسبه أبو بكر إلى الشيطان فهذا يعني أنه باطل، فإنه لا علقة بين الشيطان وبين أي شيء آخر إلا إذا كان الشيء باطلاً، وهنا نسأل عائشة، كيف رضي النبي صلى الله عليه وآله أن يكون في بيته الباطل؟!

---

٦ ـ **يزيد بن رومان**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٥٦ وج٣ ص١٢٩ وج٥ ص٥٢ وج٧ ص٧٣ و١٨١ صحيح مسلم ج٢ ص٢١٤ وج٤ ص٢١٥ وج٨ ص٧ و٢١٨).

قال المزي: يزيد بن رومان، روى عن عروة بن الزبير، وروى عنه خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٦٩٨٦ ص١٢٢ ـ ١٢٣).

وثقه ابن معين، وابن سعد، والنسائي، والذهبي، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من قراء أهل المدينة. (الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١٠٩٨ ص٢٦٠ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٨٨١ ص٢٢٩ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٠٦٧ ص٢١٦ ؛ الثقات ج٥ ص٥٤٥ ؛ تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٦٩٨٦ ص١٢٢ ـ ١٢٣ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم ٦٣٠٠ ص٣٨٢ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٥٢٦ ص٢٨٤).

محتَملاتٌ في فقرة الحديث:

ثم إنَّ الحديث بالمضمون الذي ذكرته عائشة يدل صريحاً على أنَّ رسول الله ﷺ كان شخصاً ضعيفاً، بحيث لمَّا أنْ دخل اضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ولكن أبا بكر زجر ابنته عائشة، وليس ذلك إلا لأن أبا بكر كان يرى أن ذلك من الأمر الباطل، فكيف لم يفهم أبو بكر جواز ذلك لمجرد سكوت رسول الله ﷺ؟

فهل أن النبي ﷺ كان عند أبي بكر شخصاً ضعيفاً لا يقوى على النهي عن المنكر، أو أنه ظن بأن النبي ﷺ حيث كان مضطجعاً فهو غير ملتفِت إلى وجود المنكر في بيته؟!

وبعبارة أخرى: إن أبا بكر لمَّا أن دخل وزجر ابنته، فلا يخلو ذلك إما أنه كان مطَّلعاً على التفات النبي ﷺ لِمَا يحدث في بيته، أو أنه كان يظن أن النبي ﷺ لا يعلم بما يجري في بيته، ولا احتمال ثالث آخر.

فإن كان أبو بكر مطَّلعاً على أن النبي ﷺ كان ملتفِتاً، فكيف يزجر عما لم يزجر عنه النبي ﷺ؟!

فإن قلتَ: زَجَرَ ظناً منه أنَّ ذلك محرَّم.

قلتُ: هذا يعني أن رسول الله ﷺ كان متلبِّساً بالمحرَّم، وعليه فيكون أبو بكر أتقى من سيد الخلق ﷺ من جهة، ومن جهة ثانية فإنه يملك الشجاعة على النهي والزجر.

فإن قلتَ: إن أبا بكر ظن بأن النبي ﷺ لم يكن يشعر بما يجري في بيته.

قلتُ: هذا يفيد أولاً:

أنَّ عائشة لم تكن تتورع عن المحارم بنظر أبيها في بيت زوجها.

إنْ قلتَ: لمَ لا تُرجِّح أن تكون عائشة جاهلة بالحرمة؟

قلتُ: إن الزجر عن المنكر لا يكون إلا بعد تعليم وتنبيه فاعل المنكر، فلو أنَّ عائشة كانت تجهل لكان المناسب من أبيها وهو أعلم الصحابة عند عائشة، أن يبادر أولاً إلى تعليمها وإلفات نظرها إلى أن ذلك محرَّم، ولا يحتاج إلى أن ينهرها، إذ يكفي من أبي بكر أن يقول لها: يا بنية إنَّ هذا مزمار شيطان، ولكن عائشة حدثتنا أنه لمَّا أن دخل عليها أبوها قال مستنكِراً موبِّخاً: مزمارة الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله!

ولا شبهة بأنَّ عائشة وهي أعلم زوجات النبي صلى الله عليه وآله بحسب زعمهم وأورعهنَّ لا تحتاج إلى من يزجرها عن المنكر والباطل، بل تكفيها الإشارة، فلماذا اضطر أبوها إلى الزجر بالكلام الجارح والعبارة؟!

هل كان النبي صلى الله عليه وآله جاهلاً بأوضاع بيته:

ثانياً: إذا كان أبو بكر يظن بأن النبي صلى الله عليه وآله لا يعلم بما يجري في بيته وهو صلى الله عليه وآله موجود في البيت، فهذا الاحتمال إن لم يكن أنكى من سابقه فلا يقل خطورةً عنه.

وأي رجل في الدنيا يثبت له الفضل ويصلح لقيادة مجتمعه وهو يجهل بما يجري في بيته، لا سيما مع كونه موجوداً في البيت!!

ونريد أن نُنبِّه إلى أن المقصود من البيت هو الغرفة، وأما البيت في مصطلحنا اليوم فيطلق عليه الدار فلا تغفل.

فالنبي ﷺ إما كان متلبِّساً بالباطل بحسب ما حدثتنا به عائشة بضميمة إنكار أبي بكر عليها، وإما أنه كان بنظر أبي بكر قاصراً عن الزجر عن المنكر، أو أنه غافل عن وجود المنكر في بيته.

وعلى جميع المحتملات، فإن أبا بكر لم يكن يُحسن الظن بابنته على أقل تقدير، ولم يكن يظن بالنبي ﷺ أنه مطَّلِع على ما يجري في حضرته.

غضب أبي بكر للحق!!

والعجيب أن أبا بكر لم يسكن غضبه، ولم يهدأ روعه، مع أنَّ النبي ﷺ قال له «دعهما»، إذ تُحدِّثنا عائشة أنها استغلت غفلته، فأشارت إليهما بالخروج، قالت عائشة: «فلما غفل، غمزتهما فخرجتا».

والمتأمل بمضمون الحديث يظهر له بوضوح أن الجاريتين انتهتا عن الغناء بعد أن أنكر أبو بكر ذلك عليهما، بل إن عائشة لم تجرأ على أن تأمرهما بالخروج، فتحينت فرصة غفلة أبيها، فغمزتهما فخرجتا.

والحديث يفيد أن عائشة كانت تهاب من أبي بكر الذي لا يستطيع أن يجتمع مع الباطل مهما كان السبب، لذا لم يعترض النبي ﷺ على أبي بكر عندما قال «مزمارة الشيطان»، بل إن أبا بكر لم يقتنع بقول النبي ﷺ له «دعهما»، إذ لو كان اقتنع لكانت الجاريتان عاودتا الغناء ثانيةً، ولَمَا احتاجت عائشة إلى مراقبة أبيها حتى يغفل لتغمز الجاريتين بالخروج.

وقد يقال: إنَّ أبا بكر اقتنع بجواب النبي ﷺ، غايته أن وجوده في البيت يفرض نحواً من الاحترام له، لذا رجَّحت عائشة ـ وكأن النبي وافقها ـ

لزوم تقدير ولزوم مراعاة تنزُّه أبي بكر عن شيء يُشبه الباطل في الصورة!

ثالثاً: إذا كان أبو بكر يظن بأن النبي ﷺ لم يكن ملتفتاً إلى ما يجري في بيته، فيا ترى كيف يُراد منا أن نؤمن ونثق بما يُخبِرنا به رسول الله ﷺ من وحي السماء؟!

وكيف استطاع أبو بكر مع ذلك الظن أن يكون عنده وثوق بالنبي بأنه نبي ورسول؟!

وكيف يطلب منا أبو بكر أن نثق بابنته على أنها عالمة ورعة إذا كان هو نفسه يظن فيها عكس ذلك، والحديث هي التي روته لنا!!

سوء ظن أبي بكر بالسيدة عائشة:

رابعاً: إن هذه الحادثة وقعت ـ كما ستعرف ـ بعد زواج النبي ﷺ من عائشة بعدة سنين، فكيف لم يتفطن أبو بكر إلى أن عائشة هي ربيبته ـ ربيبة الإيمان ـ!! وأنها في رعاية زوجها المصطفى ﷺ من زمن بعيد، فكيف يظن أبو بكر بها سوءً ويتهمها؟!!

ولماذا لم يتفطن أبو بكر إلى أنه في بيت عائشة، وهي كما تقول كانت أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ، وأن التي تسمع الجاريتين المغنيتين هي عائشة التي تكفَّل هو نفسه ـ أي أبو بكر ـ بتربيتها على الإيمان، والتقوى، والزهد، والورع، والاحتياط!!!

وكيف يراد منا أن نؤمن بأن أبا بكر كان يعلم بأن ما رآه وسمعه هو مزمار شيطان، وفي المقابل تكون أعلم زوجات النبي ﷺ ومن مضى عليها عدة

سنين وهي في بيته جاهلة بذلك!

وكيف خفي على عائشة ما كان يعلمه أبوها!

وهذه الحادثة قد وقعت بعد مدة طويلة من زواج النبي ﷺ بعائشة، فكيف تطلبون منا أن نصدِّق هذه الحادثة في حق زوجة رسول الله ﷺ، والمفروض أنها إلى ذلك الحين لم يكن يظن أبوها بها خيراً!!

الوجه الثاني من وجوه اشتمال الأحاديث المتقدمة على نسبة الباطل إلى رسول الله ﷺ:

في الحديث الأول أنَّ النبي ﷺ إما تبرع من نفسه بسؤال عائشة عن أنها هل تشتهي أن تنظر إلى السودان، وإما أنها هي سألته ذلك فأجابها بنعم.

أقول: إن النظر إلى السودان يلعبون بالدرق والحراب لا يستبطن أي نحو من أنحاء الاعتبار والعبرة أو الذكر والعبادة، وأنت تعرف أن المؤمن بعيد عن كل نظرة لا يكون فيها اعتبار، فما الذي حمل سيد الخلق ﷺ على النظر إلى السودان وهم يلعبون!

بل العجيب أن الرواية تصوِّر لنا مدى حرص النبي ﷺ على النظر إلى ما لا فائدة فيه إرضاءً لعائشة!

ثانياً: إننا لا نعرف أي رجحان لعنوان اللعب، فهو على أقل تقدير أمْر مرجوح، والمرجوح لا خير فيه، فاعلاً وناظراً.

ثالثاً: أين كان حياء رسول الله ﷺ وأين كانت غيرته، حتى تقف وراءه عائشة بمرأى من الناس ومسمع، وخدها على خد النبي ﷺ!

قالت السيدة عائشة: «فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول دونكم يا بني أرفدة».

رابعاً: إن الحديث يريد منا أن نعتقد بأن السيدة عائشة كانت حريصة على اللهو واللعب، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان حريصاً جداً على مداراتها ومراعاتها، فيا ترى بعد أن كان هذا حالها في السنة السابعة للهجرة، وهي سنة قدوم وفد الحبشة إلى المدينة، فكيف كان حالها قبل ذلك، وكيف استطاعت أن تكسب قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وهي الجارية الصغيرة، اللاهية اللاعبة!

حقاً، إن في السيدة عائشة سراً عظيماً، حيث بلغت منزلة لا يدانيها فيها أحد، وهي مع ذلك جارية حديثة السن تلهو وتلعب.

بل السر الأعظم في رسول الله صلى الله عليه وآله!! الذي كان أحب الخلق إليه من النساء تلك الجارية الصغيرة، الحريصة على اللعب واللهو، حيث سيأتي أن عائشة كانت أحب الخلق من النساء إليه بحسب زعْم أبنائها بل وزعْمها.

الوجه الثالث من وجوه الباطل:

أن النبي صلى الله عليه وآله يُشجِّع على الباطل أو على الأمر المرجوح، بل ويحرص على أن لا يفوت زوجته النظر إلى شيء من ذلك.

فقد ورد في الحديث الثالث المتقدم: فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها، فقال يا عائشة: تعالي فانظري فجئت، فوضعت لحيي على منكب النبي صلى الله عليه وآله فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه.

أقول: الزفن: هو الرقص واللعب[١]، والحبشية الراقصة في مفروض الرواية هي أجنبية على رسول الله ﷺ، فكيف يقف النبي ﷺ ينظر إليها وهي ترقص وتلعب!

ثانياً: إن الرقص واللعب بالنحو الذي روته لنا عائشة إنْ لم يكن أمراً محرَّماً، فلا شبهة أنه يتنافى مع المروءة والدين، فلماذا لم يكن عند نبي عائشة من الدين والمروءة ما يحجزه عن النظر إلى أجنبية ترقص وتلعب؟!

ولا يكاد ينقضي تعجبي من صاحب الخلق الكريم ﷺ كيف أنه لم يكتفِ هو نفسه بالنظر إلى الرقص واللعب، بل حرص على أن لا يفوت عائشة حبيبته شيءٌ من ذلك، وللأسف فإنهما مع ذلك لم يستترا عن أعين الناس!

غيرة محمد ﷺ وحياؤه:

يا للغيرة، ألا يستحي نبي عائشة وهو الرجل العربي أن تقف زوجته واضعة لحييها على منكبه، ينظران إلى الراقصة والناس ينظرون إليهما؟

لا نريد أن نقول بأن هذا الفعل محرَّم ولا يكاد يصدر من غير السفهاء كما هو كذلك، بل نتساءل هل أن سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله لم يكن ذا غيرة، وحشمة، وحياء، وعفة، كما تصر عائشة على أنه كان كذلك؟

وأي حياء وأي خُلُق عظيم تدَّعون للنبي ﷺ، وهو الذي يدعو زوجته حتى ينظر وإياها إلى امرأة أجنبية ترقص وتلعب، ولا يكتفي بذلك، بل عمدت عائشة إلى تصوير المشهد في كيفية وقوفها هي والنبي ﷺ بنحو

---

(١) لسان العرب ج١٣ ص١٩٧؛ مجمع البحرين ج٢ ص٢٨٠؛ تاج العروس ج٩ ص٢٢٦.

يبعث كل ناظر إليهما على الريبة، فيا له من مشهد عاطفي و.. و.. قالت عائشة: «فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليها».

ذكاء السيدة عائشة وفطنتها:

ثالثاً: لا يسعنا هنا إلا أن نشكر الله تعالى على أننا عرفنا السر في استحواذ السيدة عائشة على قلب الرسول الأكرم ﷺ حيث سيأتي عنها أنها كانت أحب الخلق من النساء إليه ﷺ.

أما كيف عرفنا السر؟ فقد عرفناه لمَّا أن عرفنا شدة ذكائها، ولطيف فطنتها، فالرسول الأكرم ﷺ يسألها: «أمَا شبعتِ، أمَا شبعتِ»؟ فتجيبُ: «لا، لأنظر منزلتي عنده».

وهنا يأتي دور تعليم السيدة عائشة لأبناء جلدتها، وكأنها تقول لهن: إذا أردتن أن تختبرن حب أزواجكن لكنَّ، فها أنا قد دللتكنَّ على طريقة ذكية.

ولكننا نقول للسيدة عائشة: إلم يكن بمقدورك أن تختبري رسول الله ﷺ في موارد الحلال، أو البعيدة عن الريبة والشبهة؟!

فلو أنه كان قُدِّر لشخص أن يسأل السيدة عائشة على أن تُبرِز له دليلاً مقنعاً لا يقبل التأويل على أنها كانت أحب الخلق من النساء إلى النبي ﷺ، لأجابت:

وكيف لا أكونُ أحبَّ الخلق إليه، وقد جعلتُهُ ينظر معي إلى امرأة أجنبية ترقص وتلعب، وكنتُ قد وضعت لحيي على منكبه، وفي مورد آخر وضعتُ خدي على خده، كما مر في الحديث الأول.

سؤال وجواب:

ولو قُدِّر للسائل أن يسأل السيدة عائشة: وكيف يكون هذا الموقفُ دليلاً على أنك أحب الخلق إلى النبي صلى الله عليه وآله؟

لأجابت: ما أغفلك، لقد غفر النبي صلى الله عليه وآله لنفسه أن ينظر إلى أجنبية وهي ترقص، وتلعب، وتلهو.

وغفر لها بأنْ رضي في أن أضع خدي على خده، ولحيي على منكبه.

وغفر لها حيث ترك الحياء، والحشمة، والوقار، والغيرة، والمروءة.

والذي دعاه حتى يغفر لنفسه ذلك هو حبُّه لي، فلولا شدَّةُ حبِّه لي، ولولا أنني أحب الخلق من النساء إليه، لَمَا فعل لأجلي ما كان يفعله!!

وأنت يا سائلي تعرف أنه عربي، ومن قريش، ومن بني هاشم!

وتضيف السيدة عائشة قائلة بلسان الحال: وأنت تعرف أن الشخص العاقل لا يتنازل عن أمور خطيرة، ولا يفعل أموراً محظورة، إلا لوجود أمْر أهم، وأعظم، وأخطر، فلولا أنَّ رضاي وسروري أعظم عنده من رضا مروءته، وحيائه، وغيرته، ودينه، فكيف رضي أن يفعل ما فعله، ولا شبهة أن تقديمه سروري كما رويتُهُ لك وحدَّثتُك به لا مبرِّر له إلا لأنني أحبُّ الخلق إليه.

دليل مقنع وقوي:

وتضيف السيدة عائشة أيضاً: ولا أظنُّ يا سائلي أنَّ شخصاً يتنازل عما تنازل عنه النبي صلى الله عليه وآله من أجلي، ومع ذلك يكون هناك من هو أحب إليه مني!

وكيف لي أن أحتمل وجودَ شخصٍ أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مني،

والحال أنه لم يبقَ عنده من شيء يتنازل عنه، حتى يمكن لي أن افترض وجود امرأة أخرى يحبها أكثر مني.

واللطيف أن السيدة عائشة تخبرنا أنها كانت تتصرف مع النبي صلى الله عليه وآله من باب الاختبار له، فهو لا يعلم أنها تختبره لتعرف منزلتها عنده، قالت عائشة: «فجعلتُ أقول لا، لأنظر منزلتي عنده».

فهل أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان من السذاجة على نحو ما وصفته لنا عائشة؟

وهل يحسن من مؤمنة أن تتصرف مع النبي بالنحو الذي ذكرته لنا عائشة؟

فما كان أفطنها وأذكاها، وهي كماتزعم كانت لا تزال جارية صغيرة، ألا تتساءل معي أيها القارئ الكريم، كيف كانت تصرفاتها وأخلاقها مع غير سيد الخلق صلى الله عليه وآله، وكيف كانت هي بعد أن كبرت في السن؟

فرار الشياطين من عمر!!

ثم إن عائشة لم ترَ أنَّ ما ذكرته في بيان فضلها يكفي، بل وجدت نفسها مضطرةً إلى تعريف الناس بابن الخطاب.

قالت السيدة عائشة: «فجعلتُ أقول لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قالت: فارفضَّ الناس عنها، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأنظر إلى شياطين الجن والأنس قد فروا من عمر».

أقول: والناس لم يكن يعنيهم أنَّ النبي صلى الله عليه وآله ينظر إليهم، وأنه صلى الله عليه وآله غيرُ كارهٍ لمَا يفعلونه، حتى أن الشياطين كانوا يشعرون بالأمن والأمان تلك المدة التي لا نعلم كم كان مداها.

وهكذا بقيت السيدة عائشة تختبر النبي ﷺ، والنبي يجري على سجيته ـ يا غافل إلك الله ـ إلى أن طلع عمر بن الخطاب الذي يعرفه الناس جيداً بأنه لا يهادن الباطل، وأنه لا تأخذه في الحق لومة لائم!!

وما أن عاين الناسُ ابنَ الخطاب حتى فروا هاربين، وتحسَّرت شياطين الجن والأنس لمجيء عمر بن الخطاب، فإنه المهاب ليس عند الناس فقط، بل حتى شياطين الجن يخافونه ويهابونه، وإذا ما حضر عمر فلا يبقى من مجال للشياطين ولا مكان لهم، فهمُّوا هم أيضاً بالفرار والهروب!!

أمانة سيدنا محمد ﷺ:

والنبي الأمين على الوحي لا يملك عذراً في أن يُخفي ما رآه من فرار وهروب الشياطين، فلذا رأى نفسه مُلزَماً بإظهار مكانة ابن الخطاب، فإنه ﷺ لا يمكن له أنْ يكتم حقاً أو فضيلة لأحد، فكيف لابن الخطاب!!

فقال ﷺ: إني لأنظر إلى شياطين الجن والأنس قد فروا من عمر».

ولكن مما يؤسف له أنه ﷺ لم يتفطن والعياذ بالله تعالى من خطورة ما بيَّنه من فضيلة لابن الخطاب، أو كان متفطناً غير أنه قضاءً لأمانته وورعه لا يستطيع إلا أن يصدع بالحق الذي تعتقده عائشة، حتى ولو كان ما يصدع به من الحق يقدح فيه كنبي ورسول، بل يقدح فيه كرجل ذي غيرة وحشمة وشعور، وهو الكامل الطهر الطاهر المطهَّر صلوات الله ربي وسلامه عليه وآله.

وأرجو أن لا يكون بنظر عائشة أن الخطأ والاشتباه قد وقع من المولى تعالى شأنه، فبدلاً من أن يبعث عمر بن الخطاب الذي لا تأخذه في الله تعالى لومة

لائم، بعث محمد بن عبد الله ﷺ!

وكيف لا يصح احتمال وقوع المولى سبحانه وجلت كلمته في الاشتباه، وقد بعث رسوله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الذي كان يجتمع مع شياطين الجن والإنس، ولا ندري كم كانت مدة ذلك الاجتماع، بينما عمر بن الخطاب لا أنه هو نفسه لا يجتمع مع الشياطين فقط، بل إن الشياطين لا تطمع هي نفسها بأن تبقى في مكان يوجد فيه ابن الخطاب.

وهنا نسأل السيدة عائشة، لماذا إذن اختار الله تعالى للرسالة شخصاً ضعيفاً ساذجاً، في حين أن المرحلة التي عاشها رسول الله ﷺ كانت مرحلة حرجة تحتاج إلى رجل شجاع مقدام مثل عمر بن الخطاب؟

وأكاد أقطع أن السيدة عائشة والكثيرين من أحباء أبيها كانوا يَرَون يوم وفاة رسول الله ﷺ يوم حزْنٍ لشياطين الإنس والجن، حيث كانت الشياطين يَرَون فيه نِعْم المعين والمؤازر.

ولقد كان يوم وفاة عمر بن الخطاب يوم العيد الأعظم للشياطين، حيث مات مَن كانوا يهابونه، ويخشونه، ويفرون منه.

ألا تخجلون من أنفسكم أن تنتسبوا إلى نبي وصفتموه بما أثبتموه في صحاحكم وكتبكم؟!!

عائشة جارية صغيرة:

هذا وأما ما اشتملت عليه الرواية الثانية من أن عائشة كانت جارية صغيرة حديثة السن، فهو شيء قد كذَّبه تاريخهم.

قال ابن حجر في جملة ما ذكره معقِّباً على الحديث الثاني: إن في بعض طرق الحديث أنَّ ذلك كان بعد قدوم وفد الحبشة، وأنَّ قدومهم كان سنة سبع، ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة فكانت بالغة، وكان ذلك بعد الحجاب[١].

أقول: فلو أنه كان عند أحد في بعض ما تقدم منا تنظُّرٌ أو إشكال، فلا أظن أن يبقى عند مسلم أي نحو من التردد بعد اطلاعه على كلام ابن حجر.

وهنا لا يسعنا إلا تكذيب البخاري، وأحمد بن حنبل، ومسلم، وأضرابهم، وكذا تكذيب عروة بن الزبير، ومعمر بن راشد، وابن الحباب، والسختياني، وغيرهم ممن رووا هذه الأحاديث التي افتروها ظلماً وعدواناً على السيدة عائشة، وكأنَّ غرضهم هو الطعن في زوجة النبي صلى الله عليه وآله، مع أنهم يدَّعون حبها!!

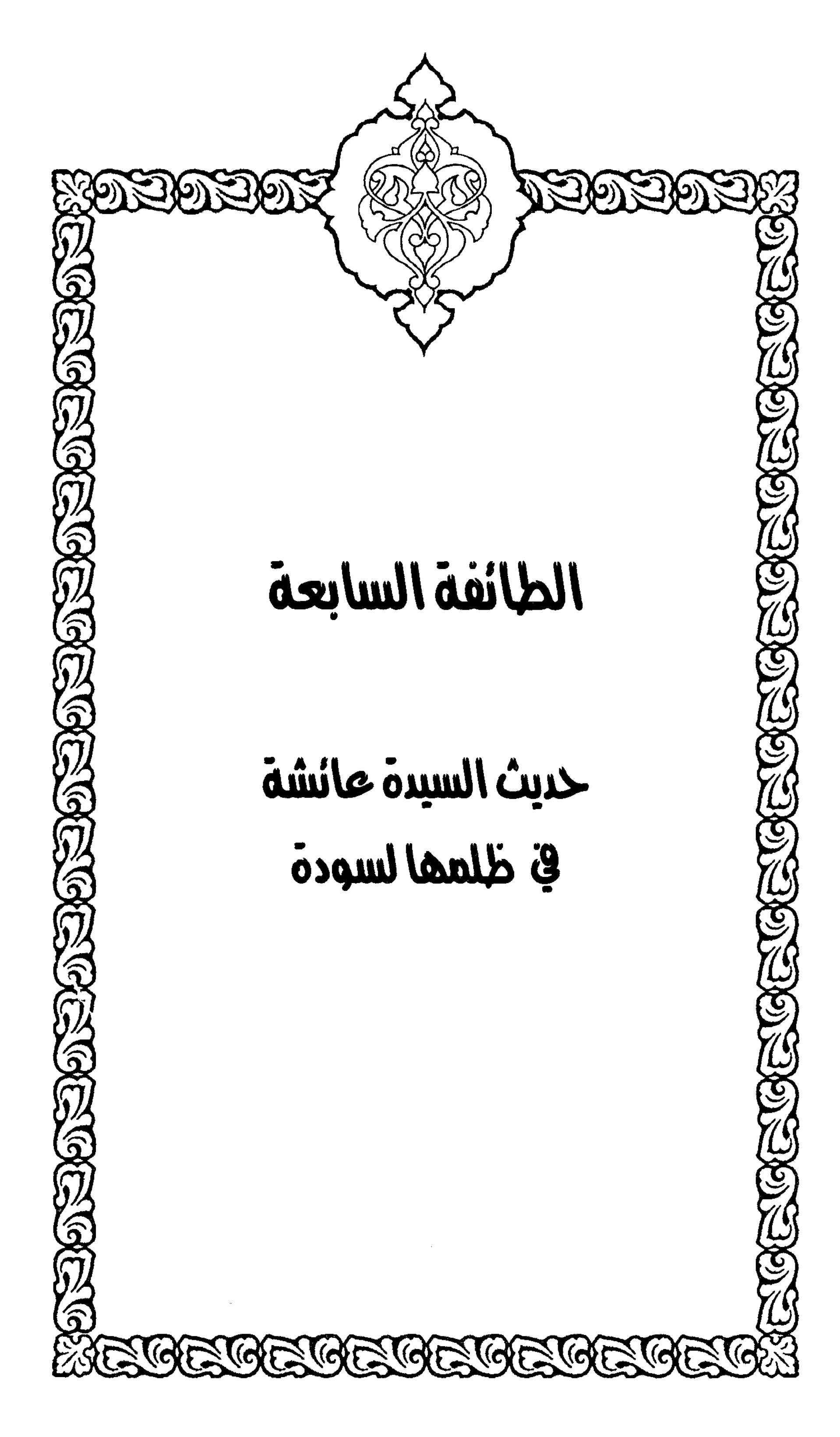
ولكننا أيضاً نحتاط في الجزم باجتماعهم متواطئين على التحريف والتزوير على لسانها.

وكيف لعاقل أن يحتمل في مَن هم أحب الناس إليها وبمن هي من أحب الناس إليهم، أن يجتمعوا على التحريف والتزوير على لسانها!

ولا يخفى أننا أعرضنا عن كثير من المناقشات، منها ما تفيده الأحاديث من أن المسجد كان محلاً للعب واللهو، وأن عائشة كانت أطول من النبي صلى الله عليه وآله لتتمكن من أن تضع لحييها على منكبه الشريف، اللهم إلا أن يكون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو الأطول، غايته نسيت عائشة أن تقول لنا بأنه صلى الله عليه وآله انحنى إجلالاً واحتراماً لها، وبقي منحنياً تلك المدة حتى قضت عائشة حاجتها ووطرها من مشاهدة «السيرك».

---

(١) فتح الباري ج٩ ص٢٧٦.



الطائفة السابعة

حديث السيدة عائشة
في ظلمها لسودة

أخرج أبو يعلى، والنسائي، وابن عساكر بإسنادهم عن عائشة، أنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وآله بخزيرة قد طبختها له، فقلتُ لسودة والنبي صلى الله عليه وآله بيني وبينها: كلي فأبت، فقلت: لتأكلن أو لألطخنَّ وجهك فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة، فطليت وجهها، فضحك النبي صلى الله عليه وآله فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها، فضحك النبي صلى الله عليه وآله لها فمر عمر فقال: يا عبد الله، يا عبد الله، فظن أنه سيدخل، فقال صلى الله عليه وآله: قوما فاغسلا وجوهكما، فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن[2].

أقول: وبعد شهادة الهيثمي بأن رجال حديث أبي يعلى رجال الصحيح، فهذا يعني أنهم جميعاً ثقات، حتى ابن علقمة فهو ثقة أيضاً، ومع ذلك نُبيِّن حال رواة إسناد رجال حديث النسائي. فقد رواه النسائي عن محمد بن معمر، عن خالد بن الحارث، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عائشة[3].

---

(١) مسند أبي يعلى ج٧ ح٤٤٧٦ ص٤٤٩؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٩١٧ ص٢٩١؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤ ح٨٥٤ ص٤٢ وج٤٤ ح٩٥١٦ وح٩٥١٧ ص٩٠.

(٢) مجمع الزوائد ج٤ ص٣١٦.

(٣) أما أبو سلمة فقد تقدم بيان حاله في حاشية الحديث الأول من الطائفة الخامسة ص ١٠٦، وقد قال المزي: أبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف، روى عن عائشة، روى عنه محمد بن عمرو بن علقمة. (تهذيب الكمال ج٣٣ رقم٧٤٠٩ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٤)

١ ـ **محمد بن معمر**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص٢٢٢ وج٧ ص١٩٨ صحيح مسلم ج١

ص١٤٩ وج٢ ص٩٠ وج٤ ص٣٨).

وثقه النسائي، والخطيب البغدادي، والذهبي وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال مسلمة وأبو داود: لا بأس به. وقال أبو حاتم وأبو داود: صدوق. (الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٤٥٣ ص١٠٥ ؛ الثقات ج٩ ص١٢٢ ؛ تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٦٢١ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٧ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٥٨٧ ص٥٦٣ ؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٧٥٥ ص٤١٢).

٢ ـ **خالد بن الحارث**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٠٣ و٢٢١ وج٢ ص١٥٩ و١٨٥ و١٩٧ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١١٩ و١٢١ و١٩٣ وج٣ ص٩ و٣٣ وج٤ ص٣٤ و٦٦).

قال المزي: خالد بن الحارث، روى عن محمد بن عمرو بن علقمة. (تهذيب الكمال ج٨ رقم١٥٩٨ ص٣٥ ـ ٣٦).

وثقه ابن سعد، والنسائي، والترمذي. وقال يحيى بن معين: أثبت شيوخ البصريين، خالد بن الحارث مع جماعة. وقال أبو حاتم: إمام ثقة. وقال أحمد بن حنبل:إليه المنتهى في التثبت بالبصرة. وقال أبو زرعة: كان يقال له خالد الصدوق. (الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم١٤٦٠ ص٣٢٥ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٢٧٢ ص٢٥٣ ؛ الثقات ج٦ ص٢٦٧ ؛ تهذيب الكمال ج٨ رقم١٥٩٨ ص٣٥ ـ ٣٨ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٨٥ ص٣٠٩ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم١٥٥ ص٧٢.

٣ ـ **محمد بن عمرو بن علقمة**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٩٠ وج٢ ص٢٥٩ وج٤ ص٢٤٠ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص٤٩ و١٣٧ و١٩٢ وج٤ ص١٢١ و١٩٦ وج٦ ص٨٣).

قال المزي: محمد بن عمرو بن علقمة، روى عن أبي سلمة ابن عبد الرحمان بن عوف، روى عنه خالد بن الحارث. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٥١٣ ص٢١٢ ـ ٢١٤).

وثقه ابن معين، وعلي بن المديني، والنسائي، والهيثمي، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال يحيى القطان: رجل صالح. وقال ابن عدي وابن المبارك: لا بأس به. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال ابن حبان في المشاهير: من أجلَّة أهل المدينة ومتقنيهم. وقال الذهبي: قال النسائي وغيره: ليس به بأس. وقال علي بن المديني: سمعت يحيى بن سعيد القطان وسئل عن سهيل بن أبي صالح ومحمد بن عمرو بن علقمة، فقال: محمد بن عمرو أعلى منه. (سؤالات ابن أبي شيبة ص٩٤ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٠٤٦ ص٢١٣ ؛ تهذيب الكمال ج٢٦ ص٢١٢ ـ ٢١٨ ؛ سير أعلام النبلاء ج٦ رقم٤٦ ص١٣٦ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٥٠٨٧ ص٢٠٧ ؛ مجمع الزوائد ج١ ص٢٢١ وج٩ ص٢٢٧ ؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٦١٩ ص٣٣٣ ؛ الأنساب للسمعاني ج٥ ص١٥١). أقول: وبما أن سهيل ثقة، فيكون قول القطان أن محمد بن عمرو أعلى منه يفيد توثيقه له، وتوثيق يحيى القطان له في غاية الاعتبار عندهم بملاحظة ما ذكره ابن حجر في ترجمته ابن القطان. (تهذيب التهذيب ج١١ ص١٩٣).

أقول: الحديث الذي روته لنا السيدة عائشة يتضمن ثلاث فضائل، الفضيلة الأولى تختص بصفاتها وسيأتي الحديث عن ذلك، والفضيلتان الأخيرتان ما أخبرتنا به عن لهو ولعب النبي صلى الله عليه وآله، وهيبته من عمر بن الخطاب.

لهو النبي صلى الله عليه وآله وظلْمُه:

أقول: إنَّ تلطيخ عائشة لوجه سودة بالطعام يُعتبر نحو تعدٍّ عليها، والتعدي ظلْمٌ، والظلمُ قبيحٌ، فكيف يضحك النبي صلى الله عليه وآله ولا يبادر إلى الزجر والنهي!

ثانياً: إنَّ تلطيخ عائشة وجه سودة بالطعام في حضرة النبي صلى الله عليه وآله سوء أدب في محضره الشريف، والمناسب من المؤمن العاقل الشريف أن ينهى عن ذلك، والأحرى بالنبي صلى الله عليه وآله وهو القائد للأمة أن يحظى بمهابة الناس له لا سيما أزواجه، فما معنى أن تسيء عائشة في حضرته صلى الله عليه وآله من جهة، ومن جهة ثانية تهم بظلم الطرف الآخر، بل وتظلم، وفي المقابل لا يردع النبي صلى الله عليه وآله ولا ينهى، فكيف يصلح مثله مربياً ومعلّماً ومؤدِّباً!

ثالثاً: إن عائشة لم تكتف بأن تحكي لنا عن لهو رسول الله صلى الله عليه وآله وعن سكوته عن الظلم، ولم تكتفِ بالحكاية لنا عن مشاركته إياها بذلك من خلال الضحك، بل عمدت إلى إخبارنا عن شخصية عمر بن الخطاب، ذاك الرجل المهاب الذي أنقذ الموقف، فتقول لنا عائشة: إن هيبة عمر بن الخطاب قد أخذت بقلب النبي صلى الله عليه وآله، إذ ما إنْ سمع صوته حتى أمرهما بأن يقوما ويغسلا وجههما خشية من أن يراهما ابن الخطاب.

ولا أدري لماذا يأمرهما النبي صلى الله عليه وآله بما أمرهما به لولا أن في ذلك شائبة

ما، وتلك الشائبة لا ندري ما هي بنظر عائشة، أهي ارتكاب المنكر كما كانت حدثتنا بذلك عندما كانت الحبشية تغني، أو أن الشائبة شيء آخر.

والذي يتعين بحكم العقل والشرع أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو الذي يكون مهاباً من رعيته، حتى يتمكن من أداء الواجب والنهي عن الظلم.

واللازم أن يكون ابن الخطاب هو من يهاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فإنه الولي والقائد والمهيمن، فكيف تقودنا عائشة إلى الاعتقاد بما يخالف الحق؟!

ونسأل السيدة عائشة: من أين أتت مهابة عمر بن الخطاب من جهة؟

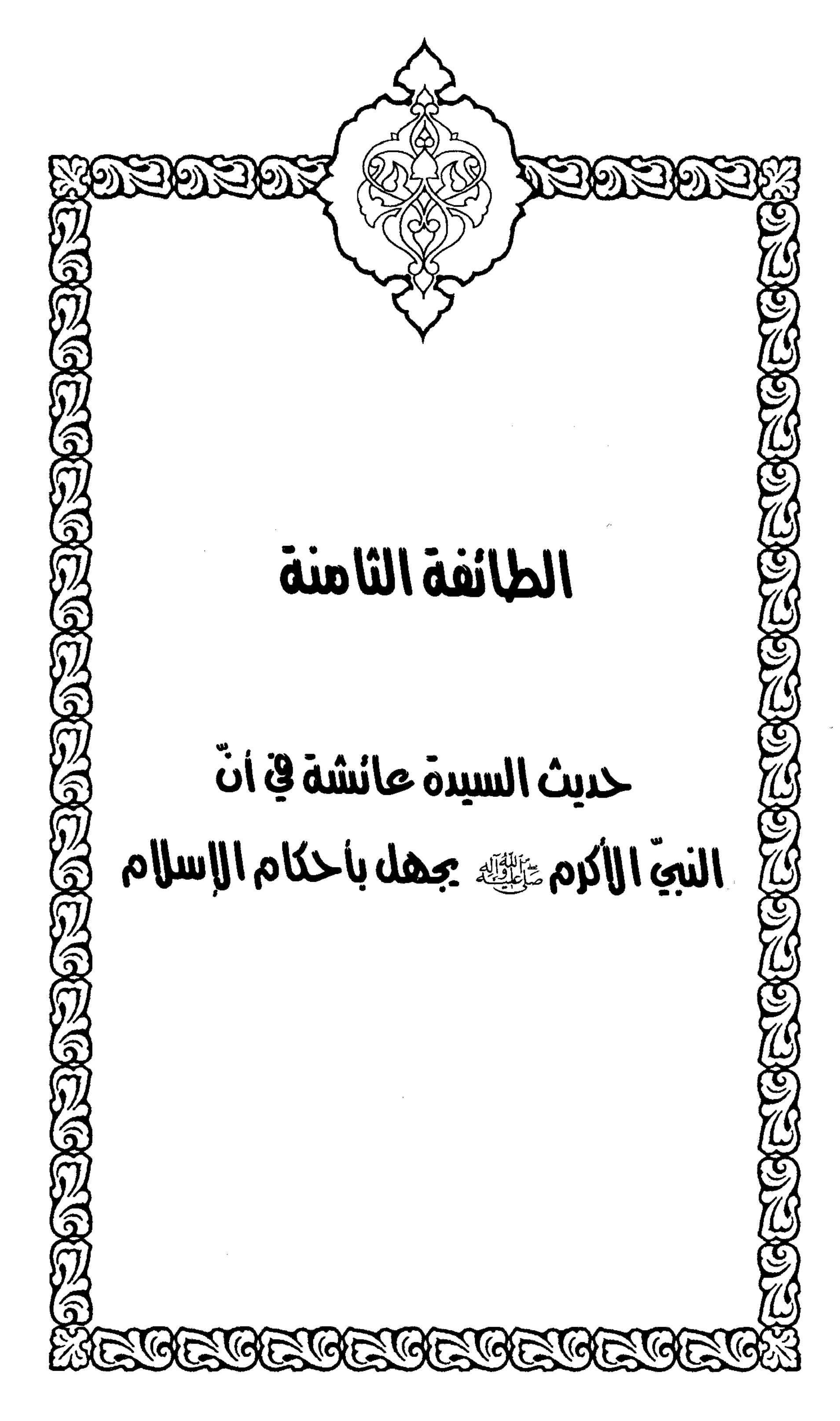
ومن ناحية ثانية: ما هي الثغرة وما هو العيب في سيد الخلق وأفضلهم وأشرفهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حتى نفذت من خلالها هيبة ابن الخطاب إلى نفس الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقلبه، وعقله؟!

فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أفضل الخلق، وأعظمهم، وأكملهم، وأشدهم خشية لله تعالى، وهذا يقضي بأن تدخل مهابته في نفوس كل الخلق، لا أن يخاف هو ويهاب أحداً منهم، فإن هيبته من أحدهم نقْصٌ وضعْفٌ فيه.

بالله تعالى عليك، هل ترى نفسك أنك عندما تقول: كان زيد يهاب من خالد، هل ترى أنك تمدح زيداً بقولك هذا! فكيف تكون السيدة عائشة مادحة للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقولها: إنه كان يهاب من عمر بن الخطاب؟!

وأخيراً، ألم يكن بمقدور عائشة أن تتحدث عن هيبة ابن الخطاب إلا من خلال القدح بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأنه كان مجتمعاً مع شياطين الإنس والجن؟

ونعود فنكرر استنكارنا على ما افتراه ثقاتهم على السيدة عائشة، والعجيب أنهم جميعاً متواطئون على التزوير والتكذيب على لسانها!!



الطائفة الثامنة

حديث السيدة عائشة في أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يجهل بأحكام الإسلام

أخرج الضحاك، والحاكم، والطبراني وغيرهم بإسنادهم عن عائشة، قالت: لما توفيت خديجة، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه، قال: فاذهبي فاذكريهما عليَّ، فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان أم عائشة، فقالت: يا أم رومان! ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: وددتُ، انتظري أبا بكر فإنه آت، فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: هل تصلح له، وإنما هي بنت أخيه، فرجعني إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ارجعي إليه فقولي له: أنت أخي في الإسلام وأنا أخوك، وابنتك تصلح لي، فأتت أبا بكر، فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ، فجاء فأنكحه.

قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وقال الهيثمي في الزوائد: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث.

وقال ابن حجر: قد روى أحمد والطبراني بإسناد حسن عن عائشة، وساق الحديث[١].

أقول: نحن ومع شهادتهم بصحة الحديث نُبيِّن وثاقة رجاله[٢].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٦٧؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٠٦ ص٣٨٩؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٣ وج٢٤ ص٣٠؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص١٢٩؛ تاريخ الطبري ج٢ ص٤١١؛ أسد الغابة ج٥ ص٥٠٢؛ البداية والنهاية ج٣ ص١٦٢؛ السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٤٤؛ الإصابة ج٨ ص٢٣٢؛ سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٤٩؛ مجمع الزوائد ج٩ ص٢٢٥؛ فتح الباري ج٧ ص١٧٦.

(٢) قال الضحاك في الآحاد: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد، أنبأنا أبي، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عائشة. وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل السراج، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي وساق السند كما في الآحاد، وقال الطبري: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي وساق السند نفسه.

أقول: أما محمد بن عمرو بن علقمة فقد تقدم بيان حاله في الحديث السابق، وقد قال المزي: محمد بن عمرو بن علقمة، روى عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٥١٣ ص٢١٢ ـ ٢١٤).

١ ـ ابن عبدوس.

قال الذهبي: ابن عبدوس هو الإمام، الحجة، الحافظ، الثبت، المأمون، أبو احمد محمد بن عبدوس بن كامل السلمي. قال أبو الحسين ابن المنادي: كان ابن عبدوس من المعدودين في الحفظ وحسن المعرفة بالحديث، أكثر الناس عنه لثقته وضبطه. (تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٧٠٤ ص ٦٨٣ ـ ٦٨٤؛ سير أعلام النبلاء ج١٣ رقم٢٦٣ ص٥٣١).

٢ ـ سعيد بن يحيى بن سعيد شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص٩ وص٢٢٦ وج٢ ص١١٤ و١٩٠ وج٦ ص٢٧؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٨ وص١٨٤ وج٣ ص٣٣).

قال المزي: سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموي، روى عن أبيه يحيى بن سعيد الأموي. (تهذيب الكمال ج١١ رقم٢٣٧٧ ص١٠٤).

وثقه علي بن المديني، ويعقوب بن سفيان، والنسائي، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو حاتم، وصالح بن محمد: صدوق. (الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم٣١٤ ص٧٤؛ الثقات ج٨ ص ٢٧٠؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم ٤٦٧٠ ص٩٢ ـ ٩٣؛ تهذيب الكمال ج١١ ص١٠٤ ـ ١٠٦؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٩٧٤ ص٤٤٦؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم١٦٤ ص٨٦).

شهادة عائشة:

أقول: سيأتي عن عائشة نفسها تكذيب هذا الحديث، حيث روت أن رسول الله ﷺ لم يتزوج منها إلا بعد أن أراه إياها الملك، أو جبرئيل عليه السلام، أو رجل بحسب اختلاف الألفاظ الواردة عنها.

ثانياً: إن أبا بكر في جوابه لخولة بقوله لها: «هل تصلح له، وإنما هي بنت أخيه»، إما أن يكون ناظراً إلى قوله تعالى في سورة النساء ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

---

٣ ـ **يحيى بن سعيد الأموي** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٩ وص٢٢٦ وج٢ ص١١٤ و١٩٠ وج٦ ص٢٧؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٨ وص١٨٤ وج٣ ص٣٣).

قال المزي: يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد الأموي، روى عن محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، روى عنه ابنه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٣١ ص ٣١٨ ـ ٣٢٠).

وثقه ابن معين، ويعقوب بن سفيان، وأبو داود، وابن عمار الموصلي، والدارقطني، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أحمد بن حنبل والنسائي: لا بأس به. قال الذهبي: الإمام المحدث، الثقة، النبيل. (سؤالات الآجري لأبي داود ج٢ رقم١٩٦٦ ص٣١٣؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم ١٢٨٠ ص١٩٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٦٢٥ ص١٥١؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١٥٩٢ ص ٢٦٠ ورقم١٦٠١ ص٢٦١؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم ٤٦٧٠ ص٩٢ ـ ٩٣ وج١٤ رقم ٧٤٦٠ ص١٣٧ ـ ١٣٩؛ تهذيب الكمال ج٣١ ص ٣١٨ ـ ٣٢٢؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٠٨ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦؛ سير أعلام النبلاء الذهبي ج٩ رقم٧٠٥ ص ١٣٩ ـ ١٤٠؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٣٥٦ ص١٨٧ ـ ١٨٨).

٤ ـ **يحيى بن عبد الرحمان** بن حاطب من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج٥ ص١٣٧).

قال المزي: يحيى بن عبد الرحمان بن حاطب، روى عن عائشة، روى عنه محمد بن عمرو بن علقمة. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٦٩ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦).

صحَّح حديثه الترمذي في سننه، والحاكم في المستدرك، ووثقه العجلي، ومحمد بن سعد، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات وفي المشاهير. وقال ابن خراش: يحيى بن حاطب يروي عنه الناس، جليل، رفيع القدر. (سنن الترمذي ج٥ ح٣٢٨٩ ص٤٨ وح٣٤١٤ ص١١٨؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٦٦ و١٦٧ و٢٤٩؛ الطبقات الكبرى ج٥ ص ٢٥٠؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٩٨٦ ص ٣٥٤ مشاهير علماء الأمصار رقم٦٢٥ ص١٣٩؛ تهذيب الكمال ج٣١ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٧؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٦٢٠٢ ص ٣٧٠؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم ٤٠٠ ص٢١٨).

أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخِ﴾(١)، أو يكون ناظراً إلى ما هو ثابت في الشرائع السابقة من حرمة نكاح بنت الأخ.

فإن كان ناظراً إلى ما في القرآن الكريم، فعائشة بحسب ما رواه الثقات عنها، تزعم أن أباها يعقل أحكام القرآن ويعلم بها، بينما النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يجهل بها، أو أنه على أقل تقدير يغفل عنها وينساها!!

ولكنه ثبت من حديث عائشة نفسها أن سورة النساء قد نزلت بالمدينة بعد أن تزوجها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبنى بها.

فقد أخرج البخاري بإسناده عن عائشة أنها قالت: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده(٢).

وهذا يعني أن ما حدثونا به عن عائشة قد كذّبته عائشة نفسها، ولا ندري بعد هذا كيف نتعامل مع حديثها هنا ومع ما سيأتي من حديثها هناك، فأيهما الصحيح، بغض النظر عما سيأتي هناك من بطلان الحديث ذاك أيضاً، ولكننا نتكلم مع القوم وفْق ما يعتقدون به.

وإن كان أبو بكر ناظراً إلى ما هو ثابت في الشرائع السابقة، فلا يخلو الحال، إما أن يكون أبو بكر يعلم بأن النبي صلى الله عليه وآله يعلم بذلك أيضاً غير أنه كان يظن به الغفلة والنسيان، أو أنه كان يظن بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم بالتحريم.

فعلى الاحتمال الثاني، تريد منا عائشة أن نعتقد بأن أباها كان عالماً ملتفتاً غير غافل عما هو ثابت في الشرائع السابقة، مع أن أبا بكر قد قضى عمره وهو

---

(١) سورة النساء الآية ٢٣.

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص١٠١.

في زمرة المشركين قبل إسلامه.

وهنا يكون أبو بكر في مقام إرشاد النبي ﷺ وتعليمه.

وإن كان أبو بكر يعتقد بأن النبي ﷺ كان عالماً بالحكم غير أنه كان يظن به الغفلة والسهو، فهذا يقضي بسقوط النبي ﷺ عن أهليته لمقام النبوة وتبليغ الشريعة، فإن الغفلة عن أمر واضح جداً يتسبب على أقل تقدير بالشك في صحة ما يقوم النبي بتبليغه للأمة.

ولماذا تريد منا السيدة عائشة أن نعتقد بأن أباها كان يتفطن لِمَا لا يتفطن له النبي الأكرم ﷺ؟

ولماذا تريد منا أن نعتقد بأن أباها كان يحتمل في النبي ﷺ الغفلة والنسيان لِمَا لا يصح الغفلة عنه؟

نعم، حيث يكون النبي الأكرم ﷺ غير غافل وغير ناس، ويكون عالماً بأحكام الله تعالى، فإن الحديث لو صح يكون دليلاً على أن ادِّعاء أبي بكر للأخوة لا يعدو عن كونه زعماً باطلاً.

ونحن لا نستطيع أن نقدح بالنبي ﷺ في مقام إثبات فضيلة لأبي بكر أو لغيره من جميع الخلق، فإن تنزيه أحد من الخلق بتوسط القدح بشخصية النبي الأكرم ﷺ يكون في الواقع دليلاً على بطلان ما قصده ذلك الواضع المحرِّف للحديث.

وكأن الواضع للحديث ظن أن مثل هذا الأسلوب كان سيخفى على أهل الحق، وقد مكر، ومكر الله تعالى والله خير الماكرين.

والغريب، أن باستطاعة الوضَّاعين أن يُحرِّفوا وأنْ يزوِّروا دون القدح بالنبي

الأكرم ﷺ، فلماذا إذن اختاروا مثل هذا الأسلوب؟

فهل أنهم فعلاً كانوا مؤمنين بكمال سيدنا محمد ﷺ؟

أم أنهم أرادوا من وراء هذه الأحاديث والمئات من أمثالها أن يُبرِّروا ويُصحِّحوا أفعال الآخرين، وأنهم وإن حفظ التأريخ لهم الكثير من الهنات والهنات، فإن نبيهم قد كان منه أمثال ذلك!

ولا أدري ما هو ذاك النبي، وكيف تكون نبوته، وهو عندهم مورد لتعليم وإرشاد وتنبيه مثل أبي بكر!!

وهو مورد ومحل لزجر ابن الخطاب!!

ونعود لمحاكمة الحديث فنقول: إذا كان أبو بكر يعتقد بنبوة النبي ﷺ وأنه هو المبلِّغ عن الله تعالى وهو العالم بأحكام شريعته والشرائع السابقة، فكيف يصح في مذهب العميان هذا التجاسر على سيد الخلق ﷺ؟

ولماذا يكون أبو بكر أذكر من النبي ﷺ بالحق وبأحكامه؟

ولماذا يكون أفطن وأبعد عن الغفلة والنسيان منه؟

ولماذا هذا الحرص من السيدة عائشة على إظهار نبينا ﷺ بالنحو الذي تُصوِّره لنا؟

وأظن أنَّ هذا التحريف تعمدوه على لسان عائشة، فكيف يراد منا أن نُصدِّقهم في ادعائهم حبَّ النبي ﷺ وهم يقدحون في زوجته؟

أللهم إلا إذا كنتَ ممن يجزم بعدم احتمال تواطئهم في التكذيب على لسان السيدة عائشة!!



الطائفة التاسعة

حديث السيدة عائشة
في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يجهل
بما لا يجهله أحد من أبناء عصره

أخرج ابن حنبل، ومسلم، وابن ماجة، وأبو يعلى بإسنادهم عن عائشة - واللفظ لابن حنبل وقد رواه عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - أن النبي صلى الله عليه وآله سمع أصواتاً، فقال: ما هذه الأصوات؟ قالوا: النخل يؤبرونه يا رسول الله، فقال: لو لم يفعلوا لصلح، فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصاً، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله، فقال: إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإذا كان شيئاً من أمر دينكم فإلي[1].

أقول: وقد روى الحديث ابن سلمة، عن ثابت، عن أنس، ولا يعني ذلك عدم ورود الإشكال على أنس أيضاً، ولكن كلامنا فيما روته السيدة عائشة، بغض النظر عن مشاركة أحد لها في بعض ما روته، ونحن في مقام التعرف على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحسب ما روته لنا عائشة، فإن كان فيما روته قد شاركها في بعضه غيرها، وكان مشتملاً على باطل، فإن الاشكال وارد أولاً على رواة ورجال حديثه، اللهم إلا إذا كان الشخص متَّهماً فيتوجَّه الإشكال عليه.

ومهما يكن فمضافاً إلى رواية مسلم للحديث في صحيحه، فنحن نُبيِّن وثاقة رجال إسناد ابن حنبل للحديث[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٢٣؛ صحيح مسلم ج٧ ص٩٥؛ سنن ابن ماجة ج٢ ح٢٤٧١ ص٨٢٥؛ مسند أبي يعلى ج٦ ح٣٤٨٠ ص١٩٨.

(٢) أما حماد بن سلمة فقد تقدم بيان حاله في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية، وهشام وأبوه عروة بن الزبير في حاشية الحديث الأول من أخبار الطائفة الأولى، وقد قال المزي: حماد بن سلمة، روى عن هشام بن عروة، روى عنه عفان بن مسلم. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٤٨٢ ص٢٥٣ - ٢٥٨).

أقول: قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[١]، وهذه الآية من سورة الإسراء مكية بالاتفاق[٢].

وقال سبحانه في سورة النجم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[٣]، وسورة النجم مكية بالاتفاق، وبحسب تعبير ابن الجوزي: مكية بإجماعهم، وبتعبير الثعالبي: مكية بإجماع[٤].

أقول: بقطع النظر عن أن الحكم على شيء من دون برهان هو تعدٍّ وظلْمٌ بحكم العقل، وأن اتِّباع الظن قبيح بحكم العقل أيضاً لأنه يحتمل الخلاف

---

١ ـ **عفان بن مسلم** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٠٠ و١٠٩ وج٣ ص١٠٢ و٢٠٠ وج٦ ص٥٤؛ صحيح مسلم ج١ ص١٣ و١٧ و١٨ و٢٠ و٣٣ و٥٨ و٩١ و١١١ و١١٩).

قال المزي: عفان بن مسلم، روى عن حماد بن سلمة، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٣٩٦٤ ص١٦٠ ـ ١٦٢).

وثقه ابن معين، ابن سعد، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، وابن خراش، وابن قانع، وغيرهم. وقال ابن عدي: عفان أشهر وأصدق وأوثق من أن يقال فيه شيء. وقال أبو حاتم: عفان إمام، ثقة، متقن، متين. وقال الذهبي: ما فوق عفان أحد في الثقة. وقال يحيى القطان: إذا وافقني عفان فلا أبالي من خالفني. وقال ابن معين: ما اخطأ عفان قط إلا مرة أنا لقنته إياه فاستغفر الله. (الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١٦٥ ص٣٠؛ تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٣٩٦٤ ص١٦٠ ـ ١٧٤؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٧٨ ص٣٧٩ ـ ٣٨١؛ سير أعلام النبلاء ج١٠ رقم ٦٥ ص٢٤٢ ـ ٢٥٤؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٤٢٤ ص٢٠٥ ـ ٢٠٩).

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٢) جامع البيان ج١٥ ص٣؛ زاد المسير ج٥ ص٣؛ معاني القرآن ج٤ ص١١٧؛ تفسير القرطبي ج١٠ ص٢٠٣؛ الدر المنثور ج٤ ص١٣٦؛ فتح القدير ج٣ ص٢٠٥.

(٣) سورة النجم الآية ٢٨.

(٤) جامع البيان ج٢٧ ص٥٤؛ زاد المسير ج٧ ص٢٢٦؛ تفسير القرطبي ج١٧ ص٨١؛ الدر المنثور ج٦ ص١٢١؛ تفسير الثعالبي ج٥ ص٣٢١.

وعدم الإصابة، والمفروض أنه لا دليل على جواز اتباع هذا النحو من الظن أو ذاك، فهذا هو الرسول الأكرم ﷺ يستنكر على الكافرين والظالمين ويتوعدهم على اتباعهم الظن بما بلَّغه عن المولى جلَّت كلمته.

وها هو المولى تعالى قد نهى عن اتباع ما لا يملك الإنسان فيه سلطاناً من العلم، ولا شبهة أن الحكم أو التكلم بشيء لا يملك الإنسان فيه أثارةً من علْم هو اتباع منه لِمَا لا علْم له به.

والنبي الأكرم ﷺ هو أولى الناس باتباع هدي القرآن، لذا فلا مجال للاعتقاد بأنه ﷺ يقدم على شيء لا يملك فيه علماً.

ونحن بغض النظر عما نعتقده بالنبي ﷺ، غير أنه كمرشد وهادٍ ومعلِّم ومربٍّ، لا يصح منه أنْ يُخالِف ما يصدع به، ولا يصح منه أنْ يفعل ما يزجر الناس عنه، أو أنْ يترك ما يأمر الناس بفعله، وقد قال الله تعالى ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[1].

اتِّباعُ النبي ﷺ واجبٌ:

وقد سمعنا الله تعالى يقول في محكم كتابه ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[2]، والغريب أنَّ هذه الآية لم تُخصِّص ولم تقيِّد وجوب الاتِّباع للرسول الأكرم ﷺ في بعض الشؤون، بل صريح الآية دال على وجوب اتباعه في جميع ما يأمر به وما ينهى عنه، سواء في ذلك ما كان

(١) سورة الصف الآية ٣.

(٢) سورة الحشر الآية ٧.

من شؤون الدنيا، أم كان من أمور الآخرة.

على أنه ﷺ هو أكمل الخلق، وأفضلهم، وأعلمهم، وأوثقهم، وأعدلهم، وأقربهم إلى الحق، بل هو الحق ظاهراً وباطناً، وعلى الحق في جميع أحواله وسائر تقلباته، لذا فلا محالة أن يكون الخلق تابعين له في كل ما يأمر به ويُرشد إليه، ولو كان من شؤون الدنيا.

ولا يستريب مؤمن بالقرآن وبنبوة سيدنا محمد ﷺ أنه على الحق في جميع ما ينطق به، وأنه حق في كل شأن وكل تقلُّب من شؤونه وتقلباته، فإنه المعصوم المأمون من الباطل ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً، ولا شبهة أن كل ما لا يوافق الحق والواقع والحكمة هو من الأمر الباطل، والنبي الأكرم ﷺ معصومٌ منزَّهٌ عنه قطعاً وجزماً.

فسواء دل الدليل الخاص على وجوب اتباعه في جميع ما يأمر به أو يرشد إليه ولو تعلق بأمر دنيوي، أم لم يدل دليل خاص على ذلك، فإنه ﷺ حيث لا يمكن أن يكون على باطل في أي أمر من الأمور، لذا فإن جميع ما يصدر عنه هو حق موافق للحكمة، وإلا لخرج سيدنا محمد ﷺ عن كونه أفضل الخلق من جميع الجهات، وللزم أن يكون على باطل ـ والعياذ بالله تعالى ـ في بعض الأمور، وهذا مما لا يمكن أن يلتزم به مؤمن بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولا يمكن أن يلتزم به مَن يعتقد بأنه على الحق ومع الحق وفي الحق.

على أنه ﷺ من حيث كونه أعدل الخلق، وأورعهم، وأحكمهم، وأفضلهم، لا يمكن أن نتصور فيه أن يصدر عنه باطل في أي شأن من الشؤون، فحاشا سيدنا محمد ﷺ أن يتكلم أو يتفوَّه بما ليس له به علْم، بقطع النظر

عن كونه عالماً بحق وبالحق وعن الحق تعالى بجميع ما يمكن أن يحيط به أحد من المخلوقين بما يشمل علْم الغيب.

وهو صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه أبرز من ارتضاهم الله تعالى، وقد قال جلت كلمته ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾[1].

ولسنا هنا في مقام إبراز الأدلة العقلية والنقلية القطعية على ما نعتقده في سيدنا محمد صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه مما أشرنا إليه، بل يكفينا أن سيدنا محمد صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه هو عند جميع المسلمين ممَّن لا يتلبس بالباطل قطعاً، واتباع ما لم يُحِط به الشخص علْماً هو من جملة الأمور الباطلة القبيحة عقلاً، المرجوحة شرعاً، وسيدنا رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه هو أولى الخلق باجتناب القبيح والمرجوح، ولا تدعوه ضرورة إلى اتباع الجهل أو الظن، بقطع النظر عن أن هذا مفسدٌ لنبوته، قادحٌ بمقامه.

ولا يسعنا هنا أن نطيل الكلام في هذا الأمر، ونحن نناقش أحاديث السيدة عائشة بأبسط ما يكون، وبما لا يختلف عليه اثنان، وبما يُدرِكه جميع الخلق من الإنس والجان.

وعلى أقل التقادير، فإنَّ اتِّباع غير العلم، وإنَّ اتباع الظن منهيٌّ عنه في كتاب الله تعالى وعلى لسان النبي الأكرم صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، ولا نظن بأحد يؤمن بنبوة النبي الأكرم صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه أن يعاند الله تعالى، فيدعي أن سيد الخلق صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه لم يكن ينتهي عما ينهى الله تعالى عنه وعما ينهى هو نفسه صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عنه أيضاً.

وعليه، فجميع ما يصدر عن النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه لا بدَّ وأن يكون حقاً، ولا شبهة أن اتباع الحق هو المتعين، فمخالفة النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه على جميع التقادير تدخل في

---

(١) سورة الجن الآية ٢٦ ـ ٢٧.

دائرة الباطل.

نعم لو احتملنا في النبي الأكرم ﷺ أن يصدر عنه خلاف الحق أو أن يتَّبع غير العلم، لأمكن أن نخص وجوب اتِّباعه في خصوص ما يتعلق بالدين والآخرة، ولأمكن أن نفترض أنه ﷺ يمكن أن لا يصيب الواقع والحق والحكمة.

وبما أن هذا الاحتمال باطل، لأن اتباع غير العلم من الباطل والشيطان، ورسول الله ﷺ معصوم عن الباطل مأمون من الشيطان، لذا فإنه لا مجال للتفكيك بين ما يتعلق بأمور الدين والآخرة، وبين ما يتعلق بأمور الدنيا، بأنه يجب اتباعه في خصوص الشق الأول دون ما يخص الشق الثاني.

ولو سلمنا جدلاً بأن وجوب اتباعه مخصوص بما يتعلق بأمور الدين والآخرة، غير أن هذا لا يقودنا إلى التسليم بأنه يمكن أن يكون على خلاف الحق في بعض شؤون الدنيا.

إذ لا يخلو الحال فيه ﷺ إما أنه يعلم الحق في ذلك أو لا يعلم.

فإن كان يعلم فلا يمكن أن يخالفه، وإن كان لا يعلم فلا يمكن أن يقربه، فعلى كل تقدير لا يكون على باطل في أي شأن دنيوي.

وقد أشرنا إلى أنه لا يحتمل هذا المختصر إلا الإشارة إلى بعض الأدلة أو المطالب بنحو مختصر جداً، وإلا فإن الأدلة على ما نعتقده بالنبي الأكرم ﷺ وهو الحق كثيرة جداً.

وما ذكرناه يفي بوقوف كل ناظر في كلامنا على فساد ما اشتمل عليه ذيل حديث السيدة عائشة، حيث ذكرت عائشة أن النبي ﷺ قال: «إذا كان شيئاً

من أمْر دنياكم فشأنكم به».

ولا يمكن لنا أن نغض الطرف هنا عن أن هذه الجملة القادحة بنبينا ﷺ هي من الأمر الباطل قطعاً بحسب ما قدمناه، ولا يحسن منا أن نسكت عنها بأي حال، بل نجزم بأن هذا افتراء وبهتان على النبي الأكرم ﷺ، حتى لو سلمنا جدلاً بأنه لا يجب اتباعه في أمور الدنيا، فإنها جاءت في سياق كون الرسول الأكرم ﷺ قد خالف مضمون آية ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

وبالبيان المختصر الذي قدمناه تقف على أنه هناك أيدٍ مشبوهة اخترعت هذا الحديث زوراً وبهتاناً، لا لشيء إلا للإساءة إلى مقام سيد الخلق سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

ولكن الله تعالى قد وعد بأن يتم نوره، ولو كره المشركون.

وإتمام النور في كل شأن له نكهته الخاصة، وقد تلطف سبحانه بأن أعمى قلوب الوضّاعين المفترين على حبيبه ﷺ، فلم يتفطنوا إلى أن هذا الحديث لا يصح مضمونه حتى عند الظالمين لأنفسهم، وحتى عند المنكرين باطناً نبوة سيدنا محمد ﷺ.

فأراد المفترون أن يقدحوا في مقام سيد الخلق، وهنا أبى الله تعالى إلا أن يقف كل شخص على فساد وبطلان افترائهم، بحيث لا يحتاج أدنى الناس إلى أي نحو من أنحاء إعمال الفكر لكشف زيغهم وافترائهم، وبالتالي فما أرادوه قد أراد الله تعالى غيره، فكان ما أراد الله تعالى وهو الغالب على أمره.

ولا أدري من هو المؤاخذ هنا، هل هي السيدة عائشة، أو هو عروة بن الزبير، أو ابنه هشام، أو حماد بن سلمة، أو عفان بن مسلم؟

فالنبي صلى الله عليه وآله من أبناء الجزيرة العربية، من أبناء مكة المكرمة مجمع الأمم، وقد بعثه الله تعالى بالنبوة بعد أن بلغ الأربعين من عمره الشريف ومكث في مكة ثلاث عشرة سنة، وحديث تأبير النخل وارد في المدينة المنورة، فهل يمكن لشخص بغض النظر عن كونه سيد الخلق، وأعلم الخلق، وسيد الأنبياء والمرسلين، أن يجهل بما يعرفه جميع أبناء عصره حتى الصبيان والذين لم يبلغوا الحلم؟!!

وهل كان سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله من السذاجة والبساطة حتى يكون بنظر الثلة المشار إليهم جاهلاً بأن النخل لا يصلح إلا بالتأبير؟!

وليت شعري، هل أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان بنظرهم ابن المريخ، وقد هبط إلى الأرض لتوّه؟!!

ثم كيف تريد منا الثلة المتقدمة أن نُصدِّق بأن أهل المدينة الذين توارثوا هذه المعرفة عبر الآف السنين أن يجهلوا بما خبروه وعرفوه عبر تلك الحقبة المديدة؟!

ولسانُ الذين يتحدثون عنه وهو رسول الله صلى الله عليه وآله بحسب زعمهم لسانٌ مخبِرٌ عن أمْر تكويني، لا أنه لسان مخبِرٌ عن إعجاز إلهي، فكيف اجتمع أهل المدينةعلى متابعة ذلك الشخص؟!

ولا يسعنا هنا إلا أن نُسجِّل إعجابنا بإيمان السيدة عائشة وإيمان أهل المدينة بنبيٍّ يجهل بأبسط الأمور التي أحاطت به عشرات السنين.

قاتل الله الإفك، بل شكراً لله تعالى الذي أعمى قلوبهم عن أن يتفطنوا إلى وضوح بطلان ما افتروه واخترعوه زوراً وبهتاناً، وعلى مَن، على سيد الخلق،

ولا أدري ما هو الأجر الذي يبتغيه من أودع هذا الحديث في صحيحه؟

ولا نلوم غير أصحاب الصحاح من أصحاب الكتب هنا، فإنهم وحدهم من التزم بإيراد خصوص الصحيح من الأحاديث.

ولا أدري كيف صح الحديث عند صاحب صحيح مسلم؟

وهل الحديث الصحيح عنده وعند أمثاله هو ما رواه الثقات، وإن كان مضمونه ينهض بعضه بإبطال بعضه الآخر؟

وهل الحديث الصحيح عندهم هو مطلق ما صح عن الثقات، ولو كان حديثاً قادحاً بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وفيه افتراء صريح واضح عليه؟

ولا أدري، هل يبقى الراوي لهذا الحديث ثقة أميناً؟!!!

ثم إننا نتنازل عن جميع ما ذكرناه، ولكن هل يمكن لمؤمن بالله تعالى وبمحمد بن عبد الله ﷺ على أنه رسول الله، أن يعتقد بالنبي الأكرم ﷺ أنه يتَّبع حتى في المدينة المنورة وبعد ما يزيد عن ثلاث عشرة سنة من بعثته ما ليس له به علْم؟!

فلو فرضنا أن النبي ﷺ كان لا يعلم بشرط التأبير، ولكن هل عند السيدة عائشة أن سيد الخلق ﷺ كان ممَّن يخالف كتاب ربه عامداً، وقد نهى الله تعالى عن اتِّباع غير العلم؟!

وهل عند السيدة عائشة أن سيدنا محمد ﷺ كان يتقوَّل باطلاً؟!

ثم إذا كان الرسول الأكرم ﷺ غير خبير بالنخيل عند السيدة عائشة، فهل أنه لم يكن مطيعاً لأوامر ربه أيضاً؟!

ولا أظنك تجيبنا فتقول بأن السيدة عائشة ترى أن النبي ﷺ كان

يجهل بالآية أو أنه نسيها، فإن هذا مما لا يلتزم به حتى أبناء المشكِّكين.

السيدة عائشة أمام أحد أمرين:

وأخيراً: فإن السيدة عائشة إما أن تلتزم بأن النبي الأعظم ﷺ كان يعلم بضرورة التأبير، أو أنه كان يجهل بذلك.

فإن كان يجهل، فكيف صح عندها نبوة مَن يخالف كتاب ربه، وقد نهى الله تعالى عن اتباع غير العلم؟!

فإن قلتَ: لعل السيدة عائشة ترى أن النبي جهل الآية أو نسيها.

قلتُ: أولاً: قد أجبنا عن هذا المعنى عند استعراض أخبار الطائفة الثانية.

ثانياً: إن الأمر لا يختص بكونه أمراً إلهياً، فإن اتِّباع الظن واتباع ما لا يملك الإنسان فيه علماً، شيء مذموم عقلاً وعرفاً.

ثالثاً: إن الحكم على شيء من دون علم من أظهر مصاديق الباطل، وهل عند السيدة عائشة أن النبي ﷺ كان يجهل بهذا أيضاً؟!

رابعاً: كيف صحت نبوة سيدنا محمد ﷺ المخالف لكتاب ربه جهلاً، أو سهواً ونسياناً عند السيدة عائشة!

خامساً: هل أن سهو النبي ﷺ ونسيانه وجهْله يقف عند هذا الحد، أم أنه يمكن أن يتعدّى غير هذا المورد؟

وأما إذا كانت عائشة تعتقد بأن النبي ﷺ يعلم بضرورة التأبير، فنسألها كيف يصح عندها أن يدّعي لأهل المدينة زوراً وبهتاناً أنه لا حاجة للتأبير؟!

ولا أظن أن السيدة عائشة تعتقد بأن النبي ﷺ خالف عمداً.

فإن قلتَ: لِمَا لا يكون النبي صلى الله عليه وآله قد أخطأ هنا سهواً ونسياناً.

فنجيب: بغض النظر عن أن احتمال الخطأ سهواً ونسياناً في النبي مبطِلٌ لنبوته، فإن خطأه في الأمور الدنيوية يتوقف على وجود مبرِّر معقول عندهم.

أعني أن القائلين بجواز الخطأ على النبي صلى الله عليه وآله في الأمور الدنيوية، لا يمكن أن يلتزموا بإمكان خطئه فيما لا يمكن أن يخطيء فيه أدنى الناس.

وهل يصح عندك أن تخطيء أنت، فبدلاً من أن تشرب الماء الفرات لتروي عطشك، تشرب الماء المالح الأجاج ظناً منك وجهلاً أن الماء المالح يروي؟

وهل ترى أنك تخطيء سهواً ونسياناً، فبدلاً من أن تنزل عن سطح عالٍ متوسِّلاً بالسلم، فتبادر بالنزول عن السقف من دون واسطة؟

وهل ترى نفسك عندما ترى أحداً يبذر بذوراً في الأرض تخطيء سهواً ونسياناً قائلاً له، ما لك وللبذار، دع الأرض وحدها فهي التي تبذر وتحرث؟!!

وهل ترى أن عاقلاً يقول لصائد الغزال لا تركض وراءه، فإن الغزال الذي تريد أن تصيده يأتي إليك وحده ومن نفسه؟

ولو أردنا أن نسوق نماذج من أمثال هذه الأمور لطال بنا المقام.

فلماذا تريد منا السيدة عائشة أن نُصدِّق بأن سيد الخلق صلى الله عليه وآله كان يجهل بضرورة التأبير، أو أنه أخطأ سهواً أو عمداً في ذلك، أو أنه خالف كتاب ربه سهواً ونسياناً؟!!

لقد كان عليهم أن يخترعوا قضية وحادثة غير حادثة التأبير، ليتمكنوا من تمرير القضية التي نسبوها ظلماً وبهتاناً إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأنه قال: «إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به».

لماذا هذا البهتان على زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وكيف يمكن اجتماع ثلة من أعيان ثقات محبيها وأبنائها في التزوير على لسانها، وهم يعتقدون فيها ما لا يعتقدونه في أحد، من الفضل والكمال؟

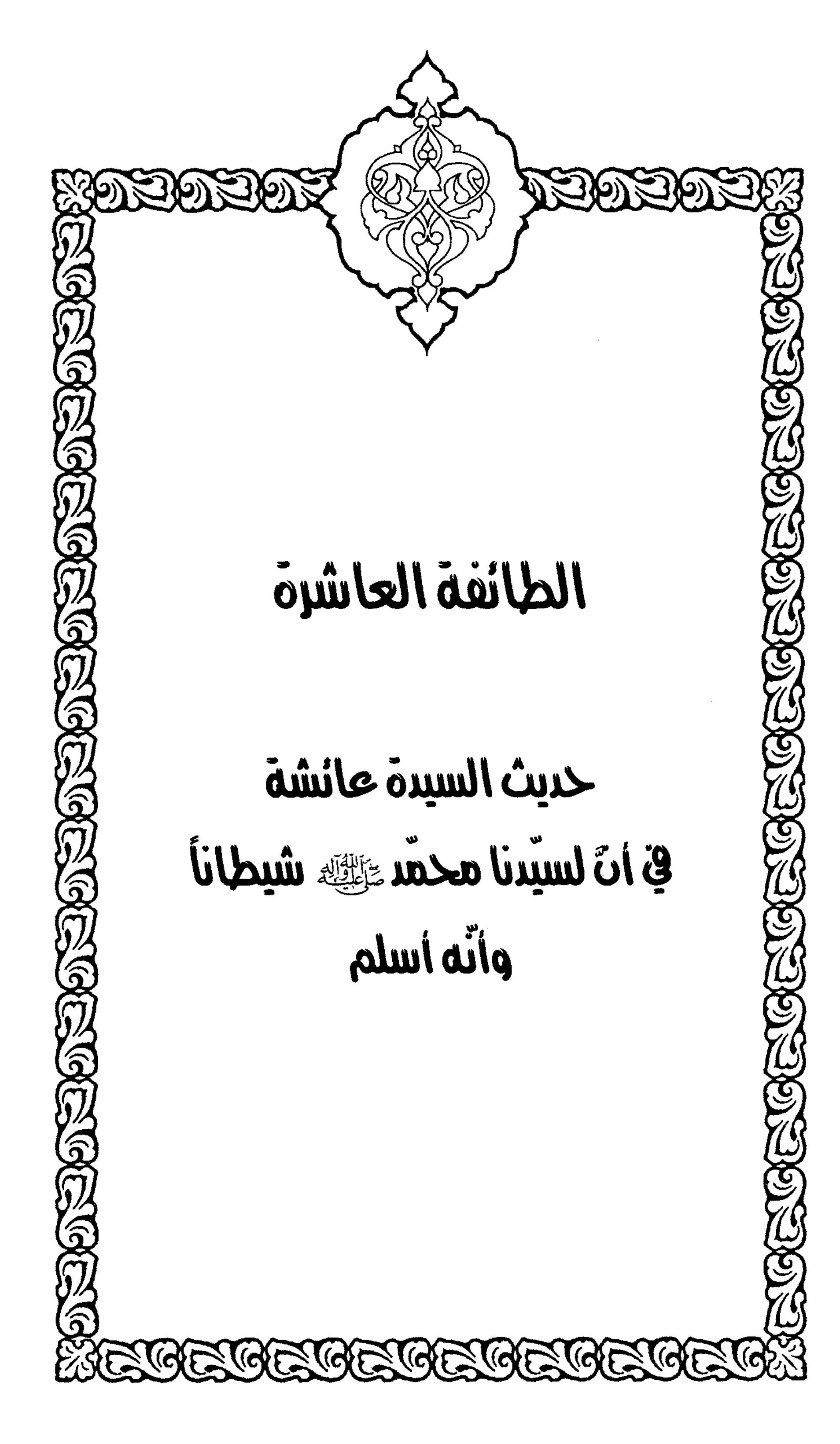
فغدا الحديث الذي يُصوِّر لنا سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله على أنه شخص يجهل بما لا يجهل به أدنى الناس من أبناء عصره، دليلاً قطعياً عندهم على كماله وفضله.

وغدا الحديث الصريح في مخالفة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله لتعاليم ربه، وهدي قرآنه، دالاً عندهم على كونه نبياً معصوماً، ورسولاً رحيماً.

وفي نهاية المطاف، كأن السيدة عائشة نسيت أن تذكر أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن لأهل المدينة ما تلف من ثمار نخيلهم، أللهم إلا إذا كان أهل المدينة قد سامحوا في مالهم، وكأن الله تعالى قد هدى جميع أهل المدينة فسامحوه، لذا لم تذكر عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله ضمن ما خسروه، بعد أن أخبرهم بما أخبرهم به، وتلف بسبب ذلك نخيلهم.

الأمر الثاني: نسيت السيدة عائشة أن تذكر لنا أنه بعد أن أخطأ النبي صلى الله عليه وآله في ما لا يمكن أن يُخطىء فيه أدنى الخلق وأقلهم معرفةً، سارع الناس من كل حدب وصوب إلى الدخول في دين الله أفواجاً، حيث كان لمثل هذا الخطأ الذي لا يُغتفَر أثرٌ عظيمٌ في تحقُّق التصديق من الناس بأنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وآله هو نبيٌّ ورسولٌ من عند الله تعالى، ومسدَّدٌ بالوحي المعصوم الحق.



الطائفة العاشرة

حديث السيدة عائشة
في أنّ لسيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله شيطاناً
وأنّه أسلم

الحديث الأول: أخرج ابن حنبل، ومسلم، والحاكم، والطبراني وغيرهم بإسنادهم عن عائشة ـ واللفظ لصحيح مسلم ـ أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ:أقد جاءك شيطانك! قلت: يارسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم.

وفي المستدرك، ومعجم الطبراني، وسنن البيهقي، وصحيح ابن خزيمة، فقلت: أما لك شيطان؟

وفي صحيح ابن حبان، فقلت: ما لي من شيطان[1].

الحديث الثاني: أخرج النسائي في سننه قال: أخبرنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن يحيى هو ابن سعيد الأنصاري، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، أن عائشة قالت: إلتمستُ رسول الله ﷺ فأدخلت يدي في شعره، فقال: قد جاءك شيطانك، فقلت: أما لك شيطان! فقال: بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١١٥ ؛ صحيح مسلم ج٨ ص١٣٩ ؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٢٢٨ ؛ المعجم الأوسط ج١ ص٧٠ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١١٦ ؛ صحيح ابن خزيمة ج١ ص٣٢٨ ؛ صحيح ابن حبان ج٥ ص٢٦٠.

(٢) سنن النسائي ج٧ ص٧٢ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ رقم٨٩٠٨ ص٢٨٧.

أقول: الحديث الأول قد رواه مسلم في صحيحه، والحديث الثاني مضافاً إلى رواية النسائي له في سننه، وكتابه من جملة صحاح العامة، فنحن نُبيِّن وثاقة رجال سند الحديث[1].

---

(١) ١ ـ **قتيبة بن سعيد**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص١٢ و١٨ و٢٢ و٣٤ و٤٢ و٥٢ و٦٣ و٧٥؛ صحيح مسلم ج١ ص٣١ و٣٨ و٤٢ و٤٧ و٥٣ و٥٥ و٦٠).

قال المزي: قتيبة بن سعيد، روى عن الليث ابن سعد، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجة، ويقصد من الجماعة أصحاب الصحاح ومنهم النسائي. (تهذيب الكمال ج٢٣ رقم٤٨٥٢ ص ٥٢٣ ـ ٥٢٧).

وثقه يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وأحمد بن أبي خيثمة، والحاكم، وغيرهم. وقال الفرهياني: قتيبة صدوق، ليس أحد من الكبار إلا وقد حمل عنه بالعراق. (الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم٧٨٤ ص١٤٠؛ الثقات ج٩ ص٢٠؛ تاريخ بغداد ج١٢ رقم٦٩٤٢ ص٤٦٠ ـ ٤٦٥؛ تهذيب الكمال ج٢٣ ص ٥٢٣ ـ ٥٣٦؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٤٥٣ ص٤٤٦ـ ٤٤٧؛ تهذيب التهذيب ج٨ رقم٦٤١ ص ٣٢١ ـ ٣٢٣).

٢ ـ **ليث بن سعد** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٢ و٤٢ و٧٥ و٩٦ و١٢٠ و١٣٧ و١٧٩ و١٨٣؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٨ و٤٣ و٦٤ و٦٦ و٩٢ و٩٤).

قال المزي: ليث بن سعد روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري، روى عنه قتيبة بن سعيد البلخي. (تهذيب الكمال ج٢٤ رقم٥٠١٦ ص ٢٥٥ ـ ٢٦٠)

وثقه ابن سعد أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والعجلي، والنسائي، ويعقوب بن شيبة، وغيرهم. وقال أحمد بن صالح الليث بن سعد: إمام قد أوجب الله علينا حقه. وقال ابن حبان في المشاهير: وكان أحد الأئمة في الدنيا فقهاً، وورعاً، وفضلاً، وعلماً. وقال أبو يعلى الخليلي: كان إمام وقته بلا مدافعة. وقال الذهبي: مناقب الليث عديدة، وهو إمام حجة. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١٧؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١٠١٥ ص١٧٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٥٣٦ ص٣٠٣؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١١٨٨ ص١٩٦؛ تاريخ بغداد ج١٣ رقم٦٩٦٦ ص٤ ـ ١٤؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢١٠ ص٢٢٤ ـ ٢٢٦؛ تهذيب الكمال ج٢٤ ص٢٥٥ ـ ٢٧٧؛ تهذيب التهذيب ج٨ رقم٨٣٤ ص٤١٢ ـ ٤١٦).

٣ ـ **يحيى بن سعيد الأنصاري**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٢ و١٥ و٥٣ و٥٨ و١٧٨ وج٤ ص١١ وج٥ ص٥٢ وج٦ ص١٧٧؛ صحيح مسلم ج١ ص١٦٣ وج٢ ص٦٢ و١١٩ و١٦٠ وج٣ ص٣)

قال المزي: يحيى بن سعيد، روى عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، روى عنه الليث بن سعد. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٣٦ ص ٣٤٦ ـ ٣٥٠).

تبدُّلُ حقائق الأشياء:

أقول: إنَّ الشيطان يُمثِّل الباطل في كل ما تعنيه الكلمة من معنى، والباطل لا محالة لا ينقلب إلى حق، فإنَّ الباطل نقيضُ الحق، والشيء لا يمكن أن ينقلب في حقيقته إلى نقيضه أي إلى حقيقة أخرى مغايرة له في الكنه والذات، والمضمون والآثار.

والشيطان الذي يتجسَّد فيه غير الحق، لا محل له في النفس التي لا مكان لها لغير الحق البتة.

وسيدنا محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو مظهَر الحق ظاهراً وباطناً، فلا باطل عنده، ولا مطمع للباطل فيه، فلا معنى أن يكون له شيطان، أي أن يكون له قرين من الباطل.

وثقه ابن معين، واحمد بن حنبل، والعجلي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، والنسائي، وغيرهم. وقال أحمد بن حنبل: يحيى بن سعيد الأنصاري أثبت الناس. وقال علي بن المديني: أصحاب صحة الحديث وثقاته ومَن ليس في النفس من حديثهم شيء: أيوب بالبصرة، ومنصور بالكوفة، ويحيى بن سعيد بالمدينة، و..(معرفة الثقات ج٢ رقم١٩٧٧ ص٣٥٢ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم ٦٢٠ ص١٤٧ ـ ١٤٩ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٥٨١ ص ١٣٠ ؛ الثقات ج٥ ص ٥٢١ ؛ تاريخ بغداد ج ١٤ رقم٧٤٤٦ ص١٠٦ ـ ١١٠ ؛ تهذيب الكمال ج ٣١ رقم٦٨٣٦ ص١٤٦ ـ ٣٥٨ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم ١٢٠ ص١٣٧ ـ ١٣٩ ؛ تهذيب التهذيب ج ١١ رقم٣٦١ ص١٩٤ ـ ١٩٦).

٤ ـ **عبادة بن الوليد** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٨ ص١٢٢ ؛ صحيح مسلم ج٦ ص١٦ وج٨ ص٣٢).

قال المزي: عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، روى عن عائشة، روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري. (تهذيب الكمال ج١٤ رقم٣١١١ ص١٩٨ـ ١٩٩).

وثقه أبو زرعة، والنسائي، والذهبي، وابن حجر، وصحَّح حديثه الحاكم في المستدرك، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: مدني، حُجة. (الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم٤٩٦ ص٩٦ ؛ التعديل والتجريح ج٣ رقم١٠١٩ ص ١٠٥١ ؛ الثقات ج٥ ص ١٤٤ ؛ تهذيب الكمال ج ١٤ ص١٩٨ـ ١٩٩ ؛ سير أعلام النبلاء ج٥ رقم٤٢ ص ١٠٧ ؛ من له.رواية في كتب الستة ج١ رقم٢٥٨٨ ص٥٣٤ ؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم١٩٤ ص١٠٠ ؛ تقريب التهذيب ج١ ص٤٧١ ؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٢٥٤ وج٣ ص٣٥٥).

الشيطانُ قرينُ الفاسق الجاحد:

نعم ورد في كتاب الله تعالى أنَّ قرينَ الباطل هو قرينٌ للذي يُعرض عن ذكْر ربه، ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[1]، فإن المعرِض عن ذكر ربه قد أظلم قلبُهُ، وفرغ المحل لقرين الباطل فيه، لذا يجد له مكاناً آمناً، فيعشعش فيه، أللهم إلا إذا رجع الإنسان إلى رشده، وجاهد في سبيل ربه، فإنه في هذه الحالة تضيق على القرين الباطل المضائق، إلى أن يرقى إلى مرتبة عالية من التقوى والورع، فإن الشيطان قد ييأس من مقاربته وإنْ يبقى للشيطان أمْلٌ ورجاء فيه، ولكن لا بنحو ما هو أمله ورجاؤه في غيره.

فالشيطان يبحث عن محل له ومكان يمكث فيه للوسوسة والإغواء، والنفس إذا ما كانت مخلِصة تمام الإخلاص لله تعالى، فلا فسحة للشيطان فيها، ولا ثغرة ينفذ من خلالها إلى قلب ذاك الشخص الطاهر النقي.

وهذا المعنى هو ما أشار إليه المولى سبحانه في محكم كتابه، فقد اعترف ابليس اللعين أنه لا يتعرض للمخلصين من عباد الله تعالى، فإن تعرُّضه لهم لا يُرتجى منه أثر، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

وسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ هو المعصوم، الآمن، الكامل، فما معنى أن يكون له شيطان؟

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٦.

(٢) سورة الحجر الآية ٣٩ ـ ٤٠.

وجودُ الشيطان في النفس أمْرٌ عارضٌ:

لا يخفى أنَّ آية ﴿وَمَنْ يَعْشُ..﴾ صريحةٌ في أنَّ الشيطان لا يكون قريناً إلا بعد أنْ يتعامى الإنسان عن ذكْر ربه، وإلا بعد أن يُعرِض عن ذكْره، وهذا يعني أنَّ الشيطان كقرين أمْرٌ عارضٌ نتيجةَ الابتعاد عن الحق والتعامي والغفلة عنه.

فالإنسان لو لم يقرب من الشيطان بالتعدي على حدود الله تعالى، ولو أن الإنسان لم يرد الاقتراب من الشيطان ومواقع تسويلاته، لَمَا كان للشيطان وجود في ساحته، وإنما الشيطان يتْبَعُ في وجوده إرادةَ الإنسان للشر والباطل.

قال سبحانه في محكم كتابه مخاطباً إبليس اللعين ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

وهذه الآية صريحة أيضاً في أنَّ الشيطان تابعٌ في وجوده في الإنسان ومعه إلى اختيار الإنسان نفسه، فإن اختار الإنسان اتِّباع الشيطان فهو مستعدٌ للغواية والإضلال، وإلا فإن لم يرد ولم يختر ذلك، فإن الشيطان ممنوع عنه، والإنسان آمن منه، وإنْ يبقى للشيطان فيه مطمَع.

على أن الشيطان نفسه قد أقرَّ للمولى تعالى واعترف أنه لا يقرب عباد الله المخلَصين ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

فهل لم يكن سيدنا محمد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بنظر السيدة عائشة من عباد الله المخلَصين، ولا من عباده المخلصين؟!

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٢.

(٢) سورة ص الآية ٨٢ ـ ٨٣.

ويتلخص مما أشرنا إليه، أن دعوى وجود شيطان خاص مع كل إنسان دعوى قد أبطلها صريح كتاب الله تعالى.

نعم، لا شبهة أنَّ الشيطان موجودٌ في مواقع المعصية، بمعنى أنَّ الإنسانَ حالَ كونه عاصياً فإنَّ الشيطان يكون له قريناً وصاحباً، ولا مجال لافتراض تحقُّق الابتعاد عن الشيطان من الإنسان العاصي حال كونه عاصياً، فإنَّ التمرُّد على المولى تعالى وعصيانه ليس إلا أثراً من آثار اتِّباع الشيطان في غوايته وإضلاله.

ولا نريد أن نناقش في الموضوع من جهة منافاة الحديث للأصول الاعتقادية، وما ذكرناه كافٍ للتدليل على بطلان وفساد ما نسبوه إلى النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أن لكل إنسان شيطاناً.

وسيدنا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يعرف غير الحق، وما يخالف كتاب الله تعالى هو الباطل، لذا لا يمكن أن يكون للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فهْمٌ أو رؤية مناقضة للقرآن الكريم، بقطع النظر عن أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا رؤية له مستقلة عن جانب الحق تعالى، لذا لا يمكن تصحيح هذا الحديث بأي وجه، فإنَّ مضمونه مخالفٌ لنصٍّ القرآن.

على أنه لا يصح أن نفترض أن الله تعالى قد خصَّ لطفاً منه ورحمة وتكرماً كل إنسان بشيطان خاص، أوْكَلَ إليه شأن إضلال ذاك الشخص وغوايته، فإن هذا المعنى لا يتوافق مع الحكمة الإلهية من جهة، ولا ينسجم مع رحمانيته تعالى ولطفه بعباده من جهة ثانية.

نعم أوجد المولى سبحانه في الإنسان موادَّ وعناصر يمكن أن يُجنِّدها الإنسان للخير والصلاح، ويمكن أنْ يجندها للشر والفساد، فإذا عصى وتمرَّد بسوء اختياره فقد أمكنَ الشيطانَ منه، ولكنه إذا أطاع ونهى النفس عن الهوى

فقد جعل بينه وبين الشيطان موانع وحواجز وعقبات، وكلما قويت واشتدت، ورسخت في العلم الحق والعمل الصالح قدمُهُ، كلما ضعُف الشيطان.

أسئلة لا بد منها:

فلماذا تريد منا عائشة أن نعتقد بوجود شيطان مع النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟

ولكن السيدة عائشة لم تُبيِّن لنا أن شيطان رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ متى رزقه الله تعالى الإسلام؟

وهل كان ذلك بعد البعثة أو قبلها؟

ولم تُبيِّن لنا أن الشيطان الذي أسلم قد أسلم بحيث لا مجال فيه لوقوع الارتداد منه بعد ذلك، وقد أعطى العهود والمواثيق الصادقة!!

ولم تُبيِّن لنا حقيقة ذلك الشيطان الخاص الذي كان قابلاً للإيمان، هل أنه كباقي الشياطين، أو أنه تعالى خصَّ حبيبه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بشيطان أضعف من بقية الشياطين تلطفاً منه وتحنناً بصفيه وخيرته صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ!

ولم تُبيِّن لنا السيدة عائشة أن شيطان رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان مسلَّطاً عليه، أو أنه مجرد صاحب مؤنس له!

وهل أن تسلُّطه قد أفلح مع النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في بعض المواقع، فكان سبباً قوياً في وقوع ما وقع من الرسول الأكرم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وما وقع عليه من باطل، ومن نسيان، ومن سحْر، ومن نوم على جنابة، ومن شتْم وسبٍّ للمسلمين!!

وكأن السيدة عائشة تريد أن تقول بأن الله تعالى الذي كان يسارع في هوى حبيبه، كان يسارع أيضاً في إرضاء الشيطان الذي كان مع سيد الخلق صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

ولست أدري، أي ربٍّ كان رب عائشة الذي تفضل على كل إنسان بشيطان خاص، يجالسه ويؤاكله، وأينما يذهب ويجيء فهو يذهب ويجيء معه!!

ولو سلمنا جدلاً وتنازلنا عن جميع ما تقدم، غير أن الذي لا مجال لغض الطرف عنه، إهمال السيدة عائشة في بيان المدة التي قضاها الشيطان مع رسول الله ﷺ، وإهمال بيان مقدار وكيفية تأثيره وتسلُّطه على النبي الأعظم ﷺ.

ولا يفوتنا التنبيه هنا أن الحديث الذي روته لنا السيدة عائشة قد اشتمل على معان خطيرة جداً، ولا يسعنا إلا الاشارة.

فقول السيدة عائشة: أما لكَ شيطان! وقولها: ما لي من شيطان، يفيدان معاني قد اتضح مما سبق بيانها.

تصديق النبي ﷺ واجب:

ولا مجال لنا في تكذيب رسول الله ﷺ في أن للسيدة عائشة شيطاناً فإنها غير معصومة وغير كاملة، ولكننا مضطرين إلى تكذيب الشق الآخر في الحديث وهو أن للنبي شيطاناً، لمناقضته ومعارضته مع صريح القرآن الكريم، ناهيك عن الأدلة العقلية.

فثبت بحديث عائشة الذي رواه عنها أعلام ثقاتها أنَّ لها شيطاناً، وصريح كلام النبي ﷺ أن شيطان عائشة لم يرزقه الله الإسلام فضلاً عن الإيمان.

واللطيف، ولطف الله في السر، أنَّ هذا الحديث الذي أريد منه الإساءة إلى النبي ﷺ والتشكيك به، غدا دليلاً قاطعاً على أنَّ لعائشة شيطاناً.

والحمد لله وحده، فقد اهتدينا إلى بعض الأسرار الخفية، وأن ما افتُرِيَ على

النبي الأكرم ﷺ مما مر عليك، كان من وسوسة شيطان عائشة.

وهكذا يكون قتيبة بن سعيد، وليث بن سعد، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وغيرهم ممن رووا هذا الحديث، المفترون على سيد الخلق ﷺ، يكونون في الحقيقة مفترين على السيدة عائشة حيث أثبتوا لها شيطاناً خاصاً بها.

إقرارُ النبي ﷺ مُلزِمٌ له وحجةٌ عليه:

ثم إنه قد جرى بناء العقلاء على اعتبار إقرار العاقل على نفسه حجة، وبالتالي فإقرارُ النبي ﷺ على أنَّ له شيطاناً إقرارٌ من عاقل على ما يعلمه من نفسه، وأما دعواه أنَّ شيطانه قد أسلم، فلم يأتِ عليها بدليل وبرهان.

وهنا يأتي دور الظالمين المشكِّكين بمقام سيدنا محمد ﷺ وبنبوته، فهم في مندوحة عن الأخذ بدعواه أنَّ شيطانه أسلم، ولكنه لا مجال لعدم قبول إلزامهم للنبي ﷺ وللسيدة عائشة بأنَّ له شيطاناً.

بمعنى أنه للظالمين أن يُشكِّكوا بمقام وبنبوة النبي ﷺ بما أقرَّ به على نفسه، ولا تملك السيدة عائشة دليلاً ملزِماً لهم بأن يُصدِّقوا قول النبي ﷺ بأن شيطانه أسلم.

فيا ترى، هل أنَّ النبي ﷺ كان ساذجاً إلى هذا الحد، بحيث لم يتفطن حتى إلى إخفاء وجود شيطان معه، وهو يعلم جيداً أنَّ هذا الاعترافَ له لوازمٌ خطيرة جداً؟

أم أنَّ السيدة عائشة كانت حريصةً على أنْ لا يفوت المسلمين شيءٌ مما لا

يعرفه الله تعالى، وتعرفه هي وحدها في النبي صلى الله عليه وآله!!

والعجيب أن النبي صلى الله عليه وآله مضافاً إلى وجود شيطان له، لم يتفطن إلى إخفاء ذلك، لا لشيء وإنما ليتحقَّقَ من السيدة عائشة كمالُ التصديق منها بنبوتهِ وكماله، ورفيعِ شأنه، وعظيمِ محله عند ربه جلت كلمته.

الباعث على التحريف:

والذي نعتقده أن السيدة عائشة أو من وَضَعَ الحديث على لسانها أرادوا دفع الإشكال الوارد على إقرار أبي بكر بأنَّ له شيطاناً يعتريه، ولكنهم غفلوا عن أنَّ شيطان أبي بكر لم يُسلِم كما هو الحال أيضاً في شيطان ابنته عائشة.

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن وهب بن جرير، عن أبيه، سمعت الحسن يقول: لمَّا بويع أبو بكر قام خطيباً، فلا والله ما خطب خطبته أحدٌ بعد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني وُلِّيت هذا الأمر وأنا له كاره، ووالله لوددتُ أنَّ بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إنْ كلفتموني أنْ أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وآله لم أقم به، كان رسول الله صلى الله عليه وآله عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإنْ رأيتموني زغتُ فقوموني، واعلموا أنَّ لي شيطاناً يعتريني[(١)].

أقول: ورجال الحديث من أعيان الثقات عندهم[(٢)].

---

(١) الطبقات الكبرى ج٣ ص٢١٢ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٣٠٣.

(٢) ١ ـ **الحسن البصري**، قال المزي: الحسن بن أبي الحسن، البصري، روى عنه جرير بن حازم. (تهذيب

أقول: الحسن البصري وإن لم يُدرك أبا بكر، غير أنه أدرك المئات من الصحابة، وحديث مثله لا يُعتبر عند أبناء العامة مرسَلاً، فلاحظ المصادر التي ذكرناها في الهامش السابق عند التعرض له.

على أن ما أقرَّ به أبو بكر قد ورد من طرق عدة.

الكمال ج٦ رقم١٢١٦ ص٩٥ ـ ٩٩).

أقول: مضافاً إلى كونه من أهم رجال صحيحي البخاري ومسلم، فإن المدائح الواردة فيه من طرق أبناء العامة، لعله لم ترد في حق النبي الأكرم ﷺ عندهم، وهو عندهم أعظم وأجل من أن يقال فيه ثقة. (الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم١٧٧ ص٤٠ ؛ تهذيب الكمال ج٦ ص٩٥ ـ ١٢٦ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٠٢٢ ص٣٢٢ ؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم٤٨٨ ص ٢٣١ ـ ٢٣٦).

٢ ـ **جرير بن حازم**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٢٠ وج٢ ص١٤٦ و١٧٩ و٢٢٤ وج٤ ص٨٠ و١١٣ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٨٣ وج٤ ص٥ و١٥٦ و٢١٣ وج٥ ص١٩٨).

قال المزي: جرير بن حازم، روى عن الحسن البصري، روى عنه ابنه وهب بن جرير بن حازم. (تهذيب الكمال ج٤ رقم٩١٣ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٧).

وثقه عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني، وابن معين، وابن سعد، والعجلي، وغيرهم. (سؤالات ابن أبي شيبة ص٥٧ ؛ الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٧٨ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٢٢٠ ص٨٨ ؛ تاريخ ابن معين للدوري ج٢ رقم٣٦٠٩ ص١١٥ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم٢١٤ ص٢٦٧ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٢٠٧٩ ص٥٠٤ ـ ٥٠٥ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٢٥٥ ص٢٥٠ ؛ الثقات ج٦ ص١٤٤ ؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١٧٢ ص٥٦ ؛ تهذيب الكمال ج٤ رقم٩١٣ ص ٥٢٤ ـ ٥٣٠ ؛ سير أعلام النبلاء ج٧ رقم٤٣ ص٩٨ ـ ١٠٢ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٧٦٨ ص٢٩١ ؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم١١١ ص٦٠ ـ ٦١).

٣ ـ **وهب بن جرير بن حازم**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٢٠ وج٢ ص١٤٦ و١٧٩ و٢٢٤ وج٤ ص٨٠ و١١٣ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٨٣ وج٤ ص٥ و١٥٦ و٢١٣ وج٥ ص١٩٨).

قال المزي: وهب بن جرير بن حازم، روى عن أبيه جرير بن حازم. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٧٥٣ ص١٢٢).

قال سليمان القزاز: سألت احمد بن حنبل، قلت: أريد البصرة عمن أكتب؟ قال: عن وهب بن جرير.

ووثقه ابن معين، والعجلي، وابن سعد، والنسائي، وغيرهم. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٩٨ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٩٥٣ ص٣٤٤ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١٢٤ ص٢٨ ؛ تهذيب الكمال ج٣١ ص١٢٢ ـ ١٢٤ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣١٨ ص٣٣٦ ـ ٣٣٧ ؛ سير أعلام النبلاء ج٩ رقم١٦٧ ص٤٤٢ ـ ٤٤٤ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٦١٠٥ ص٣٥٦ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٢٧٣ ص١٤١ ـ ١٤٢).

فقد أخرج الطبراني بإسناده عن عيسى بن عطية، قال قام أبو بكر الغد حين بويع فخطب الناس فقال: .... إن لي شيطاناً يحضرني[١].

وأخرج الطبري في تاريخه بإسناده عن عاصم بن عدي، قال: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتم بعث أسامة، ألا لا يبقَيَنَّ بالمدينة أحدٌ من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس إنما أنا بشرٌ مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطيق، إنَّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متَّبع ولست بمبتدِع، فإن استقمت فتابعوني، وإنْ زغت فقوموني، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قُبِض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا وإنَّ لي شيطاناً يعتريني[٢].

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر أنه خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني وليتكم ولست بخيركم، ولعلكم تطلبوني بعمل نبيكم صلى الله عليه وآله ولستُ هناك، إنَّ نبيكم صلى الله عليه وآله كان يُعصَم بالوحي، وإنَّ لي شيطاناً يغويني[٣].

وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، فقال: ثم إن أبا بكر قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، .... إلى أن قال: فإذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني، وإنْ زغت فقوموني، واعلموا أنَّ لي شيطاناً يعتريني[٤].

---

(١) المعجم الأوسط ج٨ ص٢٦٧ ؛ سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٤٦٠ ؛ البداية والنهاية ج٦ ص٣٣٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٣٠٣.

(٤) الإمامة والسياسة ج١ ص٣٣ ـ ٣٤.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال الزبير بن بكار: فلما كان من الغد، قام أبو بكر فخطب الناس، وقال: أيها الناس، إني وليت أمركم ولست بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، إنَّ لي شيطاناً يعتريني[١].

أقول: وإسناد الطبراني، والطبري، وابن عساكر وإن لم يكن سليماً صحيحاً، غير أنه لا معنى لاجتماع الرواة في رواية ذلك وهم غير متَّهمون في ولاء أبي بكر وفي حبِّه.

ولو لم يكن إلا أنَّ هذا مما ذكره ابن قتيبة الناصبي[٢]، لكفى، فإن مثله لا يمكن أن يتهمه أحد في غاية إخلاصه لأبي بكر.

تشابهت قلوبهم:

ثم إنه ورد على لسان امرأة أبي لهب التعبير بالشيطان عن جبرئيل عليه السلام أو عن الله تعالى.

فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما بإسنادهم جندب بن سفيان ـ واللفظ للبخاري ـ قال: اشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل ﴿وَالضُّحَى*وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى*مَا وَدَّعَكَ

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢٠.

(٢) قال الدارقطني: كان ابن قتيبة منحرفاً عن العترة. وقال ابن أبي الحديد: وابن قتيبة غير متَّهم في حق عليٍّ عليه السلام، على المشهور من انحرافه عنه. وقال ابن حجر معقباً على كلام السلفي: قلت: والذي يظهر لي أن مراد السلفي بالمذهب النصب، فان في ابن قتيبة انحرافاً عن أهل البيت عليهم السلام. (لسان الميزان ج٣ ص٣٥٨ ـ ٣٥٩؛ لسان الميزان ج٣ ص٣٥٨ ـ ٣٥٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٩ ص٢١٨).

رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[١].

أقول: والمرأة هي امرأة أبي لهب كما وقع التصريح بذلك في مستدرك الحاكم، وفي معجم الطبراني أنها بعض بنات عمه، وفي أسباب النزول وتاريخ دمشق، أنها إمرأة من قريش[٢].

ولكن مع هذا ادَّعى عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد أنَّ القائلة هي سيدتنا ومولاتنا خديجة صلوات الله وسلامه عليها، وقد عبَّرت بربك أو بصاحبك.

فقد أخرج ابن أبي شيبة، والحاكم، وابن جرير، والواحدي بإسنادهم عن عروة بن الزبير ـ واللفظ لابن أبي شيبة ـ قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً، فقالت له خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعتك، قال: فنزلت: **﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾**[٣].

وأخرج ابن جرير بإسناده عن عبد الله بن شداد، أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فأنزل الله: **﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾**[٤].

أقول: إنَّ تاريخ سيدتنا خديجة صلوات الله عليها مع النبي ﷺ لم يستطع

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٣١٣؛ صحيح البخاري ج٦ ص٨٦ و٩٧؛ صحيح مسلم ج٥ ص١٨٢؛ المعجم الكبير ج٢ ص١٧٣؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٢٤؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٤؛ أسباب نزول الآيات ص٣٠١.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٥٢٦؛ لباب النقول ص٢١٢؛ المعجم الكبير ج٢ ص١٧٣؛ أسباب نزول الآيات ص٣٠١؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص٣٠٩.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ رقم١٢٦ ص٤٣٨؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٦١٠؛ جامع البيان ج٣٠ ح٢٩٠٥٠ ص٢٩١؛ أسباب نزول الآيات ص٣٠٢؛ لباب النقول ص٢١٣.

(٤) جامع البيان ج٣٠ ح٢٩٠٤٦ ص٢٩١.

أن يُحرِّف عليها ما يُشينها مع كثرة الدواعي لهم، ولا أن يجد لها خطأً واحداً في قول أو عمل ليسجِّلَه عليها، على الرغم من ظلْم التاريخ وجفائه.

ثانياً: إنَّ السياق الوارد في الحديثين يكشف عن سوء أدب في التعبير، وسيدتنا خديجة الكبرى عليها السلام وهي سيدة نساء العالمين منزَّهةٌ عن مثل هذا، بل إنَّ أدنى المؤمنات منزَّهة عما هو أدنى من هذا.

ثالثاً: لا معنى لبلوغ القائلة لهذا الكلام درجة من الكمال بحيث يبعث ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله على إدامة ذكْره لها وثنائه عليها كلما سنحت الفرصة، كما سيأتي الحديث عن هذا بالتفصيل[1].

رابعاً: إن عروة بن الزبير قد تولَّد بعد وفاة خديجة صلوات الله عليها بما يزيد عن ثلاثين سنة، وقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام في أحاديث الطائفة الثالثة، وأما عبد الله بن شداد فقد تولَّد بعد وقعة أُحُد، حيث تزوج أبوه شداد أمه سلمى بنت عميس، ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وآله وقد رآه[2].

ومقام خديجة صلوات الله عليها أرفع من أن تدنسه ادعاءات واهية، وفرق واضح جداً بين ما حدثتنا به حتى الآن عائشة عن إيمانها برسول الله صلى الله عليه وآله، بحيث لا مجال للتشكيك بحديثها، وبين أن يكون كلام ابن الزبير دليلاً على القدح بإيمان خديجة عليها السلام.

ونحن وإنْ نملك الدليل القاطع على براءة سيدتنا خديجة عليها السلام، وتاريخها

---

(١) الفصل الثالث ص٢٧٩ و٢٨٣.

(٢) تهذيب الكمال ج١٥ رقم٣٣٣٠ ص٨١ ـ ٨٢؛ العلل ج٢ رقم٣٥٢٤ ص٥٣٣؛ تقريب التهذيب ج١ ص٥٠١؛ الإصابة ج٤ ص٤٦٥ وج٥ رقم٦١٩٢ ص١١.

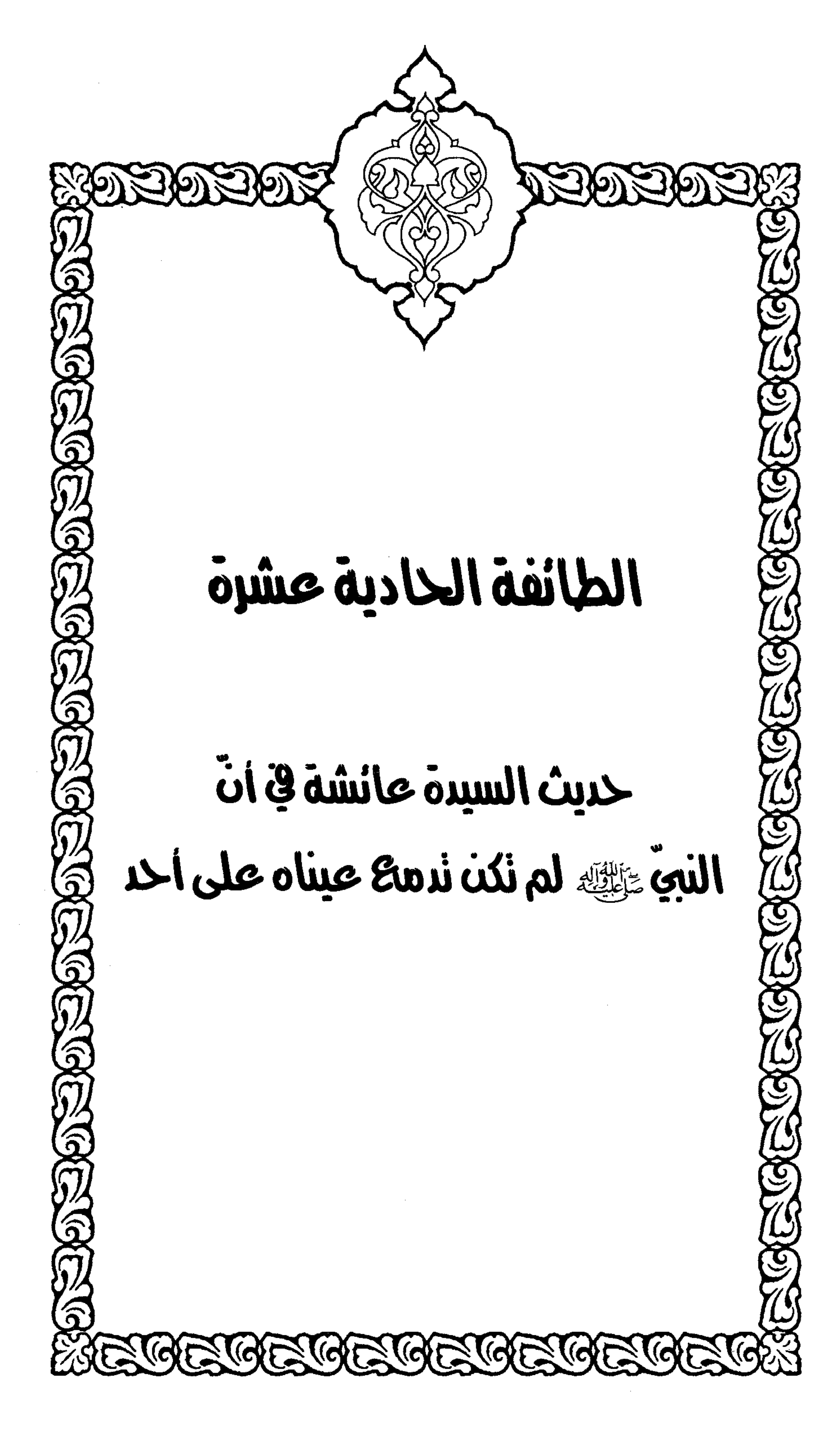
يشهد ببراءتها بعشرات الشواهد، ولا يسع المجال لتفصيل القول في هذا، ونكتفي بالإشارة إلى بعض ما ذكره بعض أعلام أبناء العامة.

قال ابن حجر، قال: وقد حكى ابن بطال عن تفسير بقي بن مخلد، قال: قالت خديجة عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله حين أبطأ عنه الوحي إنَّ ربك قد قلاك، فنزلت والضحى، وقد تعقَّبه ابن المنير ومن تبعه بالإنكار، لأن خديجة عليها السلام قوية الإيمان، لا يليق نسبة هذا القول إليها[١].

وقال ابن كثير معلِّقاً على حديث ابن الزبير وابن شداد: فإنه حديث مرسل من هذين الوجهين، ولعل ذكر خديجة عليها السلام ليس محفوظاً، أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم[٢].

(١) فتح الباري ج٣ ص٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٥٨.



الطائفة الحادية عشرة

حديث السيدة عائشة في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم تكن تدمع عيناه على أحد

قال ابن أبي شيبة في المصنف: باب كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يبكي.

أقول: أخرج ابن أبي شيبة، وابن حنبل، وابن راهويه، وابن حبان، والطبري وغيرهم بإسنادهم عن عائشة في حديث خروجها يوم الخندق ووفاة سعد بن معاذ والحديث طويل، قالت عائشة: فحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1]، قال علقمة: قلت أي أمه، فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته[2].

قال الهيثمي في الزوائد بعد أن أورد الحديث: رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات[3].

أقول: روى الحديث ابن أبي شيبة، وابن راهويه، والطبري عن محمد بن بشر، عن محمد بن عمرو، عن أبيه، عن علقمة بن وقاص، عن عائشة. ورواه

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ج٣ باب١٩٧ ح١ ص٢٦٧ وج٨ ح١ ص٤٩٥ ـ ٤٩٦؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٤١ ـ ١٤٢؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٥٤٣ ـ ٥٤٨ وج٣ ص٩٩٥؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٩٨ ـ ٥٠١؛ الطبقات الكبرى ج٣ ص٤٢١ ـ ٤٢٣؛ المعجم الكبير ج٦ ص٩؛ تاريخ الطبري ج٢ ص٢٥٣.

(٣) مجمع الزوائد ج٦ ص١٣٦ ـ ١٣٨.

أيضاً ابن أبي شيبة، وابن حنبل، وابن سعد، وابن حبان، عن يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو بالإسناد نفسه، ورواه عن محمد بن عمرو غيرهما أيضاً، ورجال الإسناد جميعاً ثقات[1].

---

(١) أقول: ونحن قد بينا في حاشية حديث الطائفة الخامسة وثاقة محمد بن عمرو بن علقمة، وقد قال المزي: محمد بن عمرو بن علقمة، روى عن أبيه عمرو بن علقمة بن وقاص، وروى عنه محمد بن بشر العبدي. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٥١٣ ص٢١٢ ـ ٢١٥).تقدم بيان حال ابن أبي شيبة حاشية حديث الطائفة الثالثة، وقال المزي: عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن أبي شيبة، روى عن محمد بن بشر. (تهذيب الكمال ج١٦ رقم٣٥٢٦ ص٣٤ ـ ٣٦).

١ ـ **محمد بن بشر**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٤ ص١٩٨ وج٥ ص١٨٩ وج٧ ص٤٣ و١١٨ وج٨ ص١٠٢ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٠ و٥٦ و١٢٧ و١٦٥ وج٢ ص٥١ و٥٥ و٨٨).

قال المزي: محمد بن بشر، روى عن محمد بن عمرو بن علقمة، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج٢٤ رقم٥٠٨٨ ص٥٢٠ ـ ٥٢٢).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وابن معين، والنسائي، وابن قانع، ويعقوب بن شيبة وغيرهم. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٩٤ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٥٧٤ ص٢٣٣ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١١٦٧ ص٢١٠ ؛ تهذيب الكمال ج٢٤ ص٥٢٠ ـ ٥٢٣ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٠٢ ص٣٢٢ ؛ سير أعلام النبلاء ج٩ رقم٧٤ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦ ؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٩٠ ص٦٤).

٢ ـ **يزيد بن هارون**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٨ ص١٠٣ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٠ و١١٢ و١٧٨ وج٣ ص٤٨ و٥٥).

قال المزي: يزيد بن هارون، روى عن محمد ابن عمرو بن علقمة، روى عنه أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٧٠١٦ ص٢٦١ ـ ٢٦٥).

وثقه ابن معين، وعلي بن المديني، والعجلي، وابن سعد، يعقوب بن شيبة، وابن قانع وغيرهم. وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد بن هارون حافظا متقنا للحديث. وقال أبو حاتم: ثقة، إمام، صدوق في الحديث، لا يُسأل عن مثله. وقال ابن حبان في المشاهير:وكان من خيار عباد الله، ممن كان يحفظ حديثه كله. (معرفة الثقات ج٢ رقم٢٠٣٩ ص٣٦٨ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١٢٥٧ ص٢٩٥ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٤٠٦ ص٢٨١ ؛ الثقات ج٧ ص٦٣٢ ؛ تهذيب الكمال ج٣٢ ص٢٦١ ـ ٢٦٨ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٩٨ ص٣١٧ ـ ٣٢٠ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٦١٢ ص٣٢١ ـ ٣٢٣).

قساوة قلب سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ:

أقول: ما كنا نعرف ـ لولا حديث السيدة عائشة ـ أن الرسول الأكرم ﷺ كان ذا قلب قاسٍ جاف، ولقد بكى يعقوب النبي المعصوم على نبينا وآله وعليه السلام على ولده نبي الله يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن، ولم يكن سيد الخلق سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ بدعاً من الرسل.

فهل تريد منا السيدة عائشة أن نؤمن بأنه ﷺ كان بدعاً من الرسل!

---

٣ ـ **عمرو بن علقمة بن وقاص**، من رجال سنن الترمذي والنسائي وابن ماجة.

قال المزي: عمرو بن علقمة بن وقاص، روى عن أبيه، روى عنه ابنه محمد بن عمرو. (تهذيب الكمال ج٢٢ رقم٤٤١٥ ص١٦٠).

وثقه الترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، وابن حبان حيث صححوا حديثه، ووثقه الهيثمي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: وثق، وقال ابن حجر: مقبول. (سنن الترمذي ج٣ ح٢٤٢١ ص٣٨٣؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٤٥ وج٣ ص٢٠٧ وص٢٨٩؛ صحيح ابن خزيمة ج١ ص٢١٧؛ صحيح ابن حبان ج١ ص٥١٤ وص٥١٦ وص٥٢٠؛ الثقات ج٥ ص١٧٤؛ مجمع الزوائد ج٨ ص٢٣٨؛ ميزان الاعتدال ج٣ رقم٦٤١٣ ص٢٨١؛ تهذيب الكمال ج٢٢ رقم٤٤١٥ ص١٦٠ ـ ١٦٢؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٤١٩٩ ص٨٤؛ تهذيب التهذيب ج٨ رقم١١٩ ص٧٠؛ تقريب التهذيب ج١ ص٧٤١).

٤ ـ **علقمة بن وقاص**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٢٠ وج٣ ص١١٩ وج٤ ص٢٥٢؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٦٤ وج٦ ص٤٨).

قال المزي: علقمة بن وقاص، روى عن عائشة، روى عنه ابنه عمرو بن علقمة بن وقاص. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٤٠٢١ ص٣١٣ ـ ٣١٤).

وثقه ابن سعد، والعجلي، والنسائي، والذهبي، وابن حجر، وصحح حديثه الترمذي، والحاكم، والدارقطني، وابن خزيمة، وابن حبان. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من أفاضل التابعين. (الطبقات الكبرى ج٥ ص٦٠؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٢٧٦ ص١٤٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٤٥٩ ص١١٢؛ الثقات ج٥ ص٢٠٩؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٥ ص٥٣؛ سير أعلام النبلاء ج٤ رقم١٥ ص٦١؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٣٨٧٧ ص٣٥؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٤٨٩ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ تقريب التهذيب ج١ ص٦٨٧؛ سنن الترمذي ج٣ ح١٦٩٨ ص١٠٠؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٤٥ وج٣ ص٢٠٧ وص٢٨٩؛ علل الدارقطني ج٢ ح٢١٣ ص١٩١؛ صحيح ابن خزيمة ج١ ص٧٣ وص٧٤ وص٢٣٢؛ صحيح ابن حبان ج١ ص٥١٤ وج٢ ص١١٣).

البكاء أمرٌ راجحٌ، ومظهَرُ رحمة:

هذا ولا شبهة أنَّ البكاءَ تعبيرٌ عاطفي ولا يصح بل لا يمكن عادة من العاقل صاحب القلب الرحيم أن يحبس دمعته إلا لسبب راجح إنْ تمكن من ذلك، فهو تأثر نفساني يُحدِثه فقدان عزيز على القلب حبيب، وقد يكون البكاء من شدة الفرح أحياناً.

ولا يملك الرحيم إلا أن يسكب دمعته الحارة تعبيراً قهرياً منه عن حزنه، وليست الدمعة إلا أثراً من آثار الرحمة الموجودة في القلب والنفس، فلماذا تريد منا عائشة أن نعتقد في رسول الله ﷺ أنه كان يفقد الرحمة والرأفة!!

والعجيب، أن ابن أبي قحافة وعمر بن الخطاب قد بكيا لفقْد سعد بن معاذ، وبحسب تعبير عائشة كان ذلك مصداقاً للآية الشريفة ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وعليه أفلم يكن النبي الأكرم ﷺ رحيماً بالمؤمنين عند السيدة عائشة؟!

ألم يكن بينه وبين المؤمنين رحمة ومودة!!

فإذا كان ﷺ رحيماً بالمؤمنين، وإذا كان بين سيد الخلق ﷺ وبين المؤمنين من أتباعه رحمة ومودة، فلماذا لا يبكي تجسيداً منه لتلك الرحمة، وتعبيراً قهرياً عن المودة الخالصة في قلبه لهم؟!

ولا شبهة أن عدم البكاء وعدم سكْب الدمعة من آثار قسوة القلب، وهو ما دلت عليه الروايات، وتعارف بين العقلاء من أول الدهر، فهل كان النبي ﷺ ذا قلب قاسٍ كما كانت تعتقد السيدة عائشة؟!

هذا، ولا يسع هذا المختصر للتدليل على أن ابن الخطاب ليس كما تُصوِّره لنا عائشة من أنه كان صاحب قلب رقيق، والمشهور والمعروف عنه أنه كان

يمنع عن البكاء ويعاقب عليه[1].

أدلة وشواهد:

وأما أنّ النبي ﷺ لم تدمع عيناه على أحد كما قالت عائشة، فهذا قول باطل، إذ مضافاً إلى أن القرآن الكريم صدع بما يدل على أن النبي ﷺ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، وهذا يعني أن البكاء منه عند فقدانه العزيز شيء واقع قطعاً، فقد دلت الروايات الكثيرة على أنه ﷺ قد بكى في أكثر من مورد، بل وعبَّر صلوات الله وسلامه عليه وآله عن الدمعة بأنها رحمة كما في حديث أسامة بن زيد الآتي.

فقد أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود وغيرهم بإسنادهم عن أنس بن مالك، واللفظ للبخاري، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبّله وشمّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله! فقال يا ابن عوف: إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما

---

(١) المصنف للصنعاني ج٣ ح٦٦٧٤ ص٥٥٣ وح٦٦٧٥ ص٥٥٤ وح٦٦٧٩ وح٦٦٨٠ ص٥٥٦ وح٦٦٨١ ص٥٥٧ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ح٨ ص٢٦٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٣٧ وص٣٣٥ وج٢ ص٣٣٣ وص٤٠٨ ؛ سنن النسائي ج٤ ص١٩ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج١ ح١٩٨٦ ص٦١٠ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٩٠ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٣٥١ ؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح١٤٤٠ ص٤٢٠ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٧٠ ؛ مسند أبي يعلى ج١١ ح٦٤٠٥ ص٢٩٠ ؛ صحيح ابن حبان ج٧ ص٤٢٨ ؛ مجمع الزوائد ج٣ ص١٧ ؛ كشف الخفاء ج١ ح١٣٠٠ ص٤٠٥ ؛ الطبقات الكبرى ج٣ ص٣٩٩ وج٨ ص٣٧ ؛ علل الدارقطني ج١١ ح٢٠٩٧ ص٢٠ ؛ تاريخ المدينة ج١ ص١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) سورة براءة الآية ١٢٨.

يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[١].

أقول مضافاً إلى رواية البخاري ومسلم للحديث وهذا يكفي كما أشرنا إلى ذلك كثيراً، فرجاله من أعلام الثقات عندهم[٢].

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ح٤ ص٢٦٦ ـ ٢٦٧ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٩٤ ؛ صحيح البخاري ج٢ ص٨٤ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص٧٦ ؛ سنن أبي داود ج٢ ح٣١٢٦ ص٦٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ ؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح١٢٨٧ ص٣٨٥ ؛ مسند أبي يعلى ج٦ ح٣٢٨٨ ص٤٢ ؛ صحيح ابن حبان ج٧ ص١٦٢.

(٢) وقد رواه أبو داود عن شيبان بن فروخ، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك.

١ ـ **شيبان بن فروخ**، شيخ مسلم. (صحيح مسلم ج١ ص٤٥ و٧٠ و٨٣ و٨٧ و٩٩ و١٠١).

قال المزي: شيبان بن فروخ، روى عن سليمان بن المغيرة ، روى عنه أبو داود. (تهذيب الكمال ج١٢ رقم٢٧٨٥ ص٥٩٨ ـ ٦٠٠).

وثقه أحمد بن حنبل، وعبدان الأهوازي، وصالح، ومسلمة، والساجي وغيرهم. (الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم١٥٦٢ ص٣٥٧ ؛ تهذيب الكمال ج١٢ ص٦٠٠ ـ ٦٠١ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٤٤٩ ص٤٤٣ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٢٣١٧ ص٤٩١ ؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم٦٣٩ ص٣٢٨).

٢ ـ **سليمان بن المغيرة**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٢٩ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٢ و٧٧ و١٠١ و١٣٠ وج٢ ص٥٧ و٥٩ وج٣ ص١٥ و١١٦).

قال المزي: سليمان بن المغيرة القيسي، روى عن ثابت البناني، روى عنه شيبان بن فروخ. (تهذيب الكمال ج١٢ رقم٢٥٦٧ ص٦٩).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن سعد، وابن معين، وعلي بن المديني، والعجلي، والنسائي وغيرهم. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٨٠ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم٦٧٥ ص٤٣١ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم٦٢٦ ص١٤٤ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٢٤١ ص٢٤٧ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٠٦ ص٢٢٠ ـ ٢٢١ ؛ تهذيب الكمال ج١٢ ص٦٩ ـ ٧٣ ؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم٣٨٣ ص١٩٣ ـ ١٩٤).

٣ ـ **ثابت البناني**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٥٨ و٢٢٨ وج٢ ص٢٣٧ وج٣ ص٢٢٣ وج٤ ص٤٧ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٧٧ و٩٩ و١٠١ و١١٢ وج٢ ص٤٤ وج٣ ص٢٥).

قال المزي: ثابت بن أسلم البناني، روى عن أنس بن مالك، روى عنه سليمان بن المغيرة القيسي.(تهذيب الكمال ج٤ رقم٨١١ ص٣٤٢ ـ ٣٤٥).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، والنسائي وغيرهم. (معرفة الثقات ج١ رقم١٨٨ ص٢٥٩ ؛ الجرح والتعديل لرازي ج٢ رقم١٨٠٥ ص٤٤٩ ؛ تهذيب الكمال ج٤ ص٣٤٢ ـ ٣٤٨ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١١٠

وأخرج البخاري بإسناده عن عبد الله بن عمر، قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: قد قضى، قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلى الله عليه وآله، فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وآله بكوا[(١)].

وأخرج ابن ماجة، وغيره بإسنادهم عن أسماء بنت يزيد قالت: لما توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم، بكى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له المعزي (إما أبو بكر وإما عمر): أنت أحق مَن عظَّم الله حقه! قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تدمع العين، ويحزن القلب[(٢)].

وأخرج الصنعاني وأبو داود بإسنادهما عن أسامة بن زيد ـ واللفظ لأبي داود ـ: أن ابنة لرسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إليه وأنا معه وسعد، وأحسب أبيّاً، أن ابني أو بنتي قد حضر فاشهدنا، فأرسل يُقرِىء السلام، فقال: قل: لله ما أخذ، وما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل، فأرسلت تقسم عليه، فأتاها، فوضع الصبي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ونفسه تقعقع، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له سعد ما هذا؟ قال صلى الله عليه وآله: إنها رحمة، وضعها الله في قلوب من يشاء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[(٣)].

ص١٢٥ ؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم٢ ص٣ ـ ٤).

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٨٥

(٢) سنن ابن ماجة ج١ ح١٥٨٩ ص٥٠٦ ؛ الطبقات الكبرى ج١ ص١٤٣ ؛ البداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ ؛ المعجم الكبير ج٢٤ ص١٧٠ ـ ١٧١ ؛ المعجم الأوسط ج٨ ص٣٤٦ ؛

(٣) المصنف للصنعاني ج٣ رقم٦٦٧٠ ص٥٥١ ؛ سنن أبي داود ج٢ ح٣١٢٥ ص٦٤.

أقول: رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري، عن عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، ورجال الإسناد جميعاً من الثقات[(١)].

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ولكن حمزة لا بواكي له[(٢)].

أقول: ولسنا في مقام إثبات جواز البكاء على الميت وأنه مما أمر به النبي

---

(١) أما عبد الرزاق الصنعاني فتقدم بيان حاله في حاشية الحديث الثالث من الطائفة الرابعة، ومعمر بن راشد في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وقد قال المزي: معمر بن راشد، روى عن عاصم الأحول، وروى عنه عبد الرزاق بن همام الصنعاني. (تهذيب الكمال ج٢٨ رقم ٦١٠٣ ص٣٠٣).

١ ـ **عاصم بن سليمان الأحول**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص٨٠ و٨٤ وج٤ ص٢٧٠ وج٥ ص٤٤ و١٥٣ وج٦ ص١٦١ ؛ صحيح مسلم ج١ ص١٧٦ وج٢ ص١٤٨ و١٥٤ و١٧٣).

قال المزي: عاصم بن سليمان الاحول ، روى عن أبي عثمان عبد الرحمان بن مل النهدي، وروى عنه سفيان الثوري ومعمر بن راشد. (تهذيب الكمال ج١٣ رقم٣٠٠٨ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٨).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وعلي بن المديني، وابن سعد، وأبو زرعة، والعجلي، وأبو زرعة، والبزار، وغيرهم. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. (معرفة الثقات ج٢ رقم٨٠٨ ص ٨ ؛ الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٥٦ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم ١٩٠٠ ص٣٤٣ ؛ تاريخ بغداد ج١٢ رقم٦٦٩٥ ص٢٣٧ ـ ٢٤١ ؛ تهذيب الكمال ج١٣ ص٤٨٥ ـ ٤٩٠ ؛ سؤالات ابن أبي شيبة ص١٤٥ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٤٤ ص١٤٩ ـ ١٥٠ ؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم٧٣ ص٣٨).

٢ ـ **أبو عثمان النهدي**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٨ ص١٦٥ وج١ ص١٣٤ و١٥٣ وج٢ ص٥٤ وج٤ ص٢٠١ ؛ صحيح مسلم ج٣ ص٣٩ وج١ ص١٣٥ وج٢ ص ١٣٠ و١٥٨).

قال المزي: عبد الرحمان بن مل أبو عثمان النهدي، روى عن أسامة بن زيد، وروى عنه عاصم الأحول. (تهذيب الكمال ج١٧ رقم٣٩٦٨ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٦).

وثقه العجلي، وابن سعد، وعلي بن المديني، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، وابن خراش وغيرهم. (معرفة الثقات ج٢ رقم٢٢٠٦ ص ٤١٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم ١٣٥٠ ص ٢٨٣ ؛ تاريخ بغداد ج١٠ رقم٥٣٤٩ ص٢٠٠ ـ ٢٠٣ ؛ تهذيب الكمال ج١٧ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٩ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٥٦ ص٦٥ ؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم٥٤٩ ص٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٢) المصنف للصنعاني ج٣ ح٦٦٩٤ ص٥٦١ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٥٩٩ ؛ المعجم الكبير ج١١ ص ٣١٠ ؛ الطبقات الكبرى ج٢ ص٤٤ وج٣ ص١١ ؛ الثقات ج١ ص٢٣٤ ؛ سيرة النبي صلى الله عليه وآله لابن هشام ج٣ ص٦١٣ ـ ٦١٤ ؛ السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٩٥ ؛ تاريخ الطبري ج٢ ص ٢١٠ ؛ أسد الغابة ج٢ ص٤٨ ؛ البداية والنهاية ج٤ ص٥٥.

الأعظم صلى الله عليه وآله، ولا يسع هذا المختصر إقامة الأدلة والشواهد الكثيرة على ذلك، وفيما ذكرناه كفاية.

ولكن المريب أن النبي صلى الله عليه وآله يصرح وينص على أن الدمعة رحمة، حيث أجاب سعداً قائلاً: إنها رحمة، وضعها الله في قلوب من يشاء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

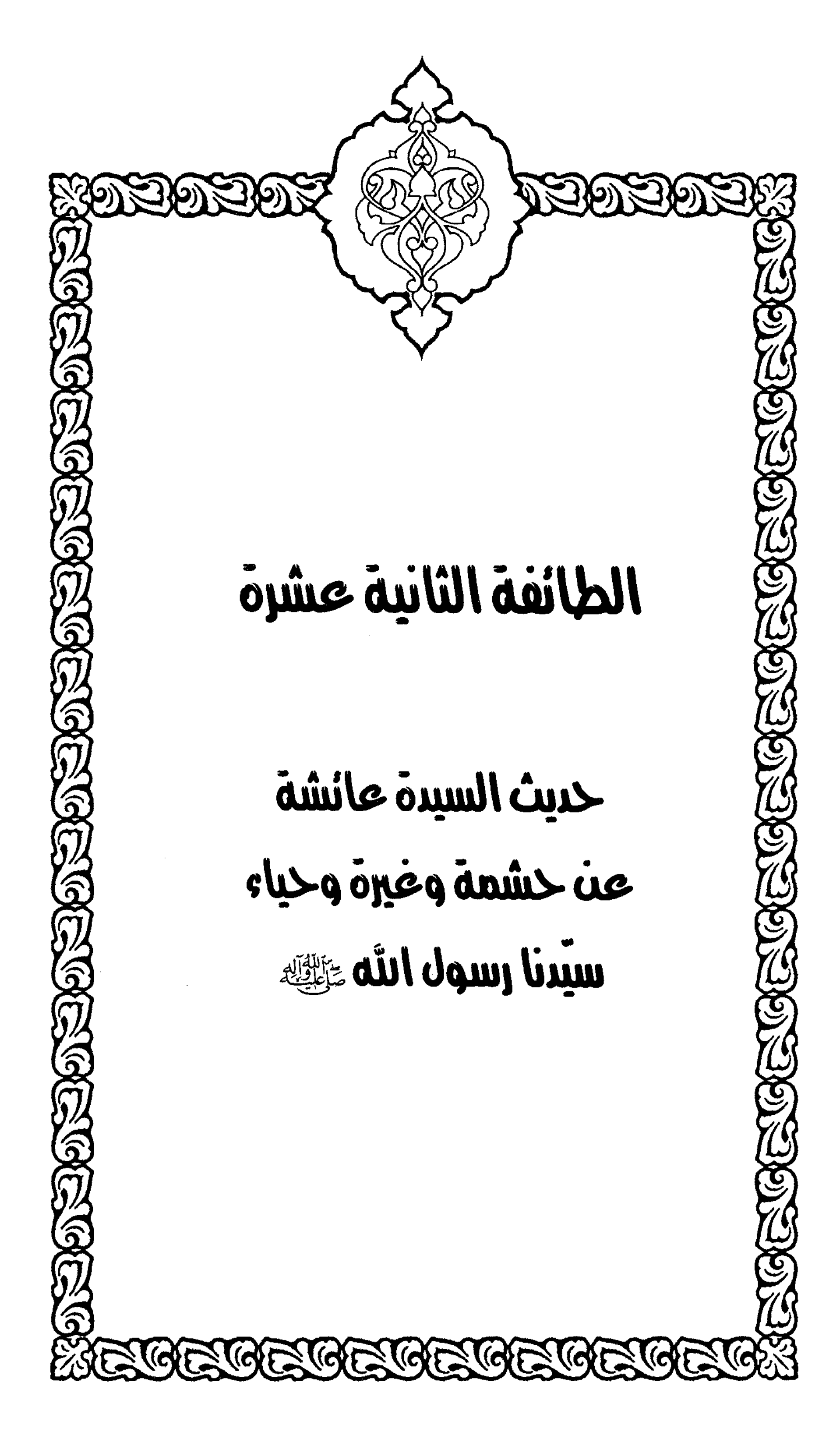
فيا ترى ما هو الباعث لمن حرَّف على لسان السيدة عائشة، زاعماً عنها أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم تكن تدمع عينه على أحد؟!

أيريدون منا أن نعتقد بأن النبي صلى الله عليه وآله مضافاً إلى أنه كان مصاحباً للباطل، ومسحوراً، ويهاب ابن الخطاب، ويستحي من ابن عفان، وينسى آيات من القرآن، ويسب أفراد المسلمين، و.. و.. أنه مضافاً إلى ذلك كله لم يكن إنساناً ذا شعور وإحساس؟!!

وهذا الحديث قد رواه عن عائشة ابن أبي شيبة، وابن حنبل، وابن راهويه، والطبراني، وابن حبان من طريق محمد بن بشر شيخ البخاري ومسلم، ومن طريق يزيد بن هارون.

وهل تظن أنَّ هؤلاء ممن جاهروا بحب عائشة، وحب أبيها ابن أبي قحافة، وباعوا أنفسهم في سبيلها، هم مفترون عليها!!

وأخيراً، فإن الراوي عن السيدة عائشة لا يتأتى له أن يمدح أبا بكر وابن الخطاب إلا من خلال القدح والتنقيص في النبي صلى الله عليه وآله، وكأنه انسدت أبواب الطرق جميعاً، إلا طريق القدح بالنبي صلى الله عليه وآله فإن الباب مفتوح على مصراعيه.



الطائفة الثانية عشرة

حديث السيدة عائشة
عن حشمة وغيرة وحياء
سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله

أخرج ابن حنبل، والبخاري، ومسلم وغيرهم بإسناده عن عائشة، واللفظ للبخاري، أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي ﷺ: أحجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاءً وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب[1].

والحديث مضافاً لرواية البخاري ومسلم له، فنحن نُبيِّن وثاقة رجال إسناده، وله أكثر من طريق، منها ما رواه أحمد بن حنبل عن حجاج، عن ليث، عن عقيل، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢٣ وص٢٧١ ؛ صحيح البخاري ج١ ص٤٥ وج٧ ص١٢٩ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص٧ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٨٨ ؛ شرح معاني الآثار ج٤ ص٣٣٣ ؛ جامع البيان ج٢٢ ح٢١٨٣٨ ص٤٨ ؛ الدر المنثور ج٥ ص٢١٤ ؛ تاريخ المدينة ج٣ ص٨٦٠ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص١٧٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢٣.

وتقدم ذكْر ليث بن سعد في حاشية الحديث الثاني من الطائفة العاشرة، وابن شهاب وهو محمد بن مسلم الزهري في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وعروة بن الزبير في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى.

وقال المزي: أحمد بن محمد بن حنبل، روى عن حجاج بن محمد المصيصي. (تهذيب الكمال ج١ رقم٩٦ ص٤٣٧).

وقال أيضاً: ليث بن سعد، روى عن عقيل بن خالد، روى عنه حجاج بن محمد. (تهذيب الكمال ج٢٤ رقم٥٠١٦ ص٢٥٥ ـ ٢٥٩).

غيرة عمر وحيطته!

أقول: قد ظهر مما تقدم مدى غيرة عمر بن الخطاب على الدين حيث هربت منه الحبشية وصبيانها، وعرفنا من الراوي عن السيدة عائشة أن الشياطين كانت تهابه، بل ومرَّ أيضاً أن عائشة غدت تهاب ابن الخطاب تأسياً منها بالنبي الأكرم ﷺ الذي كان يهابه أيضاً.

ولكن، أن يكون عمر بن الخطاب أحرص على الحق، وأشد حياءً وغيرة من سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ العربي الهاشمي القرشي، الذي لم تدنسه

وقال أيضاً: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، روى عن عروة بن الزبير، روى عنه عقيل بن خالد. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٦٠٦ ص٤١٩ ـ ٤٢٩).

١ ـ **حجاج بن محمد**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١١٨ و١٥٣ وج٤ ص١٦٥ وج٥ ص١٨٠؛ صحيح مسلم ج٢ ص٢ و٣٩ و٧٥ و١١٥ و١٢٢ و١٦٤ و١٧٣:

قال المزي: حجاج بن محمد المصيصي، روى عن الليث بن سعد، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٥ رقم١١٢٧ ص٤٥١ ـ ٤٥٣).

وثقه علي بن المديني، ومسلم، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي، وابن قانع وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. (معرفة الثقات ج١ رقم٢٦٨ ص٢٨٦؛ الجرح والتعديل للرازي ج ٣ رقم٧٠٨ ص١٦٦؛ الثقات ج٨ ص٢٠١؛ تاريخ بغداد ج٨ رقم٤٣٤٢ ص٢٣١ ـ ٢٣٣؛ تهذيب الكمال ج٥ ص٤٥١ ـ ٤٥٦؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم٣٨١ ص١٨٠ ـ ١٨١).

٢ ـ **عقيل بن شهاب**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٣ و٢٩ و٤٥ و٥٩ و٦٠ و٨٢ و١٠٦؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٤ و٨٤ و٩٨ و٩٩ و١٧٢).

قال المزي: عقيل بن خالد، روى عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، روى عنه الليث بن سعد. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٤٠٠١ ص٢٤٢ ـ ٢٤٣).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو زرعة، وابن سعد، والعجلي، والنسائي وغيرهم. وقال يحيى بن معين: أثبت الناس في الزهري مالك بن أنس، ومعمر، ويونس، وعقيل. وقال ابن حبان في المشاهير: من متقني أصحاب الزهري. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١٩؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٢ ح٢٤٧٥ ص٣٣٣؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٢٧٠ ص١٤٤؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم٢٤٣ ص٤٣؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٤٥٤ ص٢٩٠؛ الثقات ج٧ ص٣٠٥؛ تهذيب الكمال ج٢٠ ص٢٤٢ ـ ٢٤٤؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٤٦٨ ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).

الجاهلية بأدناسها قط، والذي تقلب من أصلاب شامخة في أرحام مطهرة، فإن هذا المعنى لا مجال لاغتفاره لمن يرويه عن السيدة عائشة ناسباً له إياها.

وأيضاً، أن يكون عمر بن الخطاب عارفاً بالحجاب، ناظراً في أهميته، وفي المقابل يكون سيد الخلق ﷺ لا يهمه ولا يعنيه احتشام أزواجه، ولا يكترث للقيل والقال، فإن هذا مما لا يغفره الله تعالى للراوي عن السيدة عائشة.

وإننا على يقين أن الراوين عن عائشة كان بمقدورهم أن يجعلوا مسألة الحجاب فضيلة تُعزى إلى ابن الخطاب من دون أن يقدحوا في قداسة وعظمة ورفيع منزلة نبي الله ﷺ.

فلماذا هذا الاصرار في الافتراء والبهتان على نبي الله ﷺ؟!

وأظن أن الراوي عن عائشة خفي عليه أنه قد روى عنها أحاديث مهابة النبي ﷺ من ابن الخطاب!

فكيف لا يهابه في أمْر الحجاب؟

وأظن أيضاً أن راوي هذا الحديث عن عائشة قد نسي أنه روى عنها حديث دخول ابن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو كاشف عن فخذيه تارة، وملتحفاً بكساء زوجته عائشة تارة أخرى.

فيا ترى أين كانت غيرة ابن الخطاب هناك؟

والعجيب أن النبي ﷺ لا يكترث بما أمره به ابن الخطاب، وهو الناصح الأمين المعلِّم والمؤدِّب لرسول الله ﷺ.

وابن الخطاب لم يطلب من النبي أن يأمر النساء جميعاً بالحجاب، وإنما أمره أن يحجب نساءه فقط.

وهنا نسأل: هل كان خصوص نساء النبي ﷺ وحدهن يخرجن من بين بقية النساء بهذه الصورة، أو أنهن لانتسابهن إلى النبي ﷺ لم يهن على ابن الخطاب أن يبقين عرضة للتحرُّش بهن؟

وما لا نعرف له مبرِّراً من سيد الخلق ﷺ اصراره على عدم اهتمامه بحشمة نسائه وهو الغيور، والمؤمن لا يكون إلا غيوراً.

فهل أن سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ مضافاً لكونه شخصاً سباباً، لا يستحي، ينسى آيات من كتاب ربه، و.. و..، كان أيضاً لا غيرة عنده، ولا يعنيه احتشام نسائه؟

لماذا تريد منا عائشة أن نعتقد بسيدنا محمد أنه شخص قد نزل من كوكب المريخ؟

أوَ ليس سيدنا محمد ﷺ عربياً؟

أليس سيدنا محمداً ﷺ مكياً، قرشياً؟

أليس هو من بني هاشم؟

فأين غيرة العربي، المكي، القرشي، الهاشمي؟

بلى إن الذي لا يستحي أن يدخل عليه ابن الخطاب وهو كاشف عن فخذيه، وإن الذي لا تفرُّ منه شياطين الجن والإنس، وإن الذي يدخل عليه ابن أبي قحافة وفي بيته مزمار شيطان، وإن الذي تضع زوجته خدها على خده على مرأى من الناس، لحقيق منه أن لا يكون غيوراً على عرضه.

ألا يستحي هذا الذي أثبت الحديث، ناسباً إياه إلى السيدة عائشة، أن يضعه في صحيحه؟

ولكن الحديث مروي في صحيحي البخاري ومسلم، ومن طريق أوثق أعلام ثقات رواتهم.

فهل أن عروة بن الزبير ابن أختها، قد تعمد التحريف على لسان خالته، وهو أخلص الناس لها؟

أو أن المتواطئ هو الزهري، أو مِن أمامه عقيل بن خالد، أو مِن ورائهما ليث بن سعد والحجاج بن محمد؟

ولماذا يجتمع الأعلام الثقات من محبي عائشة على التزوير والتحريف على لسانها عمداً؟

ألم يكن عند الرواة عن السيدة عائشة حظٌّ من العلم والمعرفة، بحيث جهلوا أن مثل هذه الأحاديث لا تنفع في إفادتها مدحاً لابن الخطاب، فإن مدْحَ عمر بن الخطاب بتوسط القدح بالنبي ﷺ هو في الحقيقة قدْحٌ في ابن الخطاب نفسه؟

فهل حقاً أنهم جهلوا، أو أنهم تجاهلوا وتغافلوا؟

وماذا ينتفع الراوي عن عائشة حين يروي عنها حديثاً يسيء إلى الرسول الأكرم ﷺ، والأحرى به أن يعي ماذا يروي وما يُحدِّث به!

ولماذا هذا التعمد في إظهار سيد الخلق ﷺ على أنه شخص عادي، بل أدنى من ابن أبي قحافة ومن ابن الخطاب؟

ولا نريد أن ندخل في مناقشة تعليل الأحكام الشرعية، وأن الحكم الإلهي لا يكون ردة فعل أو استجابة لطلب من مثل عمر بن الخطاب، فإن الحديث في هذا يطول.

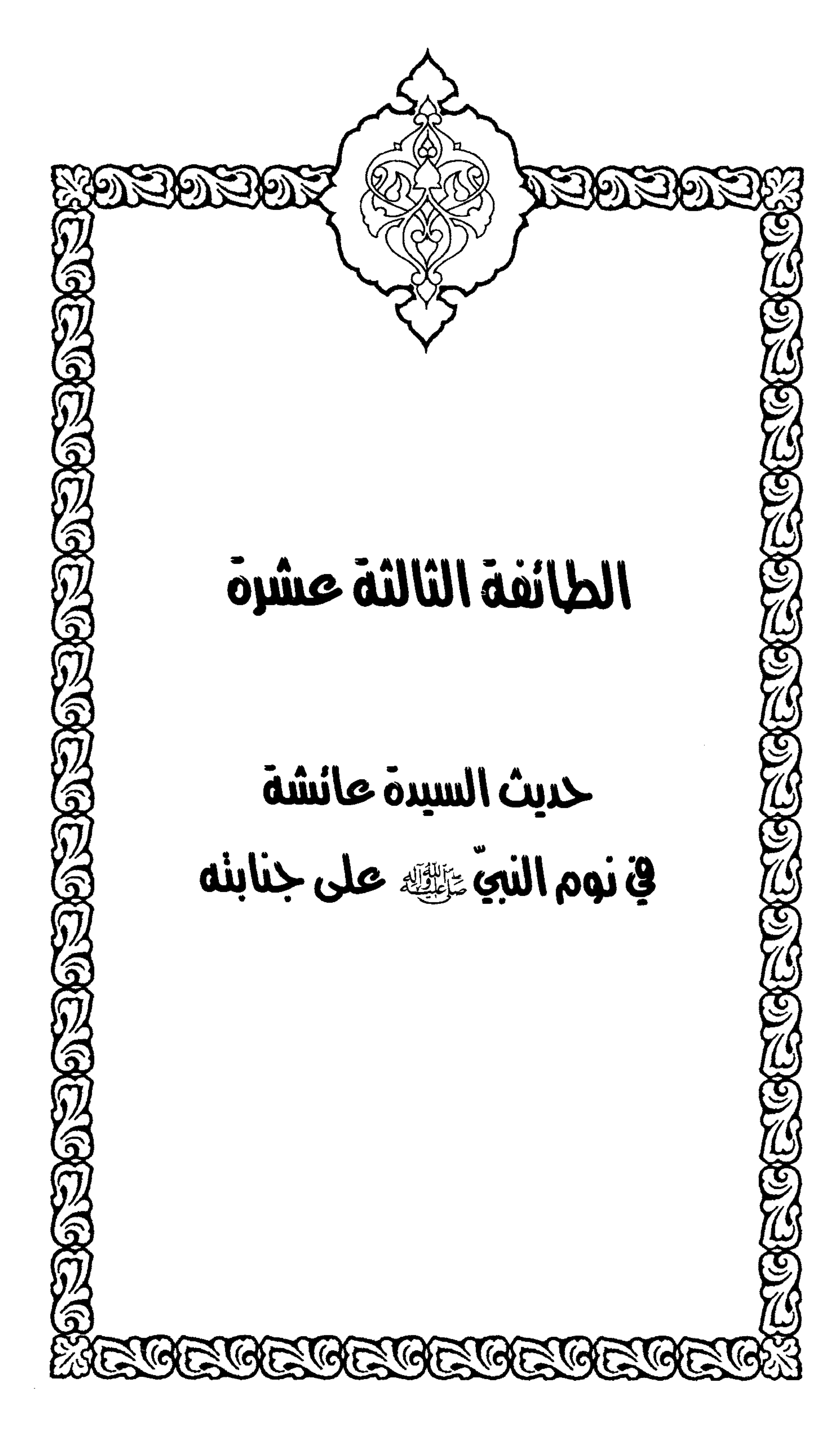
ولكن يكفي أن نشير إلى أن الله تعالى لا يحتاج إلى إصرار من عمر بن الخطاب، ولا يحتاج أن يعلم منه حرصه على شرف حبيبه المصطفى ﷺ حتى يأمر النساء بالحجاب.

فلماذا يريدون منا أن نعتقد بأن بعض الأحكام الشرعية المهمة ذات العلقة بالشرف والعرض وبصلاح أمْن المجتمع من الفساد، كانت ببركة اصرار ابن الخطاب، وإرضاءً لغيرته، وتأييداً لآرائه التي لا تنفك الإرادة الإلهية في موافقة إرادة ابن الخطاب!!

وأخيراً، فلزاماً على كل ذي غيرة وكل غيور، أن يحرص على إعلام الناس بأن الحجاب الذي أمر الله تعالى به كان بركة من بركات أنفاس عمر بن الخطاب، فاشكروا ابن الخطاب على ما حرص عليه، وسامحوا ربكم الذي **بعث لكم رسولاً من عنده من غير أنفسكم، وغير عزيز عليه ما عنتُّم، وغير حريص عليكم، وليس بالمؤمنين رؤوفاً، ولا بهم رحيماً.**

أيها المسلمون هلموا استغفروا لنبيكم الذي لم يعرف مكانة ابن الخطاب، والذي لم يهتم لنصائحه ولم يراعِ أوامره، ولم تكن جميع نصائحه وأوامره إلا حرصاً منه على بيت النبي وشرفه وعرضه.

فشكراً لك يا رب عمر بن الخطاب حيث تأخرَّت في شأن الحجاب، حتى تُظهِر لنا فضْل ابن الخطاب، ولكن يا رب، لقد وقع منك ذلك في معرض القدْح بحبيبك وصفيك وخيرتك المصطفى صلواتك وسلامك عليه وآله!!



الطائفة الثالثة عشرة

حديث السيدة عائشة
في نوم النبيّ صلى الله عليه وآله على جنابته

الحديث الأول: أخرج أحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، والبخاري، ومسلم بإسنادهم عن أبي سلمة، واللفظ للبخاري، قال: سألت عائشة أكان النبي صلى الله عليه وآله يرقد وهو جنب؟ قالت: نعم ويتوضأ[١].

الحديث الثاني: أخرج البخاري بإسناده عن عروة، عن عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد أن ينام وهو جنب، غسل فرجه وتوضأ للصلاة[٢].

الحديث الثالث: أخرج الصنعاني، والطيالسي، وابن حنبل، وابن ماجة، وغيرهم بإسنادهم عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام وهو جنب ولا يمس ماء[٣].

أقول: الحديثان الأولان هما من أحاديث الصحيح عند العامة، فنقتصر على بيان حال رجال إسناد الحديث الثالث[٤].

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١١٨ وص١٢٨؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج١ ح١٧ ص٨١؛ صحيح البخاري ج١ ص٧٥؛ صحيح مسلم ج١ ص١٧٠.

(٢) صحيح البخاري ج١ ص٧٥.

(٣) المصنف للصنعاني ج١ ح١٠٨٢ ص٢٨٠؛ مسند أبي داود الطيالسي ص١٩٩؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤٣ وص١٤٦ وص١٧١؛ سنن ابن ماجة ج١ ح٥٨١ ص١٩٢؛ سنن الترمذي ج١ ح١١٨ ص٧٨؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٢٠١ وص٢٠٢؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٩٠٥٢ ص٣٣٢؛ شرح معاني الآثار ج١ ص١٢٤ وص١٢٥؛ ناسخ الحديث ومنسوخه ص١٣٠؛ معرفة علوم الحديث ص١٢٥؛ تاريخ مدينة دمشق ج٥١ ص٢٢١.

(٤) رواه عبد الرزاق الصنعاني عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة أما الصنعاني فقد تقدم بيان حاله في حاشية الحديث الثالث من الطائفة الرابعة.

١ ــ **الثوري، سفيان بن سعيد** بن مسروق، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٩٦ وج٦ ص٣٧ صحيح مسلم ج٢ ص١١٣ وج٣ ص٦٧ وج٤ ص١٩٩).

قال المزي: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، روى عن أبي إسحاق السبيعي، روى عنه عبد الرزاق بن همام. (تهذيب الكمال ج١١ رقم٢٤٠٧ ص١٥٤ ـ ١٦٣).

أقول: المدائح الواردة في الثوري كثيرة جداً، نذكر بعضاً منها.

قال النسائي: هو أجل من أن يُقال فيه ثقة، وهو أحد الأئمة الذين أرجو أن يكون الله ممن جعله للمتقين إماماً. وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مُجمَعاً على أمانته، بحيث يستغني عن تزكيته مع الاتقان والحفظ، والمعرفة والضبط، والورع والزهد. وقال شعبة: إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم. وقال شعبة، وسفيان بن عيينة، وأبو عاصم النبيل، ويحيى بن معين وغير واحد: سفيان الثوري، أمير المؤمنين في الحديث. وقال عبدالله بن المبارك: كتبت عن ألف ومئة شيخ، ما كتبت عن أفضل من سفيان. وقال عبد الرحمان بن مهدي: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري. وقال يحيى بن سعيد القطان: ليس أحد أحب إلي من شعبة، ولا يعدله أحد عندي، وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان . وقال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه، والحديث. وقال العجلي: ثقة، صالح، زاهد، عابد، ثبت في الحديث. (معرفة الثقات ج١ رقم٦٢٥ ص٤٠٧ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم٩٧٢ ص٢٢٢ ـ ٢٢٥ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٤٩ ص٢٦٨ ؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٧٦٣ ص١٥٣ ـ ١٧٢ ؛ تهذيب الكمال ج١١ ص١٥٤ ـ ١٦٩ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٩٨ ص٢٠٣ ـ ٢٠٧ ؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم١٩٩ ص٩٩ ـ ١٠٢).

٢ ـ أبو إسحاق السبيعي، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٤ ص١٠٦ و٢١٩ وج٥ ص١٢١ وج٦ ص٥٢ صحيح مسلم ج٢ ص٦٧ وج٤ ص١٩٨ وج٧ ص١٤٧).

قال المزي: عمرو بن عبد الله، أبو إسحاق السبيعي، روى عن الأسود بن يزيد، روى عنه سفيان الثوري. (تهذيب الكمال ج٢٢ رقم ٤٤٠٠ ص١٠٢ ـ ١٠٩).

وثقه العجلي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وقال الذهبي: أبو إسحاق السبيعي، الحافظ شيخ الكوفة وعالمها، وهو ثقة حجة بلا نزاع، وقد كبر وتغير حفظه تغير السن، ولم يختلط. (الثقات للعجلي ج٢ رقم١٣٩٤ ص١٧٩ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم١٣٤٧ ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ ؛ تهذيب الكمال ج٢٢ ص١١٠ ـ ١١٦ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ج٥ رقم ١٨٠ ص٣٩٢ ـ ٣٩٨).

٣ ـ الأسود بن يزيد، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٤ ص١٠٦ و٢١٩ وج٥ ص١٢١ وج٦ ص٥٢ صحيح مسلم ج٢ ص٦٧ وج٤ ص١٩٨ وج٧ ص١٤٧).

قال المزي: الأسود بن يزيد، روى عن عائشة، روى عنه أبو إسحاق السبيعي. (تهذيب الكمال ج٣ رقم٥٠٩ ص٢٣٣ ـ ٢٣٤).

الحديث الرابع: أخرج ابن أبي شيبة، وابن راهويه، وابن ماجة، وغيرهم بإسنادهم عن عائشة ـ واللفظ لابن ماجة ـ أن رسول الله ﷺ كان يجنب ثم ينام كهيئته لا يمس ماء[1].

قال ابن راهويه: أخبرنا وكيع، أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة.

أقول: ورجال الإسناد جميعاً ثقات[2].

أقول: وقد ورد حديث عائشة من عدة طرق واحتج به جميع علمائهم، واللطيف ـ ولله وحده اللطف الخفي ـ أن السيدة عائشة هي وحدها من نساء

وثقه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وابن سعد، والعجلي، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقالت عائشة: ما بالعراق رجل أكرم عليَّ من الأسود بن يزيد. وقال الذهبي: الإمام، الفقيه، الزاهد، العابد، القدوة، وهو نظير مسروق في الجلالة، والعلم، والثقة، والسن، يُضرَب بعبادتهما المثل. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٧٠ ـ ٧٦؛ العلل لابن حنبل ج٢ ح١٩٨٦ ص١٩٥ وح٣٠٠٧ ص٤٥١؛ معرفة الثقات ج١ رقم١٠٤ ص٢٢٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم١٠٦٧ ص٢٩١ ـ ٢٩٢؛ الثقات ج٤ ص٣١؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٧٤٢ ص١٦١؛ تهذيب الكمال ج٣ ص٢٣٣ ـ ٢٣٥؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٩ ص٥٠؛ سير أعلام النبلاء ج٤ رقم١٣ ص٥٠ ـ ٥٢؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٦٢٥ ص٢٩٩.

(١) مسند ابن راهويه ج٣ ص٨٥١؛ المصنف لابن أبي شيبة ج١ ح٤ ص٨٢؛ سنن ابن ماجة ج١ ح٥٨٣ ص١٩٢؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٧٢٩ ص١٧٤؛ معرفة علوم الحديث ص١٢٥.

(٢) تقدم في حاشية الحديث السابق بيان حال الثوري، وأبي إسحاق، والأسود بن يزيد، وتقدم بيان حال وكيع بن الجراح وابن راهويه في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية.

وقال المزي: سفيان الثوري، روى عن أبي إسحاق السبيعي، روى عنه وكيع بن الجراح. (تهذيب الكمال ج١١ رقم٢٤٠٧ ص١٥٤ ـ ١٦٤).

وقال أيضاً: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه، روى عن وكيع بن الجراح. (تهذيب الكمال ج٢ رقم٣٣٢ ص٣٧٣ ـ ٣٧٥).

وقال أيضاً: وكيع بن الجراح، روى عن سفيان الثوري، وروى عنه إسحاق بن راهويه. (تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٦٩٥ ص٤٦٢ ـ ٤٦٨).

النبي صلى الله عليه وآله التي ثبت عنها رواية هذا الحديث، ولا معنى لتوهم أن يرويه غير أزواجه صلى الله عليه وآله كما لا يخفى، فإن ذلك مما لا تطلع عليه إلا الزوجة فقط، ونحن مضطرون زيادة في التثبت أن نشير إلى بعض مصادر حديث عائشة وموارد استشهادهم واحتجاجهم به[1].

نعم ورد في المعجم الكبير للطبراني رواية أم سلمة للحديث.

قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا أسمع، حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا أنس بن عياض، عن يونس، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن أم

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٦ وص٩١ وص١٠٢ ص١٠٣ وص١١٩ وص١٤٣ وص١٤٦ وص١٧١ وص٢٠٠ وص٢٠٢ وص٢١٦ وص٢٣٥ وص٢٣٧ وص٢٧٩ ؛ سنن الدارمي ج١ ص١٩٣ ؛ سنن أبي داود ج١ ح٢٢٢ ص٥٦ وح٢٢٨ ص٥٧ ؛ سنن النسائي ج١ ص١٣٨ وص١٣٩ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج١ ح٢٥٣ وح٢٥٤ وح٢٥٥ ص١٢٠ وج٤ ح٦٧٣٧ وح٦٧٣٨ ص١٧٠ وح٦٨٨١ ص١٩٧ وج٥ ح٩٠٤١ وح٩٠٤٢ وح٩٠٤٤ ص٣٣٠ وح٩٠٤٥ وح٩٠٤٧ ص٣٣١ وح٩٠٥٢ وح٩٠٥٤ ص٣٣٢؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٢٠٠ وص٢٠١ وص٢٠٢ وص٢٠٣ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٢٠٨ ؛ المصنف للصنعاني ج١ ح١٠٧٣ ص٢٧٨ وح١٠٧٦ ص ٢٧٩ وج٢ ح٤٢٠٨ ص٤٩٤ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج١ ح١ وح٢ ص٨٠ وح١٤ ص٨١ وح١٧ ص٨١ ؛ مسند ابن راهويه ج٣ ص٧٤١ وص٨٣٣ وص٨٣٤ وص٨٥١ وص٨٥٢ وص٨٥٥ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٥٢٢ ص١٩ وح٤٥٩٥ ص٧١ وح٤٧٧٢ ص٢٠٩ وح٤٧٨٢ ص٢١٦ وح٤٨٩١ ص٢٩٨ ؛ شرح معاني الآثار ج١ ص١٢٤ وص١٢٥ وص١٢٦ ؛ المعجم الأوسط ج٢ ص٣٤٥ وج٥ ص١٦٩ وص٢٤٢ وج٦ ص١٦٤ وص٢٢٠ وج٨ ص٣١١ ؛ مسند الشاميين ج٤ ح٢٨٢٩ ص٩٤ ؛ صحيح ابن خزيمة ج١ ص١٠٧ ؛ صحيح ابن حبان ج٤ ص١٨ وص٢٠ ؛ سنن الدارقطني ج١ ص١٣٢ و١٣٣؛ ناسخ الحديث ومنسوخه ص١٣٠ وص١٣١ وص ١٣٢ وص١٣٣ ؛ تأويل مختلف الحديث ص٢٢٤ ؛ موارد الظمآن ص٨١ ؛ كنـز العمال ج٥ ح١٤٥٧٧ ص٨٧٢ وج٧ ح١٨٢٣٨ وح١٨٢٣٩ ص١١٤ وح١٨٢٦٠ ص١١٧ وج٩ ح٢٧٤٣٤ وح٢٧٤٣٥ وح٢٧٤٣٧ وح٢٧٤٣٨ وح٢٧٤٣٩ وح٢٧٤٤١ وح٢٧٤٤٠ وح٢٧٤٤٢ ص٥٦٣ ـ ٥٦٥ وج١٥ ح٤١٩٥٩ ص ٤٩٤ ؛ شرح مسند أبي حنيفة ص٤٧ وص٢٣٧ ؛ فيض القدير ج٥ ح٦٥٤٧ وح٦٥٤٨ ص١٢٠ وح٧١٧٩ ص٣١٧ ؛ شرح مسلم للنووي ج٣ ص٢١٥ وص٢١٦ وص٢١٨ ؛ تحفة الأحوذي ج١ ص٣٢١ وص٣٢٢ وص٣٢٣ وج٣ ص١٩٠ وج٥ ص٤٧٣ ؛ عون المعبود ج١ ص٢٥٨ وص٢٦٠ وج١٠ ص١٦٨؛ فتح الباري ج١ ص٣١١ ؛ فتح العزيز ج٢ ص١٥١ و١٥٢ ؛ المجموع ج٢ ص١٥٦ و١٥٧ ؛ تلخيص الحبير ج٢ ص١٥٣ ؛ المدونة الكبرى ج١ ص٣٠ ؛ بدائع الصنائع ج١ ص٣٨ ؛ الجوهر النقي ج٧ ص١٩٣ و٢٧٦ ؛ المغني ج١ ص٢٢٩ ؛ كشاف القناع ج١ ص١٨٥ ؛ المحلى ج١ ص٨٦ وص٨٧ وج٢ ص٢٢١ ؛ بداية المجتهد ج١ ص٣٨ ؛ سبل السلام ج١ ص٨٩ ؛ نيل الأوطار ج١ ص٢٧٠ وص٢٧٢ ؛ فقه السنة ج١ ص٥٨ ؛ الكامل لابن عدي ج٥ ص٤٢ وج٦ ص٤٠٩ ؛ تاريخ بغداد ج٩ ص٣٧٥.

سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه الولاء، وإذا أراد أن يطعم غسل يديه ثم يأكل[1].

قال الهيثمي بعد أن أورد الحديث: ورجال الكبير، ثقات[2].

أقول: ما ذكره الهيثمي لا يصح بوجه، وقد ضعَّف هو نفسه بعض رجال إسناد الحديث وهو يعقوب بن حميد، بل في رجال الإسناد من ضعَّفه جمهورهم[3].

---

(١) المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٠٨.

(٢) مجمع الزوائد ج١ ص٢٧٤.

(٣) أقول: أما «أسمع» شيخ الطبراني فهو:

١ ـ **أحمد بن عمرو الخلال المكي**، كما يوضحه العشرات من الموارد، فقد عبَّر عنه تارة بأحمد بن عمرو أسمع راوياً عن يعقوب بن حميد، وعن يعقوب بن حميد بن كاسب، وعبر تارة بأحمد بن عمرو أسمع المكي راوياً عن يعقوب بن حميد، وعن يعقوب بن حميد بن كاسب، وعبر ثالثة أحمد بن عمرو الخلال المكي راوياً عن يعقوب بن حميد، وعن يعقوب بن حميد بن كاسب، وعبر عنه رابعة بأسمع راوياً عن يعقوب بن حميد. (من تلك الموارد: المعجم الكبير ج٦ ص٨٣ وص١٢٧ وص١٧٢ وص١٧٣ وج٢٠ ص١٥٩ وج٢٤ ص١٩ وص٢٦ وص٥٦ وص٢٨٤ وص٤٤٥.ومنها المعجم الكبير ج٢٤ ص٣٣. ومنها: المعجم الكبير ج٤ ص١١٧ وص١٥٦ وج٦ ص٧٥ وص١٢٣ وص١٢٤ وج٧ ص١١٤ وص١٤٣ وص١٤٤ وج٨ ص١٤٨ وص٢٢٤ وج٩ ص٤٤ ص٦٣ وج١٧ ص٦٤ وص١٦٢ وج١٨ ص٦ وص٨ وج١٩ ص٦٦ وص١٦٦ وج٢٢ ص٧٢ وص٣٧٥ وج٢٤ ص١٠٦ وص١٣٨ وص٢٥٥. ومنها: المعجم الكبير ج٣ ص٢٠١ وص٢٠٤ وج٤ ص١٢٢ وص١٧٦ وج٥ ص١٣١ وص١٥٢ وج٦ ص١٢٢ وص١٢٣ وج٧ ص١١٤ وص١١٥ وج٩ ص٢٧ وج١١ ص٣٤٠ وج١٧ ص١٢٩ وج٢٢ ص١٧٠. ومنها: كتاب الدعاء ص٣٠٧؛ المعجم الكبير ج١ ص١٩٢ وج٦ ص٧٨ وج٩ ص٢٧ وج٢٠ ص٣٨٨. ومنها: كتاب الأوائل ص٣٦؛ كتاب الدعاء ص٤٨٦ ومنها: المعجم الكبير ج٢٣ ص٣٥٤ وص٤٠٤ وص٤٠٨ ص٤٠٩).

هذا، وقد تتبعنا ـ بحيث لم نُهمِل مورداً يُحتَمل فيه التعرض لبيان أحوال الرجال إلا وبحثنا فيه لنتعرف على حال أحمد بن عمرو الخلال ـ فلم نظفر بترجمة له ولو في غاية الاختصار، فما ذكره الهيثمي من أنه ثقة لم نعرف منشأه.

٢ ـ **يعقوب بن حميد.**

قال المزي: يعقوب بن حميد بن كاسب، روى عن أبي ضمرة أنس بن عياض الليثي، روى عنه أحمد بن عمرو الخلال. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٧٠٨٦ ص٣١٨ ـ ٣٢٠).

ضعَّفه يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وابن حزم، وبحسب تعبير الهيثمي ضعفه الجمهور. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عن ابن كاسب، فحرَّك رأسه: قلت كان صدوقاً في الحديث، قال: لهذا شروط. وقال يحيى بن معين أيضاً: إن حديثه لا يجوز. وقال أبو حاتم ضعيف الحديث. وقال أبو زرعة في حديث رواه ابن كاسب: قلبي لا يسكن على ابن كاسب. وقال عباس العنبري: يوصل الحديث. وقال زكريا بن يحيى الحلواني: رأيت أبا داود السجستاني صاحب أحمد بن حنبل قد ظاهر بحديث بن كاسب، وجعله وقايات على ظهور ركبته، فسألته عنه فقال رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها، فطالبناه بالأصول فدافعها، ثم أخرجها بعد، فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيَّرة بخطٍّ طري كانت مراسيل، فأسندها وزاد فيها. وقال صالح جزرة: تكلم فيه بعض الناس. وقال الذهبي: كان من علماء الحديث، لكنه له مناكير وغرائب.

نعم ذكره ابن حبان في الثقات، إلا أنه قال: اعتمد على حفظه فربما أخطأ في الشيء بعد الشيء.

أقول: بعد تضعيف أئمة الجرح والتعديل عندهم لابن كاسب، واعتراف ابن حبان الموِّثق له بأنه كان يخطأ، فقد سقط حديثه عن الاعتبار، ولا شبهة بأنه على هذا لا يصلح الاحتجاج بحديثه على مبناهم. (الثقات ج٩ ص٢٨٥ ؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١٦٣٣ ص٢٦٥ ؛ التعديل والتجريح ج٣ رقم١٥٣٠ ص١٤٢٤ ؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٦١٦ ص٢٤٦ ؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم٢٠٧٥ ص٤٤٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٨٦١ ص٢٠٦ ؛ الكامل لابن عدي ج٧ ص١٥١ ؛ تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٧٠٨٦ ص٣١٨ ـ ٣٢٣ ؛ المحلى ج٩ ص٥٠٤ ؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم٩٨١٠ ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٦٣٨٧ ص٣٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٦٤٦ ص٣٣٦ ـ ٣٣٧).

أقول: على أن الهيثمي هو نفسه قد ضعَّفه. (مجمع الزوائد ج٦ ص١٩٣ وج٩ ص٢٤٣).

٣ ـ يونس بن يزيد.

قال المزي: أنس بن عياض بن ضمرة روى عن يونس بن يزيد الايلي، روى عنه يعقوب بن حميد ابن كاسب. (تهذيب الكمال ج٣ ص ٣٤٩ ـ ٣٥١).

وقال أيضاً: يونس بن يزيد الأيلي، روى عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، روى عنه أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٧١٨٨ ص ٥٥١ ـ ٥٥٢)

أقول: قال ابن سعد: يونس بن يزيد الأيلي، كان حلو الحديث كثيره، وليس بحجة، وربما جاء بالشيء المنكر. وقال وكيع: لقيت يونس يعني الأيلي فجهد الجهد حتى يخلص منه حديث واحد، فلم يكن

أقول: فثبت من خلال ما ذكرناه في الهامش السابق، ومما أشرنا إليه من مصادر وجود حديث عائشة، أنّ حديث نوم سيدنا محمد ﷺ على الجنابة لم يعرفه المسلمون إلا من طريق السيدة عائشة.

والراوي عن عائشة يريد أن يقول لنا: بأنها الزوجة الأمينة على الدين، وعلى أن لا يفوت الأمة أيٌّ شأن من شؤون النبي ﷺ، وهي التي قد انفردت عن باقي أزواجه باطلاعها عليه ومعرفته، فحرصاً منها على أن لا يموت الأثر جهدت بالتحديث به هنا وهناك.

ولكن الراوي عن عائشة تجاهل وتغافل عن أن للنبي ﷺ زوجات غير عائشة، فكان عليه أن يخترع عدة أحاديث، ينسب إلى كل زوجة منهن ما نسبه إلى عائشة من حديث.

وهنا نسأل: لماذا اقتصر الأبناء المخلصون للسيدة عائشة في الافتراء عليها، وفي تخصيصها بروايتها لأحاديث تقدح وتسيء للنبي ﷺ، مع أنهم هم

يحفظ. وقال أيضاً: رأيت يونس الأيلي وكان سيِّء الحفظ. وقال مقاتل بن محمد: سمعت وكيعاً يقول: لقيت يونس بن يزيد الأيلي وذاكرته بأحاديث الزهري المعروفة، وجهدت أن يقيم لي حديثاً فما أقامه. وقال أحمد بن حنبل: يونس بن يزيد، لم يكن يعرف الحديث. وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: في حديث يونس بن يزيد منكرات عن الزهري. وقال الأثرم: ضعَّف أحمد أمر يونس. وقال ابن حجر: ثقة، إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأ. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥٢٠؛ معرفة الثقات ج٢ رقم٢٠٦٨ ص٣٧٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١٠٤٢ ص٢٤٧ ـ ٢٤٩؛ التعديل والتجريح ج٣ رقم١٥٢١ ص ١٤١٩؛ تهذيب الكمال ج٣٢ ص ٥٥١ ـ ٥٥٧؛ تهذيب التهذيب ج١١ ص٣٩٥ ـ ٣٩٧؛ تقريب التهذيب ج٢ ص٣٥٠).

أقول: وظاهرهم الاتفاق على أن حديث يونس عن الزهري فيما يكون من كتابه حجة، ونحن بدورنا نحتمل أن يكون حدَّث أنس بحديث أم سلمة من حفظه، وقد صرح أئمة الفن عندهم بأنه كان سيىء الحفظ.

أولى الناس بتنزيهها وعدم الافتراء عليها؟

مع أن الراوي عنها ابن أختها عروة بن الزبير، بل وقد روى الحديث عنها الأسود بن يزيد أيضاً، وقد مر في ترجمته في حاشية الحديث الثالث المتقدم، أنَّ عائشة قالت: ما بالعراق رجلٌ أكرم عليَّ من الأسود بن يزيد.

فهل أن أكرم رجل في العراق على عائشة، قد تعمد أيضاً الافتراء والتحريف على لسانها؟

وينبغي قبل البدء بمناقشة مضمون الحديث أنْ نشير أولاً إلى أنَّ حديث نومَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على جنابته يفيد تكرار ذلك منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بل يفيد أن عادته كانت كذلك، فقول عائشة: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ينام وهو جنب ولا يمس ماء»، وقولها: «كان يجنب ثم ينام كهيئته لا يمس ماء»، لا يفيد وقوع ذلك من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نادراً أو لوجود عذْر، بل يفيد أن ديدنه وطريقته كانت كذلك، ولا مجال لأحد لإنكار إفادة قولها وكلامها لهذا المعنى.

تنبيه: قد أشرنا مراراً أننا لا نناقش وفقاً لأصول مذهبنا، فإن الشخص الذي تتحدث عنه السيدة عائشة لا يمكن أن يكون في مذهبنا ـ مع كونه بهذه الصفات ـ نبياً بحال من الأحوال، ولا يُفهم من كلامنا هنا أننا نلتزم بعروض النجاسة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من الجنابة والعياذ بالله تعالى، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهَّره تطهيراً، فلا تغفل عن هذا المعنى.

الجنابة قذارة معنوية:

قال الله تعالى في محكم كتابه ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

أقول: إن البقاء على الجنابة لا يعدُّه أبناء الشريعة شيئاً محموداً، ولو تكرر من المتدين فإنهم يعدونه متهاوناً في طهارته قطعاً، هذا بغض النظر عن بعض الظروف والحالات التي تُعتبر عذراً للنوم على جنابة، وكلامنا أبداً لا يكون ناظراً إلى حالات الاضطرار ووجود العذر.

نعم لم يلتزم أحد من الفقهاء بأن النوم على جنابة محرَّم، فإنه جائز بلا شبهة، ولكنَّ جواز شيء من الأشياء لا يعني خلوَّه عن جهة غير راجحة، وعن قبْح شرعاً وأخلاقاً.

ولا يمكن أن يكون زيد القائل بأن أبا بكر بن أبي قحافة كان يجنب وينام، مادحاً إياه على مواظبته على الطهارة، بل لو ثبت هذا الشيء بحق شخص عادي فإنه يُسقطه عن درجة أهل اليقين.

الوجدان شاهد صدق:

هذا وكلُّ بالغٍ من المسلمين العارفين بالأحكام الشرعية بل الناشئين في بيئة إسلامية محافظة حتى لو لم يكن هو من المحافظين، يُدرِك بوجدانه أنَّ للتقلُّب والبقاء على الجنابة أثراً سلبياً على عالَم الروح والنفس، ولا نتصور أن ينازعنا أحد في هذا.

وكل مسلم يُدرِك في نفسه عند فراغه من مقاربة الجنابة حالة خاصة، لا يكاد يتخلص منها إلا بالإغتسال.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

ولن يأتي يوم على أحد من المسلمين يرى أنه من الممدوحين فيما إذا كان يقضي الليل متقلباً في فراش جنابته.

والذي يُسهِّل ويُهوِّن الخطب، أننا في مقام بيان أمْر يُدرك جميع البالغين من المسلمين صحته، ويعلمون علم اليقين صوابه، ولا نحتاج إلى التدليل على صحة أمْر يعرفه الجميع بوجدانهم.

ولا يكاد يخفى أن وجدان الشخص لا يمكن أن يخونه، اللهم إلا إذا تحوَّل الشخص إلى عنصر شيطاني خبيث، فيغدو لا وجدان حقيقة عنده، ولا شعور لديه، وهذا النحو من الناس لا نتكلم معهم.

والذي لم نهتدِ إليه، أنه لماذا يأتي حديث النوم على الجنابة في حق رسول الله ﷺ، في حين أن النوم على الجنابة لا يعدُّه أحد شيئاً راجحاً مرضياً حتى بحق أدنى الناس؟

وكل ذي اطلاع على الشريعة الغراء يعي جيداً أن مقصد الشريعة بلوغها بالنفس الإنسانية مدارج الكمال، ولا ريب أن عدم المحافظة على الطهارة من حدث الجنابة حال النوم لا ينسجم مع الكمال المطلوب تحصيله للشارع الأقدس، ولا يساعد على الترقي في حالات القرب المعنوي من ذي الجلال سبحانه، فإنَّ حَدَث الجنابة مانع عن ذكْر الله تعالى وعبادته، والاغتسال من الجنابة شرط لصحة كينونة الإنسان قريباً من رحمة الله تعالى، ومواضع رضاه.

والنفسُ حيث تكون متلبِّسةً بالجنابة، ممنوعةٌ عن النظر في ملكوت الحق سبحانه، عاجزةٌ عن درْك الحقائق، قاصرةٌ عن السياحة في آفاق المعرفة الحقة، مقهورةٌ مقيَّدةٌ بأغلال المادة، لا تنفك تلك الأغلال إلا بإجراء الماء على كل

أجزاء الجسد الظاهر الحامل للنفس الباطنية.

ولا شك أن للجسد نحو تأثير على النفس، وإنْ عجزت عقولنا عن إدراك حقيقة ذلك، ويكفي أنَّ النفس تتقلَّبُ بتوسط تقلُّبِ هذا الجسد المادي، بقطع النظر عن بلوغها مرتبة القاهرية للجسد الحامل لها، فإنَّ قاهريتها للجسد لا يكون إلا بتوسيط الجسد ابتداءً، ولا يسمح لنا المجال للتوسعة في هذا المقال، فله أهله وليس المحل محله.

هل سيدنا محمد ﷺ حبيب الله؟

وقد سمعنا الله تعالى وقد نطق كتابه بلسان عربي مبين غير ذي عوج، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

ولعل أشرف ألقاب سيدنا محمد ﷺ أنه حبيب رب العزة ذي الجلال سبحانه، فيا ترى كيف صار حبيب ربه، وهو الذي ـ كما في حديث السيدة عائشة عنه ـ كان ديدنه النوم على الجنابة؟

وكيف غدا سيدنا محمد ﷺ سيد الخلق وأفضلهم وأشرفهم، وهو في حديث عائشة المحافظ على التلبُّس بالأمر المرجوح غير الممدوح عليه؟

وما الذي كان يمنع الرسول الأكرم ﷺ من تصديق ربه بما نعَتَه ووَصَفَه به ربه من كونه أشرف الخلق، وأفضلهم، وأحبهم له تعالى ولِمَا يرضاه.

وكيف يكون النبي الذي تحدثت عنه عائشة صادقاً مع ربه ونفسه ومع أبناء

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

أمته في تبليغه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، في حين أنه كان حريصاً جداً على النوم مع جنابته؟

وكيف يكون النبي الذي حدثتنا عنه عائشة هو أشرف جوهر، وأنقى معدن، وأطهر قلب، وأزكى نفْس، ظهرت في عالَم الإمكان، والحال أنه كان حريصاً مواظباً على النوم دون أن يغتسل من جنابته؟

والله إن المسلمين جميعاً يُبرِّئون من ينسبهم الناس إلى زمرة وجماعة الأخيار عن ذلك.

فهل أنهم في تبرئتهم إلى يومنا هذا، قد اجتمع عقلاء مسلمي الدنيا على شيء باطل!

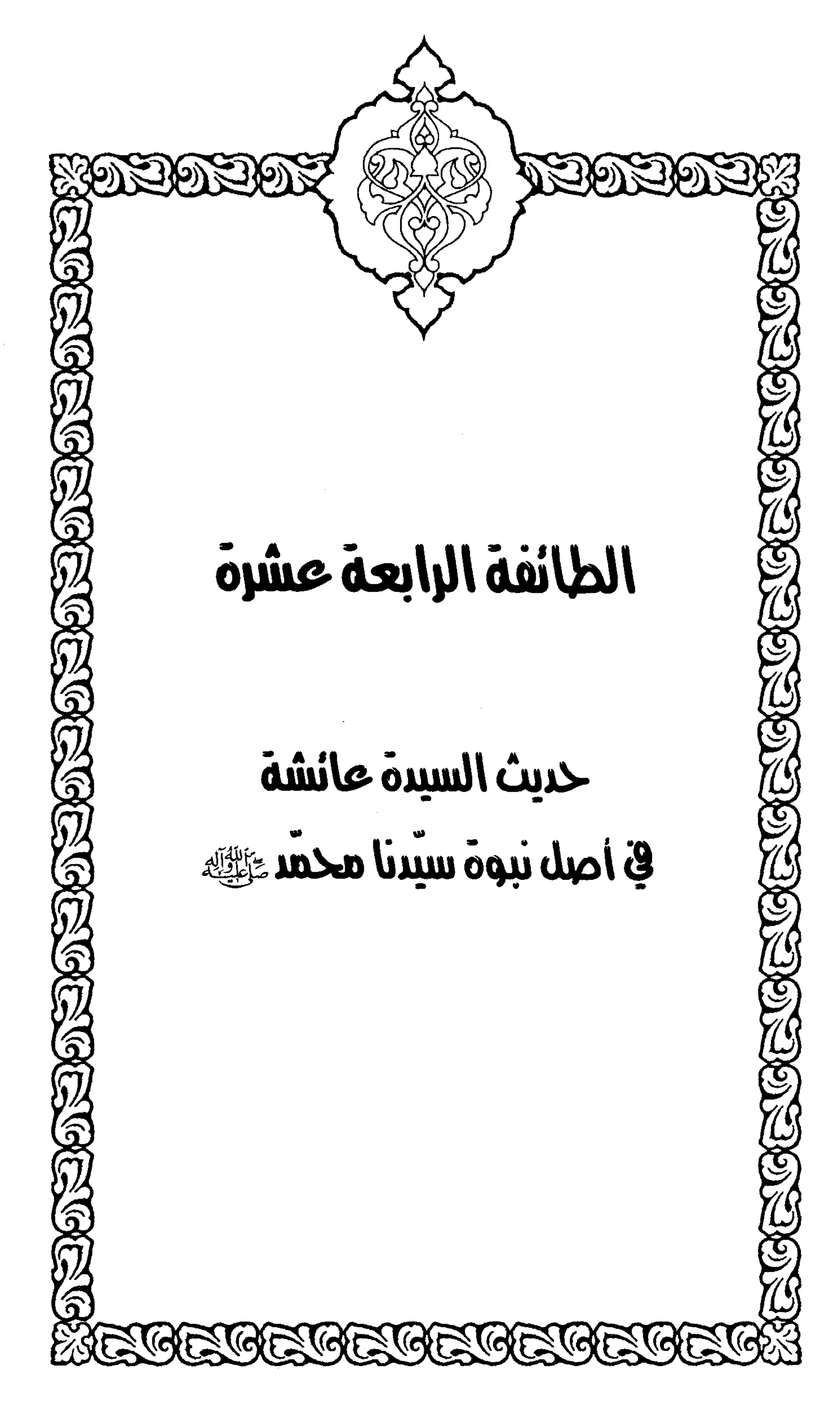
وكيف يكون النوم على الجنابة شيئاً حقاً محبوباً لله تعالى مرضياً عنده سبحانه، وهو القائل جل وعلا أنه يحب المتطهرين؟

وأي عذر لرسول الله ﷺ في ما كان يرتكبه، وكيف رضي أن ينعته الناعتون بأنه أحب الخلق إلى الله تعالى؟

ولا أدري كيف أخبرنا الله تعالى عن كون النبي ﷺ الذي تحدثت عنه عائشة هو حبيبه، وأشرف وأفضل خلقه!

عذراً سيدي يا حبيب الله وخيرته من خلقه، لا أدري ماذا يقصد المحرِّفون على لسان زوجتك تحقيقه؟

أيريدون الإساءة إلى زوجتك عائشة التي ينسبون إليها أحاديث تسيء إلى مقامك، أم أنهم قصدوا الحطَّ من مقامك وقدْرك للذب عن شخصيات طالما عادتْك وحاربتْك ولم تؤمن بك؟



الطائفة الرابعة عشرة

حديث السيدة عائشة
في أصل نبوة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله

أخرج البخاري، ومسلم، والصنعاني، وابن حنبل، وابن حبان وغيرهم بإسنادهم عن عائشة- واللفظ للبخاري - أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، وهو التعبُّد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فَجَأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: إقرأ، فقال له النبي ﷺ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم، فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال يا خديجة: مالي! وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا أبْشِرْ، فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له

خديجة: إي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة ابن أخي: ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وآله ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوَ مخرجيَّ هم! فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة، حتى حزن النبي صلى الله عليه وآله فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقي منه نفسه تبدَّى له جبريل عليه السلام، فقال يا: محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكُنُ لذلك جأشه، وتقرُّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل عليه السلام فقال له مثل ذلك[1].

أقول: مضافاً إلى رواية البخاري ومسلم له في الصحيح، فقد رواه أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، ورواه الصنعاني عبد الرزاق عن معمر، ورجال السند من أعيان الثقات عندهم[2].

أقول: لا مجال لنا للحديث مع القوم بما يُدركه العقل وبما يستقل بالحكم

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٣٢ ؛ صحيح البخاري ج١ ص٣ وج٦ ص٨٧ وج٨ ص٦٧ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٩٧ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٨٣ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٢٠٦ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٥١ وج٩ ص٥ ؛ المصنف للصنعاني ج٥ ح٩٧١٩ ص٣٢١ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص ٣١٤ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٠٢ ص٣٨٦ ؛ الذرية الطاهرة النبوية ص٣٣ ؛ صحيح ابن حبان ج١ ص٢١٦ ؛ جامع البيان ج٣٠ ح٢٩١٥٢ ص٣١٧ ؛ أسباب نزول الآيات ص٥ ؛ الثقات ج١ ص٤٨ ؛ أسد الغابة ج٥ ص٤٣٦ ؛ تاريخ الطبري ج٢ ص٤٧ ؛ السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص٣٨٥.

(٢) تقدم بيان حال الزهري محمد ومعمر في حاشية الحديث الثاني من أخبار الطائفة الخامسة، وبيان حال عبد الرزاق في حاشية الحديث الثالث من الطائفة الرابعة، وبيان حال عروة بن الزبير في حاشية الحديث الأول من أخبار الطائفة الأولى.

به، إذ الظاهر أنهم في معزل عنه، على أن العقلاء مأمورون بالتكلم مع الآخرين بما يُدركونه، ولا غرو أن يقصر جماعة من الناس عن إدراك ما لا يقصر عن إدراكه مَن هو أدنى من غير تلك الجماعة، فإنهم عن الحق لمعزولون بعد أن اختاروا عن سابق تصوُّر وتصميم وعزموا على أن يعطوا عقولهم إجازة، بل في الحقيقة قد عطَّلوها ظناً منهم أنَّ تعطيلها يقضي بدخولهم في جملة العجماوات، فيأمنوا من المطالبة والحساب، ولم يتفطنوا إلى أن الله تعالى لا يخفى عليه خافية، وأنه العالم بما أودع فيه من قوة عاقلة مفكِّرة.

وعلى أي حال، فإن هذا الحديث عن السيدة عائشة نظن أنه من مخترعات اليهود، وقد نسبوه إلى عائشة حتى يخفى مكرهم.

فعائشة التي ولدت كما تقول بعد البعثة بخمس سنين، لا يمكن لها أن تروي حَدَثاً وقع قبل ولادتها، فإن هذا من سخرية التأريخ.

ونحن هنا أمام احتمالات لا ضرورة للتفصيل في كونها منحصرة، فإما أن نتهم ابن حنبل والبخاري ومسلم ومَن في طبقتهم بتواطئهم في الافتراء على السيدة عائشة باختراعهم هذا الحديث ونسبته إليها من خلال زعمهم أن عبد الرزاق الصنعاني مثلاً قد حدَّث به، وإما أنَّ المتهم هو عروة بن الزبير ابن اختها الراوي عنها أو غيره من رجال السند، وإما أنَّ هذا الحديث فعلاً قد ذكرته السيدة عائشة.

ونحن نظن أن المتهم إما أصحاب الصحاح، وإما الرواة.

ولكنهم جميعاً من أعيان الثقات عند أبناء العامة، وقد زعموا أن الحديث حدَّثهم به فلان المجمَع على ثقته عندهم عن مثله عن عائشة.

والرواة قد وثَّقهم ابن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأبو زرعة، والعجلي، وابن حبان، وغيرهم، وأصحاب الصحاح أيضاً.

ومهما يكن، فالحديث قد اشتمل على جملة من الفقرات الظاهرة البطلان بحيث لا يكاد يخفى على أدنى الناس أنها من الباطل المحض.

فالنبي شاكٌّ مرتاب في نبوته، وجبرئيل عليه السلام يعامله معاملة الوحش الضاري، وابن نوفل هو المصدِّق بالنبوة والشاهد لها، وهكذا، ونحن لن نعلِّق على هذا الحديث كثيراً، ولا نُبيِّن وجوه الفساد جميعها بل نقتصر على الشيء القليل فحسب، وإلا فإنَّ الحديث مشتمل على فقرات لو عمدنا إلى تحليلها وتحليل مفادها وتبيين دلالاتها لطالت وقفتنا معه جداً، فلا تظنَنَّ أن ما نشير إليه هو خصوص ما في الحديث من باطل وخطل وزلل.

مقام النبوة:

أقول: إن مقام النبوة مقام السفارة والنيابة بمعنى من المعاني عن المولى تعالى، بداعي إعلامهم بمواقع رضاه تعالى، ولتحقيق بلوغهم السعادة المرجوة لهم في الدارَين والنشأتين، لذا تفضَّل سبحانه ببعث الرسل مبشِّرين ومنذرين، صادعين بالحق من عند الحق تعالى، لا يشوبهم نقص، ولا يعتريهم غفلة، ولا يقرب منهم باطل.

والحكمة الإلهية تقضي بأن لا يكون في البين أية ثغرة يمكن للباطل من خلالها أن يدخل نفوس الناس وقلوبهم، وإلا فلا تتمُّ لله تعالى الحُجَّةُ على الناس، وينتهي الحال إلى وجود مبرِّر معقول ومقبول للجاحد المنكِر.

وكمال الدين لا يكون إلا بواسطة كمال مبادئه وطريقته ومسلكه، وكلما كان الشيء المكلَّف به عظيماً وخطيراً كلما تطلب نحواً خاصاً من التبليغ، في حين أن أهمية المقام تتطلب شخصاً يتناسب بروحه وعقله وفكره مع ذلك المقام، وإلا فالضلال خاتمة أمْره.

صحيح أننا لم ولا ولن نرى الله تعالى، غير أننا عرفناه جلت كلمته في لطيف حكمته، وبالنظر إلى آثار لطفه التي أودعها كل ما يحيط بنا.

وكما أن عظمة السلطان نقرؤها ونتعرف عليها من خلال لطيف تدبيره وحكمة صنعه، فكذا نقف على جميع فضائله وصفاته بالنظر إلى آثاره وأفعاله.

فكل فعْل وكل أثَر لا يتناسب مع مقامه لا نحتاج لإقامة البرهان على براءته منه، فإن الأثر يحكي ويدل على صاحبه بلسان التكوين والحال الذي لا يقبل تأويلاً بارداً، ولا يحتمل تفسيراً آخر.

ولا يسعنا في هذا المختصر أن نُدلِّل على أنّ النبوة ليست من السخافة بالنحو الذي صوَّره لنا الراوي عن السيدة عائشة، فإنَّ وجدانَ كل ذي وجدانٍ يشهد بأنَّ مضمونَ الحديث باطلٌ، ولا يرضاه عاقل على أدنى ملوك البلدان، ولا يضطر المولى سبحانه إلى استخدام مثل هذا الأسلوب الذي لا يليق بعاقل فضلاً عن رب حكيم.

على أن نبوة النبي ـ أي نبي من الأنبياء ـ تفتقر إلى وجود اليقين بها لصاحبها ولتابعيه، ويتوقف الاحتجاج بصاحبها وبما يصدع به على وضوح الحق فيها، وعلى غياب الباطل عن جميع شؤونها وحالاتها وتقلباتها.

ولو أنه دخل الباطل إلى أي شأن من شؤون النبوة، فإنه تبطل وتفسد نبوته

بحكم ما يجيء به من الحق، فتغدو النبوة وهي الدليل على الحق دليلاً على بطلانها نفسها، ويصير الحق ـ وهو النبوة ـ باطلاً من وجه، ويكون الباطل ـ وهو النبوة ـ حقاً من وجه آخر، وهذا تهافت في العقل والفطرة والمنطق.

وكلما اشتدت سطوة الباطل في مرحلة ما، وكلما تعمقت في أذهان الناس جذوره، كلما تطلبت تلك المرحلة نحواً من الرحمة الربانية تتناسب مع خطورة المرحلة، وتنسجم مع تطلعات المستقبل.

نبوة سيدنا محمد رحمة للعالمين:

أقول: لا شبهة أن الشيء لا يصدق عليه أنه رحمة من الله تعالى إلا فيما يتحقق به غرضه تعالى الموافق للحكمة البالغة، وقد قال الله تعالى مخاطباً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1].

وكون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رحمةً لجميع العوالِم يتوقف على كونه مصداقاً للرحمة في جميع شؤونه.

فسلْمُهُ صلى الله عليه وآله رحمةٌ كما هي حرْبُهُ، وظاهره رحمة كما هو باطنه، وأوَّله رحمة كما هو منتهاه، ومبدؤه رحمة كما هي غايته، وهكذا من دون أدنى تفاوت أو تهافت وتناقض.

ولا شك أنَّ الرحمة مظهَرٌ من مظاهر الحق سبحانه، لذا لا يمكن أن يجامعها الباطل بأي نحو من الأنحاء، فالرحمة أينما تحقَّقت لا تكون إلا حقاً، والرحمة أبرز صفات المولى الحق سبحانه، وليس في صفاته موردٌ للباطل جلَّ ربي.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

وعليه، فكلٌّ شيء يكون سبباً للضلال، وعوناً للباطل، ووجهاً للفساد، لا يكون رحمة بأي حال من الأحوال.

وحديثُ عائشة في مبدأ نبوة سيدنا محمد ﷺ، حديثٌ عن شيء ظاهره كما باطنه باطل، فهو كما ستأتي الإشارة إلى ذلك يدل على كون النبي ﷺ جاهلاً، متردِّداً، شاكّاً.

إنَّ حديث عائشة حديثٌ عن رجل حيران هائم أصابه الذهول والرعب، ولولا الشيخ النصراني لَمَا اهتدى سيدنا محمد ﷺ إلى الحق سبيلاً.

هو حديث عن نبي طالما حاول الانتحار هرباً من واقعه الحزين، وحاضره المرير.

وأنت أيها الناظر في مضمون حديث عائشة، تجده يشكو من الافتقار إلى أدنى مقدار من الرحمة واللطف.

والنبوة التي يكون حالها ما جاء في حديث عائشة، لا يمكن أن تكون مظهَراً من مظاهر رحمة الله سبحانه، فإن رحمة الله تعالى لا تكون في مواقع الجهل، والتردد، والحيرة، والشك، واليأس والقنوط، والغفلة، والقسوة، والشدة، والغلظة، والإكراه، والسطوة.

ومثل هكذا نبوة لا تصلح حجة لله تعالى ولا يتم بها غرضه سبحانه، فبطلت أن تكون نبوة، وأقل محذور فيها أنها أثَرٌ من آثار لاعب ساخر، وليست نوراً من أنوار حكيم عزيز.

على أنه كيف يصح عندهم في الله تعالى وفي حكمته ولطفه، أن تكون النبوة الخاتمة قد اكتسبت شرعيَّتها وبيِّنتها من شيخ نصراني، ويكون المصدِّق

بالنبوة غير النبي؟

وألطف ما في التأريخ أن يكون سيدنا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شاكاً في نبوته، ويكون من سيدتنا خديجة عليها السلام التصديق بالنبي بما هو يجهله ولا يعرفه، ويكون بطلُ النبوة شيخاً نصرانياً، يدل محمداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ويهديه!

ففي حديث السيدة عائشة نجد أن سيدتنا خديجة عليها السلام ذهبت بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى ورقة بن نوفل بحثاً عن بيِّنة في شأن نبوة نبينا، وفي المقابل ورد في القرآن الكريم ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي**﴾[١].

فيا ترى هل نأخذ بقول الله تعالى، أو أنَّ الصادق هنا هي عائشة القائلة بأنَّ الذي كان على بيِّنة هو ورقة بن نوفل؟!

وعائشة حدثتنا عن أنَّ سيدتنا خديجة ذهبت برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى ورقة بن نوفل لِيُطيِّب نفسه، ويخفف عنه، ويهديه إلى الحق، ويُعرِّفه حقيقة ما رأى.

ولكن الله تعالى قال ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[٢].

فهل أنَّ الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان على بصيرة من أمره وحقيقة نبوته كما يقول الله تعالى؟ أم أنَّ ورقة بن نوفل هو الذي كان على بصيرة من نبوة سيدنا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فما كان من سيدتنا خديجة صلوات الله عليها إلا أن توسلت بورقة حتى يفيض على زوجها من معادن الحكمة والعلم والمعرفة، ليستبصر بنوره، ويستهدي بهداه؟

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٧.

(٢) سورة يوسف عليه السلام الآية ١٠٨.

صدق الله الذي أنزل القرآن بالحق، وقال﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[1]!!

ولنكتفي بهذا المقدار، ولْنَعْطِف الكلام على بعض ما ورد في حديث السيدة عائشة.

استعراض جبرئيل عليه السلام لقوته وبطشه:

الفقرة الأولى: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد».

أقول: لماذا هذا العنف من أمين الله تعالى جبرئيل عليه السلام؟

وهل كان في مقام إظهار قوته وغلبته؟

أم في مقام إظهار رحمة ربه بنبيه ورأفته به؟

يريد الراوي أن يقول:إنَّ جبرئيل عليه السلام كان مكرَهاً في النزول على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، فكان يريد أنْ ينزل على غيره، ولكن ربه أراده أن ينزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فلم يكن من جبرئيل إلا أن بادر إلى استعمال العنف والقسوة ظناً منه أنَّ مثل هذا الأسلوب سيقضي بفرار المصطفى صلى الله عليه وآله وهروبه، وبذلك لا يتمُّ لله تعالى مراده.

وفعلاً، وبعد أن تكرر من أمين الله تعالى فعْلُهُ، فقد نححجت من جبرئيل عليه السلام خطتُهُ، وغلب على إرادة الله تعالى أمْرُهُ، ففرَّ سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله هارباً خائفاً ذعراً، ولاذ بسيدتنا خديجة صلوات الله وسلامه عليها.

فأتى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله خديجة، «فقال: يا خديجة مالي! وأخبرها الخبر،

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله الآية ٢٤.

وقال: قد خشيتُ على نفسي».

وبلسان الحال: يا خديجة! ما الذي فعلته حتى أعامل هذه المعاملة وبهذا الشكل من الفظاظة والقسوة؟ لقد كادت روحي تزهق، وخشيتُ على نفسي.

أيا زوجتي هل من مجير يجيرني، هل من مغيث يغيثني، هل من أحد تعرفينه فأطلعَه على أمري، وعسى أن يرشدني ويهديني؟

تهدئة خديجة عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وتسلية خاطره.

الفقرة الثانية: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل».

وكأن لسان حال خديجة عليها السلام، خفِّف عليك يا محمد، فإن هذا العنف الذي رأيته لم يكن مقصوداً من الله تعالى، وإنما هذا شيء فعله جبرئيل عليه السلام من نفسه لتحقيق غايته.

وإنني على يقين أنَّ في الأمر لبساً، فلا تبتئس بما فعله بك هذا الغريب القاسي اللئيم، ولسوف أتحرى في أمْرك رشداً.

وكيف يخزيك الله تعالى يا محمد! وأنت تكسِب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...، فاهدأ وهلمَّ معي نفكر في الأمر، فإن ما ذكرته لعجيب غريب.

بل دعك من التفكير، واترك الأمر إلي، سأرى ما يمكنني فعْلُهُ.

تنبيه: نحن لا نُنكِر على سيدتنا خديجة صلوات الله عليها حكمتها ورفيع شأنها ومنزلتها، ولكننا نُنكِر أن تكون بشارة النبوة بهذا المستوى من السخافة

والصلافة والسخرية.

وكيف يكون سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شاكاً مرتاباً بالنبوة، وما الذي أراد الله تعالى تحقيقه؟

الموقف الحكيم من خديجة عليها السلام:

الفقرة الثالثة: «فانطلقت به خديجة عليها السلام حتى أتت به ورقة بن نوفل».

أقول: وفي بعض الموارد: وكان امرأً قد تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية[1].

وفعلاً، فقد اهتدت سيدتنا إلى الحل، حيث أوحى الله تعالى إليها أن ليس لكِ إلا أن تذهبي بزوجك محمد إلى بعض اليهود أو النصارى، فإن عندهم علْم الكتاب، وهم المأمونون على وحيي، والعالِمون بأمري، وما كنتُ لأبعث نبياً أو رسولاً إلا ويكون اليهود أو النصارى هم المرجع في تصديقه ومعرفته، وهم الشهود على صدقه.

فخطر ببالها أن تذهب إلى ابن عم لها وهو ورقة بن نوفل، واختارته من بين غيره، إذ كان فيه خصلتان:

أنه رجل تنصَّر في الجاهلية فتحقَّق فيه الشرط الأول، والخصلة الثانية أنه كان يكتب الكتاب العبراني، فهو نصراني متهوِّد، وبذلك تكون قد أتت خديجة عليها السلام بزوجها إلى رجل يجمع خصال اليهود والنصارى، فأخبرته بالخبر، ومن البديهي أن يكون الرجل النصراني الجاهلي المتهوِّد أهلاً للمشورة

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٣.

في مسألة النبوة الخاتمة عند السيدة عائشة، يا سبحان الله!!

موقف الشيخ النصراني:

الفقرة الرابعة: «فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً».

وما أنْ سمع ابن نوفل بخبر محمد بن عبد الله حتى خرَّ صعقاً من الخشية لله تعالى، فإنَّ قلوب اليهود أشد قساوة من الحجر الصلد، وبادر سريعاً دونما أدنى روية وتفكير إلى التصديق بمحمد، فإن اليهود ومن أول الأمر مفطورون على التصديق بالحق، والإذعان له، والإعلان به.

ألا اهنأ يا بن عبد الله!

ألا أبشري يا خديجة، فإنَّ زوجك نبي من أنبياء الله تعالى، وهذا صكٌّ اعتراف مني بذلك، فما رويتَه لي يا محمد وأخبرتني به، كان الناموس الذي نزل على نبي الله موسى عليه السلام.

ويضيف ابن نوفل: وهنا لا بدَّ وأنْ أبثَّ شكواي إلى الله ربي، وتكون هذه الشكاية الخارجة من أعماق قلبي وروحي دليلاً لك يا محمد على أنني صادق في ما أشهد به لك من أنك نبي.

يسأله محمد: وما ذاك يا عماه؟

يجيب ابن نوفل بخشوعٍ ورقة قلب: «يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك» والجُذع هو الصغير من البهائم، فليتني يا محمد أكون عند دعوتك قومك للدين شاباً، ثم يلتفت ابن نوفل إلى خديجة قائلاً: أبشري يا

خديجة وقد أخبرتك بالحق، وأعطيتك قرينةً على أنني صادق وهو الشيء الذي تمنيتُه، فليذهب التردد والشك من نفسك يا محمد ومن قلب زوجك.

علماء النصارى واليهود العالمون بالغيب مجاهدون:

الفقرة الخامسة: «ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أَوَ مخرجيَّ هم».

ولا يمكن عند الراوي أنْ يقف الشيخ النصراني عند هذا الحد من التصديق بالنبوة ومن إظهار الحق، بل الأمر يتعدى ذلك، فإنَّ اليهود العالمون بالغيب هم فدائيو الدين والحق.

ولمَّا رأى الشيخ النصراني أنَّ بعض التردد والحيرة لا زالا موجودَين، فسارع إلى الإخبار بالغيب بلسان المتحرِّق المحروم من نيل وسام شرف نصرة محمد ﷺ حيث سيخرجه قومه.

ولا يسع الشيخ النصراني المتهود أن يكتم الشهادة والحق، وأن يمنع النصيحة، فذكر لسيدنا محمد ﷺ ما سيحصل له، رأفةً منه به، حتى لا يصدمه المستقبل الآتي، فإن الشيخ الذي كبر سنه يُدرك جداً خطورة وصعوبة الموقف غداً، فأحب أن يعلمه ولا يكون ممن يكتم آيات الله تعالى بغير حق.

ولكن سيدنا محمد ﷺ الذي بلغ الأربعين من عمره تعجب مما أخبره به نوفل، وأنه لماذا يخرجه قومه من بين أظهرهم!

فيجيبه ورقة: يا بن أخي! لا تعجب ولا تستنكر، فإن عادة الناس على إنكار الحق، وما ستأتيهم به وتدعوهم إليه لا يوافق أهواءهم، ولا يلبي مطامعهم.

ومما يؤسف له أن ورقة بن نوفل لم ينشب أي لم يلبث أن توفي، وفتر الوحي أي وانقطع الوحي.

نعم انقطع الوحي حتى ينسى النبي ﷺ أولاً ما وقع من جبرئيل عليه السلام معه، ويكون الله تعالى قد اصطلح هو وجبرئيل على ما كانا اختلفا عليه.

قال ابن حجر في فتح الباري: وفتور الوحي عبارة عن تأخُّره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوُّق إلى العود(١).

وفعلاً، فانقطع الوحي مدة من الزمن، فهدأ روع النبي ﷺ، ونسي ما كان قد فعله به جبرئيل في المرة الأولى، وبعد ذلك اشتاق له، والعجيب أنه لم يأتِ للنبي ﷺ من ربه أية بشارة، فهل أنه اشتاق إلى ما كان خشي على نفسه منه، أو أنه اشتاق إلى جبرئيل عليه السلام بعد أن صفا قلبه على الحبيب المصطفى ﷺ، ولمَّا أن علم النبي ﷺ بذلك ولا ندري من أي طريق، فلم يتحمل الجفاء من جبرئيل وربه.

الإلقاء في التهلكة ومحاولة الإنتحار من النبي:

الفقرة السادسة: «حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا، حزناً غدا منه مراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال».

وبعد أنْ أخبر وشهد ابن نوفل بالحق، وحصل للنبي ﷺ من كلام الشيخ النصراني اليقين بأنه نبي، نسي النبي ﷺ أو تناسى ما كان أصابه من ذعْر

(١) فتح الباري ج١ ص٢٦.

وخوف، وحيث انقطع الوحي حزن حزناً شديداً كاد يجره إلى اليأس والقنوط، بل أودى به إلى القنوط، وفقد صوابه، وتحكّم به شيطانه ـ الذي أخبرتنا عائشة أنه كان معه، ولكنه لم يكن قد أسلم بعد ـ لذا حاول مراراً وتكراراً أن يلقي بنفسه من رؤوس شواهق الجبال، فيرتاح من الحزن الذي كان يدخله، وينجو من العذاب النفسي الذي كان يعاني منه، تماماً كما هي طريقة كل الفاشلين في هذه الحياة، الذين لم يهتدوا إلى الحق سبيلاً.

ولكن جبرئيل عليه السلام رأى أن يُكفِّر عن ذنبه الأول، فلم يكن ليترك سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله يُحقِّق ما يبادر إلى تحقيقه من إلقاء نفسه من رؤوس شواهق الجبال، فناداه يا محمد: إنك رسول الله حقاً، وكان هذا النداء من جبرئيل بمثابة دواء مسكِّن لقلب ونفس النبي صلى الله عليه وآله. وصحيح أنه كان دواءً فعَّالاً جداً، غير أنه آني ولفترة وجيزة، إذ لم تكن حكمة الله تعالى على أن يعالج نبيه من مرضه النفساني المؤدي إلى اليأس والقنوط، بل كانت حكمة الله تعالى على أن يُجرِّعه جبرئيل عليه السلام من فترة إلى أخرى جرعات من الدواء المسكِّن للأعصاب فحسب.

وكما يقول الراوي: «فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقي منه نفسه تبدَّى له جبريل عليه السلام، فقال يا: محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكُنُ لذلك جأشُهُ، وتقرُّ نفسُهُ فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبرئيل عليه السلام فقال له مثل ذلك».

وفي الحقيقة كانت هناك معركة صراع بين الموت والحياة، فمحمد صلى الله عليه وآله الذي يحاول الموت هروباً من الجزع والحزن الذي يستوعب عقله وقلبه،

يُبادرُهُ جبرئيل المريد لحياته وبقائه بالدواء السحري، ولكنه كما عرفت دواء مسكِّن وليس علاجاً جذرياً لِمَا يشكو منه سيدنا محمد ﷺ، وبقي الأمر بين مدٍّ وجزر، بين سيد الخلق الهارب من الحياة الطالب والطامع بالموت والانتحار، وبين جبرئيل الذي وقف بحق على حاله وعرف داءه، فهذا يحاول إلقاء نفسه من شواهق رؤوس الجبال، وذاك يتلقاه بالنداء الدواء المسكِّن قبل أن يُقدِم على الانتحار، تبارك الله ذو الحكمة اللطيفة، والرحمة العجيبة!

إشارة سريعة إلى بعض الأمور:

ثم إننا يحسن منا أن نشير إلى بعض الأمور إشارة سريعة:

الأمر الأول: الغريب هو أن النبي ﷺ لم يفهم من خطاب جبرئيل عليه السلام بقوله «اقرأ» أن يتابعه في القراءة، فظن أنه يقول له اقرأ أي أنشىء القراءة، فأجابه النبي ﷺ «ما أنا بقارىء».

قال النووي وابن كثير وابن حجر والسيوطي والصالحي الشامي وغيرهم: قوله:« ما أنا بقارىء»، معناه لا أُحسنُ القراءة، أو لستُ ممن يُحسِن القراءة[1].

ونجيب: لا ندري ممَّن كان القصور، هل كان من رسول الله ﷺ حيث لم يفهم ما هو المقصود لجبرئيل عليه السلام، أو أن جبرئيل عليه السلام لم يُوضِح مراده!

الأمر الثاني: قوله: «قد خشيت على نفسي».

قال ابن حجر: والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني

---

(١) شرح مسلم للنووي ج٢ ص١٩٩ ؛ السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٣٩٣ ؛ البداية والنهاية ج٣ ص١١؛ فتح الباري ج١ ص٢٢ ؛ الديباج على مسلم ج١ ص١٨٤ ؛ سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢٤٨.

عشر قولاً، أولها الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة جاء مصرَّحاً به في عدة طرق، وأبطله أبو بكر بن العربي وحق له أن يبطل، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له. ثانيها: الهاجس، وهو باطل أيضا لأنه لا يستقر، وهذا استقر وحصلت بينهما المراجعة. ثالثها: الموت من شدة الرعب،... إلى أن قال: وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب، الثالث[1].

أقول: ونحن نقلنا كلام ابن حجر كنموذج فحسب، فهو وبعض غيره، يختارون أن النبي صلى الله عليه وآله خشي على نفسه الموت من شدة الرعب الذي أدخله على قلبه أمين الله تعالى جبرئيل عليه السلام.

وأما ما أشار إليه بقوله «وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة جاء مصرَّحاً به في عدة طرق» فهو ما رواه ابن سعد زوراً وبهتاناً عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا خديجة: والله ما أبغضت بغْض هذه الأصنام شيئاً قط ولا الكهان، وإني لأخشى أن أكون كاهناً»[2].

أنعم وأكرم بهذا النبي الذي بعث الله تعالى إليه أمينه، وهو يظن أن الذي جاءه شيطان الكهانة!

بل ما شاء الله على رب لا يعرف ولا يهتدي طريقةً يُطمْئِن بها رسله. فالقصور أو التقصير ممن يزعمون أنه ربٌّ، تعالى الله ربنا الحق سبحانه، والقصور ممن يزعمون أنه نبي، وسيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه

---

(١) فتح الباري ج١ ص٢٣.

(٢) الطبقات الكبرى ج١ ص١٩٥.

عليه وآله بفضله كمُل الكمال، وبارتضاعه شيئاً منه انفطم.

وأما أنه خشي الموت من الرعب، فأنعم وأكرم بمن زعموا أنه جبرئيل، الذي جاء مبشِّراً بالنبوة، ولكنه ظن أن ربه بعثه لخوض معركة مع شخصٍ معاندٍ لربه، كارهٍ له، منكرٍ نعمته.

وكأن الذي زعموا أنه جبرئيل قد أوحى إليه ربه أن هذا الذي ستأتيه لا ينفع معه إلا القسوة والصدمة القاهرة، فإياك أن تقابله وتواجهه إلا بإدخال الرعب إلى أعماق قلبه.

صلوات الله تعالى على جبرئيل الأمين الحق الرؤوف الودود.

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ربهم الذي تعلَّم من حادثة سابقة حيث بعث عزرائيل عليه السلام لقبض روح موسى ففقأ عينه.

فقد أخرج أحمد بن حنبل، ومسلم، والنسائي، والبيهقي وغيرهم بإسنادهم عن أبي هريرة قال: أُرسِل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال فردَّ الله إليه عينه، وقال: إرجع إليه... الحديث[1].

الأمر الثالث: قال ابن كثير: ولهذا قالت خديجة: أبشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً، قيل من الخزي، وقيل من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خُلُقه، أنَّ من كان متَّصِفا بصفات الخير لا يخزى في الدنيا ولا في

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٢٦٩ وص٥٣٣؛ صحيح مسلم ج٧ ص٩٩؛ سنن النسائي ج٤ ص١١٨؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٣٩؛ المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٥٣٠ ص٢٧٤؛ كتاب السنة ح٥٩٩ ص٢٦٦؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص١١٢ وص١١٦؛ تاريخ الطبري ج١ ص٣٠٥؛ البداية والنهاية ج١ ص٣٧١.

الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة[١].

أقول: الحمد لله أنه تعالى لم يترك نبيه شاكاً متردِّداً متحيِّراً في ما أوحاه إليه، ولولا المرأة التي زعموا أنها سيدتنا خديجة عليها السلام، ولولا ورقة بن نوفل ـ الذي زعموا وجوده ـ فلا ندري ما الذي كان سيحصل.

ما شاء الله! ربٌّ فاضت بالحكمة البالغة أفعاله، ونبيٌّ جهول متحيِّر شاكٌّ، وامرأة تُثبِّته، وشيخ نصراني يُعرِّفه ويُعْلمه!

قاتلهم الله تعالى، نبوةٌ بالإكراه والقسوة والشدة والغلاظة والفظاظة مبدؤها، وبالحزن والقنوط ومحاولة الانتحار والهلاك استمرارها.

نبوةٌ بيِّنتُها وشاهدُها شيخٌ نصرانيٌّ متهوِّد، وأمينُ وحيها مَلَكٌ غليظٌ فظٌّ قاسٍ لئيمٌ، وصاحبُها رجلٌ، جاهلٌ، متحيِّرٌ، متردِّدٌ، خائفٌ، ذعِرٌ، لا عقَل عنده، ولا هدى لديه.

أهذا هو سيد الخلق عند عائشة وعند من روى عنها وعند أصحاب الصحاح؟

ما هذه الترهات التي أوحى بها شيطانهم، فصدَّق بها أعيانهم، وتوارثها أبناؤهم؟!

ما هذه النبوة، وأي أعلامُ نبوةِ حقٍّ هذه؟

أيُّ ربٍّ كان رب هذه الأمة، ورب خاتم أنبيائه!

ما شاء الله على هذا الرب الحكيم، اللطيف الخبير!

ودامت حكمته وسلطانه، على هذه النبوة التي لا تعدو عن كونها مسرحية تسخر منها الأجيال، فما كان أفقرَ ربَّ محمد للحكمة!!!

---

(١) البداية والنهاية ج٣ ص١٢ ؛ السيرة النبوية ج١ ص٣٩٤.

فماذا يريد منا عروة بن الزبير أن نعتقده في خالته السيدة عائشة، وهو يروي عنها هذا الحديث؟

أيريد أن يقول لنا بأن خالته لم تكن تؤمن بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله؟

ما الذي فعلته خالتك لك يا ابن الزبير حتى تفتري عليها هذا البهتان العظيم، وقد كنتَ حبيبها، وعزيزها، وأقرب الناس منها، وأعرفهم بها، وأخلصهم لها؟!!

أي نفوس تلك التي صدَّقت هذه المهزلة، فغدوا يُصوِّرون لنا بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله على أنها أسطورة مكذوبة؟

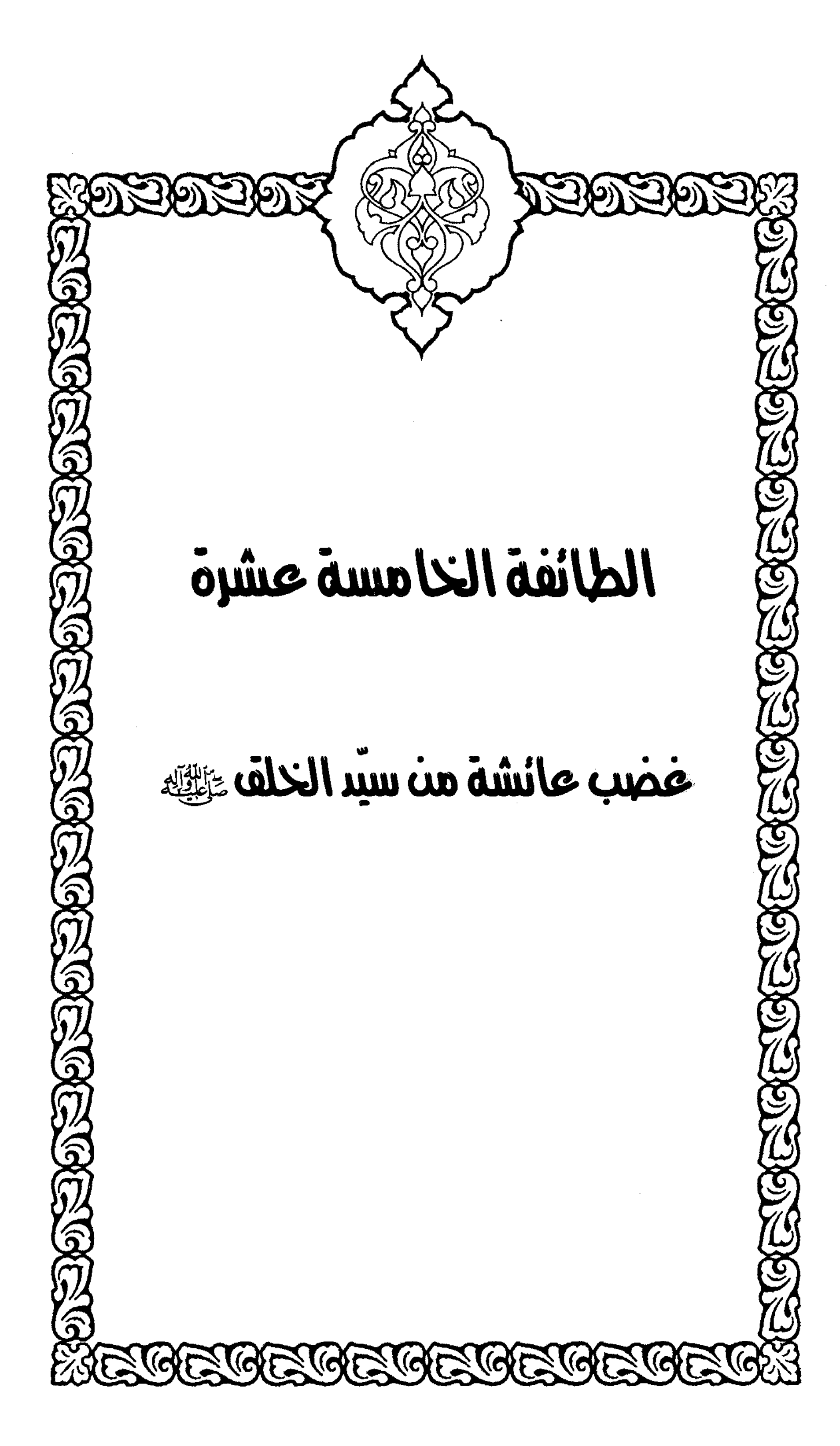
وهل هناك من عاقل يُصدِّق أنَّ مبدأ نبوة نبي لربٍّ حكيم لطيف خبير، هو بالنحو الذي أخبرنا به الراوي عن السيدة عائشة؟

نعم حيث كان مبدأ نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله بالنحو الذي ذكرته لنا عائشة، فإنه صح أن يكون حياة النبي مع الشياطين التي كانت تفر من ابن الخطاب، ومع السحر الذي تلبَّسه صلى الله عليه وآله ستة أشهر، ومع نسيانه لآيات من القرآن الكريم، ومع قلة الحياء وعدم الحشمة، ومع الشتم والسبِّ للمسلمين، ومع الشيطان الذي أسلم أخيراً على يديه، ومع.. ومع...

وأخيراً وليس آخراً، فمثل هذه النبوة يناسبها أن يكون صاحبها عند الممات قد غلبه الوجع وممن يهجر، كما قال ذلك ابن الخطاب على النبي صلى الله عليه وآله[1].

---

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ح٩٧٥٧ ص٤٣٨؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٢٤ وص٣٣٦؛ صحيح البخاري ج١ ص٣٦ وص٣٧ وج٥ ص١٣٧ وج٧ ص٩ وج٨ ص١٦١؛ صحيح مسلم ج٥ ص٧٦؛ السنن الكبرى للنسائي ج٣ ح٥٨٥٢ ص٤٣٣ وج٤ ح٧٥١٦ ص٣٦٠؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٦٢؛ الطبقات الكبرى ج٢ ص٢٤٤؛ البداية والنهاية ج٥ ص٢٤٧.



الطائفة الخامسة عشرة

غضب عائشة من سيّد الخلق صلى الله عليه وآله

أخرج أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وغيرهم بإسنادهم عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى، قالت: فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنتِ عني راضية فإنك تقولين لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم، قالت، قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك[1].

أقول: مضافاً لرواية البخاري ومسلم للحديث في صحيحيهما، وهذا كافٍ لِمَا مرت إليه الإشارة كثيراً بأن أبناء العامة أجمعوا على صحة جميع أحاديث صحيحي البخاري ومسلم وعلى الأخذ بما فيهما، ولكن تثبيتاً للحجة نُبيِّن وثاقة رجال سند الحديث، إذ رواه أحمد بن حنبل عن وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة[2].

أقول: إنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو المعصوم عن الخطأ والباطل في الفعل

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦١ وص٢١٣ ؛ صحيح البخاري ج٦ ص١٥٨ وج٧ ص٩١ ؛ الأدب المفرد ح٤٠٣ ص٩٢ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٧ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨٩٣ ص٢٩٨ وح٤٨٩٤ ص٢٩٩ ؛ مسند عائشة للسجستاني ص٧٠ ؛ صحيح ابن حبان ج١٠ ص١٧٤ وج١٦ ص٤٩ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٥ وص٤٦ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٩ ج٨ ص٧٩ ؛ تاريخ بغداد ج٣ ص٢٧٣.

(٢) أقول: مر بيان حال وكيع في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية ، وترجمة هشام وأبيه عروة بن الزبير في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى.

والقول، في الحركة والسكون، ومضافاً إلى هذا فهو ﷺ صاحب الخلق العظيم.

وعليه، فسيد الخلق ﷺ لا يصدر منه إلا الحق ظاهراً وباطناً، وفي المقابل تُحدِّثنا عائشة كما يذكر أمينها عروة بن الزبير عنها أنها كانت تغضب من رسول الله ﷺ، وهذا يعني أنها كانت تغضب من الحق.

وأنت تعرف أنه ليس ما يقابل الحق إلا الباطل، وليس بعد الحق إلا الضلال. إذن كانت عائشة تغضب من الحق إرضاءً للباطل، وتأييداً للضلال.

فيا ترى هل أن ابن اختها عروة هو مفترٍ هنا على خالته السيدة عائشة؟

ولماذا هذا الافتراء على زوجة النبي ﷺ؟

ونحن نناقش الحديث بناءً على مذهبهم في صحته وثبوته.

فنقول: الغريب أنَّ عائشة لا يصح منها أنْ تجهل بأنَّ النبي الأعظم ﷺ هو على حق في جميع شؤونه، ولا نحتمل فيها غفلتها عن كونه نبياً حقاً معصوماً، وهذا يعني أن غضب السيدة عائشة لم يكن عن سهو أو نسيان.

والإنسان الكامل أو الذي يسعى للكمال لا يحسن منه أن يغضب من الحق، بل لا ينبغي أن يقع منه ذلك، وإذا وقع فإنما يقع مع غفلته عن الباطل ومع عدم تنبهه للحق، وأما مع ظهور الحق وكمال وضوحه، فإن صاحب العقيدة القوية والنفس المطمئنة، لا يقع منه ذلك.

ومهما يكن، فإن لصدور الغضب من الإنسان عوامل وأسباباً كثيرة، ولا مجال لإلغاء التأثر والانزعاج والتفاعل من الإنسان ذي الشعور، ولكن التأثُّر للباطل في مقابل الحق لا يكون صفةً حسنةً محمودةً عند أحد من العقلاء.

وغَضَبُ عائشة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا يكون سببه سوء معاملة منه لها، ولا يكون سببه تعديه عليها، فإنه صلى الله عليه وآله الطاهر المطهَّر، المبرأ من العيب والدنس، المعصوم من الزلل والخطأ والخطل، فلا تغفل.

ولا شبهة أنَّ لضعف الإيمان دخالةً في ذلك، وإلا فلا يمكن أن ينسجم الغضب من الحق مع الإيمان الراسخ في النفس.

ولو سلمنا جدلاً، غير أن بشاعة الغضب من الحق تختلف باختلاف الأشخاص والموارد، ولا يمكن أن نتصور أن شخصاً راسخ الإيمان يغضب من سيد الخلق صلى الله عليه وآله، فإن الغضب من رسول الله صلى الله عليه وآله بمثابة الغضب من المولى سبحانه، فإنه سفيره ورسوله وحجته.

وأيضاً، فالغضب من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من دون إظهار ذلك وتجسيده بالفعل يمكن أن يقع من بعض الأشخاص ـ وإنْ كنا لا نُصحِّح ذلك منهم بأي حال من الأحوال ـ ولكن أن يُجسِّد الشخص غضبه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالفعل، فإن هذا مما لا يرضاه مسلم من مسلم، مهما كانت درجة إيمان المسلم الغاضب ضعيفة وإيمانه متزلزلاً.

سلمنا جدلاً أنه يمكن أنْ يقع، ولكن أنْ يتكرر ذلك مراراً وتكراراً، فإنَّ هذا يكشف عن أمور نترك للقارئ تفسيرها.

وكلامُ عائشة واضحٌ أنها كانت تغضب من رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً، وأن ذلك قد تكرر منها.

وفي المقابل، لم يتضح لنا من كلام السيدة عائشة أنها كانت تسترضي سيد الخلق صلى الله عليه وآله وتعتذر منه، بل أكثر من ذلك، فإنها مضافاً إلى إظهارها غضبها

من رسول الله ﷺ، كانت تهجر اسمه، ولا أدري كيف يستسيغ حبيبٌ هجْرَ اسم حبيبه؟

وليت شعري، من هو المخاطَب؟

إنه رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ!

وكيف تمكنت عائشة من هجْر اسم المصطفى ﷺ؟

أوَ لم يشفع له عندها أنها أحب الخلق إليه كما زعمت لنا؟

أوَ لم يشفع له عندها أنه أحب الخلق إلى الله تعالى؟

وكيف تكون عائشة أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ، وهي التي تغضب منه، وتهجر اسمه؟

وليتها كانت تغضب فحسب، أو تهجر اسمه ولكن في غيابه، ولكن أن تغضب وتهجر اسمه وتُظاهِره بذلك، فهذا شيء عظيم.

وهل كان الرسول الأكرم ﷺ شخصاً عادياً؟ وهل كانت حين تغضب منه وتهجر اسمه تأمره بمعروف تَرَكَه، وتنهاه عن منكر فَعَلَه؟

ويا ترى، ما الذي يحمل شخصاً مسلماً على أن يغضب من نبي الله ويهجر اسمه الشريف؟

وإنني على يقين أنَّ أحداً من المسلمين لا يرى موقفاً أعظم، وأخطر، وأبشع، من موقف الغاضب على نبي الله ﷺ.

ألا تستحي عائشة أن تقول لنا، بأنها كانت تغضب من حبيب الله تعالى ومن صفيه، ومن سيد خلْقه!!

وهل للزوجة الصالحة أن تغضب من زوجها فيما يكون محقّاً؟

فكيف إذا كان الزوج هو سيدنا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله!

ولا أدري، هل أن الراوي أخبر عن عائشة بذلك في مقام إظهار فضلها، ومحلها، ومنزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟

أو أنه أخبر عنها بذلك إظهاراً منه للباطل الذي كان يتكرر وقوعه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

أو أنه أخبر بذلك عنها ليعطينا صورة لا تقبل التأويل عن إيمان عائشة الراسخ، ومحبتها لنبي الله صلى الله عليه وآله!

أظن أن لسان حال عروة بن الزبير لو كان سأله سائل، لماذا أخبرتَنا عن حديث عائشة يا ابن اخت عائشة أم المؤمنين؟

لأجاب: أخبرتُ بذلك لتعرفوا كم كانت منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله في نفس وعقل خالتي السيدة عائشة، وكم كان مقدار يقينيها وإيمانها.

وإذا كان عند القارئ الكريم جواب آخر معقول يُصحِّح لنا وقوع الغضب من عائشة ـ على ما رواه عنها ثقاتها ـ في حق النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وفي حضرته، فليبادر بإسعافنا به، ونحن له من الشاكرين.

وأخيراً نُلفت نظر القارىء الكريم إلى أنه لو قال شخص: إني غاضب من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ لعلماء المسلمين ـ بإجماعهم واتفاقهم وفي جميع المذاهب ـ في هذا حكماً خطيراً، فكيف بمَن يواجه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بذلك مراراً وتكراراً!!

فلماذا هذا الافتراء العظيم من عروة بن الزبير وممن أخذوا عنه، على خالته زوجة النبي صلى الله عليه وآله؟

وكيف يصح عندنا بعد هذا أن نثق بمن يدَّعون حب السيدة عائشة؟

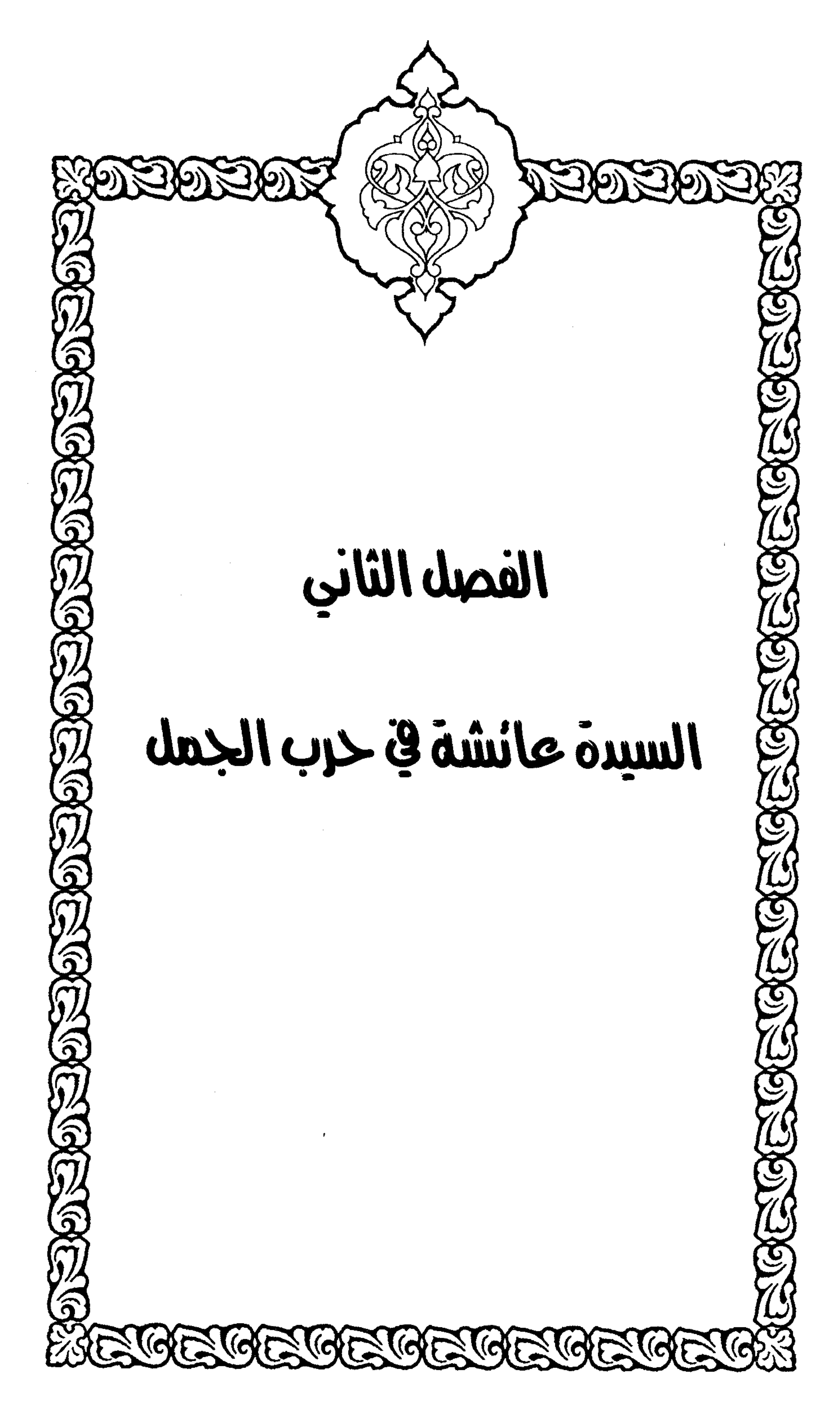
وكيف يمكن لأحد من المسلمين أن يأخذ ويعتدَّ بتوثيقاتهم لرواتهم؟

وكيف يجوز أن نأخذ ديننا مما أودعوه كتبهم وصحاحهم؟!

فهم عندنا على أقل تقدير متَّهمون بالافتراء على زوجة رسول الله ﷺ، ودعك عن كونهم مفترين على النبي ﷺ، فالظاهر أنَّ وجود شخص باسم محمد بن عبد الله وأنه نبي الله، لا يعدو عن كونه أسطورة عند أولئك الرواة ومَن يوافقهم، فضلاً عن كونه أسطورة نسجها خيال أبناء الجاهلية عند أمثال البخاري ومسلم.

ولو أنك لا ترتضي هذا منا، فهلا دللتنا على وجه يمكن أن نُصحِّح معه رواية البخاري ومسلم وتصحيحهما للأحاديث الكثيرة بحسب ما رتبناه في الطوائف المتقدمة.

وقد عرفت بما لا مزيد عليه أن حديثاً واحداً من تلك الأحاديث الكثيرة يكفي لإبطال نبوة سيدنا محمد ﷺ.



الفصل الثاني

السيدة عائشة في حرب الجمل

قال الله تعالى مخاطباً نساء النبي صلى الله عليه وآله:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ
وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى﴾[1].

أقول: إنَّ تخصيصَ شخصٍ معيَّن بخطاب يلزم عنه بحسب العادة عدم وقوع الغفلة منه عنه، لا سيما فيما إذا كان الخطاب نصاً واضحاً من جهة، وكان مما يتكرر إلى الذهن وروده من جهة ثانية.

بمعنى أن الكلام الذي يكون موجَّهاً إلى شخص معين، مع كون ذلك الشخص كثيراً ما يتعاهد ويقرأ ويسمع ذلك الكلام، فإنَّ غفلَتَه عِنه ونسيانَه له أمْرٌ بعيدٌ جداً.

وقد يكون لبعض الأشخاص المخاطبين بخطاب معيَّن خصوصيةٌ تفرضُ وجودَ تفاعلٍ أكيد منهم مع الخطاب الخاص الموجَّه إليهم، فزوجة النبي مثلاً ليست كالأجنبية عنه.

وإن من خصائص التكليف الخاص أن يكون حاضراً في الذهن أكثر من حضور غيره من الأمور فيه، لا سيما تلك الأمور التي مرَّ عليها فترة طويلة من الزمن.

وقد ورد الحث الأكيد في المواظبة على قراءة القرآن الكريم. وفي الزمن

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

الأول حيث أن زوجات النبي صلى الله عليه وآله لا يُشغلهن شيءٌ عن ذكر الله تعالى وتلاوة آيات كتابه، فإنه من غير المستبعد على أدناهنَّ ذهنيةً، وأقلهنَّ فطنةً وذكاءً وقدرةً على الاستيعاب، أنْ تحفظ القرآن بالتمام والكمال.

وقد وجدنا للسيدة عائشة مئات الأحاديث التي حدَّثت بها مثل عروة بن الزبير ابن اختها المتولد سنة ثلاث وعشرين للهجرة(١)، ولنفترض على أقل التقادير أنها حدَّثته بعد بلوغه، فيكون قد مضى على سماعها لكثير من الأمور التي حدثته بها أزيد من ثلاثين عاماً، إذ سماعها الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله كان قبل موته، أي قبل ولادة عروة بن الزبير بثلاث عشرة سنة.

إذن لم تكن عائشة ممن نسيت ما مضى على سماعها له عقود من الزمن، ولا شبهة أن كثيراً مما سمعته لم تسمعه مراراً، فإنها إما كانت سمعت الحديث من النبي مرة واحدة لعدم تكرار النبي صلى الله عليه وآله للحديث على مسامعها، وإما كانت سمعته مرتين لمناسبة ما.

بل إنها مضافاً إلى ذلك، كثيراً ما كانت تعترض على بعض الصحابة في ما ينقلونه ويُحدِّثون به وتعْمَدُ إلى تصحيحه.

فتارة كانت تقول: «يرحم الله عمر، والله ما حدَّث رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه»(٢).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١١٢؛ تهذيب الكمال ج٢٠ ص٢٢ ـ ٢٤؛ تهذيب التهذيب ج٧ ص١٦٥.

(٢) المصنف للصنعاني ج٣ ح٦٦٧٥ ص٥٥٤؛ صحيح البخاري ج٢ ص٨١؛ صحيح مسلم ج٣ ص٤٣؛ مسند الحميدي ج١ ح٢٢٠ ص١٠٧؛ مسند ابن راهويه ج٣ ص٦٢٧؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٧٣.

وأخرى تقول: «يرحم الله عمر وابن عمر، سمعا شيئاً لم يحفظاه»[(١)].

وثالثة: تقول في ابن عمر: «يرحمه الله لم يكذب ولكنه وهم»[(٢)].

ورابعة: «ووَهَلَ أبو عبد الرحمن»[(٣)]، «ويغفر الله لأبي عبد الرحمن أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ»[(٤)]، «ورحم الله ابا عبد الرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه»[(٥)].

وفي أبي هريرة كانت تقول: «لم يحفظ أبو هريرة»[(٦)]، «ورحم الله أبا هريرة أساء سمعاً فأساء إصابة»[(٧)].

بل إنها تذكر الآية التي لم تكن تتلوها ولم تكن عاينت محلها من السورة من ذي قبل.

فعن أبي يونس مولى عائشة، قال:أمرتني عائشة أنْ أكتب لها مصحفاً، قالت: إذا بلغتَ إلى هذه الآية ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى**﴾، فآذنّي، فلما بلغتها آذنتها، فأملتْ عليَّ: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وصَلاَةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ**﴾، قالت: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله[(٨)].

---

(١) المصنف للصنعاني ج٣ ح٦٦٧٩ ص٥٥٦.

(٢) سنن الترمذي ج٢ ح١٠١٠ ص٢٣٦.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ح٧ ص٢٦٥؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٧.

(٤) كتاب المسند للشافعي ص١٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٠٧؛ صحيح مسلم ج٣ ص٤٥؛ سنن الترمذي ج٢ ح١٠٠٩ ص٢٣٦؛ إثبات عذاب القبر للبيهقي ص٧٣؛ معرفة علوم الحديث ص٨٨؛ صحيح ابن حبان ج٧ ص٣٩٤.

(٥) صحيح مسلم ج٣ ص٤٤؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٤٤٩٩ ص٤٧٢؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٧٢.

(٦) مسند أبي داود الطيالسي ص٢١٥؛ مسند الشاميين ج٤ ح٣٥٠٥ ص٣٤٢.

(٧) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٢١٥.

(٨) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٧٣ ص١٧٨؛ صحيح مسلم ج٢ ص١١٢ سنن أبي داود ج١ ح٤١٠ ص١٠١ سنن الترمذي

وقد خطَّأت الناس في حديث النبي صلى الله عليه وآله عن الموتى أنه لم يقل: لقد سمعوا، أو أنهم الآن يسمعون، وإنما قال: لقد علموا، أو أنهم الآن ليعلمون[1].

بل أكثر من ذلك، فإنها تجيب عن تفسير آية لم يسألها أحد عن تفسيرها منذ سألت هي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد أخرج ابن حنبل، والطيالسي، والترمذي، وابن جرير بإسنادهم عن أمية، أنها سألت عائشة عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ**﴾ وعن قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

وغير ذلك من موارد، منها ما صحَّحتْ فيه ما رواه بعضهم من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله، ومنها ما أوضحتْ ما تقدَّم من حديثه عما تأخر منه، وهكذا.

أقول: وعليه فعائشة ـ كما تزعم ـ كانت ممن تحفظ الحديث جيداً ولا تنساه، فيا ترى هل كانت حقاً نسيت آية قرآنية تخصها مع باقي أزواج النبي صلى الله عليه وآله بالخطاب؟

ولكن عائشة كانت تتلو كتاب ربها، وعلى أقل تقدير لا بد وأن تمر كل شهر مرة واحدة على آية ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾، وهذا يعني أنها إلى حين

ج٤ ح٤٠٦٥ ص٢٨٥ سنن النسائي ج١ ص٢٣٦ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج١ ح٣٦٦ ص١٥٤ وج٦ ح١١٠٤٦ ص٣٠٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٤٦٢.

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٧٦ ؛ صحيح البخاري ج٥ ص٩ ؛ سنن النسائي ج٤ ص١١٠ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج١ ح٢٢٠٣ ص٦٦٥ ؛ مسند أبي يعلى ج١٠ ح٥٦٨٠ ص٤٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢١٨ ؛ سنن الترمذي ج٤ ح٤٠٧٥ ص٢٨٩ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٢٢١ ؛ جامع البيان ج٣ ص٢٠٢ وج٥ ص٣٩٩.

مقتل عثمان بن عفان أي بعد ما يزيد عن أربع وعشرين سنة من وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[١]، قد تكرر منها قراءة الآية أكثر من مأتي مرة، وهذا المقدار من التكرار يوجب رسوخ الآية في الذهن بحيث لا يُحتَمل في حقها نسيانها للآية، بغض النظر عما عرفتَ من أنها كما كانت تزعم تمتلك قدرة غير عادية على الحفظ، وأن أحداً لم يعب عليها ما كانت هي تعيب به على غيرها من عدم الحفظ.

على أن عائشة وهي المرأة المتدينة الحافظة لحدود الله تعالى لا يمكن أن ندعي في حقها أنها لم تكن تهتم بالتكاليف الإلهية، ولا شبهة أن الاهتمام بالتكليف يتطلب إدامة مراجعتها لها حتى لا تنساها فتقع في محذور مخالفتها من حيث لا تقصد.

إذن فعائشة وهي التالية لكتاب الله تعالى، الحافظة لحديث النبي صلى الله عليه وآله، المعلِّمة المرشِدة لم تكن ممن تجهل بآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، ولا يمكن أن تنساها، فإنها آية قرآنية من جهة، ومن جملة التكاليف الإلهية من جهة ثانية، ومما خوطبت هي ونساء النبي صلى الله عليه وآله بالخصوص بها.

موقف أزواج النبي صلى الله عليه وآله:

سلمنا جدلاً أن عائشة كانت ناسية للآية، إما لعدم اهتمامها بالتكاليف الشرعية لا سيما ما يختص بها، وإما لعدم اهتمامها بكتاب الله تعالى فلم تكن

---

(١) فإن عثمان قد مات سنة خمس وثلاثين، تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٥١٤ ـ ٥٢٢؛ تهذيب الكمال ج١٩ رقم٣٨٤٧ ص٤٥٤؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم ٣ ص٨ ـ ٩؛ الإصابة ج٤ رقم٥٤٦٤ ص٣٧٧ ـ ٣٧٩.

تتلوه إلا نادراً جداً، ولكن هل أنَّ حال باقي أزواج النبي صلى الله عليه وآله كان كذلك؟

فلماذا لم تنهها واحدة منهن على أقل تقدير عن الخروج على الجمل يوم الجمل، مذكِّرةً إياها بآية ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾؟

وهل أن بقية نساء النبي صلى الله عليه وآله لم يكنَّ متقيات، ولم يكنَّ آمرات بالمعروف، ولا ناهيات عن المنكر؟

سلمنا جدلاً أنهن جميعاً لم يكن عندهن من العلم والمعرفة حظاً، ولكن أين حُفَّاظ كتاب الله تعالى من أعيان الصحابة ووجوه التابعين؟

فهل أنهم تواطؤوا جميعاً على عدم تذكير عائشة بالآية، أو أنهم أيضاً لم يكونوا حافظين للآية؟

ونحن بدورنا لا نجرؤ على اتهام جميع الناس في عهد عائشة بالتقصير أو القصور، فإن كتاب الله تعالى كان مما يحفظه المئات إن لم يكن الآلاف، وفيهم من أهل الورع والتقى والمعرفة الكثيرون.

عائشة تتذكر حديث النبي صلى الله عليه وآله:

ولكن المريب أنَّ عائشة قد تذكرت هي بنفسها حديث نباح كلاب الحوأب، وفهمت أنَّ خروجها ليس فيه رضا لله تعالى.

الحديث الأول: قال ابن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا إسماعيل، عن قيس، قال: لما بلغت عائشة بعض مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب عليها، فقالت: أي ماء هذا ؟ قالوا: ماء الحوأب، فوقفت، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال لها طلحة والزبير: مهلاً رحمك الله، بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح

الله ذات بينهم، قالت: ما أظنني إلا راجعة، إني سمعت رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب[١].

أقول: ورجال سند الحديث جميعاً من أعيان الثقات[٢].

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح١٥ ص٧٠٨.

(٢) أما ابن أبي شيبة فقد مرَّ بيان حاله في حاشية حديث الطائفة الثالثة، وقد قال المزي: عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن أبي شيبة، روى عن أبي أسامة حماد بن أسامة. (تهذيب الكمال ج١٦ رقم٣٥٢٦ ص٣٤ ـ ٣٥).

١ ـ **حماد بن أسامة** أبو أسامة، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٢٨ وج٣ ص١١٠ وج٤ ص١٨٢ و٢٦٩؛ صحيح مسلم ج٣ ص١٥٠ وج١ ص٥١ و٦٠ و٦٩).

قال المزي: حماد بن أسامة أبو أسامة، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٤٧١ ص٢١٧ ـ ٢٢١).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وابن سعد، والعجلي، وابن حبان، وغيرهم. وقال أحمد بن حنبل: كان صحيح الكتاب، ثبتاً، ضابطاً للحديث، كيساً، صدوقاً، لا يكاد يخطئ. وقال ابن حبان في المشاهير: من الأثبات في الروايات. وقال الذهبي: تلقت الأمة حديث أبي أسامة بالقبول لحفظه ودينه. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٩٥؛ معرفة الثقات ج١ رقم٣٥٢ ص٣١٨؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٦٠٠ ص١٣٢ ـ ١٣٣؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٧٩ ص٢٧٣؛ الثقات ج٦ ص٢٢٢؛ تهذيب الكمال ج٧ ص٢١٧ ـ ٢٢٤؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم١ ص٣؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٠١ ص٣٢١ ـ ٣٢٢؛).

٢ـ **إسماعيل بن أبي خالد** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٣١ و١٧٣ وج٢ ص١٦٠ وج٣ ص٢٣٤ وج٤ ص١٦٤؛ صحيح مسلم ج١ ص٥١ و٥٤ و١٣٦ وج٢ ص٤٢ و١١٣

قال المزي: إسماعيل بن أبي خالد، روى عن قيس بن أبي حازم، روى عنه أبو أسامة حماد بن أسامة.(تهذيب الكمال ج٣ رقم٤٣٩ ص٦٩ ـ ٧١).

وثقه عبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، والنسائي، ويعقوب بن أبي شيبة، وغيرهم. وقال سفيان الثوري: حفاظ الناس ثلاثة وعد منهم إسماعيل بن أبي خالد. وقال مروان بن معاوية: كان إسماعيل بن أبي خالد يسمى الميزان. وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي: إذا لم يكن إسماعيل حجة، فمن يكون حجة؟! (تاريخ ابن معين للدارمي رقم٧٠ ص٥٦؛ معرفة الثقات ج١ رقم٨٧ ص٢٢٤؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٥٨٩ ص١٧٤ ـ ١٧٥؛ الثقات ج٤ ص١٩ تاريخ أسماء الثقات ص٢٦؛ تهذيب

وأخرج الحديث أيضاً ابن حنبل، وابن راهويه وغيرهما بإسنادهم عن قيس بن أبي حازم، أنَّ عائشة لمَّا أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب، فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عزوجل أن يصلح بك بين الناس[(١)].

أقول: وفي ذيل الحديث في لفظ آخر لأحمد بن حنبل، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب[(٢)]، وفي لفظ ابن حبان: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب[(٣)].

الكمال ج٣ ص٦٩ ـ ٧٥؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٤٨ ص١٥٣ ـ ١٥٤؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٥٤٣ ص٢٥٤ـ ٢٥٥).

٣ ـ **قيس بن أبي حازم**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٢٠ و٢٦ و٣١ وج٣ ص١٧٣ وج٤ ص٢٢؛ صحيح مسلم ج٣ ص٣٥ و٩٦ و٩٧ وج٦ ص١٢ و١٣).

قال المزي: قيس بن أبي حازم، روى عن عائشة، روى عنه إسماعيل بن أبي خالد. (تهذيب الكمال ج٢٤ رقم٤٨٩٦ ص١٠ ـ ١٣).

وثقه يحيى بن معين، والعجلي، وعثمان بن أبي شيبة، ومعاوية بن صالح وغيرهم. وقال إسماعيل بن أبي خالد: حدثنا قيس بن أبي حازم هذه الاسطوانة، يعني أنه في الثقة مثل أسطوانة. وقال أبا داود: أجود التابعين إسناداً قيس بن أبي حازم. وقال يحيى بن معين: قيس بن أبي حازم أوثق من الزهري. وقال الذهبي: حديثه محتج به في كل دواوين الإسلام. وقال أيضاً: أجمعوا على الاحتجاج به. (سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٣٩٧ ص٢٦٩؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٥٢٩ ص٢٢٠؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم٥٧٩ ص١٠٢؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١١٥٨ ص١٩١؛ تهذيب الكمال ج٢٤ ص١٠ ـ ١٦؛ تاريخ بغداد ج١٢ رقم٦٩٣٦ ص٤٤٧ـ ٤٥١؛ سير أعلام النبلاء ج٤ رقم٨١ ص١٩٨ ـ ٢٠١؛ ميزان الاعتدال ج٣ رقم٦٩٠٨ ص٣٩٢ ـ ٣٩٣؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٤٩ ص٦١؛ تهذيب التهذيب ج٨ رقم٦٩١ ص٣٤٦ـ ٣٤٧).

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٩٧؛ مسند ابن راهويه ج٣ ص٨٩١ ـ ٨٩٢؛ كتاب الفتن ص٤٥؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٢٠؛ موارد الظمآن ص٤٥٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٢.

(٣) صحيح ابن حبان ج١٥ ص١٢٦.

وفي لفظ أبي يعلى، فقالت: سمعت رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه يقول: كيف بإحداكن إذا نبحت عليها كلاب الحوأب[١].

قال الهيثمي في الزوائد بعد أن أورد الحديث: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح[٢].

وقال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجوه[٣].

وقال ابن كثير: وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه[٤].

أقول: ونحن نُبيِّن حال رجال سند الحديث تثبيتاً للحجة، فقد أخرجه أحمد بن حنبل، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، وأخرجه ابن راهويه عن جرير عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم[٥].

---

(١) مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨٦٨ ص٢٨٢.

(٢) مجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٤) البداية والنهاية ج٦ ص٢٣٦.

(٥) أما إسماعيل وقيس فقد أشرنا في حاشية الحديث المتقدم إلى حالهما، وأما بن راهويه فمر بيان حاله في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية، وكذا جرير بن عبد الحميد في حاشية الحديث الأول من الطائفة الرابعة.

وقد قال المزي: إسماعيل بن أبي خالد، روى عن قيس بن أبي حازم، روى عنه جرير بن عبد الحميد، وشعبة بن الحجاج. (تهذيب الكمال ج٣ رقم٤٣٩ ص ٦٩ ـ ٧٢).

وقال أيضاً: أحمد بن محمد بن حنبل، روى عن محمد بن جعفر غندر. (تهذيب الكمال ج١ رقم٩٦ ص٤٣٧ ـ ٤٣٩).

وقال أيضاً: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه، روى عن جرير بن عبد الحميد. (تهذيب الكمال ج٢ رقم٣٣٢ ص٣٧٣).

وقال أيضاً: جرير بن عبد الحميد، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، روى عنه إسحاق بن راهويه.

أقول: ويضاف إلى حديث نباح كلاب الحوأب، أنَّ آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ نصٌّ في المعنى، فلا تحتمل عدة معان حتى نقول بأن عائشة فهمت

(تهذيب الكمال ج٤ رقم٩١٨ ص ٥٤٠ ـ ٥٤٢).

١ ـ **محمد بن جعفر**، المعروف بغندر، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٣٠ و٣٤ و٦٩ و٨٨ و٩٠ و١٣٥ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٥ و١٨٥ وج٢ ص١٢ و٣١ و١١٩).

قال المزي: محمد بن جعفر، المعروف بغندر، روى عن شعبة بن الحجاج، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٢٥ رقم٥١٢٠ ص٥).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وابن معين، وأبو حاتم، والمستملي، والخطيب البغدادي وغيرهم. وقال عبد الله بن المبارك: إذا اختلف الناس في حديث شعبة، فكتاب غندر حَكَماً فيما بينهم. وقال ابن مهدي: غندر في شعبة أثبت مني. وقال يحيى بن معين: كان غندر من أصح الناس كتاباً. وقال العجلي: كان من أثبت الناس في حديث شعبة. وقال ابن حبان في الثقات: وكان من خيار عباد الله ومن أصحهم كتاباً. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٩٦ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٦٥٩ ص١٨٣ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٥٨٢ ص٢٣٥ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١٢٢٣ ص٢٢١ ؛ الثقات ج٩ ص٥٠ ؛ تاريخ بغداد ج٢ رقم٥٧٤ ص١٥٠ تهذيب الكمال ج٢٥ ص ٥ ـ ٩ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٨١ ص٣٠٠ ـ ٣٠٢ ؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم١٢٩ ص٨٤ ـ ٨٦).

٢ ـ **شعبة بن الحجاج**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٣٠ و٣٤ و٦٩ و٨٨ و٩٠ و١٣٥ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٣٥ و١٨٥ وج٢ ص١٢ و٣١ و١١٩).

قال المزي: شعبة بن الحجاج، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، روى عنه محمد بن جعفر غندر. (تهذيب الكمال ج١٢ رقم٢٧٣٩ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٨).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وأبو حاتم، وغيرهم. وقال سفيان الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث. وقال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت أحداً قط أحسن حديثاً من شعبة. وقال أحمد بن حنبل: لم يكن في زمن شعبة مثله. وقال يحيى بن معين: شعبة إمام المتقين. وقال النسائي: أمناء الله عز وجل على علم رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة: شعبة بن الحجاج، ويحيى بن سعيد القطان، ومالك بن أنس. وقال يزيد بن زريع: كان شعبة من أصدق الناس. وقال أبو بكر بن منجويه: كان من سادات أهل زمانه حفظاً واتقاناً وورعاً وفضلاً. وقال الحاكم: شعبة إمام الأئمة في معرفة الحديث بالبصرة. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٨٠ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم٧٢٨ ص٤٥٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم١٦٠٩ ص٣٦٩ ـ ٣٧١ ؛ من لم يرو عنه غير واحد ص٢٦٤ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٩٩ ص٢٨٠ ؛ تاريخ أسماء الثقات ص٩ ؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٨٣٠ ص ٢٥٥ ـ ٢٦٦ ؛ تهذيب الكمال ج١٢ ص٤٧٩ ـ ٤٩٥ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١٨٧ ص١٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم ٥٩٠ ص٢٩٧ ـ ٣٠٣).

منها معنى من المعاني ينسجم مع خروجها في حرب الجمل.

سلمنا جدلاً أنّ الآية تحتمل عدة معاني، وأنّ عائشة اجتهدت، ولكنها هي نفسها تذكرت حديث نباح كلاب الحوأب، وليس للحديث التي سمعته من النبي صلى الله عليه وآله معان عديدة، فلماذا لم ترجع بعد أن تذكرت، والمفروض أن أحداً لم يخالفها فيما سمعته؟

وما معنى أن تخالف عائشة آية قرآنية بعد أن تذكرَتها ووَعَتْها، لا أقل من خلال حديث النبي صلى الله عليه وآله الذي سمعته؟

والجدير بالتنبيه عليه، أنّ مخالفتها للآية لم تكن لتقتصر على مخالفتها هي وحدها، بل لزِمَ عن ذلك فتنةٌ عظيمة، وحربٌ شرسة، وقتْلٌ فظيع، وضغائن وأحقاد، ومفسدة في البلاد!

وكيف يصح من عائشة أن تتخذ آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ظهرياً، وتهجر حديث النبي صلى الله عليه وآله، وفي المقابل تسمع للزبير، وتحفظ وتعتني وتهتم بقوله، وتلتزم بكلامه؟

وكيف صح من الزبير أن لا يعاون عائشة على طاعة الله تعالى والالتزام بحديث النبي صلى الله عليه وآله، وهو الصحابي التقي كما يزعمون، وقد سمعنا الله تعالى يقول ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]!

الحديث الثاني: روى عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وآله قال لنسائه: أيتكن تنبحها كلاب ماء كذا وكذا ـ يعني الحوأب ـ فلما خرجت عائشة إلى البصرة نبحتها الكلاب، فقالت: ما اسم هذا

(١) سورة المائدة الآية ٢.

الماء؟ فأخبروها، فقالت: ردوني، فأبى عليها ابن الزبير[(١)].

أقول: ورجال الإسناد من أعلام الثقات[(٢)].

الحديث الثالث: أخرج الطبراني بإسناده عن مسروق، عن عائشة قالت:

---

(١) المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٧٥٣ ص٣٦٥.

(٢) أما الصنعاني فقد مر بيان حاله في حاشية حديث الثالث من الطائفة الرابعة، وكذا معمر بن راشد في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وقد قال المزي: معمر بن راشد، وروى عن عبد الله بن طاووس، روى عنه عبد الرزاق بن همام الصنعاني. (تهذيب الكمال ج٢٨ رقم٦١٠٤ ص٣٠٣ ـ ٣٠٥).

١ ـ **عبد الله بن طاووس**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٨٥ و١٩٨ وج٢ ص١٤٣ وج٣ ص٢٧؛ صحيح مسلم ج٢ ص٥٢ و٢١٠ وج٣ ص٤ و٩٨).

قال المزي: عبد الله بن طاووس بن كيسان، روى عن أبيه طاووس، روى عنه معمر بن راشد. (تهذيب الكمال ج١٥ رقم٣٣٤٦ ص١٣٠ ـ ١٣١).

وثقه العجلي، وأبو حاتم، والنسائي، والدارقطني وغيرهم. وقال ابن حبان في المشاهير: من متعبدي أهل اليمن وصالحيهم، وقراء أتباع التابعين، ومتقنيهم. وقال في الثقات: كان من خيار عباد الله فضلاً، ونسكاً، وديناً. (معرفة الثقات ج٢ رقم٩١١ ص٣٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم٤٠٥ ص٨٨ ـ ٨٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٥٣٨ ص٣٠٤؛ الثقات ج٧ ص٤؛ الأنساب ج٢ ص٤١٩؛ تهذيب الكمال ج١٥ ص١٣٠ ـ ١٣٢؛ سير أعلام النبلاء ج٦ رقم ٢٦ ص١٠٣؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم٤٥٩ ص٢٣٤ ـ ٢٣٥).

٢ ـ **طاووس بن كيسان**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٨٥ و١٩٨ وج٢ ص١٤٣ وج٣ ص٢٧؛ صحيح مسلم ج٢ ص٥٢ و٢١٠ وج٣ ص٤ و٩٨).

قال: المزي طاووس بن كيسان اليماني، روى عن عائشة، روى عنه ابنه عبدالله بن طاووس. (تهذيب الكمال ج١٣ رقم٢٩٥٨ ص٣٥٧ ـ ٣٥٩).

وثقه يحيى بن معين، وأبو زرعة، وغيرهما. وقال ابن عباس: إني لأظن طاووساً من أهل الجنة. وقال عمرو بن دينار: لا تحسبن فينا أحداً أصدق لهجةً من طاووس. قال أيضاً: ما رأيت أحداً قط مثل طاووس. وقال الزهري: لو رأيت طاووساً علمت أنه لا يكذب. وقال: ابن حبان: من فقهاء أهل اليمن وعبادهم وخيار التابعين وزهادهم، ومن سادات التابعين. (الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم٢٢٠٣ ص٥٠٠ ـ ٥٠١؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٩٥٥ ص١٩٨؛ الثقات ج٤ ص٣٩١؛ التعديل والتجريح ج٢ رقم٤٣٢ ص٦٤٧ ـ ٦٤٨؛ تهذيب الكمال ج١٣ ص٣٥٧ ـ ٣٧٣؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٧٩ ص٩٠؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٢٤٦١ ص٥١٢؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم١٤ ص٨ ـ ٩).

كان يوم من السنة تجمع فيه نساء النبي ﷺ عنده يوماً إلى الليل، إلى أن قالت: وفي ذلك اليوم قال: كيف بإحداكن تنبح عليهم كلاب الحوأب[(١)].

الحديث الرابع: قال الهيثمي في الزوائد: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعد ما كادت.

قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات. وقال ابن حجر في شرح صحيح البخاري: وهذا رواه البزار ورجاله ثقات[(٢)].

وقال الذهبي في السير: قال ابن عبد البر: هذا الحديث من أعلام النبوة[(٣)].

أقول: وأخرج الحديث ابن أبي شيبة، عن وكيع، عن عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: أيتكم صاحبة الجمل الأدبب، يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت[(٤)].

أقول: مضافاً إلى تصحيح ابن عبد البر، والهيثمي، وابن حجر وغيرهم للحديث، فنحن نُبيِّن حال رجاله تثبيتاً للحجة[(٥)].

---

(١) المعجم الأوسط ج٦ ص٢٣٣.

(٢) مجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٤ ؛ فتح الباري ج١٣ ص٤٥ ـ ٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٩٨.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح٢٩ ص٧١١.

(٥) ومر بيان حال ابن أبي شيبة في حاشية حديث الطائفة الثالثة، ووكيع بن الجراح في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية، وعكرمة مولى ابن عباس، وقد قال المزي: وكيع بن الجراح، روى عن عصام بن قدامة، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٦٩٥ ص٤٦٢ ـ ٤٦٩).

وقال أيضاً: عكرمة القرشي الهاشمي، مولى عبد الله بن عباس، روى عن مولاه عبد الله بن عباس، روى

أقول: وورد أيضاً الاستشهاد بالحديث في كتب اللغة وغريب الحديث[1]، وفي لفظ البكري الاندلسي: جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال لعائشة: لعلك صاحبة الجمل الأدبب، تنبحها كلاب الحوأب[2].

وذكر الطبري وغيره سلمى بنت مالك، قائلين: وكانت سلمى سُبِيت فأعتقتها عائشة، ودخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وهي عندها، فقال: إنَّ إحداكن تستنبح كلاب الحوأب[3].

وعلى هذا فحديث نهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه نساءه أو عائشة بالخصوص عن الخروج ثابت لا مرية فيه، ومع ذلك وبعد أن تذكرته عائشة ـ لو سلمنا بأنها كانت له ناسية قبل خروجها ـ أصرَّت لسبب أو لآخر على قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في حربها التي ركبت فيه جملاً.

فخروجها لم يكن خروجَ جاهلٍ بحرمة الخروج، بل هي العالمة بنهي الله

عنه عصام بن قدامة. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٤٠٠٩ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧).

١ ـ عصام بن قدامة.

قال المزي: عصام بن قدامة، روى عن عكرمة مولى ابن عباس، روى عنه وكيع بن الجراح. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٣٩٢٦ ص٦٠).

وثقه النسائي، وابن عبد البر، وابن حجر على ما تقدم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال يحيى بن معين: صالح. وقال أبو داود: ليس به بأس. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: لا بأس به. وقال الدارقطني: كوفي، يُعتبر به. (سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٣٣٦ ص٢٤٦؛ سؤالات البرقاني رقم٥٤ ص٧٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١٣٥ ص٢٥؛ الثقات ج٧ ص٣٠٠؛ تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٣٩٢٦ ص٦٠ ـ ٦١؛ سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٩٨؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٣٧٩٢ ص٢١؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٣٧٥ ص١٧٦؛ تقريب التهذيب ج١ ص٦٧٣).

(١) غريب الحديث للحربي ج٢ ص٤٠٣؛ الفايق في غريب الحديث ج١ ص٣٥٣؛ النهاية في غريب الحديث ج٢ ص٩٦؛ لسان العرب ج١ ص٢٨٩ وص٣٧٣؛ القاموس المحيط ج١ ص٦٥؛ تاج العروس ج١ ص٢٤٤.

(٢) معجم ما استعجم ج٢ ص٤٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ج٢ ص٤٩١؛ معجم البلدان ج٢ ص٣١٤؛ تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٧٢؛ الإصابة ج٨ ح١١٣٢٥ ص١٨٦.

تعالى وبنهي رسوله ﷺ.

أقول: وهذا المعنى قد عرَفَتْه هي جيداً، وأدركتْ أنها أقدمتْ على شيء عظيم، لذا أوصت أن لا تُدفَن مع رسول الله ﷺ.

فقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن سعد، والحاكم بإسنادهم عن قيس بن أبي حازم، قال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو أسامة، قال حدثنا إسماعيل، عن قيس، قال: قالت عائشة لما حضرتها الوفاة: إدفنوني مع أزواج النبي ﷺ، فإني كنتُ أحدثتُ بعده حدثاً[1].

قال الحاكم بعد أن روى الحديث: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

أقول: وقد بيَّنا حال رجال الإسناد في حاشية الحديث الأول من هذا الفصل.

كلام الذهبي والجواب عنه:

قال الذهبي بعد أن أورد الحديث: تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأوِّلةً قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار[2].

أقول: أما قول الذهبي من أنها ما فعلت ذلك إلا متأوِّلةً قاصدة للخير، فيرده تصريحها حيث قالت عند وفاتها: «فإني كنتُ أحدثتُ بعده حدثاً»، والقاصدُ لشيء ما لا يكون قاصداً للخير مع علمه بأنه منهي عنه، وعائشة كانت تعلم

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ح٤ ص٢٣٠ وج٨ ح١٦ ص٧٠٨؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٧٤؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٦؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٩٣.

بنهي الله تعالى إياها وبنهي النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

وأما أن عائشة أظهرت ندامتها على ما ذكره الذهبي، وأنها أعلنت التوبة مما اقترفته، فإننا لا نملك دليلاً على صدْقها في ذلك، ولا نعلم من الله تعالى قبوله توبتها لو كانت تابت، ولم يأتها خبر منه تعالى بذلك، ولا طريق لها ولا لنا لاحراز القبول إلا إخباره تعالى، وهذا مما لا مجال لاثباته لأحد.

وليس كلُّ مَن يدَّعي التوبة يجب تصديقُهُ، وليس كلُّ تائبٍ يتحقَّقُ من الله تعالى التوبةُ عليه.

نعم يمكن أن يقال بوجود الظن بالقبول، غير أن الظن لا يُغني من الحق شيئاً.

وقد يقال: إن الظن بالقبول يمنع منه مانع واقعي، إذ الأمر لم يكن مقصوراً على مخالفة عائشة لأمْر خاص بها، بل تسببت مخالفتها بمقتل المئات بل الألوف، ولا يصح في حكم العقل ولا الشرع أن تدخل صاحبة الفتنة الجنة، ويدخل الناس الذين اتَّبعوها النار، فإنها وأعوانها الكبار سبب لضلال أولئك السواد الأعظم من الناس.

وقد يقول قائل بأن عائشة لم تكن خارجة بقصد الفتنة، وإنما خرجت للأمر بالمعروف.

فنقول: هذا يتوقف أولاً على إثبات أهليَّتها لذلك، وعلى أنها مأذون لها بالتصرف.

وقد عرفت أنها منهيَّةٌ عن الخروج، واعترفت هي بذلك، فالإذنُ غيرُ محرَزٍ، بل عدم الإذن هو المحرَز والثابت.

وأما أهليَّتها بغض النظر عن كونها غيرَ مأذونة بالتصرف، فإن الثابت أن المرأة بغض النظر عمن هي، لم يُخوَّل إليها هذا الأمر، هذا أولاً.

ثانياً: إذا رجعنا إلى الظروف التي سبقت مقتل عثمان بن عفان، نجد أن عائشة هي أول المحرِّضين عليه بشدة وشراسة.

إذن ما سبق مقتل عثمان من أحداث يمنع عن إمكان التصديق بصحة ادعائها أنها خرجت طلباً بدم عثمان، وفي الأمثال الشعبية يقتلون القتيل ويمشون في جنازته، بل هنا قتلوا عثمان وحرَّضوا على قتله، ثم خرجوا على خليفة المسلمين مطالبين بدمه.

أخرج البخاري، والترمذي، والنسائي وغيرهم بإسنادهم عن أبي بكرة ـ واللفظ للبخاري ـ قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله أيام الجمل بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة[1].

ومضافاً إلى رواية البخاري للحديث في صحيحه، فقد صرَّح الترمذي بأنه حديث صحيح، فلا ضرورة تدعو لبيان وثاقة رجال إسناده بعد هذين الأمرين.

أقول: فكيف خفي على عائشة ومن كان معها حديث النبي صلى الله عليه وآله!

إذن عائشة العالمة بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله تعلم بهذا الحديث، ومع ذلك خرجت طلباً بدم عثمان بن عفان كما يزعمون.

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٣٦وج ٨ ص٩٧؛ سنن الترمذي ج٣ ح٢٣٦٥ ص٣٦٠؛ السنن الكبرى للنسائي ج٣ ح٥٩٣٧ ص٤٦٥؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١١٨؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٩٠ وج١٠ ص١١٧؛ قصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص٢٩١.

التاريخ كتب شهادته:

ولكن الثابت بلا مرية فيه أن عائشة كانت من أوائل المحرِّضين على عثمان بن عفان، وهذا يعني أن ادِّعاءها الخروج طلباً بدم عثمان لم يكن إلا محضَ ادِّعاء.

ولو أن عائشة كانت خارجة طلباً بدم عثمان، فما الذي أخذها إلى البصرة!

وكيف تخرج على خليفة المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام؟

فإن المفروض أنَّ في المدينة المنورة خليفةً، ولو كانت عائشة صادقة في ادعائها لكان عليها أن تأتي إلى أمير المؤمنين عليه السلام أولاً، لا أن تذهب إلى البصرة.

وقد أتاها خبر قتْل عثمان بن عفان للمصريين فاستنكرت.

ففي تاريخ الطبري عن عبيد بن عمرو القرشي، قال: خرجت عائشة وعثمان محصور، فقدم عليها مكةَ رجلٌ يقال له أخضر، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمانُ المصريين، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون أيُقتَل قوم جاؤوا يطلبون الحق وينكرون الظلم والله لا نرضى بهذا[1].

فكيف تكون عائشة بعد مجيء خبر هلاك عثمان ممن خرجت طلباً بدمه؟

على أن عائشة وطلحة والزبير قد أشاروا على الأحنف بن قيس في أن يبايع أمير المؤمنين علياً عليه السلام.

فقد أخرج ابن أبي شيبة بإسناده عن الأحنف بن قيس قال: قدمنا المدينة ونحن نريد الحج، قال الأحنف: فانطلقت فأتيت طلحة والزبير فقلت: ما

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٦٨.

تأمرانني به وترضيانه لي، فإني ما أرى هذا إلا مقتولاً ـ يعني عثمان، قالا: نأمرك بعليٍّ عليه السلام، قلتُ: تأمرانني به وترضيانه لي؟ قالا: نعم، ثم انطلقت حاجًّاً حتى قدمت مكة، فبينا نحن بها إذا أتانا قتْل عثمان، وبها عائشة أم المؤمنين، فلقيتها فقلت: ما تأمرينني به أن أبايع؟ قالت: عليٌّ عليه السلام، قلت: أتأمرين به وترضينه؟ قالت: نعم ، فمررت على عليٍّ عليه السلام بالمدينة فبايعته، ثم رجعت إلى البصرة وأنا أرى أن الأمر قد استقام، فبينا أنا كذلك إذا أتاني آتٍ فقال: هذه عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الحربية، قال فقلت: ما جاء بهم؟ قالوا: أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان، قُتِل مظلوماً، قال : فأتاني أفظع أمر ما أتاني قط، قال: قلت: إن خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله لشديد، وإن قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر لشديد، قال: فلما أتيتهم قالوا: جئنا نستنصرك على دم عثمان قتل مظلوماً، قال: قلت: يا أم المؤمنين! أنشدك بالله! أقلتُ: ما تأمرينني، فقلتِ: عليٌّ عليه السلام، فقلتُ: تأمرينني به وترضينه لي؟ قالت: نعم، ولكنه بدَّل: فقلتُ: يا زبير! يا حواري رسول الله صلى الله عليه وآله! يا طلحة! نشدتكما بالله: أقلتُ لكما: من تأمراني به، فقلتما: علياً، فقلتُ: تأمراني به وترضيانه لي، فقلتما: نعم؟ فقالا: نعم، ولكنه بدَّل[1].

أقول: قولُ عائشة وصاحبيها بأن علياً عليه السلام بدَّل، مردودٌ عليهم، فإنهم خصوص من بدَّلوا، وسيأتي أنهم كانوا أبرز المحرضين على عثمان.

فقد أخرج ابن أبي شيبة بإسناده عن أبي سعيد أن أناساً كانوا عند فسطاط عائشة، فمر بهم عثمان إذ ذاك بمكة، فما بقي أحد منهم إلا لعنه أو سبه غيري،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٩٦ ص٢٦٤ ؛ البداية والنهاية ج٧ ص٢٦٧ ؛ تاريخ ابن خلدون ج٢ ص١٦١.

وكان فيهم رجل من أهل الكوفة، فكان عثمان على الكوفي أجرأ منه على غيره، فقال: يا كوفي! أشتهي أقدم المدينة، كأنه يتهدده، قال: فقيل له: عليك بطلحة، قال: فانطلق معه طلحة حتى أتى عثمان، قال عثمان: والله لأجلدنك مائة، قال طلحة: والله لا تجلده مائة إلا أن يكون زانياً، فقال: لأحرمنك عطاءك، قال: فقال طلحة: إن الله سيرزقه[1].

أقول: وظاهر جداً أن عائشة وطلحة كانا يُحرِّضان على عثمان، وإلا فما معنى أن يلعن الناسُ عثمانَ عند فسطاط عائشة وهي لا تنهى عن ذلك؟

ولو لم يكن طلحة محارباً لعثمان ومبغضاً له، فما معنى أن يستنجد به الكوفي اللاعن لعثمان؟

وأخرج ابن أبي شيبة وغيره بإسنادهم عن مسروق، عن عائشة، قال: قالت حين قُتِل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه فذبحتموه كما يذبح الكبش، إنما كان هذا قبل هذا! قال: فقال لها مسروق: هذا عملك أنتِ كتبتِ إلى أناس تأمرينهم بالخروج، قال : فقالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا، قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتِب على لسانها[2].

قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح إليها، وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبَّحهم الله، زوَّروا كتباً على لسان الصحابة إلى الآفاق

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٩٥ ص٢٦٤ وج٨ ح٣١ ص٦٨٥.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٢٩ ص٤٩١ ؛ الطبقات الكبرى ج٣ ص٨٢ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٤٨٧ ؛ البداية والنهاية ج٧ ص٢١٨.

يُحرضونهم على قتال عثمان[١].

أقول: لا معنى لِمَا ذكره الأعمش وابن كثير، فإن مسروق بن الأجدع من أصحاب عائشة ومن المعاصرين لتلك الأحداث، ولا يمكن أن يخفى عليه أن عائشة لم تكن كتبت، وكيف يمكن له أن يدعي على عائشة أمراً لم يتثبت منه؟ وهو لم يستفهم من عائشة أو يسأل منها عن ذلك، بل كلام مسروق يفيد أن كتابتها كان شيئاً معروفاً مشهوراً مفروغاً عنه، فلماذا إذن لم تُنكِر عائشة ذلك وقتئذ!

وسيتضح أيضاً فيما يأتي أن عائشة أقرَّتْ بأنها كانت ممن تُحرِّض على عثمان وعلى قتله.

ففي تاريخ النميري أن الحارث بن خليف سأل سعداً عن قتْل عثمان، فقال: قُتِل بسيف سلَّته عائشة، وشحذه طلحة، وسمه ابن أبي طالب. وكذا عن ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وأن عمرو بن العاص كتب إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتْل عثمان[٢].

وفي تاريخ المدينة أيضاً بإسناده عن عبد الله بن أذينة، أنه سأل محمد بن طلحة، أخبرني عن قتْل عثمان؟ قال: أخبرك أن دم عثمان ثلاثة أثلاث، ثلثٌ على صاحبة الخدر يعني عائشة، فلما سمعته يقول ذلك، شتمته وأساءت له القول، فقال: يغفر الله لك يا أمتاه... الحديث[٣].

هذا، ومما ينبغي التنبيه عليه أننا في مقام الإشارة إلى بعض القرائن مما

(١) البداية والنهاية ج٧ ص٢١٨.

(٢) تاريخ المدينة ج٤ ص١١٧٤؛ الامامة والسياسة ج١ ص٦٧.

(٣) تاريخ المدينة ج٤ ص١١٧٣.

يخص الحديث عن عائشة، ولسنا في مقام التحقيق في مَن هو شريك عائشة في قضية عثمان. نعم نشير إلى أن سعد بن أبي وقاص كان من المبغضين لأمير المؤمنين عليه السلام فشهادته هنا لا يمكن الأخذ بها، ونغله اللعين عمر بن سعد هو قاتل سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كربلاء.

وفي شرح النهج: قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، إلى أن قالت أم سلمة لعائشة: إنك كنت بالأمس تُحرِّضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً[1].

وعن ابن قتيبة في جملة كلام له: وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله، فقال لها عمار: بالأمس تُحرِّضين عليه الناس، واليوم تبكينه[2].

وفي تاريخ الطبري وغيره بعد أن قيل لعائشة: إن الناس اجتمعوا على علي بن أبي طالب، قالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتِل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولِمَ فو الله إنَّ أول مَن أمال حرفه لأنتِ، ولقد كنتِ تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه، ثم قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول[3].

وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ذكروا أن عائشة لما أتاها أنه بويع لعليٍّ، وكانت خارجة عن المدينة، فقيل لها: قُتِل عثمان، وبايع الناس علياً،

(١) شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢١٧.

(٢) الامامة والسياسة ج١ ص٦٦.

(٣) الفتنة ووقعة الجمل ص١١٥ ؛ تاريخ الطبري ج٣ ص٤٧٧.

فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قُتِل والله مظلوماً، وأنا طالبة بدمه، فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد فجر، فقالت عائشة: قد والله قلت وقال الناس، وآخر قولي خير من أوله[(١)].

واللطيف أنه وقع الاستشهاد بقول عائشة في كتب اللغة، ففي نهاية ابن الأثير ولسان ابن منظور: ومنه حديث عائشة «اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً» تعني عثمان[(٢)].

ونعثل ـ كما ذكر ابن ماكولا ـ يهودي كان بالمدينة، كان الخوارج الذين ساروا إلى عثمان بن عفان يُشبِّهونه به[(٣)].

أقول: وموضع الشاهد من هذه الأحاديث والشواهد: أن عائشة لم تُنكِر ما نسبوه إليها من التحريض على قتْل عثمان بن عفان، بل اعترفت وأقرَّت، وليس ابن قتيبة ولا الطبري وغيرهما ممَّن يُمكن اتهامهم في عائشة، فإنهم من أشد الناس ولاءً لها، وإيماناً بها.

وَكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَرٌ:

وأخرج النميري بسند صحيح عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال، حدثني عمي أو عم لي، قال: بينما أنا عند عائشة وعثمان محصور، والناس مجهزون

(١) الامامة والسياسة ج١ ص٧١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ج٥ ص٨٠؛ لسان العرب ج١١ ص٦٧٠؛ تاج العروس ج٨ ص١٤١.

(٣) إكمال الكمال ج١ ص٣٣٨.

للحج إذ جاء مروان فقال: يا أم المؤمنين، إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ورحمة الله ويقول: ردي عني الناس، فإني فاعل وفاعل، فلم تجبه، فانصرف وهو يتمثل ببيت الربيع بن زياد العبسي، «وحرَّق قيسُ عليَّ البلادَ حتى إذا اشتعلتْ أجذما»، فقالت : ردُّوا عليَّ هذا المتمثِّل، فرددناه، فقالت ـ وفي يدها غرارة لها تعالجها: والله لوددتُ أن صاحبك الذي جئت من عنده في غرارتي هذه، فأوكيتُ عليها فألقيتُها في البحر.

وفي موضع آخر: فقالت: ارجع والله لوددت أنك وصاحبك الذي جئت من عنده في وعائنا وكيت عليكما ثم نبذتكما[1].

وفي طبقات ابن سعد: وددت والله أنك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رِجْل كل واحد منكما رحى وأنكما في البحر، وخرجت إلى مكة[2].

وفي تاريخ اليعقوبي: قالت: لعلك ترى أني في شك من صاحبك؟ أما والله لوددت أنه مقطَّع في غرارة من غرائري، وأني أطيق حمْلَه، فأطرحه في البحر[3].

وروى النميري بإسناده عن أم عبد الوهاب بن عكرمة، قالت: كنت عند عائشة فدخل عليها أبو البختري بن درهم، فقال: يا أم المؤمنين ما تقولين في عثمان؟ فقالت: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾[4].

وأخيراً وليس آخراً، أخرج الصنعاني، والبخاري في أفعال العباد، وغيرهما

---

(١) تاريخ المدينة ج٤ ص١١٧١ ـ ١١٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى ج٥ ص٣٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٦.

(٤) تاريخ المدينة ج٤ ص١١٧١.

بإسنادهم عن عروة، قال: دخلتُ على عائشة أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، فذكرتُ عثمان فقالت: يا ليتني كنت نسياً منسياً، والله ما انتهكتُ من عثمان شيئاً إلا قد انتُهِك مني مثله، حتى لو أحببتُ قتله لقتلت(١).

أقول: ورجال الحديث من أعيان الثقات(٢).

وعلى ما تقدم فلا شك في أن عائشة كانت من جملة أبرز المحرضين على عثمان.

وتلخص أن عائشة التي أمرها الله تعالى بالمكوث في بيتها، والتي نهاها النبي ﷺ عن الخروج، والتي علمت بحديث نباح كلاب الحوأب، لا يصح أن ندعي لها أنها خرجت طلباً بدم عثمان، فإنها ليست ولية دمه أولاً، وقد أسقط الله تعالى عنها القيام بذلك الواجب فيما لو سلمنا بكونه واجباً، بل لم يُسقطه فحسب وإنما أمرها بعدم الخروج ونهاها عنه ثانياً، وحيث إنها كانت رأس الفتنة في التحريض على عثمان فهي متَّهمة في ادِّعائها الخروج طلباً بدمه ثالثاً، وقد فهم القاصي والداني أنها إنما خرجت بغضاً بمَن اختاره الناس خليفة وإماماً فحسب.

ففي تاريخ الطبري وغيره بعد أن قيل لعائشة: إن الناس اجتمعوا على علي بن أبي طالب عليه السلام، قالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر

---

(١) المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٩٦٧ ص٤٤٧؛ خلق أفعال العباد ص٣٦؛ أنساب الأشراف ح٣٤٢ ص ٢٦٥؛ تاريخ المدينة ج٤ ص١٢٣٤؛ مسند الشاميين ج٤ ح٣١٠٢ ص٢٠١.

(٢) فقد رواه عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، وتقدم بيان الجميع، فالصنعاني في حاشية الحديث الثالث من الطائفة الرابعة، وكذا معمر بن راشد والزهري في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وعروة بن الزبير في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى.

لصاحبك، ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتِل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه[١].

وفي شرح النهج: وروي من طرق أخرى أنها قالت لمّا بلغها قتْل عثمان: أبعده الله، قتَلَه ذنبُه، وأقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنَّكم قتْل عثمان، كما سام أحمر ثمود قومه، إنّ أحق الناس بهذا الأمر ذو الأصبع، فلما جاءت الأخبار ببيعة عليٍّ عليه السلام، قالت: تعسوا تعسوا ! لا يردون الأمر في تيم أبداً[٢].

وأخيراً فعن محمد بن قيس أنه ذكر لعائشة يوم الجمل، فقالت: والناس يقولون يوم الجمل؟ قالوا لها: نعم، فقالت: وددتُ أني لو كنتُ جلستُ كما جلس صواحبي، وكان أحبَّ إليَّ من أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وآله بضع عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أو مثل عبد الله بن الزبير[٣].

ونحن وإنْ أشرنا سابقاً إلى أننا لسنا بصدد التحقيق في هذا الموضوع من جميع جوانبه، وقد أعرضنا عن كثير من المناقشات، وأهملنا التعرض لعشرات من الأدلة والشواهد، فنعود ونُذكِّر بأنَّ العلماء كتبوا وحقَّقوا المطلب بما لا مزيد عليه، وبمستطاع طالب الحق والنجاة أن يتحقق، ولا عذر لمعتذر، والحمد لله فله الحجة البالغة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل ص١١٥ ؛ تاريخ الطبري ج٣ ص٤٧٧ ؛ الامامة والسياسة ج١ ص٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢١٦.

(٣) أسد الغابة ج٣ ص٢٨٤.



الفصل الثالث

التحقيق في بعض ما روي
للسيدة عائشة من فضائل

أقول: إنَّ من المفروغ عنه عند العقلاء أنَّ صاحب الفضائل والمكارم لا يمكن أنْ يشعر في نفسه ضعْفاً أو يستشعر نقْصاً مهيناً فيها، ولا أقصد التواضع والاعتراف بالقصور والتقصير والحاجة إلى المزيد وما شاكل، فإنَّ التواضع والاعتراف بذلك والإقرار قولاً وعملاً بعدم بلوغ الكمال هو من جملة الفضائل.

بل أقصد، أنَّ صاحب الفضل لا يكون في نفسه عقدةُ الشعور بالنقص بالاضافة إلى الآخرين، حتى يتولَّد بسبب ذلك في أعماق نفسه الغيرة من الأخرين، إلى أنْ ينتهي به المطاف إلى الانتقاص منهم والحسد لهم.

ولا شبهة أنَّ غيرةَ زيدٍ من خالد لا تنشأ في نفسه مع وثوقه واطمئنانه بأن له من الفضل ما ليس لخالد، وكلما عرف زيد مكانته المرموقة من سلطان الزمان كلما زهد في جميع مَن يذكرهم السلطان ممَّن يعرف زيد بأنهم ليس لهم من المحل والمكانة ما له عنده.

فزيد العاقل المقرَّب من السلطان، المحبوب من جهته، يستحيل عادة أن يغتاظ أو يغار من شخص ميت يذكره السلطان أو يكثر من الثناء عليه.

بل حتى لو لم يكن زيد من جملة أصحاب العقول الراجحة، فإنه على يقين بأنَّ كثرة ثناء السلطان على خالد مثلاً لا يضره ما دام يعرف أنَّ له مكانة ليست لغيره عند السلطان.

أما إذا استفرد زيد بالسلطان، والسلطان من حين لآخر يُنوِّه بفَضْله، ويُبيِّن محامده تلويحاً، وتلميحاً، وتصريحاً، قولاً وعملاً، فإنه البتة لا يمكن أنْ يغار من شخص آخر لا سيما إذا كان الشخص الآخر ميتاً.

وأما إذا صرَّح السلطان برفيع مكانة زيد عنده بحيث لا يقرب منه أحد، ولا يطمع فيه طامع، وأنه أحب الناس إليه، فإن زيداً العاقل يستحيل عادة أن يتأثر سلباً فيما إذا أكثر السلطان من الثناء على غيره، وإنْ كان ذلك الغير من جملة الأحياء.

نعم على الرغم مما تقدم، يمكن ـ في حالة واحدة ـ أن يبقى زيد يغتاظ ويغار كلما ذكر السلطان شخصاً معيناً، وذلك فيما إذا لم يكن زيد واثقاً بصدق السلطان، وفيما إذا كان يظن فيه الخداع والكذب وما شاكل، فإنَّ تصريح السلطان وتنويهه بفضل زيد أمام الملأ لا يفيده شيئاً ولا يمنعه عن أن يحسد ويغار منه.

وأما إذا كان زيد ممن يعيش مع السلطان في بيته، يأكل ويشرب وينام معه، ويتودد السلطان في السر إليه، وفي المقابل لا يقابل السلطان أمراء البلاد إلا ومعه زيد، ولا يقبل هدية إلا من طريق زيد، ولا يرتاح إلا مع زيد، ولا تطمئن نفسه إلا مع زيد، فإننا نستكشف ونستنتج من ذلك عدة أمور تخص زيداً:

الأمر الأول: أنَّ زيداً ذو حظ من العلم والفهم والحكمة والفطنة، إلا إذا كان السلطان أحمقاً، فإنه البتة لا يُصاحب إلا أمثاله.

الأمر الثاني: أنَّ زيداً محظوظ مكرَّم ذو مكانة عظيمة عند السلطان.

الأمر الثالث: أنَّ زيداً ممن يغيظُ غيرَه ولا يغتاظ هو من غيره، وأنه لا يغار

من أحد من خواص السلطان، وفي المقابل يكون جميع رعية السلطان ومنهم الخواص يغارون من زيد ويحسدونه لمكانته المميزة من السلطان.

وإذا قد تمهد هذا، فقد نظرنا في صحاح وكتب الأبناء المخلصين للسيدة عائشة، فوجدنا فيها جملة من الأحاديث المشتملة على مدائح عظيمة جداً لها، وقد رواها ثقاتهم عن عائشة نفسها، وعن غيرها من الصحابة، ونحن نورد مضامين تلك الأحاديث في عناوين إجمالية، وبعد ذلك نعمد إلى مناقشة ما يستحق المناقشة.

الفضيلة الأولى: قالت عائشة: خلال فيَّ سبع لم يكنَّ في أحد من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران[(١)].

الفضيلة الثانية: أنَّ الملك قد جاء النبي صلى الله عليه وآله بعائشة في المنام وأخبره أنها زوجته[(٢)].

الفضيلة الثالثة: أنَّ جبرئيل عليه السلام جاء بصورة عائشة في خرقة حرير خضراء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[(٣)].

الفضيلة الرابعة: أنها كانت أحب الناس من النساء إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأنَّ

---

(١) المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٩ ـ ٣٠ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠ ؛ مسند أبي حنيفة ص١١٦ ؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧ ح٤ ص٥٢٨ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٦ ص٤٠٢ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٥ ؛ تاريخ الطبري ج٢ ص١١٨.

(٢) مسند ابن راهويه ج٢ ص١٩٩ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤١ وص١٢٨ ؛ صحيح البخاري ج٦ ص١٣١ وج٨ ص٧٥ ـ ٧٦ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٨٥ ؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٤٤٩٨ ص٤٧١ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٠ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٤.

(٣) مسند ابن راهويه ج٣ ص٦٤٩ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٦٧ ص٣٦٣ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٩ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨٢٢ ص٢٤٣ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٦.

أباها أحب الناس من الرجال إليه[١].

الفضيلة الخامسة: أنَّ فضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[٢].

الفضيلة السادسة: أنَّ الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، أي إذا أرادوا أنْ يهدوا رسول الله ﷺ ينتظرون يوم عائشة فيهدونه[٣].

الفضيلة السابعة: أنَّ النبي ﷺ كان يُقبِّل عائشة وهو صائم لأنه كان لا يتمالك عنها حباً[٤].

تسليط ضوء:

أقول: لا شبهة أنَّ أحداً من العقلاء لو كان له فضيلة واحدة من جملة هذه

---

(١) مسند أبي حنيفة ص١١٦ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٣٦ ص٤٧٦ وح٤ ص٥٢٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢١٠ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٥٨٨ ؛الآحاد والمثاني ج٢ ح٨٠٤ ص١٠٣ وج٥ ح٣٠٠٦ ص٣٨٩ وح٣٠٣٦ ص٤٠٢ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٧٣ ص٣٦٥ وح٣٩٧٧ ص٣٦٦ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٦٧ وج٣ ص٧٣ وج٤ ص١٠ ـ ١٤ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٣ ص٢٩ ـ ٣١ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ وص١٢٩ ص٢٩٩ ؛ صحيح ابن حبان ج١٠ ص٤٠٤ وج١٦ ص٤٠ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٥ ؛ تاريخ الطبري ج٢ ص١١٨ وص٤١٢.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٨٥ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٥٦ ص٢٦٤ وج٤ ص٣٩٤ ؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٣١ وص٢٢٠ وص١٣٩ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٣ وص١٣٨ ؛ سنن ابن ماجة ج٢ ح٣٢٨٠ ص١٠٩١ وح٣٢٨١ ص١٠٩٢ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٤٨٦ ؛ سنن الترمذي ج٣ ح١٨٩٤ ص١٧٩ ؛ سنن النسائي ج٧ ص٦٨ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٤ ح٦٦٩٢ ص١٦١ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠١٤ ص٣٩٣ ؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٦٨ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٢ ص٥٢٧ وح٧ ص٥٢٩ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٨١ ص١٠٢ ؛ مسند أبي يعلى ج١٣ ح٧٢٤٥ ص٢١٩ وح٧٢٦٩ ص٢٥٣ ؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٥١.

(٣) مسند ابن راهويه ج٢ ص٢٩١ ؛ صحيح البخاري ج٣ ص١٣١ وص١٣٢ وج٤ ص٢٢١ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٥ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٦٦ ص٣٦٢ ؛ سنن النسائي ج٧ ص٦٨ وص٦٩ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٨٩٩ ص٢٨٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٦٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٩٦ ص٣١٧ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٠ ص٤٠٠ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٥.

الفضائل، فإنه البتة لا يمكن أنْ يحسد أحداً أو يغار من أحد، وكلامنا فيما يخص أصحاب ذلك الواحد من أولئك العقلاء. وفي مقامنا فإنَّ كلامنا فيمن يشترك مع عائشة في علقة خاصة مع سيدنا الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

كما أنه لا شبهة في أنَّ مَن تبلغ من المنزلة ما زعموه لعائشة أو ما زعمته هي لنفسها عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإنه من غير الممكن أن يبقى في نفسها أو في قلبها وروحها أدنى معنى من معاني الغيرة والحسد لأي شخص مهما نال حظوة ومنزلة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

إذ قضاءً لِمَا لها من المنزلة التي لا يدانيها فيها أحد من النساء، فإنه لا يمكن أن تشعر أو تستشعر بأي نحو من أنحاء النقص بالنسبة إلى غيرها، ولا يمكن أن يتسبَّب أي ثناء من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأي امرأة بحدوث غيرة في نفسها.

وأما إذا كانت عائشة لا تعرف شيئاً من تلك الفضائل التي زعموها لها، وكانت تجهل بامتيازها عن غيرها من نساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بواحدة منها، فإنه من الطبيعي أنْ يتولَّد في نفسها الغيرة والحسد كلما أحسَّتْ بميل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى واحدة من نسائه، أو كلما سمعتْ منه أو من غيره ثناءً على إحداهن.

اللهم إلا إذا كانت عائشةُ غيرَ عاقلة وكانت ممن لا تعي ولا تعقل معنى ما روته لنا، وما رواه ثقاتها من أحبائها من فضائلها.

ولكنك تعرف، أنها فيما إذا كانت على ذلك القدر من الجهل وعدم التعقل، فإنَّ تلك المدائح تسقط من رأس، فإنَّ الجاهل والذي لا يعقل لا يكون مورداً ومحلاً لعناية الله تعالى به، ولتقدير وثناء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ له.

وعليه، فالقولُ بأنه كانت لعائشة تلك الفضائل أو واحدة منها ومع ذلك

كانت من النساء غير العاقلات ومن النساء الجاهلات، قولٌ لا يصح، فإنَّ غير العاقلة لا يمكن أن تفْضُل نساء الدنيا، وإنَّ غير العاقلة لا يمكن أن تتحلَّى بواحدة من تلك الفضائل المزعومة.

إذن إما أنْ يكون لعائشة تلك الفضائل جميعها أو واحدة منها، وإما أنه لا يكون لها شيء من ذلك.

وإنما قلنا بأنَّ الأمر دائر بين أن يكون وبين أن لا يكون لها شيء من تلك الفضائل، لأنها قد صرَّحت مراراً بأنها كانت تغار من جميع نساء النبي ﷺ، وأنها كانت تغار من خديجة عليها السلام التي ماتت قبل أن يبني بها النبي ﷺ بثلاث سنين، وأنها كانت تغار ممَّن يهَبن أنفسهن من النساء للنبي ﷺ.

فإنه بعد تصريحها بذلك، لا مجال لدينا للتصديق بوجود مزية لها على غيرها من النساء أولاً، كما لا مجال للتصديق بوجود واحدة من الفضائل التي زعموها لها أو زعمتها هي لنفسها.

وكيف يمكن لامرأة لها سبع أو تسع خلال لم يشاركها فيها أحد من نساء الدنيا ما خلا مريم بنت عمران عليها السلام، أن تغار من سيدتنا خديجة عليها السلام التي ليس لها شيء من تلك الخلال والخصال بحسب زعمها؟

وكيف يمكن لامرأة مثلها أن تغار من امرأة عادية لا يعرف لها الناس شيئاً من الفضل، فتغار منها لمجرد أنها كانت تهب نفسها لرسول الله ﷺ؟

وكيف يمكن لعاقل أن يُصدِّق بتلك الأحاديث الموضوعة في فضائل عائشة وهو ينظر في الأحاديث التي تُقِرُّ وتصرح هي نفسها فيها بأنها كانت تغار من سائر نساء النبي ﷺ، ومن جميع النسوة اللاتي كُنَّ يهَبن أنفسهن

لرسول الله صلى الله عليه وآله!!

وكيف يمكن لعاقل أنْ يُصدِّق بتلك الأحاديث، وعائشة تقول ما كنتُ أغار من امرأة كما كنت أغار من خديجة؟

فسيدتنا خديجة عليها السلام امرأة قد فارقت الدنيا ولا تشارك عائشة في زوجها كما تشاركها بقية نسائه وأزواجه، ومع ذلك تقول عائشة بأنها كانت تغار من مجرد ثناء النبي صلى الله عليه وآله على خديجة عليها السلام، وأنها كانت تحسدها لمحض كثرة ذكْر النبي صلى الله عليه وآله لها.

فكيف لو كان قُدِّر لسيدتنا ومولاتنا خديجة عليها السلام أن تكون موجودة؟

بل الأمر قد تعدَّى عند عائشة الغيرة، إذ كانت تحمل على سيدتنا خديجة وتسخر منها وتعيبها كما سيأتي، فهل أنَّ ذلك كان مجرد غيرةٍ من عائشة صاحبة الفضائل والمكارم، والمنزلة الرفيعة، والمقام المحمود؟

فقد أخرج أحمد بن حنبل، وابن راهويه، والبخاري، ومسلم وغيرهم، بإسنادهم عن عائشة، قالت: ما غرتُ على امرأة ما غرت على خديجة عليها السلام من كثرة ذكْر رسول الله صلى الله عليه وآله إياها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يُبشِّرها ببيت في الجنة من قصب.

وفي بعض موارد لفظ البخاري، قالت: ما غرتُ على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وآله ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وآله يُكثِر ذكْرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد.

وفي بعض الموارد من صحيح البخاري وغيره: لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها.

وفي بعض الموارد من صحيح مسلم وصحيح ابن حبان، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: إني قد رُزِقت حبها[1].

هذا ومضافاً إلى رواية البخاري ومسلم للحديث، فنحن نشير إلى وثاقة رواته تأكيداً للحجة[2].

---

(١) مسند ابن راهويه ج٢ ص٢١٢ وص٣٣٠ ؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٧٥ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٨ وص٢٠٢ وص٢٧٩ ؛ صحيح البخاري ج٤ ص٢٣٠ وص٢٣١ وج٦ ص١٥٨ وج٧ ص٧٦ وج٨ ص١٩٥ ؛ التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٤٢ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٣ وص١٣٤ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٠٠ ص٣٨٥ ؛ سنن الترمذي ج٣ ح٢٠٨٦ ص٢٤٩ وج٥ ح٣٩٧٧ ص٣٦٦ ؛ سنن ابن ماجة ج١ ح١٩٩٧ ص٦٤٣ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٠٧ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٦١ ص٩٤ وح٨٣٦٣ ص٩٥ وح٨٩١٣ ص٢٩٠ ؛ الذرية الطاهرة النبوية ص٤٠ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٦٧.

(٢) ونحن نذكر بعضاً من الطرق إلى هشام بن عروة الذي روى الحديث عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة، فقد رواه أحمد بن حنبل، عن قتيبة بن سعيد، عن حميد بن عبد الرحمن، عن هشام، ورواه أيضاً عن أبي أسامة وهو أسامة بن حماد، عن هشام، ورواه ابن ماجة عن هارون بن إسحاق، عبدة بن سليمان، عن هشام، وراوه إسحاق بن راهويه عن النضر وهو ابن شميل، عن هشام.

وتقدم بيان حال هشام بن عروة وأبيه في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى، وقتيبة بن سعيد وعبدة بن سليمان في حاشية حديث الطائفة الثالثة، وإسحاق بن راهويه في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية، وأبي أسامة في حاشية الحديث الأول من الفصل الثاني، فلم يبق إلا حميد بن عبد الرحمن، وهارون بن إسحاق، والنضر بن شميل.

قال المزي: قتيبة بن سعيد، روى عن حميد بن عبد الرحمان الرؤاسي، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٢٣ رقم٤٨٥٢ ص٥٢٣ ـ ٥٢٧).

وقال أيضاً: حماد بن أسامة أبو أسامة، روى عن هشام بن عروة، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٤٧١ ص٢١٧ ـ ٢٢٠).

وقال أيضاً: إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، روى عن النضر بن شميل المازني. (تهذيب الكمال ج٢ رقم٣٣٢ ص٣٧٣ ـ ٣٧٥).

وأخرج البخاري، ومسلم، وابن حنبل، وابن ماجة، والنسائي، وغيرهم

---

١ ـ **حميد بن عبد الرحمان** الرؤاسي من رجال الصحيح. (صحيح ج٤ ص٢٣١ ؛ وج٨ص١٧ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٩ وج٥ ص١١٢ وج٨ ص٢٠٠)

قال المزي: حميد بن عبد الرحمان الرؤاسي، روى عن هشام بن عروة، روى عنه قتيبة بن سعيد. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٥٣١ ص٣٧٥ ـ ٣٧٧).

أثنى أحمد بن حنبل عليه ووصفه بخير، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: قلَّ من رأيت مثل حميد بن عبد الرحمن، ووثقه يحيى بن معين، والعجلي، وابن سعد، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من المتقنين. وقال الذهبي: الإمام المتقن. (تاريخ ابن معين للدارمي رقم٢٤٣ ص٩٢ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم٣٦٤ ص٣٢٤ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٩٩١ ص٢٢٥ ؛ الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٩٨ ؛ مشاهير علماء الأمصار ابن حبان رقم١٣٦٢ ص٢٧٠ ؛ الثقات ج٦ ص١٩٤ ؛ تهذيب الكمال ج٧ ص٣٧٥ ـ ٣٧٧ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٦٨ ص ٢٨٨ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم٧٥ ص٣٩ ـ ٤٠).

٢ ـ **هارون بن إسحاق** شيخ الترمذي وابن ماجة. (سنن الترمذي ج٢ ح٣٥٢ص ٢٢١ وج٢ ح٦٦٣ ص٨٩ وح٦٩٤ ص١٠٣ وح٧٠٦ ص١٠٧ ؛ سنن ابن ماجة ح ١٣٢٤ ص٤١٩).

قال المزي: هارون بن إسحاق روى عن عبدة بن سليمان، روى عنه ابن ماجة. (تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٥٠٦ ص٧٥ ـ ٧٦).

صحَّح حديثه الترمذي في سننه في المواضع المتقدمة وغيرها. وقال الذهبي: قال النسائي وغيره: ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق. وقال علي بن الحسين بن الجنيد: كان محمد بن عبد الله ابن نمير يُبجِّله. وقال أبو بكر بن خزيمة: كان من خيار عباد الله. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الذهبي: الإمام الحافظ الثبت، ثقة متعبِّد. (تهذيب الكمال ج٣٠ ص٧٥ ـ ٧٧ ؛ سير أعلام النبلاء ج١٢ رقم٤٣ ص١٢٦ ـ ١٢٧ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٥٩٠٢ ص٣٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٢ ص٣ ـ ٤).

٣ ـ **النضر بن شميل** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص١٢٣ وج٥ ص١٦٠ وج٧ ص٣٤ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٤٨ و١٩٣ وج٢ ص٧٢ و١٤١).

قال المزي: النضر بن شميل المازني، روى عن هشام بن عروة، روى عنه إسحاق بن راهويه. (تهذيب الكمال ج٢٩ رقم٦٤٢١ ص٣٧٩ ـ ٣٨١).

وثقه يحيى بن معين، وابن سعد، وعلي بن المديني وأبو حاتم، والنسائي وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٧٣ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٨٢٧ ص ٢٢٠ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٢١٨٨ ص٤٧٧ ؛ الثقات ج٩ ص٢١٢ ؛ تهذيب الكمال ج٢٩ ص٣٧٩ ـ٣٨٣ ؛ تهذيب التهذيب ج١٠ رقم٧٩٧ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١).

بإسنادهم عن عائشة ـ واللفظ للبخاري ـ قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها ...[1].

وأخرج ابن حنبل، ومسلم، والحاكم وغيرهم بإسنادهم عن عائشة ـ واللفظ لصحيح مسلم ـ أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة، أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك...[2].

أقول: واللطيف أن عائشة وحدها مَن حدثتنا عن حديث غيرتها من جميع نساء النبي ﷺ.

فيا ترى لماذا انفردت عائشة بذلك، واختصت بالغيرة دون سواها؟

والجواب عن هذا التساؤل يعرفه كل ذي عقل.

عدم نهي النبي ﷺ عن المنكر:

ولكن الذي لا نعرف له جواباً هو عدم تصدي النبي ﷺ للدفاع عن خديجة وللنهي عن المنكر الذي ارتكبته عائشة، حيث سخرت من سيدتنا خديجة عليها السلام، ولم يثبت عندهم زجر النبي لها!!

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٦١؛ صحيح البخاري ج٦ ص٢٤ وص١٢٨؛ صحيح مسلم ج٤ ص١٧٤؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ح٧ ص٤٢١؛ سنن النسائي ج٦ ص٥٤؛ سنن ابن ماجة ج١ ح٢٠٠٠ ص٦٤٤؛ السنن الكبرى للنسائي ج٣ ح٥٣٠٦ ص٢٥٩ وج٥ ح٨٩٢٧ ص٢٩٤ وج٦ ح١١٤١٤ ص٤٣٤؛ أسباب نزول الآيات ص٢٤١؛ تفسير مجاهد ج٢ ص٥١٨؛ جامع البيان ج٢٢ ح٢١٨٠٧ ص٣٢؛ صحيح ابن حبان ج١٤ ص٢٨٢؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٣٦؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٥٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١١٥؛ صحيح مسلم ج٨ ص١٣٩؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٢٢٨؛ المعجم الأوسط ج١ ص٧٠؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١١٦؛ صحيح ابن خزيمة ج١ ص٣٢٨؛ صحيح ابن حبان ج٥ ص٢٦٠.

فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما بإسناده‍ما عن عائشة، قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فعرف استئذان خديجة عليها السلام فارتاع لذلك، فقال: اللهم هالة، قالت: فغرتُ، فقلتُ: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها[1].

ولا حاجة تدعو لبيان تفصيل صحة الحديث ووثاقة رجاله، فإن الحديث رواه البخاري ومسلم.

نعم ورد في بعض كتبهم زيادة على ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما في الحديث السابق، ولكن الزيادة لم تثبت.

فقد أخرج ابن حنبل وغيره بإسنادهم عن عبد الملك بن عمير، عن موسى بن طلحة، عن عائشة، أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذكر خديجة عليها السلام، فقلتُ: لقد أعقبك الله عز وجل من امرأة، قال عفان: من عجوزة من عجائز قريش من نساء قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قالت: فتمَّعر وجهه تمعراً ما كنتُ أراه إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة حتى ينظر أرحمة أم عذاب[2].

وأخرج الطبراني بإسناده عن مبارك بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يُكثِر ذكْرَ خديجة، فقلتُ: ما أكثر ما تُكثِر ذكرَ خديجة وقد أخلف الله لك من خديجة عجوز حمراء الشدقين قد هلكت في دهر، فغضب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غضباً ما رأيته غضب مثله قط، وقال: إن الله

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٣١؛ صحيح مسلم ج ٧ ص١٣٤؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٠١ ص٣٨٦؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٠٧.

(٢) مسند ابن راهويه ج٢ ص٥٨٧؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٥٠ وص١٥٤؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢٨٦؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٦٨.

رزقها مني ما لم يرزق أحداً منكنَّ، قلتُ: يا رسول الله، اعف عني عفا الله عنك، والله لا تسمعني أذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه[١].

وأخرج ابن حنبل بإسناده عن مجاهد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرتُ يوماً، فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال صلى الله عليه وآله: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزوجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء[٢].

أقول: أما حديث مسروق وأنَّ عائشة اعتذرت وتضرعت طلباً للعفو والمسامحة، فهذا شيء لا تعرفه عائشة التي كانت ترفع صوتها فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله كما سيأتي[٣]، وأيضاً لا تعرفه عائشة التي مرَّ عليك حديث غضبها من النبي صلى الله عليه وآله في الطائفة الرابعة عشرة، ولا تعرفه عائشة كما هو ظاهر جداً من جوابها للنبي صلى الله عليه وآله ما لي من شيطان في حديث الطائفة العاشرة، وأيضاً لا تعرفه عائشة التي بكل فظاظة تقول للنبي صلى الله عليه وآله: بحمد الله لا بحمدك[٤]، وفي موارد أخرى: بحمد الله لا بحمد أحد[٥]، وفي مورد ثالث

---

(١) المعجم الكبير ج٢٣ ص١١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص١١٧.

(٣) ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٠٣ و٣٦٧ و٣٦٨؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٥٥٨؛ الآحاد والمثاني ج٦ ص٣٥؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٢١؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص١٢١ ـ ١٢٨؛ جامع البيان ج١٨ ص١٢٧و١٣٨؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٨٢؛ الدر المنثور ج٥ ص٢٧ ـ ٣٥؛ لباب النقول ص١٤٣؛ مجمع الزوائد ج٩ ص٢٣٠؛ تاريخ المدينة ج١ ص٣٢٢ و٣٣٧.

(٥) صحيح البخاري ج٤ ص١٢٣؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٦٧؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص١٢٣ وج٢٥ ص٨٤؛ صحيح

بحمد الله، لا بحمد أحد ولا حمدك[1].

وفي معرفة علوم الحديث بإسناده عن حبان، قال: قلت لعبد الله بن المبارك: قول عائشة للنبي صلى الله عليه وآله حين نزل براءتها من السماء: بحمد الله لا بحمدك» إني لأستعظم هذا القول! فقال عبد الله: ولت الحمد أهله[2].

أقول: فهل هذا القولُ من عائشة هو قولُ مسلمٍ مؤمن؟

والأولى من الجميع أن لا تعرفه عائشة التي قدحت بشرف، وحشمة، وغيرة، وكرامة بل وبنبوة نبينا صلى الله عليه وآله على ما مر عليك تفصيله.

ثانياً: إن الأحاديث الثلاثة التي فيها أن النبي صلى الله عليه وآله ردَّ على عائشة لا يصح سندها، فحديث عبد الملك بن عمير، وحديث مبارك بن فضالة، وكذا حديث مجالد لا يصح إسنادها عندهم[3].

ابن حبان ج١٦ ص٢٤.

(١) صحيح البخاري ج٥ ص٦١ ؛ مسند أبي داود ص٢٣٢ ؛ تفسير القرطبي ج١٢ ص١٩٧ ؛ سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٠١.

(٢) معرفة علوم الحديث ص٦٧.

(٣) ١ ـ **أما مبارك بن فضالة**، فقد قال أحمد بن حنبل والنسائي: ضعيف. وقال يحيى بن معين: ضعيف الحديث. وقال أبو زرعة: يدلس كثيراً. وقال أبو داود: شديد التدليس. وقال ابن حبان في المشاهير: كان رديء الحفظ، وقال في الثقات: كان يخطىء. وقال السعدي: يُضعَّف حديثه ليس من أهل التثبت. وكان يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي لا يُحدِّثان عنه. (العلل لأحمد بن حنبل ج٣ ح٣٩١٣ ص١٠ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم١٥٥٧ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩ ؛ سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٧٤٤ ص٣٩٠ ؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٥٧٤ ص٢٣٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٢٥٢ ص٢٤٩ ؛ الثقات ج٧ ص٥٠١ ؛ الكامل ج٦ ص٣١٩ ـ ٣٢١ ؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم١٨١٦ ص٢٢٤ ـ ٢٢٥).

٢ ـ **وأما عبد الملك بن عمير**، فقد قال أحمد بن حنبل: مضطرب الحديث جداً مع قلة حديثه، ما أرى له خمسمائة حديث، وقد غلط في كثير منها. وقال إسحاق بن منصور عن أحمد بن حنبل: أنه ضعَّف عبد الملك بن عمير جداً. وقال يحيى بن معين: عبد الملك بن عمير مخلط. وقال أبو حاتم: تغيَّر حفظه قبل موته. وقال ابن حبان في الثقات: كان مدلِّساً. (الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم١٧٠٠ ص٣٦٠ ـ ٣٦١ ؛

هذا وقد قال ابن كثير: فأما ما يُروى فيه من الزيادة «والله ما أبدلني خيراً منها» فليس يصح سندها[١].

أقول: وعلى ما تقدم، فحديث عائشة أنها كانت تغار من سيدتنا خديجة أكثر مما كانت تغار من غيرها من سائر نساء النبي صلى الله عليه وآله ثابت لا مرية فيه، وكذا حديثها فيما ادعته أمام رسول الله صلى الله عليه وآله من أن الله تعالى قد أبدله خيراً من خديجة، وأيضاً حديثها في وصْفها لسيدتنا خديجة صلوات الله عليها أنها حمراء الشدقين ثابت في الصحيحين وغيرهما أيضاً، وأما حديثها عن أن النبي صلى الله عليه وآله ردَّ عليها وأنه غضب لمَّا أن ذكرت خديجة عليها السلام بسوء فلم يثبت عندهم.

أقول: ونحن نورد شيئاً من كلام القوم توطئة وتمهيداً للبحث:

قال ابن كثير معقِّباً على قول عائشة للنبي صلى الله عليه وآله لقد أبدلك الله خيراً منها: وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلا وإما عشرة، إذ لم يُنكِر عليها ولا ردَّ عليها ذلك، كما هو ظاهر سياق البخاري[٢].

الثقات ج٥ ص١١٧ ؛ تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٥٤٦ ص٣٧٠ ـ ٣٧٤).

٣ ـ **وأما مجالد وهو ابن سعيد**، فقد قال البخاري: كان يحيى القطان يُضعِّفه، وكان ابن مهدي لا يروي عنه عن الشعبي. وقال أحمد بن حنبل: مجالد عن الشعبي وغيره ضعيف، وقال أيضاً: ليس بشيء. وقال يحيى بن معين وأبو حاتم: مجالد لا يحتج بحديثه. وقال ابن معين أيضاً: مجالد ضعيف، واهي الحديث. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به. (تاريخ ابن معين للدوري ج٢ رقم٣١٤٢ ص٤٨ ؛ الضعفاء الصغير رقم٣٦٨ ص١١٦ ؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٥٥٢ ص٢٣٦ ؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم١٨٢٦ ص٢٣٢ ـ ٢٣٤ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم١٦٥٣ ص٣٦١ ـ ٣٦٢ ؛ كتاب المجروحين ج٣ ص١٠ ؛ تهذيب الكمال ج٢٧ رقم٥٧٨٠ ص٢١٩ ـ ٢٢٣).

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٠٠.

(٢) البداية والنهاية ج٣ ص١٥٨ ؛ السيرة النبوية ج٢ ص١٣٤.

وقال ابن حجر: قال القرطبي: قيل معنى حمراء الشدقين، بيضاء الشدقين والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يُشبه البرص، ولهذا كان ﷺ يقول لعائشة يا حميراء، ثم استبعد القرطبي هذا، لكون عائشة أوردت هذه المقالة مورد التنقيص، فلو كان الأمر كما قيل لنصت على البياض لأنه كان يكون أبلغ في مرادها.

وقال ابن حجر أيضاً: قال ابن التين في سكوت النبي ﷺ على هذه المقالة دليل على أفضلية عائشة على خديجة[(١)].

أقول: قاتل الله النفاق والضلال، سكوت نبي معصوم عن استهزاء زوجته وسخريتها من سيدة نساء العالمين، يكون دليلاً على أفضلية عائشة!

ألا يستحي ابن كثير وابن حجر أنْ يستدلا بهذا الحديث!

نعم، حيث يكون الحديث قادحاً في نزاهة محمد بن عبد الله ﷺ، وقادحاً في عدالته، فالحديث ثابت صحيح عندهم.

توجيه غير مقبول:

هذا وقال النووي وغيره: قال المصري (الطبري) وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لِمَا جُبِلن عليه من ذلك، ولهذا لم تُزجَر عائشة عنها. قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها، ولعلها لم تكن بلغت حينئذ[(٢)].

---

(١) فتح الباري ج٧ ص١٠٦

(٢) شرح مسلم للنووي ج١٥ ص٢٠٢ ؛ فتح الباري ج٧ ص١٠٧.

أقول: لا حجة للقائل بأن ما وقع من عائشة في توصيفها لسيدتنا خديجة عليها السلام قد صدر منها قبل البلوغ، وما ذكره مجرد دعوى لا دليل عليها ولا برهان لها.

ونحن في المقابل مضافاً إلى أنَّ قول القاضي عياض لا يعدو عن كونه مجرد فرْض، فإننا نُنكِر أنَّ ما صدر من عائشة كان قبل بلوغها، فإنها إنما بنى بها النبي صلى الله عليه وآله وتزوجها وأدخلت عليه بحسب زعمها بعد أن بلغت تسعاً[(1)]، ولا ريب أن كلام عائشة على سيدتنا خديجة عليها السلام كان يصدر منها وهي في بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ثانياً: إذا كان ما وقع من عائشة وقع لمَّا أن كانت صغيرة السن غير بالغة، فهذا يعني أنه لا مجال للتمسك بهذا الحديث على أن سكوت النبي صلى الله عليه وآله تقرير لها، فإن أقل ما يمكن أن يقال: إنها لمكان عدم بلوغها وعدم وجود حظ من العلم والعقل عندها، فلا موجب للرد عليها، ولا يلتفت العقلاء إلى ما يصدر من الجاهل غير البالغ.

وأما كلام القرطبي بأن عائشة قالت ذلك من باب التنقيص، فهو الحق قطعاً، لذا تراهم يتأولون ما صدر منها على أنها كانت صغيرة السن، وهذا التأويل لا معنى له إلا لمكان وضوح كون عائشة في مقام الانتقاص من سيدتنا خديجة عليها السلام،

---

(1) صحيح البخاري ج٤ ص٢٥١ وج ٦ ص١٣٤ ؛ صحيح مسلم ج٤ ص١٤١ وص١٤٢ ؛ كتاب المسند للشافعي ص١٧٢ وص٢٧٥ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤٢ وص٢٨٠ ؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٣ ح٥٠٧٣ ص٢٤٣ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح٧ ص٤١ وح١٦ ص٦٤ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٢١٣ ـ ٢١٥ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠١٩ ص٣٩٦ وح٣٠٢٨ ص٣٩٩ ؛ سنن ابن ماجة ج١ ح١٨٧٦ ص٦٠٣ ؛ سنن أبي داود ج١ ح٢١٢١ ص٤٧١ ؛ سنن النسائي ج٦ ص٨٢ وص١٣١ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٣ ح٥٣٦٥ وح٥٣٦٧ وح٥٣٦٨ ص٢٧٩ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٦٧٣ ص١٣٢ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٤ ؛ المصنف للصنعاني ج٦ ح١٠٣٤٩ ص١٦٢ : مسند أبي داود الطيالسي ص٢٠٥ ؛ ؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٩ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٥٨ ـ ٦٠.

وسياق الحديث في دلالته على أن عائشة كانت كذلك واضح جداً.

وأما أن النبي صلى الله عليه وآله بسكوته يكون مؤيِّداً لعائشة مصوِّباً لقولها من أنها خير من سيدتنا خديجة عليها السلام، فهذا يتوقف:

أولاً: على ثبوت أن النبي صلى الله عليه وآله لم يزجر عائشة، ولا يمكن لنا أن نستدل بقولها على صحة قولها، فهي المدعية أنها قالت في حضرة النبي صلى الله عليه وآله ذلك، وهي التي لم ترو لنا حديثَ زجْرِ النبي صلى الله عليه وآله لها، ومثل عائشة المتحاملة على سيدتنا خديجة عليها السلام كما هو صريح كلامها لا يصح تصديقها في أن النبي صلى الله عليه وآله لم يزجرها ولم يردعها.

ثانياً: إننا لو أحرزنا وأثبتنا أن النبي صلى الله عليه وآله سكت عن الرد على عائشة لمَّا أن قالت: «أبدلك الله خيراً منها»، فهذا لا يكفي دليلاً على أن عائشة خير من سيدتنا خديجة عليها السلام، لأنه ليس كل سكوت يكون مرجعه إلى الرضا والقبول.

فنحتمل من النبي صلى الله عليه وآله أنه سكت ـ لو كان سكت ـ لعلمه بعدم ارتداع عائشة، وعدم قبولها كلامه، وقد حدثتنا عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يسكت عن الباطل الذي كانت تفعله، كما مر في حديث مزمارة الشيطان، وفرار شياطين الجن والإنس من ابن الخطاب، بل حدثتنا عائشة عن أن النبي صلى الله عليه وآله كان يرتكب الباطل ويفعله، وبناءً على عقيدتها في النبي صلى الله عليه وآله، فنقول لكم: فليكن سكوت النبي صلى الله عليه وآله عن الرد على عائشة على وزان سكوته عن الباطل الذي حدثتنا عائشة نفسها في أنه صلى الله عليه وآله كان يسكت عنه.

ثالثاً: إن كلام عائشة يدلنا على أنها كانت محض مدَّعية في كونها خيراً من سيدتنا خديجة عليها السلام، وأنها كانت على يقين في أنها لم تكن كذلك بنظر

النبي ﷺ، وحديث عائشة لم يكن إلا حديث الغاضب على ما كان يقوم به النبي ﷺ وما يصدر منه من التبجيل لخديجة عليها السلام والثناء عليها، وادعاؤها أنها خير من خديجة عليها السلام جاء في سياق الرد على سيدنا محمد ﷺ ليس إلا.

فعائشة تريد أن تُبيِّن للنبي ﷺ أنه غير عالم وغير عارف بها وبمقامها ومنزلتها، وإلا فلو أن النبي ﷺ كان يعلم بأنها خير وأفضل من سيدتنا خديجة عليها السلام، فلا مبرِّر له بنظر عائشة في ما كان يصدر منه في حق خديجة عليها السلام، فتنبيهاً للنبي ﷺ وتعليماً له خاطبته، ولسان حالها: يا محمد! كفْ عن كثرة ذكْر خديجة والثناء عليها، فقد أبدلك الله خيراً منها.

وبعبارة أخرى: إن النبي ﷺ كان بنظر عائشة لا يعلم بأن الله تعالى أبدله خيراً من خديجة، فعائشة هي العالمة بالحقائق والأسرار، وعندها العلم والميزان، لذا كانت تنكر على رسول الله ﷺ كثرة ثنائه على خديجة، وإنكارها كان في مقام تعليم النبي ﷺ وإرشاده وتنبيهه على ما لم يكن به عالماً.

وأما ما ذكره المصري (الطبري) وغيره من العلماء من أن الغيرة مسامح للنساء فيها:

فجوابه: أن الغيرة لو سلمنا بأنها مسامح فيها، غير أن الطعن والاستهزاء والسخرية والانتقاص من الآخرين لا يمكن أن تكون مما يسامح الله تعالى ورسوله الأكرم ﷺ فيها، بل نهى الله سبحانه عن ذلك، والعجيب أن النبي عندهم لم يزجر عائشة الساخرة المنتقصة من سيدتنا خديجة عليها السلام!

ومهما يكن، وحيث لا مجال في هذا المختصر للتفصيل في كلام القوم

والرد عليهم، فلنكتفِ بما أشرنا إليه، ولنرجع إلى حديث عائشة التي أخبرت أن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان يكثر من ذكر سيدتنا خديجة عليها السلام والثناء عليها، وأنها وإن كانت تغار من جميع صواحبها من نساء النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلا أنها كانت تغار من سيدتنا خديجة عليها السلام أكثر.

غيرة عائشة مريبة:

أقول: لا يخفى أن للغيرة من شخص مناشيء وأسباباً، ولا شبهة أنه لولا شعور الشخص الذي يغار بالنقص والمهانة في قرارة نفسه فإنه البتة لا يمكن أن يغار.

ولكن الغيرة مهما كانت يمكن تبريرها فيما إذا كان الشخص الآخر موجوداً، بغض النظر عن صحة المبررات أو عدم صحتها، وأما إذا كان ميتاً فلا يصح تبرير الغيرة إذ لا موجب لها.

وسيدتنا خديجة عليها السلام توفيت قبل زواج النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من عائشة بثلاث سنين، وهذا يعني أنه لا وجود لِمَا يدعو عائشة كامرأة وزوجة للغيرة، إذ المرأة تغار من امرأة أخرى خشيةَ أَن تستحوذ على قلب زوجها، أو أن يُعجَب بتلك أكثر من إعجابه بها، وبما أن سيدتنا خديجة عليها السلام لا تُمثِّل خطراً من هذا القبيل، فلا بد وأن تعود الغيرة من عائشة إلى عالَم الآخرة فحسب.

وفي المقابل، فإن الشخص المؤمن المتزن الواعي المتعقِّل لا يغيظه ما للآخر من محاسن وفضائل، بل يغبطه وينوِّه بذكره، والمؤمن الراضي بقضاء الله تعالى وقدره بعيد عن وسوسة التفاخر تارة، وعن استشعار النقص فضلاً عن

الشعور به تارة أخرى، وإذا ما طغت نفسه وغلب هواه فإن عنده من اليقين والمعرفة والإيمان والالتزام ما يقمع به هواه ووسوسة شيطانه.

فالغيرة من شخص آخر لا تقع من الواعي العاقل، نعم حب النفس والتفاني في الأنانية يُولِّد في النفس الغيرة، ويبعث على القلق والحيرة والتردد، وهذا من شأنه إيجاب اضطراب النفس من جهة، والميل إلى الانتقاص والسخرية من الشخص الآخر من جهة ثانية.

وأيضاً، فإن الذي يرى نفسه محروماً من الفضائل التي أعطاها الله تعالى لغيره، يأخذ به هواه إلى النيل من الآخر، حتى إذا وصلت به الغيرة ذروتها فيغدو غير محتَمِل لسماع ذكْر الآخر بأي نحو من الأنحاء، وهنا لا يسعه إلا إظهار ما في نفسه، فيقع في فخ الهوى.

لا أقول إن الغيرة لا توجد إلا عند أراذل الناس، ولكن لا شبهة أن الغيرة لا تحمل صاحبها على الظلم إلا بعد بلوغها الذروة. ولولا الشعور بالنقص والإحساس بالقصور، فإن شيطان الغيرة مأمونٌ غضبُه.

والمؤمن المحب للإيمان، المقدِّر للكفاءات، المؤمن بعدالة الله تعالى، المتمسك بحبل الإخلاص له سبحانه، المستوثق بعرى التقوى والفضيلة، لا يمكن أن يغار، ولإنْ وقع منه ذلك فسرعان ما يتنبَّه فيستغفر من جهة، ويعمد إلى البحث عن الخلل في أعماق نفسه وقصور إيمانه، ليصلح الفاسد، ويسد الخلل.

هذا ولا شبهة في أن الغيرة الشديدة تأخذ بصاحبها إلى جحيم الحسد، فيتردى ويتردى، وقد فرغ العقل والعقلاء على أن الحسد يأكل الحسنات كما

تأكل النار الخطب.

وفعلاً فقد صرحت عائشة بأنها كانت تحسد سيدتنا خديجة صلوات الله عليها.

أخرج أحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي وغيرهم بإسنادهم عن عائشة، قالت: ما حسدتُ امرأة ما حسدتُ خديجة، وما تزوجني رسول الله ﷺ إلا بعد ما ماتت، وذلك أن رسول الله ﷺ بشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب[1].

قال الترمذي بعد رواية الحديث: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أقول: نحن مضافاً لتصريحهم بصحة الحديث، نُبيِّن وثاقة رجال إسناده[2].

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٧٥؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٧٩ ص٣٦٦؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٨٦؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٦٢ ص٩٤؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٨٨٧ ص٣٣٩.

(٢) فقد رواه الترمذي والنسائي عن الحسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، وتقدم بيان حال هشام بن عروة بن الزبير وأبيه في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى، وأنهما من رجال الصحيح.

١ ـ **الحسين بن حريث**، شيخ البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج٢ ص٢٢٢؛ صحيح مسلم ج٣ ص١٤٢ وج٦ ص١٧٩ وج٧ ص١٧٧ وج٨ ص١٦٠).

قال المزي: الحسين بن حريث، روى عن الفضل بن موسى السيناني، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجة. أقول: ويريد من الجماعة أصحاب الصحاح ومنهم الترمذي والنسائي. (تهذيب الكمال ج٦ رقم١٣٠٣ ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠).

وثقه النسائي، وابن حزم، والذهبي، وابن حجر، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: الإمام الحافظ الحجة. ووثقه أيضاً الترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، وابن حبان حيث صحَّحوا حديثه. وقال السمعاني في الأنساب: من مشاهير المحدثين.(سنن الترمذي ج١ ح٣٧٨ ص٢٣٥ وج٢ ح٥٣٦ ص٢٥ وح١٢١٤ ص٣٣٥ وج٤ ح٢٧٧٨ ص١٣٤ وج٥ ح٣٧٧٣ ص٢٨٣؛ المستدرك على الصحيحين ج١ ص٢٢٢؛ صحيح ابن خزيمة ج١

أقول: بعد صحة الحديث من ناحية أصل صدور مضمونه من عائشة، وبعد اجتماع العقلاء على الأخذ بإقرار الشخص على نفسه، فإنه لا يسعنا هنا إلا أن نتساءل عن وجه وسبب غيرة وحسد عائشة لسيدتنا خديجة عليها السلام.

والملفت للنظر أن عائشة صرَّحت بأنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا يفتأ يذكر خديجة عليها السلام ويُذكِّر بها، وقد دخلت عائشة بيته صلى الله عليه وآله بعد ثلاث سنوات من وفاة خديجة عليها السلام كما ذكرت هي.

ويكفي لأي عاقل أن يتعرف على مدى عظمة سيدتنا خديجة عليها السلام بحيث بقي النبي صلى الله عليه وآله يذكرها بعد سنوات من وفاتها.

وفي المقابل، فإن عائشة التي تغار إنما كانت تغار من امرأة لا تشاركها

ص٩٤ وص١٢٣ وص١٦٣ وج٢ ص٧ وص٤٢؛ صحيح ابن حبان ج٢ ص٤٥٧ وص٤٦٩ وج٤ ص٣٠٥ وج٥ ص١٤٣ وج٧ ص٥٨؛ المحلى ج١٠ ص٥٥؛ الثقات ج٨ ص١٨٧؛ الأنساب ج٣ ص٣٦٢؛ تاريخ بغداد ج٨ رقم٤٠٨٨ ص٣٦ ـ ٣٧؛ تهذيب الكمال ج٦ ص ٣٥٨ ـ ٣٦١؛ سير أعلام النبلاء ج١١ رقم٨٨ ص٤٠٠ ـ ٤٠١؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٠٨٢ ص٣٣٢؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم٥٩٢ ص٢٨٩؛ تقريب التهذيب ج١ رقم١٣١٩ ص٢١٤).

٢ ـ **الفضل بن موسى**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٧٢ و١٧٧ وج٤ ص١٦٣ وج٧ ص٢٠١؛ صحيح مسلم ج٤ ص١٢٠ وج٥ ص٢٥ وج٦ ص١٣ و١٧٩ وج٧ ص١٤٤).

قال المزي: الفضل بن موسى السيناني، روى عن هشام بن عروة، روى عنه أبو عمار الحسين بن حريث. (تهذيب الكمال ج٢٣ رقم٤٧٥٠ ص٢٥٤ ـ ٢٥٦).

وثقه وكيع، وابن المبارك، ويحيى بن معين، ومحمد بن سعد، والبخاري، وقال أبو حاتم: صدوق صالح. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من أجلَّة أهل مرو ومتقني المحدثين بها. وقال إسحاق بن راهويه: لم أكتب عن أحد أوثق في نفسي من الفضل بن موسى، ويحيى بن يحيى. وقال الحاكم: هو إمام من أئمة عصره في الحديث. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٧٢؛ تاريخ ابن معين للدوري ج٢ رقم٤٧٤٤ ص٢٧٢؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم٣٩٠ ص٦٨ ـ ٦٩؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٥٨٦ ص٣١٢؛ الثقات ج٧ ص٣١٩؛ تاريخ أسماء الثقات رقم١١٢٦ ص١٨٦؛ تهذيب الكمال ج٢٣ ص٢٥٤ ـ ٢٥٨؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٧٨ ص٢٩٦ ـ ٢٩٧؛ سير أعلام النبلاء ج٩ رقم٣٥ ص١٠٣؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٤٤٧٧ ص١٢٣؛ تهذيب التهذيب ج٨ رقم٥٢٧ ص٢٥٧ ـ ٢٥٨).

ظاهراً في رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، وهنا نسأل ما الذي يحمل النبي الأكرم صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه على إدامة ذكره لخديجة عليها السلام والثناء عليها، وما الذي كان يحمل عائشة على أن تغار من امرأة ماتت ولم تدركها؟

ومن المعلوم الذي لا ينبغي النقاش فيه أن النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه لا يجري في كلامه وأقواله وأفعاله مجرى سائر الناس، ولا يمكن أن يحمله هوى على ذلك والعياذ بالله تعالى، ولا يتكلم النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه بداعي إثارة عائشة أو غيرها، فإنه صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه حق في حق ظاهراً وباطناً.

وعليه فيتعين أنَّ النبي الأكرم صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه كان يذكر خديجة عليها السلام ومحاسنها وفضائلها تنبيهاً وتعليماً للآخرين.

فمثلاً، حيث يذكر النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه مواساة خديجة عليها السلام له، فهو يُحقِّق بذلك أمرين، الأول: التعريف بفضل سيدتنا خديجة، والثاني: التعريض بخذلان غيرها ممَّن خذل ظاهراً أو باطناً، وهكذا في بقية الأمور.

ولكن سيدتنا خديجة عليها السلام ماتت قبل أن يتزوج النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه بعائشة، فيا ترى هل كان لعائشة في الفضل والمكرمة مكانٌ ومع ذلك لا يفتر النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عن كثرة التحدث بخديجة عليها السلام والثناء عليها!

ولماذا يبقى زوج كسيدنا محمد صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه يذكر زوجته خديجة عليها السلام كلما سنحت فرصة أو مرت مناسبة، وعنده عائشة وهي ـ كما تزعم ـ خير من سيدتنا خديجة؟

والعقل يقضي بأن الحبيب بعد أن يحل محله حبيب آخر ـ إن أمكن ذلك وحصل ـ فإن حلول الآخر من شأنه أن يُنسِي الحبيب الأول شيئاً فشيئاً، أو لا

أقل من شأنه أن يُقلِّل ويحد جداً من ذكْره والتحدث عنه، فإن وجود الحبيب الثاني سدَّ مسد الأول، وعند عائشة وأبنائها أنها قد سدت مسد سيدتنا خديجة وزيادة.

فلا يخلو الحال إما أنها ادعت ذلك عن علم، أو أنها ظنت بأنها أحب النساء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرت بذلك عنه صلى الله عليه وآله.

ولا مجال للظن، فإن تصريحها بحديث غيرتها يمنع من صدْق ظنها، وأما ادعاؤها العلم بذلك فيُكذِّبُهُ حديثُ غيرتها، فإن العالم بمكانته ومنزلته عند شخص ما، لا يريبه ما يتحدث به ذاك الشخص عن فضائل الشخص الآخر.

وسيدتنا خديجة عليها السلام لم تكن مشاركة لعائشة من جهة، وحديثُ غيرة عائشة حديثٌ عن غيرتها من امرأة ماتت من زمن لا موجب للغيرة منها.

وعائشة لم تكن تغار من خديجة الزوجة المشاركة لها في زوجها، وليست هي تغار من خديجة كزوجة تخشى أن تحظى بالمنزلة الخاصة من زوجها فيُؤْثِرها عليها في أسفاره وأوضاعه حيث يكون له أن يختار إحدى زوجاته، وليست تغار من خديجة التي تخشى أن تحظى احتراماً خاصاً وتبجيلاً مميزاً عند حضورها بحيث يقضي ذلك بتفضيلها وتقديمها عليها، وإنما تغار عائشة من زوجة لا تشكل أدنى حظوة في الظاهر لكونها متوفاة، وهذا النحو من الغيرة يمنعنا من أن نفسره بالمعنى المعروف قضاء للأمور التي أشرنا إليها، فتعين أنها كانت حاسدة لسيدتنا خديجة عليها السلام فحسب.

ثم إنه لو كانت عائشة تعرف من نفسها أنَّ لها فضلاً ومحلاً ومنزلة، فبالله تعالى عليك كيف يشتعل حشاها وتضطرب نفسها كلما ذكَرَ النبي صلى الله عليه وآله

زوجته خديجة عليها السلام!

ولو أن عائشة تعرف حقاً بأنها حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله، فلماذا تتأثر كلما أتى ذكْرُ خديجة عليها السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله؟

ألم تكن عائشة عاقلة؟ فكيف يتأثر العاقل بوهم لا واقع له؟

ألم تكن عائشة ذات شعور، وأنها كانت تشعر من النبي صلى الله عليه وآله أنه يحبها أكثر مما يحب أيَّ إنسان أو أية امرأة، فكيف تغار وتُكذِّب مشاعرها؟

ألم تكن عائشة قد خَبَرت النبي صلى الله عليه وآله وعرفت حبه لها، فكيف تغار من زوجة توفيت ليست بذات جمال أو فضْل كما تزعم؟

وعلامَ هذه الغيرة، وعندها صكٌّ عقْد زواجها في الآخرة من النبي صلى الله عليه وآله؟

فتصريحها بأنها كانت تغار من خديجة عليها السلام وتحسدها يمنعنا عن التصديق بصحة ما يقال بأن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله في الآخرة كما كانت في الدنيا.

أليست عائشة المدعية بأنَّ لها بيتاً في الجنة، فكيف تغار ـ وهي المؤمنة ـ من خديجة عليها السلام التي بشرها الله ببيت في الجنة؟

أليست عائشة التي أخذت بقلب وبعقل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فكيف تغار من خديجة عليها السلام وهي عجوز من عجائز قريش كما زعمت؟

فكيف تغار من خديجة عليها السلام؟

ولو أن عائشة كانت محقَّة في ادِّعائها بأنَّ لها من الخلال والخصال ما لم يكن عند سيدتنا خديجة وغيرها من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهن من نساء الدنيا، فلماذا إذن كانت تغار منهن جميعاً؟ وهل يغار صاحب الفضائل من شخص ليس عنده من تلك الفضائل حظٌّ ولا أثر؟!!

وهل أنَّ عائشة كانت تجهل بتلك الفضائل لها في حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والمفروض أنها هي التي حدَّثت ثقاتها بها!!

فإذا كانت فعلاً عالمة بحديث النبي صلى الله عليه وآله، فكيف تغار من خديجة التي لم يؤثر عنها أثارةٌ من علْم كما يزعمون!

وإذا كانت عائشة هي صاحبة القابلية لتلك الفضائل التي لم يشاركها أحد في شيء منها، فلماذا تغار من أزواج النبي صلى الله عليه وآله، اللاتي حرمهن الله تعالى الفضل، والعلم، والحكمة، والفطنة، وحرمهن القابلية والقدرة؟

اللهم إلا أن تقولوا لنا: إن عائشة كانت تجهل نفسها، وأن الناس هم الذين اكتشفوا هذا الكنز الغني!

ما شاء الله! لقد كانت عائشة كنزاً حوى من ذخائر العلم والفضل الشيء الخطير العظيم، ومع ذلك يجهل صاحب الفضل أنه ذو فضل، ويجهل صاحب الفطنة أنه ذو فطنة، ما هذا الشطط والهذيان؟

أليست عائشة بنت أبي بكر وهو أحب الخلق إلى النبي صلى الله عليه وآله ـ كما زعمت لنا عائشة ـ فكيف تغار من خديجة وليس لأبيها شأن في الإسلام بحسب زعمهم؟

أليست عائشة قد حدثتنا وأكثرت عن مغامراتها مع النبي صلى الله عليه وآله حتى ليخيل للناظر في حديثها أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله زوجة غيرها، فلو أنها كانت صادقة في ادِّعائها هذا الدلال وهذه المحبة لها من النبي صلى الله عليه وآله، فلماذا إذن تغار من سيدتنا خديجة وهي متوفية، ولماذا تغار من سائر صواحبها؟

وإذا كان الوحي لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في لحاف امرأة إلا في

لحاف عائشة، فبالله عليك هل أن عائشة عندما أخبرت عروة بن الزبير بحديث حسدها وغيرتها كانت جاهلة به عندما كانت تغار من نساء النبي صلى الله عليه وآله؟

كيف لعاقل أن يطلب منا أن نُصدِّق مثل تلك الأحاديث الموضوعة في فضائل عائشة، وهي نفسها تصرِّح بما يدل على بطلان مثل هذه الأحاديث؟

وإذا كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة طلباً لمرضاة النبي صلى الله عليه وآله، فلماذا كانت عائشة تغار من نساء النبي صلى الله عليه وآله إذن؟

ألستم تزعمون بأن النبي صلى الله عليه وآله قال: فضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، فكيف تغار الكاملة ممن هي أقل وأدنى منها؟

ولو أردنا أن نذكر الفروض ونعددها لطال بنا المقام.

ويكفينا أن أحداً من العقلاء لا يناقش في أن العظيم لا يغار من الحقير، وأن الكامل لا يغار من الناقص، وأن صاحب المنزلة والحظوة لا يغار من الوضيع، وأن صاحب البيت في الجنة لا يغار من آخر صاحب لبيت في الجنة، وأن الذي يعرف الفضل في نفسه لا يغار ممن ينقل عنه الناقلون أنه صاحب فضل، وأخيراً فإن الفاضل لا يغار من المفضول.

ولا يمكن لعاقل أن يجمع بين أحاديث غيرة عائشة، وبين الأحاديث الموضوعة المزعومة في فضائلها ومناقبها.

فالأحاديث التي تتحدث عن أن عائشة كانت أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأنها ابنة أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنها أعقل النساء، وأعلمهن، وأفطنهن، وأزهدهن، وأورعهن، وأحفظهن لحديث النبي صلى الله عليه وآله و.. و..، قد كذَّبتها عائشة نفسها حيث صرحت مراراً وتكراراً بغيرتها الفظيعة من جميع

نساء النبي صلى الله عليه وآله ومن خديجة بالخصوص.

ولكن عائشة كانت تغار من خديجة ولم تدركها، وكانت تغار من حديث النبي صلى الله عليه وآله عنها بعد وفاتها بزمن، بل صرحت عائشة بأن غيرتها وصلت إلى حد لا تتحمل معه سماع اسم خديجة، فحسدتها وانتقصت منها، فقالت: «عجوز حمراء الشدقين».

يا ترى، أي عقدة كانت في نفس عائشة تشكو منها وتقلقها وتؤذيها حتى تجاسرت بالانتقاص من سيدة نساء العالمين؟

ولو أن خديجة كانت حية فماذا كان سيحصل؟

ولكن من البديهي جداً أن يعمد الشخص الذي يغار بالمقدار الذي كان من عائشة، إلى التحامل على من يُنسب إلى خديجة ولو من جهة المصاهرة، ولقد أوضحت لنا عائشة ذلك بأجلى ما يكون، حيث خرجت إلى محاربة أمير المؤمنين عليه السلام مخالفة لله تعالى ولرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعلى أي، فإن تصريحها عن شدة غيرتها من سيدتنا خديجة يحمل كل عاقل على التشكيك بما زعموه لعائشة من فضائل ومكارم ومنزلة.

ولو أن عائشة كانت تعرف شيئاً من تلك الفضائل التي زعموها لها، ولو أنها فعلاً كانت صادقة فيما أخبرتنا به عن رسول الله صلى الله عليه وآله مما يخص رفيع محلها ومنزلتها، فإنها قطعاً ما كانت لتغار وتحسد، وكيف تغار عائشة وتحسد وهي أحب النساء إليه، وأقربهن منه، وأعظمهن مكانة، وأرفعهن شأناً؟

فإما أن تلتزموا بأن عائشة لم تكن صادقة فيما روته لنا، وإما أن تلتزموا بأن الرواة وأصحاب الصحاح والكتب هم الذين نسبوا إليها ما نسبوه زوراً وكذباً،

ولا احتمال ثالث.

وأما الالتزام بأن لها من الفضل والمحل والمنزلة والرفعة ما تزعمونه لها وما قد زعمته هي نفسها، ومع ذلك تلتزمون ببلوغ غيرتها من خديجة ما بلغته، وأن أحداً من النساء لم يسلم من غيرتها، فإن هذا لا يصح بحال.

والملفت أن عائشة لم تكن تغار من خديجة فحسب، وإنما كانت تغار من جميع نساء النبي ﷺ، غايته أنها كانت تغار من خديجة أكثر مما تغار من غيرها.

ولا شبهة أنه لم يكن لنساء النبي ﷺ ـ بحسب ما روته لنا عائشة ورواه أبناؤها ـ حظٌّ من العلم، والمعرفة، والفضل، والكرامة، ولو أنه كان لإحداهن شيء فهو شيء زهيد لا يُقاس بما لعائشة، فكيف صح عندكم حديث غيرة عائشة منهن، وهي أفضلهن؟

وهل يغار الأفضل من الفاضل؟ تكلم يا مجنون واسمع يا عاقل!

فعائشة هي البكر الوحيدة التي نكحها النبي ﷺ كما تزعم، وهي صاحبة العقل الراجح والفكر الصائب، وهي.. وهي..، ومع ذلك فتغار من عجائز ثيبات، جاهلات غافلات بحسب زعمها!

ومن المؤكد أنه لو كان سئل ابن حنبل أو البخاري أو غيرهما عن هذا لقالوا: إن عائشة كانت لا تزال صغيرة حديثة السن غير مدركة وغير واعية.

ونجيب: أولاً: لماذا هذا البهتان العظيم على عائشة، إذ تنسبوها إلى زمرة غير العاقلين وغير المدركين؟

ثانياً: إن عائشة نفسها التي تدَّعون لها أنها كانت على غاية من الفطنة

والنباهة ـ كما شهد بذلك لها معاوية بن أبي سفيان[(١)] ـ لم تتفطن حين روايتها لحديث غيرتها إلى نسبة نفسها إلى زمرة الجاهلين وقتئذ.

فهي لم تُخبِر عن غيرتها في سياق الحديث عما كانت عليه في أوائل بلوغها من الجهل، والمناسب من الشخص الفطن عند حديثه عن زلاته وبعض مثالبه أن يذكر ذلك في سياق الاستغفار والتوبة، وأنه كان جاهلاً غير واعٍ وما شاكل، ولم يقع من عائشة أي لفظ يدل على هذا المعنى أو يشير إليه من قريب أو بعيد.

وبعبارة أوضح: إن عائشة قد حدَّثت ابن اختها عروة بن الزبير المتولد بعد الهجرة بما يقرب من أربعة وعشرين عاماً بحديث غيرتها، وهي وقتئذ العالمة الفطنة التي لا يدانيها أحد كما تزعمون أنتم وكما تزعم هي نفسها، والمناسب من مثلها حيث تُحدِّث بحديث غيرتها من نساء النبي صلى الله عليه وآله عموماً وخديجة خصوصاً أن تقول مثلاً: ما كان أقلَّ فهمي وأجهلَ أمري، فرسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول لي: «إنك يا عائشة أحب النساء عندي»، فإذا ذكر خديجة أغار، فلم تكن غيرتي وقتئذ إلا جهلاً مني بمنزلتي من النبي صلى الله عليه وآله، ولم تكن إلا لمكان صِغَر سني وحداثة أمري.

يا بن اختي يا عزيزي عروة! كم أنا نادمة على ما كان يصدر مني في حق زوجات النبي صلى الله عليه وآله عموماً وخديجة خصوصاً، فقد كنتُ أجهل معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لي: يا عائشة أنت أحب النساء إلي، ومع ذلك فكنتُ يا بن أختي أغار منهن وأحسدهن، مع أنني كنتُ أحب النساء إلى النبي صلى الله عليه وآله، وكنت

---

(١) الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٢٧ ص٣٩٨؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص١٨٤؛ مجمع الزوائد ج٩ ص٢٤٣.

أجملهن، وأكثرهن علماً، وأفضلهن أباً، وأعزهن عشيرة!

كم كنتُ جاهلة غير واعية ولا مدركة لمحلي ورفيع منزلتي ومكانتي عند رسول الله ﷺ، حيث كنتُ أغار من عجائز ثيبات، لا جمال عندهن، ولا حسْن لديهن، بينما كنتُ أنا العالمة بالحديث والأخبار، والطب والأشعار!

أقول: فالمناسب من عائشة أن تذكر حديث غيرتها بهذا السياق، إذ بهذا النحو يصح عند كل ذي هوى أن يجمع بين كونها صاحبة الفضائل والمكارم، وبين كونها المرأة التي تغار ممن لا يدانيها فضلاً ومكرمة ومحلاً ومنزلة بحسب زعمها، وسيأتي جوابنا عن هذا الافتراض.

إذ لصاحب الهوى عندئذ أن يقول: إن عائشة صاحبة الفضائل والعلم والمكارم إنما كانت تغار من زوجات النبي ﷺ عندما كانت حديثة السن، جارية صغيرة لا تعقل ولا تعي.

ونحن بدورنا نرد على صاحب الهوى ونقول له: ولكنك غفلت عن أن عائشة قد دخلت بيت النبي ﷺ قبل وفاته بتسع سنوات، وقد تزوج النبي ﷺ بعد عائشة بثمان نسوة أو أكثر. ونذكر جملة منهن: فتزوج بعد عائشة بحفصة سنة ثلاث من الهجرة، وبعد حفصة تزوج بأم سلمة السنة الرابعة للهجرة، وفي السنة نفسها أيضاً تزوج زينب بنت خزيمة، وتزوج جويرية بنت الحارث عام المريسيع سنة خمس للهجرة وكذا زينب بنت جحش، وفي سنة سبع تزوج بصفية بنت حيي وبأم حبيبة، ونكح مارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليه السلام سنة سبع[١].

---

(١) الطبقات الكبرى ج١ ص١٣٤ وج٨ ص٢١٢؛ الثقات ج٢ ص١ ـ ١٠ وص١٣٧ ـ ١٤٢؛ تاريخ الطبري ج٢ ص٤١٣ ـ ٤١٦؛

أقول: وقد صرحت عائشة كما تقدم في أول البحث أنها كانت تغار من جميع نساء النبي صلى الله عليه وآله، فهل أن عائشة بقيت جارية صغيرة غير مدركة حتى السنة السابعة أو الثامنة للهجرة؟

ثانياً: إذا كانت عائشة وقتئذ من زمرة الجاهلين غير المدركين وغير الواعين، فكيف صح عندكم أن تأخذوا بحديثها وتستشهدوا به، وهو حديث عن غيرة جارية غير بالغة وغير مدركة؟

وقد عنونتم في كتبكم عناوين مفادها عدم وجوب الزجر عن غيرة المرأة محتجين بحديث عائشة، والمفروض عندكم أن حديث عائشة حديث عن غيرة امرأة غير مكلَّفة وغير مدركة!

ثالثاً: إذا كانت عائشة وقتئذ من زمرة الجاهلين غير المدركين وغير الواعين، فكيف جاز عندكم أن تأخذوا بأحاديثها التي حدثت بها في تلك الفترة وما قبلها من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله؟

رابعاً: لقد زعمتم أن عائشة كانت جارية حديثة السن وقت دخول الحبشة إلى المدينة كما تقدم في الحديث الثاني من الطائفة السادسة، وقد دخلوا سنة سبع للهجرة[1]، أي قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بثلاث سنين، وعليه فكيف صح عندكم أن تأخذوا بحديث جارية صغيرة همها اللعب مع صِبيتها وصواحبها؟

وكيف جاز عندكم الاحتجاج والتعويل بأحاديث روتها جارية لا تعقل ولا تفهم؟

السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٥.

(١) ص١٦٤.

وقد صرحت عائشة أنها ما غارت من امرأة مثلما غارت من مارية القبطية[١]، وقد نكحها رسول الله سنة سبع أو ثمان للهجرة على ما تقدم قبل صفحتين، فهل كانت أيضاً عائشة وقتئذ جارية صغيرة؟!

وإذا كانت عائشة وقتئذ جارية صغيرة، فكيف صح عند أبناء العامة أن يأخذوا بأحاديث عائشة وهي التي كانت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بسنتين جارية صغيرة؟!

وإذا كانت كذلك، فكيف صح عندهم أنها أكثر نساء رسول الله صلى الله عليه وآله بل أكثر أصحابه حديثاً عنه[٢]!

وهل كان صلى الله عليه وآله يخص بحديثه الجارية الصغيرة، حتى أنها روت عنه صلى الله عليه وآله ما يزيد عن خمسة آلاف حديث، بينما لم يروِ علي بن أبي طالب عليه السلام عندهم عن النبي صلى الله عليه وآله إلا ما يقرب من ست مائة حديث، وهو الذي لازم النبي صلى الله عليه وآله في السفر والحضر وقبل البعثة إلى حين وفاته!!

ولا نعرف عاقلاً ولا يعرف العقلاء صاحب فضل يغار ممن لا يملك فضلاً، ولا يعرف العقلاء شخصاً يغار ممن لا يدانيه فضلاً ومكرمة، وحديث عائشة عن غيرتها وحسدها لسيدتنا خديجة ولسائر نساء النبي صلى الله عليه وآله ثابت في صحاح أبناء عائشة، وهي المُقِرَّة المصرِّحة المعترفة، ولا يسعنا إلا أن نأخذ بإقرارها واعترافها.

---

(١) الطبقات الكبرى ج٨ ص٢١٢.

(٢) قال الحفني في كتابه موسوعة عائشة ص١٥: روت عائشة نحو خمسة آلاف وست مائة وستة وثلاثين حديثاً، بينما روى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبوها وابن الخطاب وعثمان مجتمعين: نحو ألف وأربع مائة وأحد عشر حديثاً.

وأخيراً في هذا السياق، فإن العاقل الذي يطلع على تصريح عائشة بأنها كانت تغار وتحسد جميع نساء النبي صلى الله عليه وآله عموماً وسيدتنا خديجة عليها السلام خصوصاً، لا مجال عنده إلا للتشكيك بما روته لنا من فضائلها، والتشكيك بصحة ما رواه أبناؤها أيضاً، لذا وجدنا أنفسنا في مندوحة عن تفصيل القول في الأحاديث الموضوعة في بيان فضائلها، ولا ضرورة تدعو إلى تزييف تلك الأحاديث وبيان بطلان مضمونها.

أقول: ولكن مع ذلك فرأينا إتماماً للحجة أن نشير إلى بعض الكلام في مقام بيان زيْف وفساد ما زعمته عائشة أو زعموه من فضائل لها.

الجواب عن الفضيلة السابعة

أما الجواب عن الفضيلة السابعة، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان يقبِّل عائشة وهو صائم لأنه كان لا يتمالك عنها حباً، فقد ورد الحديث عن أم سلمة، حيث أخرج ابن حنبل، والضحاك، وغيرهما بإسنادهم عن أبي قيس ـ واللفظ لابن حنبل ـ قال: أرسلني عبد الله بن عمرو إلى أم سلمة أسألها هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُقبِّل وهو صائم؟ فإن قالت: لا، فقل لها: إن عائشة تخبر الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُقبِّل وهو صائم، قال: فسألها أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يُقبل وهو صائم؟ قالت: لا، قلت: إن عائشة تُخبر الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُقبِّل وهو صائم! قالت: لعله إياها، كان لا يتمالك عنها حباً أما إياي فلا[1].

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٩٦ ص٣١٧؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٠ ص٤٠٠؛ السنن الكبرى للنسائي ج٢ ح٣٠٧٢ ص٢٠٣؛ شرح معاني الآثار ج٢ ص٩٣؛ المعجم الأوسط ج٣ ص٣٠٦؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٥.

أقول: رواه ابن حنبل عن عبد الرحمن بن مهدي، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن أبي قيس.

ورجال الحديث ثقات، ونحن نُبيِّن وثاقتهم لبيان منزلة النبي صلى الله عليه وآله عند الموثِّقين لهؤلاء الرواة، إذ بعد إثبات وثاقتهم، فالقدح وارد على الرواة وعلى الموثِّقين لهم[1].

---

(١) ١ ـ **عبد الرحمان بن مهدي**، إمام الحديث عندهم، من رجال البخاري ومسلم، صحيح البخاري ج٤ ص١٥٧ و١٨٤ و٢٤١ وج٥ ص٨١ و١٤٨ و١٧٥ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٨ و١٥ و١٦ و٣٩ و٥٧ و٦٠ و١١٢ و١٤٤).

قال المزي: عبد الرحمان بن مهدي، روى عن موسى بن علي بن رباح اللخمي، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج١٧ رقم٣٩٦٩ ص٤٣٠ ـ ٤٣٣).

أقول: والمدائح الواردة فيه لا يسع هذا المختصر إلا الإشارة إلى بعضها.

قال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن. وقال علي بن المديني: أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي. وقال أيضاً: كان عبد الرحمان بن مهدي أعلم الناس. وقال محمد بن أبي بكر المقدمي: ما رأيت أحداً أتقن لِمَا سمع ولِمَا لم يسمع ولحديث الناس من عبد الرحمن بن مهدي، إمام، ثبت. وقال جرير الرازي: ما رأيت مثل عبد الرحمن بن مهدي. وقال أحمد بن حنبل: عبد الرحمن بن مهدي من معادن الصدق. وقال أيضاً: إذا حدَّث عبد الرحمن عن رجل، فهو ثقة، وفي رواية فهو حجة. وقال الذهبي: كان إماماً حجة، قدوة في العلم والعمل. (تاريخ أسماء الثقات رقم١٤ ص١٣ ؛ تاريخ بغداد ج١٠ رقم٥٣٦٦ ص٢٣٩ ـ ٢٤٦ ؛ تهذيب الكمال ج١٧ رقم٣٩٦٩ ص٤٣٠ ـ ٤٤٢ ؛ سير أعلام النبلاء ج٩ رقم٥٦ ص١٩٢ ـ ٢٠٨؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم٥٥٢ ص٢٥٠ ـ ٢٥٣).

٢ ـ **موسى بن علي بن رباح**، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج٢ ص١٩٧ و٢٠٨ وج٣ ص١٣٠ وج٨ ص١٧٦).

قال المزي: موسى بن علي بن رباح اللخمي، روى عن أبيه علي بن رباح اللخمي، روى عنه عبد الرحمان بن مهدي. (تهذيب الكمال ج٢٩ رقم٦٢٨٤ ص١٢٢ ـ ١٢٤).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وعلي بن المديني، ومحمد بن سعد، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي، وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من ثقات المصريين ومتقنيهم. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١٥ ؛ سؤالات ابن أبي شيبة ص٩٩ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٨٢١ ص٣٠٥ ؛ الثقات ج٧ ص٤٥٣ ؛ الجرح والتعديل للرازي

أقول: نكاد نقطع أن الفقرة الأخيرة هي من الزيادة الموضوعة لبيان فضلِ عائشة وحبِّ رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لها، وبدورنا نبرِّيء أم سلمة عن مثل هذا التحريف، ولا يبعد أن يكون المحرِّف هو أبو قيس فإنه مولى لعمرو بن العاص، وابن العاص معروف بانحرافه وعدائه لأهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ.

ثم إن الراوي لهذا الحديث هو عبد الرحمن بن مهدي كما عرفت، وهو إمام الحديث عندهم بلا منازع، وأشرنا في الهامش السابق إلى بعض ما ورد في حقه.

ج٨ رقم٦٩١ ص١٥٣ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٥٣١ ص ٣٠٢؛ سير أعلام النبلاء ج٧ رقم١٥٣ ص٤١١ ـ ٤١٣ ؛ تهذيب الكمال ج٢٩ ص١٢٢ ـ ١٢٥؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٥٧١٩ ص ٣٠٦ ؛ تهذيب التهذيب ج١٠ رقم٦٤١ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ؛ تقريب التهذيب ج١ ص٦٩٤).

٣ ـ علي بن رباح اللخمي، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج٢ ص١٩٧ و٢٠٨ وج٣ ص١٣٠ وج٨ ص١٧٦).

قال المزي: علي بن رباح، روى عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، روى عنه ابنه موسى بن علي بن رباح. (تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٤٠٦٧ ص٤٢٦ ـ ٤٢٨).

وثقه ابن سعد، والعجلي، والنسائي، وغيرهم. وذكره يعقوب بن سفيان في ثقات التابعين من أهل مصر، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: من ثقات أهل مصر. وقال أحمد بن حنبل وقد سئل عنه: ما علمت إلا خيراً. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١٢ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٢٩٦ ص١٥٣ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم١٠٢٠ ص١٨٦ ؛ الثقات ج٥ ص١٦١ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٩٤٨ ص١٩٦ ؛ تهذيب الكمال ج٢٠ ص٤٢٦ ـ ٤٢٩ ؛ سير أعلام النبلاء ج٥ رقم٣٥ ص١٠١ ؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٥٤١ ص٢٨٠).

٤ ـ أبو قيس. من رجال البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج٨ ص١٥٧ ؛ صحيح مسلم ج٣ ص١٣٠ وج٥ ص١٣١).

قال المزي: أبو قيس مولى عمرو بن العاص، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، روى عنه علي بن رباح اللخمي. (تهذيب الكمال ج٣٤ رقم٧٥٧٨ ص٢٠٤).

وثقه ابن سعد، والعجلي، والذهبي، وابن حجر، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكره يعقوب بن سفيان في ثقات المصريين. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١١ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم٢٢٢٩ ص٤٢١ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٦٧٨٩ ص٤٥٢ ؛ تهذيب التهذيب ج١٢ رقم٨٦٥٦ ص١٨٦ ـ ١٨٧؛ تقريب التهذيب ج٢ ص٤٥٥.

فإذا كان إمام الحديث عندهم يروي مثل هذه الأحاديث الباطلة، فنحن بدورنا نكون معذورين جداً في غاية التبري منه من جهة، وعالمين بكونه من الجاهلين المتحاملين على النبي صلى الله عليه وآله.

أللهم إلا أن يكون الحديث من موضوعات أحمد بن حنبل، ولكن الذي يُبرِّىء ابن حنبل عن هذا الاحتمال، أن ابن أبي عاصم الضحاك قد روى الحديث عن عقبة بن خالد، عن عبد الرحمن، وعقبة هو شيخ مسلم في صحيحه، ومن الثقات عندهم[1].

ومهما يكن، فالمحرِّف لم يتفطن إلى أن مثل هذه الزيادة سيتبين بطلانها، ولكنهم أعمى الله تعالى قلوبهم لا نراهم سلكوا في مقام بيان فضائل القوم إلا بتوسط الطعن في النبي صلى الله عليه وآله، وقد تجاهلوا بأن الطعن فيه صلى الله عليه وآله يقضي بسقوط الحديث عن الاعتبار، فيا ترى أي رسول كان يؤمن به أولئك الزاعمون؟!

قال ابن الأثير وغيره: إذا وصف الإنسان بالخفة والطيش، قيل: إنه لا يتمالك[2].

وقال النووي والسيوطي في حديث« عرف أنه خلْق لا يتمالك»: معنى لا يتمالك، لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات[3].

أقول: لا يسع المجال للتدليل على فساد وبطلان نسبة النبي إلى عدم تمالك

---

(١) الآحاد والمثاني للضحاك ج٥ ح٣٠٣٠ ص٤٠٠؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٦ وج٣ ص٤١ وج٤ ص٤ وج٥ ص٥٣ وج٦ ص٩ و١٥٢ وج٧ ص٢ و١٨ و١١٥ و١٩٠ وج٨ ص٧٨؛ سؤلات الآجري ج٢ رقم١١٥٨ ص٦٩؛ الثقات ج٨ ص٥٠٠؛ تاريخ بغداد ج١٢ رقم٦٧١٠ص٢٦١ ـ ٢٦٢؛ تهذيب الكمال ج٢٠ رقم٣٩٨٨ ص٢٢٣ ـ ٢٢٦؛ سير أعلام النبلاء ج١٢ رقم٦٠ ص١٧٨؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٣٨٤٩ ص٣٠؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٤٥٢ ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث ج٤ ص٣٦٠؛ لسان العرب ج١٠ ص٤٩٤؛ تاج العروس ج٧ ص١٨١.

(٣) شرح مسلم للنووي ج١٦ ص١٦٤؛ الديباج على مسلم ج٥ ص٥٣٨.

نفسه، فإن هذه الصفة يتنزه عنها الكثير من العقلاء ومن المؤمنين العاديين، فكيف بسيد الخلق!

والظاهر أن سيد الخلق عند ابن حنبل وأشباهه كان رجلاً لا يملك من الكفاءة والقابلية حداً يستطيع أن يقمع نفسه ويسلك بها جادة الاعتدال والوسط، فصح عندهم أن يكون شخصاً فيه من الخفة والطيش ما لا يقدر معهما على ضبْط نفسه فيما إذا خلا له الجو لا سيما مع عائشة التي سحره جمالُها، وفطنتُها، وذكاؤها!!

ولا أدري هل أنه كان في نبيهم قصورٌ وضعْفٌ، فكان يغلبه هواه الذي زعمت لنا عائشة فيما تقدم أن ربه كان يسارع له فيه؟

أو أن نبيهم كان مقصِّراً عن مجاهدة نفسه، والسلوك بها مسلك الوسط الممدوح؟

أو أن الأمر لم يكن هذا ولا ذاك، وإنما كان في السيدة عائشة التي أخذت بلبه وعقله؟!

فنبيهم لم يكن قاصراً ولا مقصِّراً، ولكن بالإضافة إلى سحْرعائشة وجمالها الذي لا يقاوم، لم يكن يملك في ذلك حيلة، ولا يهتدي في ضبْط نفسه سبيلاً!

وسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليس قاصراً ولا مقصِّراً، ولكنه مع عائشة بالخصوص يفقد صوابه، ويطير لبه، ويسكر عقله، بحسب زعْمهم.

ولكنك تعرف أن هذا لا يخرج عن كونه قصوراً فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإلا فلو كان متمكناً من تمالك نفسه مع عائشة، ومع ذلك فلم يفعل فيكون مقصِّراً.

والقصور والتقصير يُخرجان سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن كونه سيدهم وإمامهم،

ولا يسعنا إلا أن نشكر الله تعالى على أنه لم يبتلنا بامرأة كعائشة، وأنه تعالى قد كسر القالب وأعدمه، وإلا لكثر في الأنبياء والأولياء الطيش والخفة!!

الجواب عن الفضيلة الأولى

وأما الجواب عن الفضيلة الأولى، وهي أنه كان لعائشة خلال لم تكن في أحد من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران[1]، فقد ورد فيها الحديث عن عائشة من أربعة طرق، ولا يصح شيء منها.

الطريق الأول: ما أخرجه ابن سعد والطبراني بإسنادهما عن عبد الملك بن عمير، عن عائشة[2].

أقول: أولاً: هذا السند عن عائشة نفسها، ولا معنى لإثبات فضيلة لشخص بروايته هو نفسه لها، في حال أنه محل نزاع بيننا وبين الطرف الآخر، وهذا الإشكال وارد على بقية أسانيد الحديث فلا نكرر إيراده.

ثانياً: قد تقدم توهين وتضعيف حال ابن عمير[3].

الطريق الثاني: ما أخرجه الطبراني وأبو نعيم بإسنادهما عن عبد الله بن بزيع، عن أبي حنيفة، عن أبي إسحاق الشيباني، عن عامر الشعبي، عن مسروق، عن عائشة[4].

---

(١) المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٩ ـ ٣٠ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠ ؛ مسند أبي حنيفة ص١١٦ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٤ ص٥٢٨ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٦ ص٤٠٢ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٥ ؛ تاريخ الطبري ج٢ ص١١٨.

(٢) الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٥ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٩.

(٣) ص٢٨٥.

(٤) المعجم الكبير ج٢٣ ص٣٠ ؛ مسند أبي حنيفة ص١١٦.

أقول: والسند ضعيف بابن بزيع، وبأبي حنيفة[١].

الطريق الثالث: ما رواه أبو نعيم عن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد بن خالد بن خلي، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن خالد الوهبي، عن أبي حنيفة، عن عون بن عبد الله، عن الشعبي، عن عائشة[٢].

أقول: والسند ضعيف، ولا نريد أن نناقش في سقوط الواسطة بين الشعبي وبين عائشة كما يفيده الطريق المتقدم، ولكن السند ضعيف بأبي حنيفة، وأيضاً بشيخ أبي نعيم، وبأحمد بن خلي، فإنهما لم يوثقا[٣].

---

(١) قال ابن عدي: عبد الله بن بزيع، أحاديثه عمن يروي عنه ليست بمحفوظة أو عامتها، إلى أن قال: وليس هو عندي ممن يحتج به. وقال الساجي: ليس بحجة، روى عنه يحيى بن غيلان مناكير. وقال الدارقطني: عبد الله بن بزيع لين الحديث. (الكامل لابن عدي ج٤ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ ؛ علل الدارقطني ج١٠ ح٢٠١٢ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ ؛ لسان الميزان ج٣ رقم١١٢٧ ص٢٦٣).

أما أبو حنيفة، فقد ضعَّفه كثير من أعلامهم. قال سفيان الثوري: غير ثقة ولا مأمون. وقال ابن المبارك: كان أبو حنيفة مسكيناً في الحديث. وقال عبد الرحمن بن مهدي وذكر أبا حنيفة، فقرأ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ سورة النحل الآية ٢٥. وقال أحمد بن حنبل: أبو حنيفة يكذب، وحديثه لا يذكر. وقال البخاري: سكتوا عن رأيه وعن حديثه. وقال محمد بن سعد: كان ضعيفا في الحديث. وقال النسائي: ليس بالقوي في الحديث. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٦٩ ؛ التاريخ الكبير للبخاري ج٨ رقم٢٢٥٣ ص٨١ ؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٥٨٦ ص٢٤٠ ؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم١٨٧٦ ص٢٨٠ ـ ٢٨٥ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٢٠٦٢ ص٤٤٩؛ كتاب المجروحين ج٣ ص٦٣ و٧١ ـ ٧٢ ؛ الكامل ج٧ ص٥).

(٢) مسند أبي حنيفة ص٢٠٢.

(٣) أما الأول فقد ذكره تلميذه أبو نعيم ولم يذكره بتوثيق، وقد ذكر شخصين بعنوان الحسن بن إسحاق بن إبراهيم، الأول: أبو محمد المعدل قائلاً: كثير الحديث، صاحب أصول ومعرفة وإتقان، والثاني: أبو الفتح المستملي، قائلاً: استملى على الطبراني وابن الجعابي وغيرهما. (ذكر أخبار إصبهان ج١ ص٢٧٣ و٢٧٤ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج١٣ رقم١٢٩٧ ص٢٨ ورقم١٢٩٨ ص٢٩).

وأما الثاني فلم نظفر بترجمة مستقلة له، وقد ورد ذكره في سياق ترجمة غيره مهملاً. (الأنساب للسمعاني

الطريق الرابع: ما أخرجه أبو يعلى والطبراني عن بشر بن الوليد عن عمر بن حفص، عن سليمان الشيباني، عن علي بن زيد بن جدعان، عن جدته، عن عائشة[١].

والسند ضعيف بعلي بن زيد وبجدته فإنها لا تُعرف، كما ذكر ذلك ابن حجر في التقريب، وضعيف أيضاً ببشر بن الوليد[٢].

الطريق الخامس: ما أخرجه ابن أبي شيبة وغيره بإسنادهم عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك، عن عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان، عن عائشة[٣].

ج٢ ص٣٩٥ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٥ رقم١٣ ص٦٠ وج٣٢ رقم٣٥١٧ ص٢٥٠ وج٣٨ رقم ٤٤٧٠ ص٥٢ ؛ تهذيب الكمال ج٢٥ رقم٥١٧٦ ص١٣٧ ؛ سير أعلام النبلاء ج١٠ رقم٢٢٥ ص٦٤١ ـ ٦٤٢ ؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم١٩٦ ص١٢٢ ـ ١٢٣).

(١) مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٦٢٦ ص٩٠ ـ ٩١ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٣٠.

(٢) تقريب التهذيب ج٢ ص٦٨٣ ؛ تحفة الأحوذي ج٨ ص٨٨

أما علي بن زيد، فقد ضعَّفه ابن عيينة، ووهيب، وابن معين، وعلي بن المديني، وغيرهم. وقال عمرو بن علي: قال كان يحيى بن سعيد يتقي الحديث عن علي بن زيد. وقال ابن معين: علي بن زيد بن جدعان، ليس بحجة. وقال أحمد بن حنبل: ليس بشيء. وقال البخاري وأبو حاتم: لا يحتج به. وقال السعدي: واهي الحديث، ضعيف، لا يحتج بحديثه. وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال ابن حبان في المتروكين: منكر الحديث، يجب التنكب عن روايته. (سؤالات ابن أبي شيبة ص٥٧ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٤٧٢ ص١٤١ ؛ ضعفاء العقيلي ج٣ رقم ١٢٣١ ص٢٢٩ ـ ٢٣١ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم١٠٢١ ص١٨٦ ـ ١٨٧ ؛ كتاب المجروحين ج٢ ص٤٨ ؛ الكامل لابن عدي ج٥ ص١٩٥ ـ ١٩٦ ؛ تهذيب الكمال ج٢٠ رقم ٤٠٧٠ ص٤٣٤ ـ ٤٤١ ؛ ميزان الاعتدال ج٣ رقم٥٨٤٤ ص١٢٧ ـ ١٢٩).

وأما بشر بن الوليد، فقال السليماني: منكر الحديث. وقال الآجري: سألت أبا داود أبشر بن الوليد ثقة؟ قال: لا. وقال البرقاني ليس هو من شرط الصحيح. (سؤالات الآجري لأبي داود ج٢ رقم١٨٦٧ ص٢٨٦ ؛ ميزان الاعتدال ج١ رقم١٢٢٩ ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ ؛ لسان الميزان ج٢ ص٣٥).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٤ ص٥٢٨ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٦ ص٤٠٢ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٣١ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠ ؛ التاريخ الكبير للبخاري ج٥ رقم١٠٩٦ ص٣٤٥.

أقول: السند ضعيف[١].

الجواب عن الفضيلتين الثانية والثالثة:

أما الفضيلتان الثانية والثالثة: وحاصلهما أن الملك قد جاء النبي صلى الله عليه وآله بعائشة في المنام وأخبره أنها زوجته، أو أن جبرئيل عليه السلام جاء بصورة عائشة في خرقة حرير خضراء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.

أما مضمون تلك الأحاديث فلا مجال للاعتقاد بصحتها.

أما أولاً: إن عائشة نفسها قد روت لنا ما يُكذِّب ذلك، حيث روت لنا في حديث الطائفة الثامنة[٢]، أن خولة هي التي خطبت عائشة للنبي صلى الله عليه وآله من أبي بكر، وأن أبا بكر زوَّجه إياها، وقد تقدم الحديث وتقدم أيضاً بيان صحة سنده وأن رجاله جميعاً من الثقات ومن رجال صحيحي البخاري ومسلم، باستثناء

---

(١) أولاً: روى ابن جرير الطبري في تاريخه الحديث بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك، عن رجل من قريش، عن عبد الرحمن بن محمد. (تاريخ الطبري ج٢ ص١١٨)، ونحن نحتمل صحة سند تاريخ الطبري، وعليه فالحديث ضعيف لجهالة من يروي عنه ابن أبي الضحاك.

ثانياً: إن ابن أبي الضحاك مجهول، وبتعبير أدق مهمل ولم يُوثَّق.

ثالثاً: قال مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح في المنفردات: وممن تفرد عنه إسماعيل بن أبي خالد بالرواية، عبد الرحمن بن أبي الضحاك. (المنفردات والوحدان رقم٤٨٤ ص١٤٨ ـ ١٤٩).

أقول: فابن أبي الضحاك مضافاً إلى كونه غير موثق، لم يروِ عنه إلا إسماعيل ولا يُعرف له إلا هذا الخبر، وهذا مما يقوي القول بجهالته، وبالتالي فالسند لا مجال لتصحيحه من جهته بحال.

رابعاً: إن ابن جدعان وإن ذكره ابن حبان في الثقات، غير أن الذهبي قال: لا يُعرف. (الثقات ج٥ ص١٠٢؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٤٨٣٧ ص٥٥٤).

(٢) ص١٤١.

محمد بن عمرو بن علقمة فإنه من خصوص رجال صحيح مسلم، ومذهب أبناء السنة: أن كل رجل وقع الاحتجاج به في الصحيحين أو في أحدهما، فهو ممن يُحتج بحديثه ويؤخذ به.

ثانياً: إن أحاديث الفضيلتين مضطربة، فتارة قالت عائشة إن رسول الله ﷺ قال: أُرِيتك في المنام مرتين، إذا رجل يحملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنت...، كما أخرج ذلك البخاري وغيره[(١)].

وثانية قالت: إن رسول الله ﷺ قال: أُريتك قبل أن أتزوجك مرتين، رأيت الملك يحملك في سرقة من حرير ... كما أخرج ذلك ابن راهويه والبخاري[(٢)].

وثالثة: قال لي رسول الله ﷺ: رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير ...، كما أخرج ذلك البخاري وأبو يعلى[(٣)].

ورابعة: قال رسول الله ﷺ: أُريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير ... كما أخرج ذلك مسلم وغيره[(٤)].

وخامسة تقول: أن جبرئيل عليه السلام هو الذي جاء كما روى ذلك الترمذي والحاكم وابن حبان وغيرهم[(٥)].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤١ وص١٢٨ ؛ صحيح البخاري ج٨ ص٧٥ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٠ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٤.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص٧٥ ـ ٧٦ ؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص١٩٩.

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص١٣١ ؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٤٤٩٨ ص٤٧١.

(٤) صحيح مسلم ج٧ ص١٣٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٨٥ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٠.

(٥) مسند ابن راهويه ج٣ ص٦٤٩ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٦٧ ص٣٦٣ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٩ ؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨٢٢ ص٢٤٣ ؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٦ ؛ الكامل لابن عدي ج٣ ص٣٨٥ ؛ ذيل تاريخ بغداد ج٥ رقم١١٣٨ ص٣٣ ؛ أسد الغابة ج٥ ص٥٠٣.

وتفصيل الاضطراب: تارة تقول بأنَّ رجلاً جاء في المنام إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأخرى تقول أنَّ الذي جاء هو الملك، وثالثة أنه جبرائيل عليه السلام.

وتارة أن الذي جاء قد جاء مرتين، وأخرى أنه جاء ثلاث مرات، وثالثة أنه جاء من دون تفصيل.

ولا أدري هل أن الذي كان يجهل عندهم هو النبي صلى الله عليه وآله، أو أن عائشة هي التي كانت تجهل والعياذ بالله تعالى، فإن عائشة بنت الصديق أبي بكر الذي طالما أدَّب وعلم ونبَّه النبي صلى الله عليه وآله؟

ولا أدري هل أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يُميِّز بين رجل وبين مَلَك، وبينهما وبين صاحبه أمين وحي الله تعالى جبرائيل عليه السلام؟

وهل أنه صلى الله عليه وآله لم يكن أتقن الحساب والعد، أو أنه كان يعرف الفرق بين المرة والمرتين والثلاث، غير أنه كان ينسى أو يغفل، فتارة يقول لعائشة أتاني الملك، وأخرى أتاني مرتين، وثالثة أتاني ثلاث مرات، ونظن ـ على مذهب عائشة ـ أن النبي عندما أخبر عائشة في المرة الأولى قال: أتاني الملك، وعندما أخبرها في المرة الثانية قال: أتاني مرتين، وعندما أخبرها في المرة الثالثة قال: أتاني ثلاث مرات، ولو أنه كان أخبرها مرة رابعة وخامسة وسابعة وثامنة وتاسعة لقال: أتاني الملك تسع مرات!!

ونظن على مذهبها وعقيدتها في النبي صلى الله عليه وآله، أنه عندما أخبرها أول مرة قال أتاني رجل، ولكن جبرائيل نزل عليه وقال له لم يكن الذي جاءك برجل وإنما هو ملك، لذا أضطر النبي صلى الله عليه وآله للتصحيح فقال في المرة الثانية: أتاني ملك، ولكن جبرائيل عليه السلام نزل عليه ثالثة وقال له: يا محمد إنما أنا الذي كنتُ

أتيتُك!!

وهل عند عائشة أن النبي ﷺ كان إلى ما بعد وفاة خديجة لا يعرف جبرائيل أيضاً، وقد توفيت خديجة صلوات الله وسلامه عليها قبل الهجرة بثلاث سنين!!!

ومما ذكرنا تقف على أن حديث الفضيلة الأولى حديث باطل موضوع أيضاً، فإن من جملة تلك الخلال السبع أن الملك نزل بصورة عائشة[1]، فضلاً عما بيَّناه في شأن عدم صحة سنده.

ثالثاً: إن أحاديث الفضيلتين الثانية والثالثة لا يمكن الالتزام بصحتها، ذلك أنها مشتملة على جملة تهدم أساس وركن نبوة سيدنا محمد ﷺ، ولا أظن أن في هذا ضيراً عندهم، أسوة بما تقدم من أحاديث.

وقد توسلوا بأمور تهدم أس وركن النبوة، وقد توسلوا بأمور تسيء إلى شرف النبي ﷺ وإلى شخصيته في مقام بيان فضْلِ ابن أبي قحافة الناهي عن مزمارة الشيطان، وفضْلِ ابن الخطاب الذي كانت تفر منه الشياطين، وفضْلِ عثمان الذي كانت تستحي منه الملائكة، فلا غرو أن يتوسلوا بنحو ذلك في مقام اختراع فضيلة لعائشة.

وتفصيل هذا أن في جميع تلك الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان يقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه، أو إن يك هذا من عند الله يمضه[2].

---

(١) المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٩ ـ ٣٠؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠؛ مسند أبي حنيفة ص١١٦؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٤ ص٥٢٨؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٦ ص٤٠٢؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٥؛ مجمع الزوائد ج٩ ص٢٤١؛ تاريخ الطبري ج٢ ص١١٨.

(٢) مسند ابن راهويه ج٢ ص١٩٩؛ مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤١ وص١٢٨؛ صحيح البخاري ج٦ ص١٣١ وج٨ ص٧٥

أقول: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد تزوج وبتعبيرنا قد خطب عائشة بعد وفاة خديجة، ونحن نغفر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يجهل بمن أتاه وأنه رجل أو ملك، وأنه هل أتاه مرة أو مرات، ولكن لا يمكن أن نغفر له تشكيكه بصحة ما جاء به جبرائيل أو الملك.

فهل عند عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله كان لا يعلم أن ما يأتيه هو من عند الله تعالى وحده، وأن الملك لا يأتيه بالباطل ومن عند الشيطان؟

قاتلكم الله تعالى، وهل بلغ بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله أن يشك وأن يتردد في شأن منامه وفي شأن جبرائيل أو الملك، وأنه صلى الله عليه وآله لا يأتيه الباطل في يقظة أو منام، وأنه مأمون من الشيطان في جميع الأحوال!!

وإذا لم يكن الملك قد جاء من عند الله تعالى، فهل أنه جاء من عند الشيطان؟

وإذا كان الذي جاء هو الملك، فهل كانت الملائكة تأتي عن غير أمْر ربها، وقد قال الله تعالى **﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾**(١)!!

ولا أدري هل أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد اقتصر تردُّده وشكُّه على هذه الواقعة، أو أنه كان كثيراً ما يتردد في ما يأتيه به الملك أو جبرائيل عليه السلام،

و٧٦؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٤؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٠؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٤٤٩٨ ص٤٧١؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٨٥؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٤.

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٦ ـ ٢٨.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾!

قاتلكم الله تعالى، وكيف تعتقدون بالنبي الأكرم ﷺ الجهل بأن هذا الأمر أو ذاك هو من عند الله تعالى!

وكيف تعتقدون بالنبي الأكرم ﷺ الجهل بأن الملك لا يأتي إلا من عند الله تعالى وإلا بأمره!

وكيف تعتقدون بالنبي الأكرم ﷺ احتمال أن يظن بأن ما يأتيه في المنام هو من عند غير الله تعالى!

إذن، أنتم أمام أمرين لا ثالث لهما، فإما أن تعتقدوا بمضمون تلك الأحاديث، وإما أن تعتقدوا وتجزموا بأنها موضوعة.

والاعتقاد بأنها موضوعة يقضي بحصول العلم والقطع بأنه لا يمكن الالتزام بما في صحيحي البخاري ومسلم كما تزعمون، وإلا فالرواة الذين رووا الحديث كاذبون مفترون، وهم من أعيان وأعلام ثقاتكم، ويلزم أيضاً سقوط جميع شهادات أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وابن معين، والعجلي، والنسائي، وابن حبان وغيرهم ممَّن وثَّقوا ومدحوا رواة تلك الأحاديث.

وأما إذا كنتم تعتقدون بصحة تلك الأحاديث وأنها غير موضوعة، فإننا نجزم بأن الذي جاء هو الشيطان، ولكنه جاء في المنام إلى أحد أوليائه، وبكل أسف يكون النبي ﷺ عندكم من أولياء الشيطان ومن حزبه.

ولقد مر أن سيدنا محمد ﷺ عندكم هو من أولياء الشيطان، حيث أثبتم أنه كان مسحوراً، وأن له شيطاناً، وأن الشياطين لم تفر منه وإنما فرت من ابن الخطاب. إرجعوا إلى ضمائركم ووجدانكم، وكفاكم عمى، وكفاكم اتِّباعاً

لأهل الغي والضلال.

الجواب عن الفضيلة الرابعة:

وأما أحاديث الفضيلة الرابعة، وأن عائشة كانت أحب الناس من النساء إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأن أباها أحب الناس من الرجال إليه، فهي أحاديث باطلة جملة وتفصيلاً.

وتقدم في حديث الفضيلة الأولى عن عائشة: وكنت أحب الناس إليه.

أقول: وكيف تكون عائشة أحب الناس إليه، وقد تزوج بعدها جميع من تزوج بهن؟!

وكيف تكون عائشة أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد كانت تغضب منه، وتسيء إلى أزواجه في محضره كما حدث لها مع سودة بنت زمعة على ما تقدم؟

وكيف تكون عائشة أحب الناس إليه وقد صرح القرآن الكريم بأن الله تعالى يُبدِله خيراً منها ومن حفصة بنت عمر[1]، على ما سيأتي تفصيله.

وكيف تكون عائشة أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله، وفي الناس خديجة وابنتها الصديقة الشهيدة عليهما صلوات الله تعالى وهما سيدتا نساء العالمين؟!!

وما الذي يدعو النبي صلى الله عليه وآله إلى أن تكون عائشة أحب الناس إليه، وفي الناس من يفضلها، إنْ كان لها شيء من الفضل؟!!

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص٧١؛ صحيح مسلم ج٤ ص١٨٨؛ السنن الكبرى للنسائي ج٦ ح١١٦١١ ص٤٩٦؛ مسند أبي يعلى ج١ ح١٦٤ ص١٤٩ ـ ١٥٠؛ صحيح ابن حبان ج٩ ص٤٩٦ ـ ٤٩٧.

ولا شبهة أن سيدة نساء العالمين هي سيدة عائشة وسيدة غيرها، فأي باطل كان في النبي صلى الله عليه وآله حتى حمله ذلك على أن تكون عائشة وهي أدنى من خديجة على أقل التقادير أحب إليه من خديجة عليها السلام وأحب إليه من سيدتنا ومولاتنا فاطمة عليها السلام، وهما سيدتا نساء أهل الجنة، ونساء العالمين[1]!!!

ولا يسع المجال للخوض في إبراز الأدلة والبراهين على استحالة أن تكون عائشة أحب إلى النبي صلى الله عليه وآله من بضعته الصِّدِّيقة الشهيدة الطاهرة، وأحب إليه من سيدتنا خديجة، ولو لم يكن إلا أنهما سيدتا نساء العالمين وسيدتا نساء أهل الجنة لكفى، فإنه لا يمكن أن يكون الأدنى أحب إلى النبي صلى الله عليه وآله من الأفضل والأعلى، ونحن نعتقد أن المرأة المقابلة لهما لا فضل فيها ولا شأن في الحق لها، وأقل الإيمان أن هذا هو ما أرادت هي منا أن نعتقده فيها بعد روايتها لِمَا روته من الأحاديث القادحة في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وفي غيرته، وحيائه، وورعه، ودينه، و...

وبقطع النظر عما ذكرناه، وعما لا مجال للتعرض له لعدم مناسبته مع هذا

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٨٣ وج٧ ص١٤١؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٤٢؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٢٢ وج٣ ص١٣٥ وج٦ ص٢٨٢؛ سنن ابن ماجة ج١ ح١٦٢١ ص٥١٨؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٨٧٠ ص٣٢٦ وح٣٩٨١ ص٣٦٧ وح٣٩٨٥ ص٣٦٨؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٥٩٤ وج٣ ص١٥١ وص١٥٤ وص١٥٦ وص١٥٧ وص١٨٤: مسند أبي داود الطيالسي ص١٩٦؛ المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٩١٩ ص٤٣٠؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح١ ص٥٢٦ وح٣ ص٥٢٧ وح٥ ص ٥٢٧ وح٥ ص ٥٣٠؛ مسند ابن راهويه ج٥ ح٢١٠٢ ص٦؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٦٠ ص٣٦٣ وح٢٩٦١ وح٢٩٦٢ ص٣٦٤ وح٢٩٦٣ وح٢٩٦٤ ص٣٦٥ وح٢٩٦٥ وح٢٩٦٦ ص٣٦٦ وح٢٩٦٧ ص٣٦٧ وح٢٩٦٨ ص٣٦٨؛ كتاب الوفاة للنسائي ص١٩ ـ ٢٣؛ السنن الكبرى للنسائي ج٤ ح٧٠٧٨ ص٢٥١ وج٥ ح٨٣٦٥ وح٨٣٦٦ ص٩٥ وح٨٣٦٨ ص٩٦ وح٨٥١٢ وح٨٥١٣ ص١٤٥ وح٨٥١٦ وح٨٥١٧ ص١٤٦؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١١٦ وص١١٧ وص١١٨ وص١٢٠؛ مسند أبي يعلى ج٢ ح١١٦٩ ص٣٩٥ وج١٢ ح٦٧٤٣ ص١١٠ وح٦٧٤٥ ص١١١ وح٦٨٨٦ ص٣١٢ وح٦٨٨٧ ص٣١٣؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٠٢؛ كتاب الأوائل ص٨٤؛ المعجم الكبير ج٢٢ ص٤٠٢ وص٤٠٣ وص٤١٦ وص٤١٧ وص٤١٨ وص٤١٩ وص٤٢٢؛ فضائل سيدة النساء ص١٦ وص٢٠؛ الطبقات الكبرى ج٢ ص٢٤٧ وج٨ ص٢٦.

المختصر، فإن عائشة نفسها قد صرحت بأن في نساء النبي صلى الله عليه وآله كان هناك من يعادلها ويضاهيها.

عائشة تُصرِّح بوجود من يساويها ويضاهيها من نساء النبي صلى الله عليه وآله:

أخرج ابن حنبل، والبخاري، ومسلم وغيرهم بإسنادهم عن عائشة في حديث طويل لها قالت فيه في حق زينب بنت جحش: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وآله(١).

قال النووي: قولها: هي التي تساميني، أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة(٢).

وقال ابن الأثير: ومنه حديث عائشة «وهي التي كانت تساميني»: أي تعاليني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو، أي تطاولني في الحظوة عنده(٣).

وقال السيوطي تساميني أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة(٤).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٥٠ ـ ١٥١؛ صحيح البخاري ج٣ ص١٥٨ وج٥ ص٦٠ وج٦ ص٩؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٦ وج٨ ص١١٨؛ المصنف للصنعاني ج٥ ح٩٧٤٨ ص٤١٩ وج١١ ح٢٠٩٢٥ ص٤٣٢؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٣٤٣ وص٥٢٤؛ سنن النسائي ج٧ ص٦٥ و٦٧؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٨٩٢ ص٢٨١ ـ ٢٨٢ وح٨٨٩٤ ص٢٨٢ ـ ٢٨٣؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٩؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٩٢٨ ص٣٣٣؛ صحيح ابن حبان ج١٠ ص٢٢ وج١٦ ص١٩؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٥٥ وص٦١ وص٦٥ وص٧٤ وص٧٨ وص٨٣ وص٨٧ وص٩٢ وص٩٧ وص١٠١؛ مسند الشاميين ج٣ ص٣٣٦.

(٢) شرح مسلم للنووي ج١٥ ص٢٠٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث ج٢ ص٤٠٥.

(٤) الديباج على مسلم ج٥ ص٤٠٦.

أقول: بعد تصريح عائشة بأن زينب بنت جحش كانت تضاهيها وتعادلها في المنزلة والحظوة من النبي صلى الله عليه وآله، فكيف تكون بعد هذا التصريح منها أحب النساء إلى النبي صلى الله عليه وآله؟!

والحديث من أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، فلا تدعو ضرورة لبيان رجال إسناده وأنهم ثقات.

نظرة سريعة في أحاديث كون عائشة أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله:

إن أحاديث كون عائشة أحب الناس، أو أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أحب أزواجه ونسائه إليه صلى الله عليه وآله، وردت من طريق عائشة، وعمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وأم سلمة، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، ولكن شيئاً منها لا يصح سنده، أو لا مجال للاحتجاج والتمسك به.

الحديث الأول: أخرج ابن حنبل والطبراني وغيرهما بإسنادهم عن عبد الله بن خثيم، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ذكوان في حديث دخول ابن عباس على عائشة ومما قاله لها: كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وأخرج الحديث ابن حنبل والحاكم عن ابن خثيم، عن ابن أبي ملكية، عن ابن عباس، ولكن في المستدرك: إنك كنت من أحب أزواج النبي صلى الله عليه وآله

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٧٦ و٣٤٩ مسند أبي يعلى ج٥ ح٢٦٤٨ ص٥٦؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٤١؛ المعجم الكبير ج١٠ ح١٠٧٨٣ ص٣٢١؛ أسباب نزول الآيات ص٢١٨؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٧٥؛ البداية والنهاية ج٨ ص١٠١.

إليه[١].

أقول: أولاً: الحديث ضعيف الإسناد بابن خثيم[٢].

ثانياً: أخرج الحديث البخاري وابن سعد، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي ملكية، عن ابن عباس، وفيه بعد أن سأل ابن عباس عائشة عن حالها وأجابت: بخير إن اتقيتُ الله، قال ابن عباس: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكح بكراً غيرك[٣].

أقول: يكفي لنا من باب إلزام أبناء العامة بما أجمعوا عليه من صحة جميع أحاديث صحيح البخاري، وأن كل حديث يعارض ما في الصحيح، فإنه يسقط عن الاعتبار والاحتجاج به، وعليه فلا يثبت أن ابن عباس قال لعائشة ما أثبته ابن حنبل وغيره.

الحديث الثاني: أخرج الحاكم بإسناده عن مغيرة، عن الشعبي، عن عمرو بن العاص، قال: قلت يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: وما تريد إلى ذلك؟ قلت: يا رسول الله أريد أن أعلم ذاك، قال: عائشة، قلت: إنما أعني من

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٢٠؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٨

(٢) قال النسائي: عبد الله بن عثمان بن خثيم لين الحديث. وقال أيضاً: ابن خيثم ليس بالقوي في الحديث، وأن علي بن المديني قال: ابن خثيم منكر الحديث. قال العقيلي: وكان يُحدِّث عن الرجل بالحديث، لا يُحدِّث بحديثه كله. وقال ابن حبان: عبد الله بن عثمان بن خثيم، وكان يخطئ. ونقل ابن عدي عن يحيى بن معين، قوله: عبد الله بن عثمان بن خثيم أحاديثه ليست بالقوية. ونقل الذهبي عن أبي حاتم أنه قال: لا يُحتج به. (سنن النسائي ج٥ ص٢٤٨ وج٨ ص١٥٠؛ ضعفاء العقيلي ج٢ رقم٨٤٦ ص٢٨١ ـ ٢٨٢؛ الثقات لابن حبان ج٥ ص٣٤؛ الكامل ج٤ ص١٦١؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٤٤٤٢ ص٤٥٩ ـ ٤٦٠؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم٥٣٦ ص٢٧٥ ـ ٢٧٦).

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص١٠؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٧٤.

الرجال؟ قال: أبوها[١].

أقول: مغيرة الراوي عن الشعبي، هو ابن مقسم الضبي[٢].

قال العجلي: مغيرة بن مقسم، كان عثمانياً، وكان يحمل على عليٍّ عليه السلام بعض الحمل[٣].

أقول: سيأتي أن أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والعثماني الناصب لا تطاوعه نفسه أن يروي ذلك، ومع روايته لما هو محل نزاع بيننا، فلا حجة لعاقل في أن يلزمنا بصدقه هنا وبصحة ما ينقله، وسيأتي في الحديث الثاني، أن الناصب كافر بما أنزل الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، ولا يصح من مسلم الاحتجاج بخبر ناصبي، لا سيما في أمثال المقام، وعمرو بن العاص لا مجال للاحتجاج به لما ستعرفه في الحديث التالي.

الحديث الثالث: أخرج ابن حنبل، وابن أبي شيبة، والترمذي وغيرهم بإسنادهم عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عمرو بن العاص، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: ومن الرجال؟ قال: أبوها[٤].

أقول: أولاً: سيأتي أن أحاديث كون عائشة أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٢.

(٢) تهذيب الكمال ج١٤ رقم٣٠٤٢ ص٢٨ ـ ٣٣ وج٢٨ رقم٦١٤٣ ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٣) معرفة الثقات ج٢ رقم١٧٧٧ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٤؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٣٦ ص٤٧٦؛ الآحاد والمثاني ج٢ ح٨٠٤ ص١٠٣ وج٥ رقم٣٠٣٢ ص٤٠٠؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٧٣ ص٣٦٥؛ كتاب السنة رقم١٢٣٦ ص٥٦٤؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ رقم٨١٠٦ ص٣٦؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٢؛ صحيح ابن حبان ج١٠ ص٤٠٤ وج١٦ ص٤٠؛ تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٧ وج٣٠ ص١٣٥ وج٤٦ ص١٤٤ وص١٤٥؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٧.

قد كذَّبتها هي نفسها، وقد صح من طريقها ومن طريق غيرها من الصحابة أن أحب الناس إلى النبي من النساء فاطمة عليها السلام، ومن الرجال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثانياً: لا يمكن لابن العاص المبغض لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أن يشهد له بأنه كان أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله، ولا يمكن لمثله أن يروي هذه الفضيلة عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد ثبت أن ابن العاص من الفئة الباغية[1] المحاربة لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا نعلم أن الله تعالى قد تاب عليه.

ثالثاً: إن الترمذي نفسه بعدما أورد الحديث، قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث إسماعيل عن قيس[2].

أقول: ويكفي لنا هذه الشهادة من الترمذي، وأن الحديث غريب، وظاهرٌ أن الحديث الغريب لا يكون حجة ودليلاً.

الحديث الرابع: أخرج أبو داود والحاكم بإسنادهما عن زمعة بن صالح، قال: سمعت بن أبي مليكة يقول: سمعت أمُّ سلمة وانماً على عائشة، فأرسلت جاريتها: إنظري ما صنعت، فجاءت فقالت: قد قضت، فقالت: يرحمها الله،

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ص٥١ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص١٦١ و١٦٤ و٢٠٦ ؛ صحيح البخاري ج٣ ص٢٠٧ ؛ صحيح مسلم ج٨ ص١٨٦ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٤٨ و١٤٩ و١٥٥ ؛ مسند أبي داود ص٩٠ و٢٢٣ و٢٩٣ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح٣٩ ص٧٢٨ ؛ بغية الباحث ح١٠٢٠ ص٣٠٣ ؛ الآحاد والمثاني ج٣ ح١٨٧٠ ص٤٣٦ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٥٤٣ وح٨٥٤٤ وح٨٥٤٥ وح٨٥٤٦ وح٨٥٤٧ ص١٥٥ ـ ١٥٦ ؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص١٣٢ و١٣٣ ؛ مسند أبي يعلى ج٣ ح١٦١٤ ص١٨٩ وح١٦٤٥ ص٢٠٩ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص١٣٠ و٥٥٣ ؛ المعجم الصغير ج١ ص١٨٧ ؛ المعجم الأوسط ج٦ ص٢٤٩ وج٧ ص٢٩١ وج٨ ص٤٤ ؛ المعجم الكبير ج١ ص٣٢٠ وج٤ ص٨٥ ؛ الطبقات الكبرى ج١ ص٤١ وج٣ ص٢٤٨ و٢٥١ ؛ التاريخ الكبير ج٣ رقم١٥٧ ص٣٨ ـ ٣٩ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٢٦٦ ص٧٤.

(٢) سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٧٣ ص٣٦٥.

والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أباها.

قال الذهبي: وفي المستدرك بإسناد صالح عن أم سلمة، وساق الحديث[١].

أقول: ما ذكره الذهبي من أن الإسناد صالح، كَذِبٌ ظاهر فاضح، فإن أعلامهم قد ضعَّفوا زمعة بن صالح[٢].

الحديث الخامس: روى الطبراني بإسناده عن يعقوب بن محمد الزهري، عن عثمان بن طلحة، عن أبي عبد الرحمن، عن أبيه، عن أم سلمة، أنها قالت يوم ماتت عائشة: اليوم مات أحب شخص كان في الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قالت: استغفر الله ما خلا أباها[٣].

أقول: والحديث ضعيف الإسناد[٤].

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي ص٢٢٤؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٣؛ سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٩١.

(٢) قال أبو داود: أنا لا أخرِّج حديث زمعة. وقال ابن حنبل وأبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال ابن معين: لم يكن زمعة بالقوي، وقال في موضع آخر ضعيف. وقال أبو زرعة: لينٌ واهي الحديث. وقال عمرو بن علي: فيه ضعْف في الحديث. وقال البخاري: يخالف في حديثه. وقال النسائي: ليس بالقوي. (سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٧٧٠ ص ٣٩٥؛ تاريخ ابن معين للدوري ج٢ رقم٤٤١٥ ص٢٢٣؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٢ رقم٣٥٠٥ ص٥٣١؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٢٢ ص١٨١؛ ضعفاء العقيلي ج٢ رقم٥٥٣ ص٩٤؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٢٨٢٣ ص٦٢٤؛ كتاب المجروحين ج١ ص٣١٢؛ الكامل لابن عدي ج٣ ص٢٢٩؛ تهذيب الكمال ج٩ رقم٢٠٠٣ ص٣٨٦ ـ ٣٨٩؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٢٩٠٤ ص٨١؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٦٥٣ ص٤٠٦).

(٣) المعجم الكبير ج٢٣ ص٣١٧.

(٤) قال أحمد بن حنبل: يعقوب بن محمد الزهري، ليس بشيء، ليس يسوي شيئاً. وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال أيضاً: ليس على يعقوب الزهري قياس، يعقوب الزهري، وابن زبالة، والواقدي، وعمر بن أبي بكر المؤملي، يتقاربون في الضعف في الحديث. وقال يحيى بن معين: أحاديثه تشبه أحاديث الواقدي محمد بن عمر بن واقد يعني تركوا حديثه. وقال أبو النضر محمد بن أحمد الفقيه: سئل صالح بن محمد عن يعقوب بن محمد الزهري؟ فقال: حديثه يشبه حديث الواقدي كأنه يضعفه. وقال العقيلي: يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري، في حديثه وهم كثير، ولا يتابعه عليه إلا من هو نحوه. وقال ابن

الحديث السادس: أخرج ابن ماجة، والترمذي، والحاكم وغيرهم بإسنادهم عن حميد الطويل، عن أنس، قال: قيل يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال عائشة، قيل من الرجال؟ قال: أبوها.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث أنس[(١)].

أقول: بغض النظر عن وقوع الاختلاف في سند الحديث، حيث رواه حميد من دون واسطة عن أنس تارة، ومع واسطة تارة أخرى، فإنه يكفي كما تقدم في الحديث السابق وصْف الترمذي للحديث بأنه غريب، فإن غرابته تُسقِطُه عن الحجية.

وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بعد أن أورد الحديث: قال الدارقطني: غريب من حديث حميد عن أنس تفرد به المعتمر[(٢)].

أقول: حسبنا هذا التصريح من الدارقطني.

ثانياً: قد ورد في حق حميد في خصوص ما رواه عن أنس ما يوجب

عدي: يعقوب بن محمد الزهري ليس بالمعروف، وأحاديثه لا يتابع عليها. وقال الساجي: منكر الحديث، وكان ابن المديني يُتكلم فيه. وقال أبو القاسم البغوي في حديثه لين. (العلل لأحمد بن حنبل ج٣ رقم٥٧٤٥ ص٣٩٧؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم٢٠٧٣ ص٤٤٥؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٨٩٦ ص٢١٤ ـ ٢١٥؛ الكامل لابن عدي ج٧ ص١٤٩؛ تاريخ بغداد ج١٤ رقم٧٥٦٣ ص٢٧١ ـ ٢٧٣؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم٩٨٢٦ ص٤٥٤؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٦٦٥ ص٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(١) سنن ابن ماجة ج١ ح١٠١ ص٣٨؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٧٧ ص٣٦٦؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٢؛ المعجم الأوسط ج١ ص١٥٥؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٤٠؛ الكامل لابن عدي ج٦ ص٣٨٩؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص١٣٦؛ ذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٣٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص١٣٦.

ضعْفَ حديثه، وعدم صحة الاعتماد عليه[1].

---

(١) قال يحيى بن يعلى المحاربي: طرح زائدة حديث حميد الطويل. وقال عبد الرحمان بن يوسف بن خراش: في حديثه شيء. وقال أبو بكر البرديجي: وأما حديث حميد، فلا يُحتج منه إلا بما قال حدثنا أنس. وقال الذهبي: وأجمعوا على الاحتجاج بحميد إذا قال: سمعت. وقد أورده العقيلي وابن عدي في الضعفاء. وقال ابن حبان في المشاهير: حميد الطويل، وكان يدلس. وكذا قال السمعاني في الأنساب، والذهبي في الميزان، وابن حجر في التقريب.

وقد قال يحيى بن سعيد القطان: سألت حميداً عن حديث الحسن فقال لا أحفظه. وقال أيضاً: كنت أسأل حميد عن الشيء في فتيا حسن، فيقول: نسيته. وقال شعبة: لم يسمع حميد من أنس إلا أربعاً وعشرين حديثاً. وقال أبو داود عن شعبة: كل شيء سمع حميد عن أنس خمسة أحاديث. وقال حماد بن سلمة: جاء شعبة الى حميد، فسأله عن حديث فحدَّثه به، ثم قال: سمعته؟ قال: أحسب، قال: فقال شعبة: بيده هكذا إني لا أريده، فلما قام فذهب، قال: قد سمعته من أنس، ولكنه شدَّد عليَّ، فأحببت أن أشدد عليه. وقال حماد بن سلمة: أخذ حميد كتب الحسن فنسخها ثم ردها عليه. وقال أبو داود: سمعت شعبة يقول: سمعت حبيب بن الشهيد يقول لحميد وهو يحدثني: انظر ما يحدث به شعبة، فإنه يرويه عنك، ثم يقول هو: إن حميداً رجل نسي، فانظر ما يحدثك به. وقال معاذ بن معاذ: كنا عند حميد الطويل فأتاه شعبة، فقال: يا أبا عبيدة حديث كذا وكذا تشك فيه؟ فقال: إنه ليعرض لي أحياناً، فانصرف شعبة فقال حميد: ما أشك في شيء منها، ولكنه غلام صلف أحببت أن أفسدها عليه. وقال عمرو بن خالد الحراني ، عن زهير بن معاوية: قدمت البصرة ، فأتيت حميدا الطويل وعنده أبو بكر بن عياش، فقلت له: حدثني، فقال: سل: فقلت: ما معي شئ أسأل عنه، قلت: حدثني، فحدثني بثلاثين حديثاً، قلت: حدثني، فحدثني بتسعة وأربعين حديثاً، فقلت له: ما أراك إلا قد قاربت، قال: فجعل يقول: سمعت أنساً والأحيان يقول: قال أنس، فلما فرغ، قلت له: أرأيت ما حدثتني به عن أنس، أنت سمعته منه؟ فقال أبو بكر بن عياش: هيهات، فاتك ما فاتك! يقول: كان ينبغي لك أن تقفه عند كل حديث وتسأله، فكأن حميداً وجد في نفسه، فقال: ما حدثتك بشيء عن أحد، فعنه أحدثك، فلم يشف قلبي، أو فلم يشفني. وقال يحيى بن سعيد: كان حميد الطويل إذا ذهبتَ تُوقِفْهُ على بعض حديث أنس يشك فيه. وقال مكي بن إبراهيم: مررت بحميد الطويل وعليه ثياب سود، فقال لي أخي: ألا تسمع من حميد؟ فقلت: أسمع من الشرطي؟!

وقال سفيان: كان عندنا شويب بصري يقال له درست، فقال لي إن حميداً قد اختلط عليه ما سمع من أنس ومن ثابت وقتادة عن أنس إلا شيء يسير، فكنت أقول له أخبرني بما شئت عن غير أنس، فاسأل

الحديث السابع: أخرج ابن عساكر بإسناده عن محمد بن ثابت، عن أبيه ثابت البناني، عن أنس، قال: قالوا: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قالوا: من الرجال؟ قال: فأبوها إذاً[1].

أقول: والحديث لا يصح، فمحمد بن ثابت ضعيف جداً[2].

الحديث الثامن: أخرج ابن أبي أسامة، وابن عساكر بإسنادهما عن أبي هرمز نافع الجمال، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قدم رجل من أهل العراق

حميداً عنها، فيقول سمعت أنساً. (ضعفاء العقيلي ج١ ص٢٦٧؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٦٨٤ ص١٥٠؛ الكامل لابن عدي ج٢ ص٢٦٧ ـ ٢٦٨؛ الأنساب للسمعاني ج٤ ص٨٣؛ تهذيب الكمال ج٧ رقم١٥٢٥ ص ٣٥٥ ـ ٣٦٢؛ ميزان الاعتدال ج١ رقم٢٣٢٠ ص٦١٠؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم٦٥ ص٣٤؛ تقريب التهذيب ج١ رقم١٥٤٩ ص٢٤٤).

أقول: وليس في شيء من الموارد التي ورد فيها الحديث وردت عبارة حدثنا أنس أو أخبرنا أنس، وعليه وبحسب ما شهد البرديجي فلا يكون الحديث حجة.

على أن ما ذكره حميد نفسه بعد ما جرى له مع شعبة ما جرى، تصريح منه وإقرار بأنه قد كذب على شعبة، حيث ذكر لحماد بن سلمة ولمعاذ بن معاذ غير ما ذكره لشعبة، ونحن نظن على أقل تقدير أنه في هذا الحديث قد كذب أيضاً.

ثم إنه قد ورد في بعض موراد رواية الحديث رواية حميد عن الحسن، وقد صرح حميد بأنه لا يحفظ حديث الحسن.

ويكفي احتمال روايته للحديث عن الحسن لسقوط الحديث عن صحة الاحتجاج به والاعتماد عليه، فإنهم متفقون ظاهراً على أن سماعه من أنس كان قليلاً.

على أن ما ورد في حقه مما نقلناه يكفي حجة على عدم صحة الاعتماد على حديثه.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص١٣٦.

(٢) ضعَّفه عفان، وأبو داود، وابن معين، والنسائي، وقال البخاري: فيه نظر. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يُحتج به، مُنكَر الحديث. وقال ابن حبان في المجروحين: لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه على قلته. (سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٦٥٣ ص٣٦٣؛ تاريخ ابن معين للدوري ج٢ رقم٣٩٧٧ ص١٦٢؛ التاريخ الكبير للبخاري ج١ رقم١٠٣ ص٥٠؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٥٢٠ ص٢٣١؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم١٥٨٧ ص٣٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم١٢٠٣ ص٢١٧؛ كتاب المجروحين ج٢ ص٢٥٢؛ الكامل لابن عدي ج٦ ص١٣٦ ـ ١٣٧).

بينه وبين رسول الله ﷺ قرابة من النساء، فقال له رسول الله ﷺ: مرحباً برجل غنم وسلم، قال: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: وهي خلفه جالسة، قال: لم أعن من النساء إنما عنيت من الرجال؟ قال: فأبوها إذاً[١].

أقول: والحديث غاية في ضعف إسناده، من جهة أبي هرمز[٢].

الحديث التاسع: أخرج الخطيب البغدادي، وابن عساكر بإسنادهما عن حميد بن الربيع، عن يحيي بن يمان، عن أبي سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن عمر، قال: سئل رسول الله ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: إنما نعني من الرجال؟ قال: أبوها[٣].

أقول: والحديث ضعيف الإسناد جداً، فحميد بن الربيع، ويحيى بن يمان ضعيفان[٤].

---

(١) بغية الباحث ح٩٦٢ ص٢٨٩؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص١٣٧.

(٢) قال أحمد بن حنبل: نافع أبو هرمز، ضعيف الحديث. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وكذا قال علي بن المديني. وقال ابن معين مرة: ليس بثقة، وكذا قال النسائي. وقال أبو حاتم: متروك الحديث، ذاهب الحديث. وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم. وقال ابن حبان في المجروحين: نافع أبو هرمز الجمال، لا يجوز الاحتجاج به ولا كناية حديثه إلا على سبيل الاعتبار. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، والضعف على روايته بيِّنٌ. (سؤالات ابن أبي شيبة ص١٧٢؛ تاريخ ابن معين للدوري ج٢ رقم٣٤٨٢ ص٩٨ ورقم٣٨٢٨ ص١٤٣؛ كتاب الضعفاء والمتروكين رقم٦٦٢ ص٢٥٤؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم١٨٧٩ ص٢٨٦؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٢٠٨٧ ص٤٥٥ ـ ٤٥٦؛ كتاب المجروحين ج٣ ص٥٧ ـ ٥٨؛ الكامل لابن عدي ج٧ ص٤٨ ـ ٥٠؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم٩٠٠٠ ص٢٤٣ ورقم٩٠٠٤ ص٢٤٤؛ لسان الميزان ج٦ رقم٥١٢ ص١٤٦ ورقم٥١٣ ص١٤٧).

(٣) تاريخ بغداد ج١١ رقم٦٣٠٩ ص٤٢٣؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص١٣٧.

(٤) ١ ـ **حميد بن الربيع.**

قال جعفر بن الهذيل: سمعت يحيى بن معين يقول: حميد الخزاز كذاب، لا يلد إلا كذاباً. وقال أحمد

الحديث العاشر: أخرج أبو يعلى وغيره ـ وفي المتن اختلاف من حيث وقوع السؤال والجواب عن عمر وعن أبي عبيدة ـ بإسنادهم عن عبد الله بن شقيق، عن عمرو بن العاص، قال: قيل: يا رسول الله ﷺ أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: عمر، قال: ثم من؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح[(١)].

بن محمد بن شعيب: قال كنت عند الحضرمي فمر عليه بن الحسين بن حميد الخزاز، فقال: هذا كذاب ابن كذاب ابن كذاب. وقال عبدان الجواليقي: قال يحيى بن معين: كذابي زماننا أربعة، ...وحميد بن الربيع. وقال عبد الخالق بن منصور: سألت يحيى بن معين عن حديث يرويه حميد الخزاز، فقال لي أوَيكتب عن ذاك أحد، ذاك كذاب خبيث غير ثقة ولا مأمون. وقال النسائي: ليس بشيء. وقال ابن أبي حاتم: تكلم الناس فيه فتركت التحديث عنه. وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث، ويرفع أحاديث، وروى أحاديث عن كثرة الناس غير محفوظة عنهم. وقال أيضاً: هو ضعيف جداً في كل ما يرويه. وقال البرقاني: عامة شيوخنا يقولون: ذاهب الحديث. (كتاب الضعفاء والمتروكين رقم١٤٢ ص١٦٨؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٩٧٤ ص٢٢٢؛ الكامل لابن عدي ج٢ ص٢٨٠ ـ ٢٨٢؛ تاريخ بغداد ج٨ رقم٤٢٦٩ ص١٥٩ ـ ١٦٢؛ ميزان الاعتدال ج١ رقم٢٣٢٧ ص٦١١ ـ ٦١٢؛ لسان الميزان ج٢ رقم١٤٨٨ ص٣٦٣ ـ ٣٦٤).

٢ ـ يحيى بن يمان.

قال أبو داود: يحيى بن يمان، يخطئ في الأحاديث ويقلبها. وقال أحمد بن حنبل: يضطرب في بعض حديثه، ليس يحيى يمان حجة في الحديث. وقال ابن معين: ليس بالقوي. وقال ابن أبي مريم: سألت يحيى بن معين عن يحيى بن يمان؟ فقال: ضعيف الحديث. وقال ابن الغلابي: قال يحيى بن معين: يحيى بن اليمان ضعيف. وقال محمد بن عمار: لا يحتج به. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال أبو حاتم: رأيت محمد بن عبد الله بن نمير يُضعِّف يحيى بن يمان، ويقول: كأن حديثه خيال. وقال أيضاً: مضطرب الحديث. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ. وقال أبو بكر بن عياش: ذاهب الحديث. (سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٢٩٦ ص٢٣٤؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٩٨ ص٦٢؛ ضعفاء العقيلي ج٤ رقم٢٠٦٥ ص٤٣٣؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٨٣٠ ص١٩٩؛ الكامل لابن عدي ج٧ ص٢٣٥ ـ ٢٣٧؛ تاريخ بغداد ج١٤ رقم٧٤٥٦ ص١٢٥ ـ ١٢٩؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم٩٦٦١ ص٤١٦؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٤٩٠ ص٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(١) كتاب السنة رقم١٢٣٣ ص٥٦٣ مسند أبي يعلى ج١٣ ح٧٣٤٥ ص٣٢٩؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٣؛ صحيح ابن حبان

أقول: والحديث ضعيف السند، فإن ابن شقيق عليه لعنة الله تعالى، كافر بما جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ومثله لا يجوز من أي مسلم الاحتجاج بحديثه، فإنه كان ينصب العداء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[1]، وسيثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام وسيدتنا فاطمة عليها السلام هما أحب الخلق إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومثل ابن شقيق المبغض لعليٍّ عليه السلام لا يمكن أن يروي هذا المعنى.

ولا أظن أننا محتاجون لبيان أن بغض عليٍّ عليه السلام هو بغض لسيد الخلق سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فإن الأحاديث في هذا المضمون وما يفيده كثيرة جداً.

ويكفي أن أمير المؤمنين عليه السلام هو ثاني أصحاب الكساء الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً[2]، وأنه ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله[3]، وأنه عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله كما هارون من موسى على نبينا وآله

ج١٥ ص٤٥٩؛ الطبقات الكبرى ج٣ ص١٧٦؛ تاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٤٧٢؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣١ ص٤٠٠.

(١) قال أحمد بن حنبل والعجلي: وكان يحمل على عليٍّ عليه السلام. وقال ابن خراش: وكان عثمانياً يبغض علياً عليه السلام. وقال الذهبي: ثقة، لكنه فيه نصب. وقال ابن حجر: ثقة فيه نصب. (معرفة الثقات ج٢ رقم٩٠٥ ص٣٧؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم ٤٣٨٠ ص٤٣٩؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٢٧٧٧ ص٥٦١؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم٤٤٥ ص٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ تقريب التهذيب ج١ ص٥٠١؛ تاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص١٦١).

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص١٣٠؛ سنن الترمذي ج٤ ح٤٠٨٥ ص٢٩٣؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٣٠ وج٣ ص٢٥٩؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٣٩ ص٥٠١ وح٤ ص٥٢٧؛ مسند ابن راهويه ج٣ ص٦٧٨؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤١٦ وج٣ ص١٣٢ ـ ١٣٤ وص١٤٦ وص١٤٧ وص١٥٨؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٤٩ وص١٥٠؛ مسند أبي يعلى ج٧ ح٣٩٧٨ ص٥٩؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٥٣ ص٣٦٠؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح٤٧٥ ص١٧٣؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٩٩ ص١٠٧؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٤٨؛ مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٦ وج٥ ص٣٣٣ وص٣٥٣ ـ ٣٥٤؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص١٥ ـ ١٦؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٢ و٢٠ و٢٠٧ وج٥ ص٧٦؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٢١ و١٢٢؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح١٧ ص٤٩٧ وح٣٣ ص٥٠٠ وج٨ ح١٠ ص٥٢٢؛ مسند أبي داود ص٣٢٠؛ مسند ابن راهويه ج١ ص٢٥٣؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥

وعليهما السلام[(١)]، والكثير الكثير غير ذلك مما أجمع المسلمون على صحته.

الحديث الحادي عشر ـ وهو العمدة فإنه من أحاديث البخاري ومسلم، أخرج ابن حنبل، والبخاري، ومسلم وغيرهم بإسنادهم عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان، قال: حدثني عمرو بن العاص، قال: استعملني رسول الله صلى الله عليه وآله على جيش ذات السلاسل فأتيته، فقلت يا رسول الله: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال أبوها، فقلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً[(٢)].

ح٨١٥١ ص٤٦ وح٨٤٠١ ص١٠٨ وح٨٤٠٣ وح٨٤٠٤ ص١١٠ ؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي ص٥٢ ـ ٥٦ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ مسند أبي يعلى ج١٣ ح٧٥٢٧ ص٥٢٢ وح٧٥٣٧ ص٥٣١. صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٩ ـ ٣٨٠ ؛ كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ح١٣٧٧ ص ٥٩٤ ؛ المعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٣ و٣١ و٣٦ و٣٥ ؛ بغية الباحث للحارث بن أبي أسامة ح٦٩٤ ص٢١٨ ؛ مجمع الزوائد ج٦ ص١٥١ ؛ الثقات لابن حبان ج٢ ص١ وص١١ ـ ١٣ ؛ لطبقات الكبرى ج٢ ص ١١٠ ؛ تاريخ بغداد ج٨ رقم٤٠٣٦ ص٥ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٠ وص ١٠٦ ـ ١٠٨ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢١٢.

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٠٨ وج٥ ص١٢٩ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ وص١٢١ ؛ سنن ابن ماجة ج١ ح١٢١ ص٤٥ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٨٠٨ ص٣٠١ وح٣٨١٣ ؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص١٣ وص١٤ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٣٣٧ وج٣ ص١٠٩ وص١٣٣ وص١٤٨ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٤٠ : المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح١١ وح١٢ وح١٣ وح١٤ ؛ مسند ابن راهويه ج٥ ح٢١٣٩ ص٣٦ ؛ مسند أبي داود ص٢٨ وص٢٩ ؛ المصنف للصنعاني ج٥ ح٩٧٤٥ ص٤٠٥ ؛ مسند الحميدي ج١ ح٧١ ص٣٨ ؛ مسند ابن الجعد ص٣٠١ ؛ مسند سعد بن أبي وقاص ص٥١ وص١٠٣ وص١٣٦ وص١٧٤ ؛ كتاب السنة ح١١٨٨ ص٥٥١ وح١٣٣١ وح١٣٣٢ وح١٣٣٣ وح١٣٣٤ ص ٥٨٦ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨١٣٨ وح٨١٣٩ وح٨١٤٠ وح٨١٤١ وحح٨١٤٢ ص٤٤ وج٥ ح٨٣٩٩ ص١٠٧ وح٨٣٩٩ ص ١٠٨ ؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص٤٨ وص٥٠ وص٦٤ ؛ مسند أبي يعلى ج١ ح٣٤٤ ص٢٨٥ وج٢ ح٦٩٨ ص٥٧ وح٧٠٩ ص٦٦ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص١٥ وص٣٦٩ وص٣٧١ وص٤٣٤ ؛ المعجم الكبير ج١ ح٣٢٨ ص١٤٦ وح٣٣٣ ص١٤٨ ؛ الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٣ وص٢٤ ؛ التاريخ الكبير ج١ رقم٣٣٣ ص١١٥ ؛ مجمع الزوائد ج٩ ص١٠٩ وص١١٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٠٣ ؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٨ ؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٩٢ وج٥ ص١١٣ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٠٩ ؛ سنن الترمذي ج٥ رقم٣٩٧٢ ص٣٦٤ ؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح٢٩٥ ص١٢١ ؛ كتاب السنة ح١٢٣٥ ص٥٦٤ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨١١٧ ص٣٩ ؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٢٦ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٤٤ ؛ التاريخ الكبير ج٦ رقم١٥٦٧ ص٢٤ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٧٠ وج٧ ص٢٩٩ وج١٠ ص٢٣٣ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٧ وج٣٠ ص١٣٥ وج ٤٤ ص٢٢٠ وج٤٦ ص١٤٧ ؛ البداية والنهاية ج٤ ص٣١٤ ؛ السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٠.

أقول: وسند الحديث لا يصح، ومتنه باطل من طرق عدة.

أما سنده، فمن وجوه ثلاثة[1].

وأما متن الحديث فلا يصح أيضاً، ونحن سنعرض عن التكلم في وقوع الاختلاف الفاحش في حديث ابن العاص، ويكفي للقارئ الكريم أن يتأمل في حديثه هنا، وفي الحديث الأول والثاني والثامن، ولا معنى لافتراض وقوع السؤال من ابن العاص مرات عديدة كما هو ظاهر بأدنى تأمل.

---

(١) **الوجه الأول:** سيأتي تصريح عائشة وغيرها أن أحب الناس من الرجال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعمرو بن العاص من ألد الناس نصباً وعدواة لأمير المؤمنين عليه السلام، ومثله لا يمكن أن نصدقه فيما يرويه، ولا يسع المقام لإقامة الأدلة القطعية ومن كتب أبناء السنة على أن ابن العاص كان شخصاً لا دين عنده، ولا ورع لديه.

الوجه الثاني: قال أبو عبد الرحمن: بعض حروف أبي عثمان لم تصح. (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٨ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨١١٧ ص٣٩).

الوجه الثالث: أن خالد الحذاء قد ضعَّفه جملة من أعلامهم. فقد ذكره العقيلي في ضعفائه. وقال أبو حاتم: خالد الحذاء يكتب حديثه، ولا يحتج به. وقال أحمد بن حنبل: لم يسمع خالد الحذاء من أبي عثمان النهدي شيئاً. وقال عبد الله بن نافع القرشي: قال لي شعبة: عليك بحجاج بن أرطاة ومحمد بن إسحاق فإنهما حافظان، واكتم عليَّ عند البصريين في خالد وهشام. وقال عباد بن عباد: أراد شعبة أن يضع في خالد الحذاء، قال فأتيت أنا وحماد بن زيد فقلنا ما لك أجننت، أنت أعلم وتهددناه فأمسك. وقال حماد بن زيد: قدم علينا قدمة من الشام فكأنا أنكرنا حفظه. وقال أحمد بن حنبل ضعَّف ابن علية أمْر خالد الحذاء. وقال معتمر: قال سمعت أبي ذكر خالد الحذاء، فقال: ما عليه لو صنع كما صنع طاوس، كان يجلس فان أتى شيء أخذه والا سكت. (ضعفاء العقيلي ج٢ رقم٤٠٢ ص٤ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم١٥٩٣ ص٣٥٢ ـ ٣٥٣ ؛ سير أعلام النبلاء ج٦ ص١٩١ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم٢٢٤ ص١٠٤ ـ ١٠٥).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: بعد أن نقل كلام شعبة: هذا الاجتهاد من شعبة مردود، لا يلتفت إليه.

أقول: لو سلمنا أن كلامَ شعبة مردودٌ، ولكن ماذا يفعل الذهبي بقول ابن حنبل وأن الحذاء لم يسمع من النهدي، وبشهادة أبي حاتم، وبكلام ابن علية، وبقول حماد بن زيد!!

ومهما يكن، فالجواب: **أما أولاً**: فإن حديث ابن العاص مخالف لما ثبت عن عائشة وعن غيرها ـ على ما سيأتي ـ من أنَّ أمير المؤمنين علياً وسيدتنا فاطمة عليهما السلام هما أحب الخلق إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثانياً: إنه مخالف أيضاً لما ثبت على مذهبهم من أن أسامة بن زيد أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أبيه[1]، وأنه أحب القوم إليه[2].

ثالثاً: إنه مخالف لما أقرَّ به ابن الخطاب نفسه من أن زيد بن حارثة كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وآله من عمر بن الخطاب[3].

رابعاً: قد ذكرنا في كتابنا التحقيق في فضائل أبي بكر الصديق أنَّ قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الثابت برواية الصحاح وغيرها من كتب أبناء العامة:

---

(١) أخرج البخاري بإسناده عن سالم عن أبيه، قال: استعمل النبي صلى الله عليه وآله أسامة فقالوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد بلغني أنكم قلتم في أسامة، وأنه أحب الناس إليَّ. (صحيح البخاري ج٥ ص١٤٥ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٣ ص٥٣٢ ؛ الآحاد والمثاني ج١ ح٤٤٦ ص٣٢٥ مسند أبي داود الطيالسي ص٢٤٩ ؛ المعجم الكبير ج١ ح٣٧٢ ص١٥٩).

وأخرج الحاكم بإسناده عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أسامة أحب الناس إلي. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. (المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٥٩٦).

(٢) أخرج الحاكم بإسناده عن أسامة بن زيد في حديث، أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأبيه زيد: وأما أنت يا زيد، فمولاي ومني وإلي، وأحب القوم إلي. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. (المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٢١٧).

(٣) أخرج الحاكم بإسناده عن ابن عمر، قال لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف، وفرض لي ألفين وخمس مائة، فقلت له: يا أبت لِمَ تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمس مائة، والله ما شهد أسامة مشهداً غبتُ عنه، ولا شهد أبوه مشهداً غاب عنه أبي؟ قال: صدقت يا بني، ولكني أشهد لأبوه كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيك، ولهو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك. قال الحاكم: صحيح الإسناد. (المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٥٥٩).

«لأبعثن بالراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» بعد أن بعث بالراية مع أبي بكر ورجع مهزوماً، يفيد أن أبا بكر لا يثبت له الوصف الذي كشف النبي ﷺ عن ثبوته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإلا فلا معنى لهذا التخصيص أولاً، ولا معنى لما ورد في حديث الراية من أن أعناق الصحابة يومئذ تطاولت، وأنهم أصبحوا وكلهم يُمنِّي نفسه بأن يكون صاحب الراية[1]، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى هناك[2].

وقد ظهر لك أن حديث الفضيلة الأولى الذي روته عائشة، وأنها أوتيت سبعاً لم يكنَّ في أحد من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران، ومنها أنها أحب الخلق إلى النبي[3] ـ باطل ـ فإنه مشتمل على ادعاء فضيلتين لها قد ثبت عدم صحتهما، فضلاً عن اشتماله على ادعائها فضيلة ثالثة وأن الملك نزل بصورتها، وقد تقدم بطلان هذا وعدم صحته، فضلاً عن أننا بيَّنا عدم صحة جميع طرق حديث الفضيلة على ما تقدم.

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٢ و٢٠ و٢٠٧ وج٥ ص٧٦؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٢١ و١٢٢؛ مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٣٣٣؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص١٥ ـ ١٦؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٦ ـ ١٠٧؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧ ح٣٣ ص٥٠٠ وج٨ ح١٠ ص٥٢٢؛ مسند ابن راهويه ج١ ص٢٥٣؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨١٥١ ص٤٦ وح٨٤٠٤ وح٨٤٠٣ ص١١٠؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي ص٥٥ ـ ٥٦؛ مسند أبي يعلى ج١٣ ح٧٥٢٧ ص٥٢٢ وح٧٥٣٧ ص٥٣١؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٣٢٠؛؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٩ ـ ٣٨٠؛ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج٢ ص١١٠؛ تاريخ بغداد ج٨ رقم٤٠٣٦ ص٥.؛؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٦٢ وج٩ ص١٣١؛ المعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٣ و٣١ و٣٥ و٣٦؛؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٠؛ البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢١٢؛ الثقات لابن حبان ج٢ ص١ وص١١ ـ ١٣.

(٢) التحقيق في فضائل أبي بكر الصديق ص١٩٣ ـ ٢١٨.

(٣) المعجم الكبير ج٢٣ ص٢٩ ـ ٣٠؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠؛ مسند أبي حنيفة ص١١٦؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٤ ص٥٢٨؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠٣٦ ص٤٠٢؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٦٥؛ مجمع الزوائد ج٩ ص٢٤١؛ تاريخ الطبري ج٢ ص١١٨.

أقول: فثبت أن أحاديث كون عائشة أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله وهي أحد عشر حديثاً من دون حديث الفضيلة الأولى، أحاديث باطلة وغير صحيحة بوجه من الوجوه.

الأحاديث الصحيحة في كون أمير المؤمنين عليٍّ والصِّديقة الطاهرة فاطمة هما أحب الخلق إلى النبي صلى الله عليه وآله:

أقول: وفي مقابل ما ورد من أحاديث في كون عائشة وأبيها أحب الخلق إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد ظهر بطلانها وفسادها، فقد صحت جملة من الأحاديث على كون سيدتنا فاطمة الصديقة الشهيدة عليها السلام هي أحب الناس من النساء إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأن بعلها أمير المؤمنين عليه السلام أحب الناس من الرجال إليه صلى الله عليه وآله.

الحديث الأول: أخرج ابن حنبل، والنسائي بإسنادهما عن النعمان بن بشير ـ واللفظ لابن حنبل ـ قال: استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد عرفت أنَّ علياً أحب إليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثاً، فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها، فقال يا بنت فلانة: ألا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح. وقال في موضع ثانٍ: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٧٥ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ رقم٨٤٩٥ ص١٣٩ وح٩١٥٥ ص٣٦٥ ؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي ص١٠٨.

(٢) مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٧ وص٢٠٢.

أقول: وبعد شهادة الهيثمي بأنَّ رجال الحديث من رجال الصحيح، فهذا يغنينا عن تكفل مؤونة التفصيل في بيان وثاقتهم، ومثل الهيثمي لا يمكن أن يُصحِّح حديثاً من هذا القبيل لو أنه استطاع أن يُدلِّس، ولا شبهة أن شهادة عائشة في حق سيدتنا فاطمة وفي حق أمير المؤمنين عليهما السلام في أعلى درجات الاعتبار والحجة.

الحديث الثاني: أخرج الترمذي، والنسائي، وأبو يعلى وغيرهم بإسنادهم عن جميع بن عمير، قال: دخلت مع عمتي على عائشة، فسئلت: أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة عليها السلام، فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها.

قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد[1].

أقول: وهذه شهادة ثانية من عائشة مضافاً إلى شهادتها الأولى، وحديث النعمان المتقدم شاهد صدق على حديث جميع بن عمير هنا كما هو ظاهر، ومضافاً إلى تصحيح الحاكم للحديث، نُبيِّن رجال إسناده، وقد رواه أبو يعلى عن الحسن بن حماد الكوفي، عن ابن أبي غنية، عن أبيه، عن الشيباني، عن جميع بن عمير، ورجال الحديث جميعاً من الثقات[2].

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٦٥ ص٣٦٢؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٤٩٦ ص١٣٩ وح٨٤٩٧ ص١٤٠؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص١٠٩؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥٤ وص١٥٧؛ مسند أبي يعلى ج٨ ح٤٨٥٧ ص٢٧٠؛ المعجم الكبير ج٢٢ ص٤٠٣ و٤٠٤؛ تاريخ بغداد ج١١ رقم٦٣١٩ ص٤٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٤؛ أسد الغابة ج٥ ص٥٢٢؛ تاريخ جرجان رقم٣٢٩ ص٢١٣.

(٢) **١ ـ الحسن بن حماد.**

قال المزي الحسن بن حماد الضبي، روى عن يحيى بن عبد الحميد بن أبي غنية، روى عنه أبو يعلى. (تهذيب الكمال ج٦ رقم١٢٢٠ ص١٣٣ ـ ١٣٤).

صحَّح حديثه الحاكم في المستدرك، قال ابن أبي حاتم: سألت موسى بن إسحاق عنه؟ فقال: ثقة مأمون. وقال السراج: كوفي ثقة، ووثقه الذهبي وابن حجر، وقال الأخير في التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات. (المستدرك على الصحيحين ج١ ص٤٩٢ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم٣١ ص٩؛ تاريخ بغداد ج٧ رقم٣٨٠١ ص٣٠٥؛ تهذيب الكمال ج٦ ص١٣٣ ـ ١٣٥؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٠٢٥ ص٣٢٤؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم٤٩٢ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ تقريب التهذيب ج١ رقم١٢٣٥ ص٢٠٣).

٢ ـ يحيى بن عبدالملك بن حميد ابن أبي غنية.

قال المزي: يحيى بن عبدالملك بن حميد ابن أبي غنية، روى عن أبيه عبدالملك بن حميد ابن أبي غنية، روى عنه الحسن بن حماد الوراق الضبي. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٧٥ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

وثقه أبو داود، وأحمد بن حنبل، وابن معين، وابن سعد ، والعجلي، والدارقطني، وغيرهم، وقال النسائي ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات. (العلل لأحمد بن حنبل ج١ رقم١٢٨٣ ص٥٤٢ وج٣ رقم٤٨١٥ ص١٨٩؛ سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٤٨١ ص٣٠٠؛ الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٩٣؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٦٩٩ ص١٧١؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٩٠٨ ص٢٣٤؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٩٨٨ ص٣٥٥؛ الثقات ج٧ ص٦١٤؛ تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٧٥ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٦٢٠٦ ص ٣٧٠؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٤٠٦ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).

٣ ـ عبد الملك بن أبي غنية

قال المزي عبدالملك بن حميد بن أبي غنية، زوى عن أبي إسحاق الشيباني، روى عنه ابنه يحيى بن عبدالملك بن أبي غنية. (تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٥٢٤ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣).

وثقه وابن معين، والعجلي، والدارقطني، وابن ماكولا، والذهبي، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. (تاريخ ابن معين للدارمي رقم٩٠٨ ص٢٣٤؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٣ رقم٤٨١٥ ص١٨٩؛ ورقم٥٣٨٣ ص ٣١٠؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١١٢٩ ص١٠٢؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم ١٦٤٠ ص٣٤٧؛ الثقات ج٧ ص٩٦؛ إكمال الكمال ج٦ ص١١٩؛ تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٥٢٤ ص٣٠٢ ـ ٣٠٤؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٣٤٤٩ ص٦٦٤؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم٧٤٣ ص٣٤٩).

٤ ـ أبو إسحاق الشيباني.

قال المزي: سليمان بن أبي سليمان، أبو إسحاق الشيباني، روى عن جميع بن عمير، روى عنه عبد الملك بن حميد بن أبي غنية. (تهذيب الكمال ج١١ رقم٢٥٢٥ ص٤٤٤ ـ ٤٤٦).

وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي، وقال أحمد بن حنبل: الشيباني أهل أن لا ندع له شيئاً. وقال ابن عبد البر: ثقة حجة عند جميعهم. وقال الذهبي في التذكرة: متفق على ثقته. (معرفة الثقات ج١ رقم٦٦٧ ص٤٢٩؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم٥٩٢ ص١٣٥؛ تهذيب الكمال ج١١ ص٤٤٤ ـ ٤٤٦؛ تذكرة الحفاظ ج١

الحديث الثالث: أخرج الحاكم والخطيب البغدادي بإسنادهما عن أسامة بن زيد، في حديث أنه انطلق جعفر وعليٌّ عليهما السلام وزيد بن حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلوا، فقالوا يا رسول الله: جئناك نسألك مَن أحب الناس إليك؟ قال: فاطمة.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم[1].

الحديث الرابع: أخرج الضحاك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما بإسنادهم عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أسامة أحب الناس إليَّ ما حاشا فاطمة عليها السلام ولا غيرها[2].

أقول: وهذا الحديث ينفع لِمَا نحن بصدد إثباته، فهو حجة لنا عليهم في أن

رقم١٤٧ ص١٥٣ ؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم٣٣٤ ص١٧٢ ـ ١٧٣).

٥ ــ جميع بن عمير التيمي.

قال المزي: جميع بن عمير، روى عن عائشة، روى عنه أبو الجحاف داود بن أبي عوف، وسليمان أبو إسحاق الشيباني. (تهذيب الكمال ج٥ رقم٩٦٦ ص ١٢٤ـ ١٢٥).

وثقه العجلي، وقال أبو حاتم: من عتق الشيعة، ومحله الصدق، صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق. ووثقه الترمذي والحاكم في المستدرك حيث صححا حديثه. (سنن الترمذي ج٥ ح٣٧٥٢ ص٢٧٥ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥٤ و١٥٧ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم٢٢٩ ص٢٧٢ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٢٢٠٨ ص٥٣٢ ؛ الثقات ج٤ ص١١٥ ؛ تهذيب الكمال ج٥ ص ١٢٤ـ ١٢٥ ؛ تقريب التهذيب ج١ رقم ٩٧٠ ص١٦٥).

أقول: ومن يلحظ كلماتهم في جميع بن عمير يقف على أن تضعيف من ضعفه يرجع إلى كونه شيعياً وقد صرحوا بذلك، ولكن حيث قد روى الحديث أبو إسحاق الشيباني، فإن كلام أحمد بن حنبل ـ حيث ذكر أن الشيباني أهلٌ أن لا ندع له حديثاً ـ يكفي حجة لنا في المقام.

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٢١٧ ؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٦٤٥ ص٦٣.

(٢) الآحاد والمثاني لضحاك ج١ ح٤٤٦ ص٣٢٥ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٩٦ ؛ المعجم الكبير ج١ ح٣٧٢ ص١٥٩؛ تاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٥٥ ـ ٥٨.

سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام كانت أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله، وفي أن أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة على ما زعموه، ورجال سند الحديث ثقات، وجميعهم من رجال البخاري ومسلم، حيث رواه الضحاك عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن موسى بن عقبة، ورواه أحمد بن حنبل عن عبد الصمد، عن حماد، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر[1].

---

(١) أما حماد ابن سلمة فقد تقدم بيان حاله في حاشية الحديث الرابع من الطائفة الثانية، وقد قال المزي: حماد بن سلمة، روى عنه عبد الصمد بن عبد الوارث. (تهذيب الكمال ج٧ رقم١٤٨٢ ص٢٥٣ ـ ٢٥٨).

١ ـ **هدبة بن خالد**، شيخ البخاري. (صحيح البخاري ج١ ص١٤٤ وج٢ ص١٩٩ وج٤ ص٣٥ و٧٧ و١٢٥ و١٣٧و٢٤٨ وج٥ ص٦٢ وج٦ ص١٠٧ و٢٠٦ وغير ذلك).

قال المزي: هدبة بن خالد بن الأسود، روى عن حماد بن سلمة، روى عنه البخاري، ومسلم، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم. (تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٥٥٣ ص١٥٢ ـ ١٥٣).

وثقه ابن معين، وأبو يعلى، والعجلي، ومسلمة بن القاسم. وقال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن قانع: صالح. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن عدي أيضاً: استغنيت أن أخرج له حديثاً لأني لا أعرف له حديثاً منكراً فيما يرويه، وهو كثير الحديث، وقد وثقه الناس، وهو صدوق لا بأس به. وقال الذهبي: الحافظ الصادق. (سؤالات الآجري لأبي داود ج٢ رقم١٤٤١ ص١٥٤ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٨٨٦ ص٣٢٥ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم٤٨٤ ص١١٤ ؛ الثقات ج٩ ص٢٤٦ ؛ التعديل والتجريح ج٣ رقم١٤١٨ ص١٣٥٢ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٤٧٦ ص٤٦٥ ؛ تهذيب الكمال ج٣٠ رقم٦٥٥٣ ص١٥٢ ـ ١٥٦ ؛ سير أعلام النبلاء ج١١ رقم٣٠ ص٩٧ ـ ١٠٠ ؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٥٩٤٢ ص٣٣٤ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٥٣ ص٢٤ ـ ٢٥ ؛ تقريب التهذيب ج٢ ص٢٦٣).

٢ ـ **عبد الصمد بن عبد الوارث**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٣٢ و٥١ و٦٨ وج٢ ص١٤٩ وج٤ ص٢٢٢ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٧ و٦٦ و٧٠ و٧٣ و٨٤ و١٣٧).

قال المزي: عبد الصمد بن عبد الوارث، روى عن حماد بن سلمة، روى عنه أحمد بن حنبل. (تهذيب الكمال ج١٨ رقم٣٤٣١ ص٩٩ ـ ١٠١).

وثقه العجلي، وابن سعد، والحاكم، وابن قانع، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث. وقال علي بن المديني: عبد الصمد ثبت في شعبة.

الحديث الخامس: أخرج النسائي، والحاكم، وابن عساكر بإسنادهم عن عبد الله بن بريدة، قال: جاء رجل إلى أبي، فسأله أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: من النساء فاطمة عليها السلام، ومن الرجال علي عليه السلام. قال

وقال الذهبي: الحافظ الحجة. وقال في السير: الإمام، الحافظ، الثقة. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٠٠؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١١٠٠ ص٩٥؛ تهذيب الكمال ج١٨ ص٩٩ ـ ١٠٢؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٣٢٨ ص ٣٤٤؛ سير أعلام النبلاء ج٩ رقم١٩٨ ص٥١٦؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٣٣٧٦ ص ٦٥٣؛ تهذيب التهذيب ج٦ رقم٦٣٢ ص٢٩١ ـ ٢٩٢؛ تقريب التهذيب ج١ ص٦٠١).

٣ ـ **موسى بن عقبة** من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج١ ص٤٤ و٥٣ و١٢٤ و١٢٨ و١٧٨ وج٢ ص٣٧ و٩٠ و١٠٣ وج٣ ص٣٣ و٣٧ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص٦٦ و٧٥ و٧٨ و٩٦ و١٨٨ وج٣ ص٦٢ و٧٠ و٨٩ و١٧٤ وج٤ ص٧).

قال المزي: موسى بن عقبة، روى عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. (تهذيب الكمال ج٢٩ رقم٦٢٨٢ ص١١٥ ـ ١١٦).

وثقه مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي، وابن سعد، وغيرهم. (العلل لأحمد بن حنبل ج٢ رقم٣١٢٥ ص٤٧٧؛ معرفة الثقات ج٢ رقم ١٨٢٠ ص٣٠٥؛ الجرح والتعديل للرازي ج٨ رقم٦٩٣ ص١٥٤؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٥٨٤ ص١٣١؛ الثقات ج٥ ص٤٠٤؛ تهذيب الكمال ج٢٩ رقم٦٢٨٢ ص١١٥ ـ ١٢١).

٤ ـ **سالم بن عبد الله** بن عمر بن الخطاب من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٤٤ و١٤٥ وج٣ ص١٠٠ وج٤ ص١٩٣ وج٥ ص١٤٥؛ صحيح مسلم ج٤ ص٧ و٨ و١٠٦ وج٧ ص١١٤ و١٣١).

قال المزي: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، روى عن أبيه عبد الله بن عمر، روى عنه موسى بن عقبة. (تهذيب الكمال ج١٠ رقم٢١٤٩ ص١٤٥ ـ ١٤٨).

وثقه العجلي، وابن سعد وغيرهما، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: كان يُشبَّه بعمر بن الخطاب في الهدى والسمت. وقال مالك: لم يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل. وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: أصح الأسانيد: الزهري، عن سالم، عن أبيه. وقال الذهبي: الفقيه الحجة، أحد من جمع بين العلم، والعمل، والزهد، والشرف. (معرفة الثقات ج١ رقم٥٤١ ص٣٨٣ مشاهير علماء الأمصار رقم٤٣٨ ص١٠٨؛ الثقات ج٤ ص٣٠٥؛ تهذيب الكمال ج١٠ ص١٤٥ ـ ١٥٣؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٧٧ ص٨٨؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٧٧٣ ص٤٢٢؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم٨٠٧ ص٣٧٨ ـ ٣٧٩).

الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد[1].

أقول: مضافاً لتصحيح الحاكم للحديث، نُبيِّن وثاقة رجاله، فقد رواه النسائي عن زكريا بن يحيى، عن إبراهيم بن سعيد، عن شاذان، عن جعفر الأحمر، عن عبد الله بن عطاء، عن ابن بريدة، عن أبيه[2].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٥ رقم٨٤٩٨ ص١٤٠ ؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص١١٠ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥٥ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٦٠.

(٢) أما بريدة وهو ابن الحصيب فمن الصحابة.

١ ـ زكريا بن يحيى.

قال المزي: زكريا بن يحيى السجزي، أبو عبد الرحمان المعروف بخياط السنة، روى عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، روى عنه النسائي وهو من أقرانه. (تهذيب الكمال ج٩ رقم١٩٩٨ ص٣٧٤ ـ ٣٧٧).

قال النسائي في سننه: حدثنا زكريا بن يحيى السجزي يعرف بخياط السنة أحد الثقات. وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي: كان ثقة حافظاً. وقال الذهبي في السير: خياط السنة، الإمام الحافظ، المجود الرحال، أبو عبد الرحمن، زكريا بن يحيى السجزي، كان واسع الرحلة، متبحراً في الحديث، وثقة النسائي وغيره. وقال أيضاً في التذكرة: خياط السنة الحافظ الكبير الثقة أبو عبد الرحمن زكريا بن يحيى. وقال ابن حجر: ثقة حافظ. (سنن النسائي ج٢ ص٢٣٧ ؛ تهذيب الكمال ج٩ رقم١٩٩٨ ص٣٧٤ ـ ٣٧٨ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٦٧٣ ص٦٥٠ ؛ سير أعلام النبلاء ج١٣ رقم٢٥٢ ص٥٠٧ ـ ٥٠٨ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٦٤٨ ص٤٠٥ ؛ تهذيب التهذيب ج٣ رقم٦٢٢ ص٢٨٨ ـ ٢٨٩ ؛ تقريب التهذيب ج١ رقم٢٠٣٣ ص٣١٤).

٢ ـ إبراهيم بن سعيد الجوهري. شيخ مسلم وابن خزيمة في صحيحهما، ومن رجال صحيح ابن حبان، وهو شيخ الترمذي وقد صحح حديثه في سننه. (صحيح مسلم ج١ ص٤٨ وص١٣٢ وج٥ ص١٧٦ وج٧ ص٦٥ ؛ صحيح ابن خزيمة ج٢ ص١٩٢ وص٢٧٨ وج٤ ص١٣٢ ؛ صحيح ابن حبان ج٤ ص٢٧ وج٨ ص٢٠٢ وج٩ ص٤٦٠ وص٤٧٠ وج١٠ ص٣١٦ وص٥١٢ ؛ سنن الترمذي ج١ ح٣٩ ص٢٩ وج٣ ح٢١٠٤ ص٢٥٦ وح٢٣٩٤ ص٣٧٠ وج٤ ح٢٦١٩ ص٧١).

قال المزي: إبراهيم بن سعيد الجوهري، روى عن الأسود بن عامر شاذان، روى عنه زكريا بن يحيى السجزي. (تهذيب الكمال ج٢ رقم١٧٦ ص٩٥ ـ ٩٦).

وثقه النسائي. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال هارون بن يعقوب الهاشمي: سمعت أبي سأل أحمد بن حنبل عن إبراهيم بن سعيد؟ قال: لم يزل يكتب الحديث قديماً، قلت: فأكتب عنه؟ قال: نعم. وقال ابن

أبي حاتم: سمعت أبي يقول: كتبت عنه، وكان يذكره بالصدق. وقال الخطيب البغدادي: كان مكثراً ثقة ثبتاً صنف المسند. وقال ابن حجر: وقد وثقه الدارقطني، والخليلي، وابن حبان، وغيرهم. (الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٢٩٤ ص١٠٤ ؛ الثقات ج٨ ص٨٣ ؛ تاريخ بغداد ج٦ رقم٣١٢٧ ص ٩٠ ـ ٩٣ ؛ تهذيب الكمال ج٢ رقم١٧٦ ص٩٥ ـ ٩٧ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٥٣٢ ص٥١٥ ؛ سير أعلام النبلاء ج١٢ رقم٥٣ ص١٤٩ ؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٢١٨ ص١٠٧ ـ ١٠٨).

٣ ـ **أسود بن عامر**، من رجال البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص١٢٧ وج٤ ص٢٠٣ وج٥ ص٦٦ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٣٧ وج٤ ص٢٥ و١٧٤ وج٧ ص٩٥).

قال المزي: الأسود بن عامر شاذان، روى عن جعفر بن زياد الأحمر، روى عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري. (تهذيب الكمال ج٣ رقم٥٠٣ ص٢٢٦).

وثقه أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني. وقال أبو حاتم: صدوق صالح، وقال ابن معين: لا بأس به، وقال ابن سعد: صالح الحديث. وقال الذهبي: الإمام الحافظ الصدوق، وثقه ابن المديني وغيره. (الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم١٠٧٩ ص٢٩٤ ؛ تهذيب الكمال ج٣ ص٢٢٧ ؛ سير أعلام النبلاء ج١٠ رقم١٠ ص١١٢ ـ ١١٣ ؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم ٦١٩ ص٢٩٧).

٤ ـ **جعفر بن زياد الأحمر.**

قال المزي: جعفر بن زياد الأحمر، روى عن عبد الله بن عطاء، روى عنه الأسود بن عامر شاذان. (تهذيب الكمال ج٥ رقم٩٤١ ص ٣٨ ـ ٣٩).

وثقه ابن معين، والعجلي، ويعقوب بن سفيان، ويعقوب الفسوي، وعثمان بن أبي شيبة، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو داود وأبو زرعة: صدوق. وقال أحمد بن حنبل: صالح الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن عدي: صالح شيعي. وقال الأزدي: حديثه مستقيم. وقال الدارقطني: يُعتبر به. (سؤالات الآجري ج٢ رقم ١٨٧٣ ص٢٨٧ ؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٣ رقم٤٧٢٢ ص١٦١ ؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم ١٢٨٣ ص١٩٩ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم ٢٢٠ ص٢٦٩ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم١٩٥٢ ص ٤٨٠ ؛ تاريخ أسماء الثقات رقم ١٦٢ ورقم١٦٤ ص٥٥ ؛ تاريخ بغداد ج٧ رقم٣٦٠٥ ص١٦١ ـ ١٦٤ ؛ تهذيب التهذيب ج٢ رقم١٤٢ ص٧٩ ـ ٨٠).

٥ ـ **عبد الله بن عطاء** من رجال صحيح مسلم. (صحيح مسلم ج٣ ص١٥٦ وص١٥٧ وج٨ ص٤٦).

قال المزي: عبد الله بن عطاء، روى عن سليمان بن بريدة، وعبد الله بن بريدة، روى عنه جعفر بن زياد الأحمر. (تهذيب الكمال ج١٥ رقم٣٤٢٩ ص ٣١١ ـ ٣١٢).

وثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: صدوق. وقال الترمذي معقِّباً على حديث لعبد الله بن عطاء يرويه عن ابن بريدة عن أبيه: هذا حديث حسن صحيح لا يعرف من حديث بريدة إلا

الحديث السادس: أخرج ابن عدي وغيره بإسنادهم عن معاوية بن ثعلبة، قال: جاء رجل إلى أبي ذر وهو جالس في المسجد وعليٌّ عليه السلام يصلي أمامه، فقال: يا أبا ذر ألا تحدثني بأحب الناس إليك، فوالله لقد علمتُ أنَّ أحبهم إليك أحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أجل، والذي نفسي بيده إنَّ أحبهم إلي أحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هو ذاك الشيخ، وأشار إلى عليٍّ عليه السلام[1].

أقول: ورجال الحديث ثقات[2].

من هذا الوجه، و عبد الله بن عطاء ثقة عند أهل الحديث. وعده الحاكم في معرفة علوم الحديث من الأئمة الثقات المشهورين. (سنن الترمذي ج٢ ح٦٦٢ ص٨٩؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم١٥١١ ص٢٣٣ وج٢ رقم٤٧٨٤ ص٢٧٧؛ الثقات ج٧ ص٤١؛ تاريخ أسماء الثقات رقم٦٢٢ ص١٢٥؛ تهذيب الكمال ج١٥ ص ٣١١ ـ ٣١٣؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٢٨٦٠ ص٥٧٤؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم٥٥١ ص٢٨١ ـ ٢٨٢).

٦ ــ **ابن بريدة هو عبد الله** كما وقع التصريح بذلك في المستدرك، من رجال صحيحي البخاري ومسلم. (صحيح البخاري ج١ ص١٤٠ وص١٥٤ وج٢ ص٤٠ وص٩١؛ صحيح مسلم ج١ ص٢٨ وص٢٩ وج٢ ص١٩٢ وص٢١٢).

قال المزي: عبد الله بن بريدة، روى عن أبيه بريدة بن الحصيب، روى عنه عبد الله بن عطاء المكي. (تهذيب الكمال ج١٤ رقم٣١٧٩ ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠).

وثقه ابن معين وأبو حاتم والعجلي وغيرهم، وذكره ابن حبان في المشاهير. وقال الحاكم في معرفة علوم الحديث: أثبت أسانيد الخراسانيين الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه. وقال الذهبي في التذكرة: متفق على الاحتجاج به. (معرفة الثقات ج٢ رقم٨٥٧ ص٢٢؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم٦١ ص١٣؛ معرفة علوم الحديث ص٥٦؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٩٨٣ ص٢٠٢؛ التعديل والتجريح ج٢ رقم٧٨٦ ص٩٠٥؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٩٥ ص١٠٢).

(١) الكامل لابن عدي ج٣ ص٨٣؛ التاريخ الكبير للبخاري ج٧ رقم١٤٣١ ص٣٣٣؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٦٤؛ المناقب للخوارزمي ح٤٣ ص٦٩؛ ذخائر العقبى ص٦٣.

(٢) رواه ابن عدي عن شيخه عبد الله بن سليمان بن الأشعث، عن عباد بن يعقوب، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبي الجحاف داود، عن معاوية بن ثعلبة

١ ــ **عبد الله بن سليمان بن الأشعث.**

قال الخطيب: كان ابن أبي داود يُتهم بالانحراف عن عليٍّ عليه السلام والميل عليه.

أقول: مضافاً إلى حكاية كونه ممن نصب العداء لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد قال ابن عدي: سمعت علي بن عبد الله الداهري يقول: سألت بن أبي داود بالري عن حديث الطير؟ فقال: إن صح حديث الطير فنبوة النبي صلى الله عليه وآله باطلة، لأنه حكى عن حاجب النبي صلى الله عليه وآله خيانة وحاجب النبي صلى الله عليه وآله لا يكون خائناً.

أقول: حاجب النبي إذا كان خائناً فتبطل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، ولكن أن يكون النبي شتاماً سباباً، مسحوراً، ناسياً لآيات من كتاب ربه، لا حياء له ولا حشمة عنده، يتقلّب بالباطل، شاكاً في نبوته، متردداً في رؤياه، محاولاً الانتحار مرات ومرات وغير ذلك مما مر من جملة ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الصحاح وسائر الكتب برواية أعلام الثقات عن عائشة.

أقول: أن يكون النبي كذلك فلا تبطل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله. ولكن أن يكون أنس بن مالك خائناً فلا يفتح الباب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا أن جاء وقد كان دعا النبي صلى الله عليه وآله: اللهم ائتني بأحب الخلق إليك ليأكل معه من الطير، أقول: اتهام أنس بن مالك بالخيانة مبطل لنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن أن ينسبوا النبي صلى الله عليه وآله إلى الباطل في الفكر والقلب والقول والعمل، فإن هذا لا بأس به البتة!!

أقول: وقد اضطررنا هنا لننقل هذا الذي أثبته ابن عدي وغيره من كون ابن أبي داود مبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام، لغرض التدليل على غاية اعتبار حديثه عن أبي ذر بأن علياً عليه السلام كان أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله.

ومهما يكن، فإن الأشعث قد وثقه ابن حبان فإنه شيخه في صحيحه، ووثقه الدارقطني، والذهبي، وابن حجر. وقال أبو حامد بن أسد: ما رأيت مثل عبد الله بن سليمان بن الاشعث يعني في العلم وذكر كلاماً كثيراً. وقال أبو الفضل صالح بن أحمد: أبو بكر عبد الله بن سليمان إمام العراق، وعلم العلم في الأمصار، وكان في وقته ببغداد مشائخ أسند منه، ولم يبلغوا في الإصابة والإتقان ما بلغ. وقال الخطيب الغدادي: كان فهماً عالماً حافظاً. وقال عيسى بن على بن عيسى الوزير وقد سئل لا نراك تذكر أبا بكر بن أبي داود؟ فقال: ليته إذا مضينا إلى داره كان يأذن لنا في الدخول إليه والقراءة عليه. وقال محمد بن عبد الله بن الفتح بن الشخير: كان زاهداً عالماً ناسكاً.

وقال الخليلي: حافظ، إمام وقته، عالم، متفق عليه. وقال السمعاني في الأنساب: كان من أهل الفقه، والعلم، والإتقان. وقال الذهبي: الحافظ، العلامة، قدوة المحدثين. وقال أيضاً: كان أبو بكر من كبار الحفاظ وأئمة الاعلام، حتى قال الخطيب: سمعت الحافظ أبا محمد الخلال يقول: كان أبو بكر أحفظ من أبيه أبي داود. (تاريخ أسماء الثقات رقم١٤٦٨ ص٢٣٩ ؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٥٠٩٥ ص٤٧١ ـ ٤٧٥ ؛ صحيح ابن حبان

ج١ ص٥١٤ وج٣ ص٢٦٥ وج١٢ ص٣٦٥ وج١٣ ص٧٥ وج١٥ ص١١٣ وج١٦ ص٤٨٦ ؛ الأنساب ج٣ ص٢٢٥ ؛ تذكرة الحفاظ ج٢ رقم٧٦٨ ص٧٦٧ ـ ٧٧٢ ؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٤٣٦٨ ص٤٣٣ ـ ٤٣٦ ؛ لسان الميزان ج٣ رقم١٢٣٨ ص٢٩٣ ـ ٢٩٧).

ثم إن ابن عدي اعتذر عن ذكره له في كتابه الكامل ـ فإنه يذكر فيه الضعفاء أو من ورد فيه جرح أو قدح ـ قائلاً: لولا شرطنا أول الكتاب أن كل من تكلم عنه متكلم ذكرته في كتابي هذا وابن أبي داود قد تكلم فيه أبوه وإبراهيم الأصبهاني، ونسب في الابتداء إلى شيء من النصب، وهو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فيه، فلا أدري أيش تبين له منه. (الكامل لابن عدي ج٤ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦).

وقال الذهبي في التذكرة ـ بعد أن حكى عن أبي داود قوله في ابنه أنه كذاب ـ: وأما قول أبيه فيه، فالظاهر أنه إن صح عنه، فقد عنى أنه كذاب في كلامه، لا في الحديث النبوي، وكأنه قال هذا وعبد الله شاب طري ثم كبر وساد. (تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧٧٢)

أقول: ولا شبهة أن كلام ابن عدي يفيد أنه كان يرى ابن أبي داود صحيح الحديث ثقة، وإلا فلا معنى لكلامه هذا من جهة، ولا معنى لاعتماده عليه في كتابه فإنه شيخه فيه في كثير من الموارد منها: (الكامل لابن عدي ج١ ص٣١ وص١٠٦ وص١٦٠ وص١٧٩ وص٢٢٥ وص٢٢٧ وج٢ ص٧٠ و ٧٤ وص٧٨ وص٢٦٩ وص٢٨٩ وص٢٩٣ وص٣٠٢ وص٣١٧ وص٣٦٣ وص٣٩٤ وج٣ ص٨٣ وص٨٩ وص٩١ وص٩٧ وص٩٨ وص١٢٩ وص١٦٤ وص١٧٧ وص١٨٨ وص٢٢٠ وص٢٥٧ وص٢٦٦ وص٢٩٥ وج٤ ص٢٣٣ وص٢٨١ وص٣٤٧ وج٦ ص٢٠٦ وج٧ ص٩ وص٩٢ وص٢٧٢ وص٢٧٢).

٢ ـ عباد بن يعقوب.

قال المزي: عباد بن يعقوب، عن علي بن هاشم بن البريد، روى عنه أبو بكر عبدالله بن أبي داود. (تهذيب الكمال ج١٤ رقم٣١٠٤ ص١٧٥ ـ ١٧٧).

قال أبو حاتم: شيخ ثقة. وقال أبو بكر بن خزيمة في صحيحه: أخبرنا عباد بن يعقوب المتهم في رأيه الثقة في حديثه. ووثقه الحاكم أيضاً حيث صحَّح حديثه في المستدرك. وقال ابراهيم ابن أبي بكر بن أبي شيبة: لولا رجلان من الشيعة ما صحَّ لهم حديث، عباد بن يعقوب وابراهيم بن محمد بن ميمون. وقال الدارقطني: شيعي صدوق. وقال السمعاني في الأنساب: روى عنه جماعة من مشاهير الأئمة مثل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، لأنه لم يكن داعية إلى هواه. وقال الذهبي: من غلاة الشيعة ورؤوس البدع، لكنه صادق في الحديث. وقال ابن حجر في التقريب: صدوق رافضي، حديثه في البخاري مقرون، بالغ ابن حبان فقال: يستحق الترك.(صحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٧٦ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٩٢ وص٦٢٠ ؛ الأنساب ج٣ ص٩٥ ؛ تهذيب الكمال ج١٤ ص١٧٥ ـ ١٧٨ ؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٤١٤٩ ص٣٧٩ ـ ٣٨٠ ؛ تهذيب التهذيب ج٥ رقم١٨٣ ص ٩٥ ـ ٩٦ ؛ تقريب التهذيب ج١ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠).

٣ ـ علي بن هاشم بن البريد.

قال المزي: علي بن هاشم بن البريد، روى عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف، روى عنه عباد بن يعقوب الرواجني. (تهذيب الكمال ج٢١ رقم٤١٤٧ ص١٦٣ ـ ١٦٥).

وثقه ابن معين، وعلي بن المديني ، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، والهيثمي. وقال أبو داود: أهل بيت تشيع، وليس ثمَّ كَذِب. وقال أحمد بن حنبل: ما أرى به بأساً. وقال علي بن المديني: كان صدوقاً. وقال أبو حاتم: كان يتشيع، يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: صدوق. وقال ابن سعد وهو صالح الحديث صدوق. وقال النسائي: ليس به بأس. قال ابن عدي: حدَّث عنه جماعة من الأئمة، وهو إن شاء الله صدوق في روايته. وذكره ابن حبان في الثقات وفي المشاهير. (سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٣٢ ص١٥٨ ورقم٣٠٥ ص٢٣٦ ؛ الطبقات الكبرى ج٦ ص٣٩٢ ؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم١٢٩٢ ص٢٠٠ ؛ العلل لأحمد بن حنبل ج٢ رقم٣٢٢٥ ص٤٩٠ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٣١٤ ص١٥٩ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم١١٣٧ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٣٥٩ ص٢٧٠ ؛ تاريخ بغداد ج١٢ رقم٦٥٦١ ص١١٥ ـ ١١٨ ؛ الثقات ج٧ ص٢١٣ ؛ الكامل لابن عدي ج٥ ص١٨٣ ؛ مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٧ ؛ تهذيب الكمال ج٢١ ص١٦٣ ـ ١٦٧ ؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٦٣٤ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

٤ ـ أبو الجحاف

قال المزي: داود بن أبي عوف أبو الجحاف الكوفي، روى عن معاوية بن ثعلبة، روى عنه علي بن هاشم بن البريد. (تهذيب الكمال ج٨ رقم١٧٧٩ ص٤٣٤ ـ ٤٣٥).

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه الحاكم أيضاً حيث صحح في المستدرك حديثه. وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال النسائي: ليس به بأس. وقال عبد الله بن داود: كان سفيان يُوثِّقه ويُعظِّمه. (المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٢٣ وص١٤٩ وص١٧٧ ؛ سؤالات الآجري لأبي داود ج١ رقم٣٧٤ ص٢٦٣ ؛ العلل لأحمد بن حنبل ج١ رقم١١٢١ ص٤٨٧ وج٢ رقم٢٦١٣ ص٣٦٤ ؛ التاريخ الكبير ج٣ رقم٧٩٠ ص٢٣٣ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٣ رقم١٩٢٢ ص٤٢١ ـ ٤٢٢ ؛ الثقات ج٦ ص٢٨٠ ؛ تهذيب الكمال ج٨ ص٤٣٤ ـ ٤٣٦ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم١٤٥٧ ص٣٨١).

هذا وقد قال ابن عدي: وهو من غالية أهل التشيع، وعامة حديثه في أهل البيت عليهم السلام، ولم أرَ لمن تكلم في الرجال فيه كلاماً، وهو عندي ليس بالقوي، ولا ممن يحتج به في الحديث. (الكامل لابن عدي ج٣ ص٨٣). أقول: اجتهاد ابن عدي مردود بشهادته أنه مخالف شاذ، ويكفي توثيق مَن ذكرناه حجة لنا، فإنهم الأئمة في هذا المجال عندهم.

٥ ـ معاوية بن ثعلبة.

وثقه الحاكم في المستدرك حيث صحح حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات. ووثقه أيضاً الهيثمي في

الحديث السابع: أخرج أبو داود والترمذي والحاكم وغيرهما بإسنادهم عن أسامة بن زيد، في حديث أن علياً عليه السلام والعباس سألا النبي صلى الله عليه وآله، قالا: يا رسول الله، أي أهلك أحب إليك؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد[1].

وأخرج الطبراني بإسناده عن أسامة بن زيد، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: أحب أهلي إلي فاطمة عليها السلام[2].

أقول: ورجال الحديث ثقات[3].

الزوائد، فإن حديث أبي ذر الذي ذكره الهيثمي هو رواية معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر، كما في التاريخ الكبير، والمستدرك، وكامل ابن عدي، وتاريخ مدينة دمشق. وقال ابن حجر في الإصابة: ذكره الإسماعيلي في الصحابة، وقال: لا أدري له صحبة أو لا.

أقول: وذكره البخاري في تاريخه، وترجم له ابن أبي حاتم في كتابه، ولم يرد أي ذم أو قدح فيه، وبعد توثيق ابن حبان والحاكم والهيثمي له مضافاً إلى احتمال كونه من الصحابة، وعدم ورود أي جرح فيه، فإن وثاقته لا مرية فيها. (المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٢١ و١٢٣ و١٢٨ و١٤٦؛ التاريخ الكبير ج٧ رقم١٤٣١ ص٣٣٣؛ الجرح والتعديل ج٨ رقم١٧٣٣ ص٣٧٨؛ الثقات ج٥ ص٤١٦؛ الكامل لابن عدي ج٣ ص٨٣؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٠٧؛ مجمع الزوائد ج٩ ص١٣٥؛ الإصابة ج٦ رقم٨٦٠٤ ص٢٨٦).

(١) مسند أسامة بن زيد ص٦٠؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٠٨ ص٣٤٢؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤١٧؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٨٨؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٥٠ ص٣٥٩؛ المعجم الكبير ج١ ح٣٦٩ ص١٥٨؛ تاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٥٤؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٩٩.

(٢) المعجم الكبير ج٢٢ ص٤٠٣.

(٣) فقد روى الحديث الأول أبو داود عن أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، وروى الحديث الثاني الطبراني عن زكريا بن يحيى الساجي، عن خالد بن يوسف السمتي، عن أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد.

أما أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف فقد تقدم بيان حاله في حاشية الحديث الأول من الطائفة

الخامسة، وقد قال المزي: أسامة بن زيد بن حارثة، روى عن النبي ﷺ، روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.(تهذيب الكمال ج٢ رقم٣١٦ ص٣٣٨ ـ ٣٤٠).

وقال المزي أيضاً: أبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف، روى عن أسامة بن زيد، روى عنه ابنه عمر بن أبي سلمة. (تهذيب الكمال ج٣٣ رقم٧٤٠٩ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٣).

١ ـ أبو عوانة.

قال المزي: الوضاح بن عبد الله اليشكري، أبو عوانة، روى عن عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، روى عنه أبو داود الطيالسي. (تهذيب الكمال ج ٣٠ رقم٦٦٨٨ ص٤٤١ ـ ٤٤٥).

وثقه يحيى بن معين، وأبو حاتم، والعجلي، وأبو زرعة، وغيرهم، بل قال الذهبي في الميزان: مجمع على ثقته. (معرفة الثقات للعجلي ج٢ رقم١٩٣٧ ص٣٤٠ ؛ تاريخ ابن معين للدارمي رقم٦٦٦ ص١٨٥ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم ١٧٣ ص٤٠ ـ ٤١ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٢٦٤ ص٢٥٢ ؛ تهذيب الكمال ج ٣٠ ص٤٤٦ ـ ٤٤٨ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٢٢٣ ص٢٣٦ ـ ٢٣٧ ؛ ميزان الاعتدال ج٤ رقم ٩٣٥٠ ص٣٣٤).

٢ ـ عمر بن أبي سلمة

قال المزي عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف، روى عن إسحاق عن أبيه، روى عنه أبو عوانة. (تهذيب الكمال ج٢١ رقم٤٢٤٧ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

قال أحمد بن حنبل: صالح، ثقة. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: ليس به بأس. وقال الدوري سألت ابن معين عن حديث من حديثه، فقال: صحيح، وسألته عن آخر، فاستحسنه. وقال أبو حاتم: هو عندي صالح صدوق في الأصل. وقال العجلي: لا بأس به. وقال ابن أبي خيثمة: صالح. وقال ابن عدي: متماسك الحديث، لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات، بل وفي المشهورين أيضاً. وقال ابن حجر: قال البخاري في التاريخ: صدوق إلا أنه يخالف في بعض حديثه. وقال أيضاً: قال البرقي: وأكثر أهل العلم بالحديث يثبتونه. هذا وقد صحّح حديثه الترمذي في سننه، والحاكم في المستدرك، وهو توثيق منهما له.

ثم إن ابن عساكر أخرج في تاريخ مدينة دمشق بإسناده عن أبي بكر بن أبي خيثمة، قال: وسئل يحيى مرة أخرى عن عمر بن أبي سلمة، فقال: روى عنه هشيم ضعيف الحديث، قال أبو بكر: يعني هشيماً ضعيف الحديث عنه، أي رآه رؤية ضعيفة.

أقول: وإذا أضفنا هذا إلى ما رواه الدوري، وعليه فلا يكون ابن معين إلا موثقاً لابن أبي سلمة، فإن يعقوب بن أبي شيبة قد نقل عن ابن معين تضعيفه له قائلاً: قال يحيى بن معين: عمر بن أبي سلمة الذي

روى عنه هشيم ضعيف، وبقرينة ما ذكره ابن أبي خيثمة والدوري عن ابن معين، يكون ما فهمه ابن أبي شيبة في غير محله، أو أن في المنقول عنه تحريفاً.

إذ بعد تصحيح ابن معين لحديث ابن أبي سلمة كما ذكر ذلك الدوري، قال ابن معين للدوري: تدري من عمر بن أبي سلمة هذا؟ هذا الذي روى عنه هشيم، قلت: ليحيى روى عنه سعد بن إبراهيم، قال: نعم. وقال الدوري: ذاكرت يحيى بن معين حديث سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عمر بن أبي سلمة؛ فاستحسنه وقال: هذا أيضاً عمر بن أبي سلمة الذي روى عنه هشيم.

وأنت إذا تأملت الكلام المنقول عن ابن معين يتضح لك عدم صحة ما ذكره ابن أبي شيبة عنه، بقرينة ما ذكره عنه ابن أبي خيثمة من أنه لا بأس به تارة، ومن أن قوله ضعيف الحديث راجع إلى هشيم في روايته عنه، وهذا المعنى أيده ووافقه عليه الدوري بنحو لا لبس فيه.

هذا وإن الظاهر لكل متتبع أن تضعيف من ضعَّف ابن أبي سلمة قد تبع في ذلك شعبة، ولكنه قال أبو داود: شعبة لم يروِ عن عمرو بن أبي سلمة، لأنه كان يخضب بالسواد.

أقول: وكون شعبة لم يروِ عن ابن أبي سلمة للسبب الذي ذكره أبو داود لا يفيد عدم وثاقته، وعليه فتسقط شهادة شعبة عن الاعتبار بعد الوقوف على الحجة فيها، وتسلم بقية التوثيقات لابن أبي سلمة عن المعارِض، وأئمة التعديل عندهم ابن معين وابن حنبل، ومن أئمة القدح والجرح عندهم ابن عدي وابن حبان، وقد وثقوه أربعتهم، ولم يضعفه أحد من هؤلاء الأربعة، بغض النظر عن بقية الشهادات، كشهادة العجلي، والترمذي والحاكم وغيرهم. (سؤالات الآجري لأبي داود ج٢ رقم١٢٧٩ ص١١٢؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم١٣٧١ ورقم١٣٧٢ ص٢١٢؛ التاريخ الكبير ج٦ رقم٢٠٥٤ ص١٦٦؛ الجرح والتعديل للرازي ج٦ رقم٦٣٥ ص١١٧ ـ ١١٨؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١٣٤٩ ص١٦٨؛ الثقات ج٧ ص١٦٤؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١٠٤٥ ص٢١٣؛ تاريخ أسماء الثقات رقم٧١١ ص١٣٦؛ الكامل لابن عدي ج٥ ص٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٧٤؛ تهذيب الكمال ج٢١ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم ٧٦٠ ص٤٠١ ـ ٤٠٢؛ سنن الترمذي ج٢ ح١٠٦١ ص٢٥٩ وج٣ ح١٨٠٥ ص١٤٤؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤١٧ وج٤ ص١٠٠).

٣ ـ زكريا بن يحيى الساجي.

وثقه ابن أبي حاتم، ومسلمة بن القاسم، وابن حجر، وصحح حديثه الحاكم في المستدرك. وقال الذهبي في السير: الساجي، الإمام الثبت، الحافظ، محدث البصرة، وشيخها، ومفتيها ، أبو يحيى، حدَّث عنه أبو القاسم الطبراني، وكان من أئمة الحديث.

وقال الذهبي أيضاً في الميزان: زكريا بن يحيى الساجي البصري، أحد الأثبات، ما علمت فيه جرحاً أصلاً، وقال أبو الحسن بن القطان: مختلف فيه في الحديث، وثقه قوم وضعفه آخرون. قال ابن حجر: ولا

أقول: وبهذا نكون قد انتهينا من مناقشة أحاديث كون عائشة وأبيها أحب الناس إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

الجواب عن الفضيلة الخامسة:

وأما الجواب عن الفضيلة الخامسة: أن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[1].

أقول: إنْ لم يكن المراد من هذه الفقرة ثبوت الفضل لعائشة فلا حجة في هذه الأحاديث، وإن كان المقصود من هذه الفقرة ثبوت أفضلية عائشة على

يغتر أحد بقول ابن القطان، قد جازف بهذه المقالة، وما ضعَّف زكريا الساجي هذا أحد قط. (المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٣٦ و٥٢٠؛ سير أعلام النبلاء ج١٤ رقم١١٣ ص١٩٧ ـ ١٩٩؛ ميزان الاعتدال ج٢ رقم٢٨٩٧ ص٧٩؛ لسان الميزان ج٢ رقم١٩٥٣ ص٤٨٨ ـ ٤٨٩؛ تقريب التهذيب ج١ رقم٢٠٣٤ ص٣١٤).

٤ ـ خالد بن يوسف بن خالد السمتي.

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه. وقال السمعاني: قال أبو حاتم: يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه.

وقال ابن عدي في الكامل، وابن حبان في المجروحين: خالد بن يوسف السمتي: كل ما ذكرت من رواية خالد بن يوسف هذا، فلعل البلاء فيه من أبيه يوسف بن خالد، فإنه ضعيف. (الكامل لابن عدي ج٣ ص٤٥؛ كتاب المجروحين ج١ ص٢٧٨؛ الثقات ج٨ ص٢٢٦؛ الانساب للسمعاني ج٣ ص٢٩٤).

أقول: وظاهر جداً أن كلام ابن عدي وابن حبان يفيد عدم وجود قدح أو جرح في خالد السمتي.

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٨٥؛ مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٥٦ ص٢٦٤ وج٤ ص٣٩٤؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٣١ وص٢٢٠ وص١٣٩ وج٦ ص٢٠٥؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٣ وص١٣٨؛ سنن ابن ماجة ج٢ ح٣٢٨٠ ص١٠٩١ وح٣٢٨١ ص١٠٩٢؛ مسند ابن راهويه ج٢ ص٤٨٦؛ سنن الترمذي ج٣ ح١٨٩٤ ص١٧٩ وج٥ ح٣٩٧٤ ص٣٦٥؛ سنن النسائي ج٧ ص٦٨؛ السنن الكبرى للنسائي ج٤ ح٦٦٩٢ ص١٦١؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠١٤ ص٣٩٣ وح٣٠١٥ ص٣٩٤؛ مسند أبي داود الطيالسي ص٦٨؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٢ ص٥٢٧ وح٧ ص٥٢٩؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح٥٦٦ ص١٩٨؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٨١ ص١٠٢ وح٨٨٩٥ ص٢٨٣؛ مسند أبي يعلى ج١٣ ح٧٢٤٥ ص٢١٩ وح٧٢٦٩ ص٢٥٣؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٥١.

سائر النساء فنقول:

أولاً: إن هذه الفقرة من جملة حديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بإسنادهم عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[(١)].

أقول: لا ريب في أن الفقرة الواردة في فضل عائشة زيادة موضوعة، فإن صدر الحديث نص في كون مريم بنت عمران وامرأة فرعون أفضل النساء، ولا معنى لتخصيصهما بالكمال، ثم بعد ذلك يقول القائل بأن عائشة تفضلهما.

وبعبارة أخرى: لا معنى لنفي الكمال عن غيرهما من النساء الشامل لعائشة، ثم بعد ذلك يدعي المدعي أن عائشة أفضل منهما، فإن هذا ما لا يصدر من عاقل.

ثانياً: لا نريد أن نناقش بأن سيدتنا فاطمة الزهراء وأمها الصِّدِّيقة خديجة الكبرى عليهما السلام هما أفضل من مريم وآسية، ولكن الثابت الذي لا مرية فيه أنهن جميعاً سيدات نساء الدنيا والآخرة، وقد مر الحديث في هذا المعنى.

وعليه، فكيف يصح أن تكون هؤلاء النسوة سيدات أهل الجنة، وسيدات نساء العالمين، وفي المقابل يقال: بأن عائشة تفضلهن؟

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٣٩٤ و٤٠٩ ؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٧٣ و٧٤ ؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٣١ و١٣٩ و٢٢٠ وج٦ ص٢٠٥ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٣ ؛ سنن ابن ماجة ج٢ ح٣٢٨٠ ص١٠٩١ ؛ سنن الترمذي ج٣ ح١٨٩٤ ص١٧٩ ؛ مسند أبي داود ص٦٨ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٣٠١٤ ص٣٩٣ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٢ ص٥٢٧ ؛ منتخب مسند عبد بن حميد ح٥٦٦ ص١٩٨ ؛ مسند أبي يعلى ج١٣ ح٧٢٤٥ ص٢١٩ وح٧٢٦٩ ص٢٥٣ ؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٥١ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٤١.

إذ لو كانت عائشة تفضلهن لكانت الأولى باللقب منهن بكونها سيدة نساء أهل الجنة، ولو أنها كانت تساويهن لثبت لها اللقب كما أثبته لهن النبي صلى الله عليه وآله.

إذن تخصيص رسول الله صلى الله عليه وآله سيدات نساء العالمين بهن، يقضي بخروج عائشة عن مساواتهن فضلاً عن كونها أفضل منهن.

ثالثاً: أخرج البخاري ومسلم في الصحيح وغيرهما في غيره بإسنادهم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد[1].

أقول: إذا كانت سيدتنا خديجة ومريم عليهما السلام خير النساء، فكيف يصح مع ذلك أن تكون عائشة أفضل منهن.

رابعاً: لقد رجعنا إلى سيرة عائشة وتاريخها وما صح من الأحاديث عنها، فوجدنا أنها تؤمن بسيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله على أنه كان رجلاً مخالفاً للحق في كثير من المواقع، وأنه لم يكن مجانباً للباطل والشيطان، وأنه كان رجلاً مسحوراً، وغير ذلك مما حدثتنا به عائشة.

وجدنا في التاريخ عائشة الخارجة على خليفة المسلمين طلباً بدم عثمان وقد كانت هي أول وأبرز المحرضين عليه، والمحاربين له.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٨٤ و١١٦ و١٣٢ و١٤٣ ؛ صحيح البخاري ج٤ ص١٣٨ و ٢٣٠ ؛ صحيح مسلم ج٧ ص١٣٢ ؛ سنن الترمذي ج٥ ح ٣٩٨٠ ص٣٦٦ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٩٧ وج٣ ص١٨٤ و٥٦٩ ؛ المصنف للصنعاني ج٧ ح١٤٠٠٦ ص٤٩٢ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٣ ص٥٣٠ ؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٣٥٤ ص٩٣ ؛ مسند أبي يعلى ج١ ح٥٢٢ ص٣٩٩ وح٦١٢ ص٤٥٥ ؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٦٧ ؛ بغية الباحث ح٩٩٩ ص٢٩٨ ؛ الآحاد والمثاني ج٥ ح٢٩٨٥ ص٣٨٠ وح٢٩٨٧ ص٣٨١ ؛ الذرية الطاهرة النبوية ص٣٦ ؛ أمالي المحاملي ص١٨٨ ؛ المعجم الكبير ج٢٣ ص٨ ؛ علل الدارقطني ج٣ ح٣١٢ ص١١٥ ؛ تاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص١٣٠ و١٣١ وج٧٠ ص١٠١ و١٠٢ و١٠٤ ؛ أسد الغابة ج٣ ص١٣٤ وج٥ ص٤٣٨.

وجدنا أن في التاريخ عائشة الحافظة لمَا لم يحفظه أحد من الرجال والنساء من حديث النبي صلى الله عليه وآله ـ بحسب زعمهم ـ ومع ذلك خالفت نص الكتاب الكريم وحديث النبي العظيم صلى الله عليه وآله الناهي لها عن الخروج.

وجدنا أن في التاريخ عائشة التي كانت تغضب من سيد الخلق صلى الله عليه وآله، وتتحامل على سيدتنا خديجة.

وجدنا في التاريخ عائشة تلك المرأة التي لم تستطع أن تخفي عنا أحاديث غيرتها من جميع نساء النبي صلى الله عليه وآله، بل وأنها كانت تحسدهن، وبالله عليك، ما دامت عائشة تفضلهن وتفضل جميع النساء، فكيف يصح منها أن تغار وتحسد!

وهل الغيرة إلا ردُّ فعْلٍ، وحكايةُ نقْصٍ؟

وهل الحسد إلا تعبير عن فقدان ما تحسد عِليه، وإلا تمنٍ لزوال النعمة عمن تحسدها؟

وجدنا أن في التاريخ عائشة التي تحدثت لنا عن مكرها وخداعها.

فقد أخرج البخاري وغيره بإسنادهم عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فتواطأتُ أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير! إني أجد منك ريح مغافير[1].

أقول: وهذا تصريح من عائشة بأنها كانت تتصرف بمكر واحتيال، وما أخبرت به مما تواطأت عليه مع حفصة إخبار بخلاف الواقع، والإخبار بخلاف الواقع مع حضرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منتهى غاية التمرد والطغيان، ورواية

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص٦٨؛ سنن أبي داود ج٢ ح٣٧١٤ ص١٩١؛ السنن الكبرى للنسائي ج٦ ح١١٦٠٨ ص٤٩٥؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠٥؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٥٣.

البخاري للحديث في صحيحه قد كفانا مؤونة بيان وثاقة رجال إسناده، بناء على ما أجمع أبناء العامة عليه من صحة جميع أحاديثه حسبما تكررت الإشارة منا إلى هذا المعنى.

والملفت للنظر أن هذه الحادثة كانت بعد زواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من زينب بنت جحش وقد تزوجها سنة خمس للهجرة[١]، ولا ندري هل أنها وقعت بعيد زواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منها بقليل أو بعد فترة طويلة، وعلى أقل التقادير فقد وقعت هذه الحادثة قبل وفاة النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بما يقرب من خمس سنوات.

فمتى بلغت عائشة مبلغ الكمال حتى تفضل سائر النساء؟!!

وجدنا أن في التاريخ عائشة التي تظاهرت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقد أخرج البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عباس ـ واللفظ للبخاري ـ أنه سأل عمر بن الخطاب من اللتان تظاهرتا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، إلى أن قال ابن الخطاب: وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال افتح، افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أزواجه فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى ج٨ ص١١٤؛ تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣١؛ أسد الغابة ج١ ص٣٣؛ البداية والنهاية ج٤ ص١٦٦.

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص٦٨ و٦٩ و٧١ وج٧ ص٤٦؛ صحيح مسلم ج٤ ص١٨٩ ـ ١٩٢؛ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٣ و٤٨؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٣٧٤ ص٩٢؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٩١٥٧ ص٣٦٦ وج٦ ح١١٦١٠ ص٤٩٥؛ مسند أبي يعلى ج١ ح١٩٧ ص١٧٦؛ السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٠٢؛ صحيح ابن حبان ج٩ ص٤٩٢؛ تفسير القرطبي ج١ ص٢٦.

وأخرج البخاري والنسائي بإسنادهما عن أنس، قال: قال عمر: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية[١].

وأخرج مسلم وغيره بإسنادهم عن عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبى الله صلى الله عليه وآله نساءه، قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وآله نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت: لأعلمن ذلك اليوم، قال: فدخلت على عائشة، فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله! فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب، عليك بعيبتك، قال: فدخلت على حفصة بنت عمر، فقلت لها: يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وآله فبكت أشد البكاء[٢].

نزول سورة التحريم:

أقول: ولسنا بصدد التحقيق في شأن نزول سورة التحريم وإن كان الصحيح أنها نزلت فيما يتعلق بشأن مارية القبطية كما رواه النسائي بسند صحيح عن ابن عباس.

قال ابن حجر: أخرج النسائي بسند صحيح عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وآله كانت

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص٧١؛ السنن الكبرى للنسائي ج٦ ح١١٦١١ ص٤٩٦.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٨٨؛ مسند أبي يعلى ج١ ح١٦٤ ص١٤٩ ـ ١٥٠؛ صحيح ابن حبان ج٩ ص٤٩٦ ـ ٤٩٧.

له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة وعائشة حتى حرَّمها فأنزل الله تعالى هذه الآية﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾، وهذا أصح طرق هذا السبب، وله شاهد مرسل أخرجه الطبري بسند صحيح عن زيد بن أسلم التابعي الشهير، قال: أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله أم إبراهيم ولده في بيت بعض نسائه[1].

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج النسائي، والحاكم وصحَّحه وابن مردويه عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وآله كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ إلى آخر الآية[2].

قال الخطابي: الأكثر على أن الآية نزلت في تحريم مارية حين حرَّمها على نفسه[3].

وقال ابن كثير في تفسيره: اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حرَّمها، فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآية[4].

وقال أيضاً: أخرج الترمذي، والطبراني بسند حسن صحيح عن ابن عباس، قال: نزلت يا أيها النبي لم تحرم الآية في سريته[5].

---

(١) فتح الباري ج ٩ ص٣٠٨؛ سنن الدارقطني ج٤ ص٢٩؛ سنن النسائي ج٧ ص٧١؛ السنن الكبرى للنسائي ج٥ ح٨٩٠٧ ص٢٨٦ وج٦ ح١١٦٠٧ ص٤٩٥؛.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢٣٩.

(٣) عون المعبود ج١٠ ص١٢٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٢؛؛ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٩٣؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٥٣.

(٥) الدر المنثور ج٦ ص٢٣٩.

أقول: وهو قول جماعة من أعلام التابعين وتابعيهم، كزيد بن أسلم، والحسن، وقتادة، والشعبي، ومسروق بن الأجدع، والضحاك، ومقاتل بن حيان، وغيرهم[١].

وهو المروي بسند صحيح عن ابن عمر عن عمر كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره[٢].

وأخرج ابن جرير في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس، قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة، وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية... الخ[٣].

وقد رواه عن سعيد بن يحيى، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب[٤].

---

(١) جامع البيان ج٢٨ ح٢٦٦٥٦ ـ ٢٦٦٦٣ ص١٩٩ ـ ٢٠١ ؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٢ ؛ الدر المنثور ج٦ ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٢.

(٣) جامع البيان ج٢٨ ح٢٦٦٦٤ ص ٢٠١.

(٤) ابن عباس من الصحابة، وتقدم بيان الزهري وهو محمد بن مسلم في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وسعيد بن يحيى وأبيه وهو يحيى بن سعيد بن أبان الأموي، وقد قال المزي: المزي يحيى بن سعيد بن أبان، روى عن محمد بن إسحاق بن يسار، روى عنه ابنه سعيد بن يحيى. (تهذيب الكمال ج٣١ رقم٦٨٣١ ص ٣١٨ ـ ٣٢٠).

وقال أيضاً: محمد بن مسلم الزهري، روى عن عبيد الله روى عنه محمد بن إسحاق بن يسار. (تهذيب الكمال ج٢٦ رقم٥٦٠٦ ص٤١٩ ـ ٤٢٩).

أقول: إن الزهري محمد بن مسلم، قد روى عن عبيد الله بن أبي رافع، وعبيد الله بن عبد الله بن ثعلبة الأنصاري، وعبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبيد الله ابن عياض المدني. (تهذيب الكمال للمزي ج٢٦ ص٤٢٤).

أما ابن أبي رافع، وابن ثعلبة، وابن الخطاب، وابن عياض، فلم يروِ أحدهم عن ابن عباس، (تهذيب الكمال ج١٩ رقم٣٦٣٢ ص٣٤ ورقم٣٦٤٩ ص٦٦ ورقم٣٦٥٤ ص٧٧ ورقم٣٦٧٢ ص١٣٩)، وعليه فيتعين أن يكون عبيد الله هو

إما ابن أبي ثور أو ابن عتبة.

١ ـ **عبيد الله بن عبد الله** بن أبي ثور القرشي، من رجال الصحيح، كما أوضح ذلك وبيّنه المزي في ترجمته له.

قال المزي: عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور القرشي، روى عن عبد الله بن عباس، روى عنه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. (تهذيب الكمال ج١٩ رقم٣٦٥٠ ص٦٨).

أقول: مضافاً إلى أنه من رجال البخاري ومسلم، ورجالهما حجة عند أبناء العامة، فقد صحح حديثه الترمذي، والحاكم، وذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه ابن حجر، وقال الذهبي: وثق. (سنن الترمذي ج٤ ذيل ح٢٥٧٩ ص٥٥ وج٥ ذيل ح٣٣٧٤ ص٩٦ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٠٤ ؛ الثقات لابن حبان ج٥ ص٦٥ ؛ من له رواية في كتب الستة ج١ رقم٣٥٦٠ ص٦٨١ ؛ تقريب التهذيب ج١ ص٦٣٤).

٢ ـ **عبيد الله بن عتبة**.من رجال الصحيح(صحيح البخاري ج١ ص٢٣ و٢٧ و٦٠ و٦٤ و١١٢ و١٢٦ ؛ صحيح مسلم ج١ ص١٩٠ وج٢ ص٥٧ و٢٠٢ وج٣ ص١٤٠ وج٤ ص٦٧).

قال المزي: عبيد الله بن عتبة بن مسعود الباهلي، أبو عبد الله المدني الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى عن عبد الله بن عباس، روى عنه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. (تهذيب الكمال ج١٩ رقم٣٦٥٣ ص٧٣ ـ ٧٤)

قال عثمان بن سعيد الدرامي: سألت يحيى بن معين، قلت: عكرمة احب اليك عن ابن عباس أو عبيد الله بن عبد الله؟ قال: كلاهما ولم يخير. وقال الواقدي: كان عالماً، وكان ثقة، فقيهاً، كثير الحديث والعلم. ووثقه العجلي، وأبو زرعة، وذكره ابن حبان في المشاهير. وقال النسائي: أحسن الأسانيد التي تروى عن رسول الله ﷺ أربعة منها: الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس. (الطبقات الكبرى ج٥ ص٢٥٠ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٥ رقم١٥١٧ ص٣١٩ ـ ٣٢٠ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم١١٦١ ص١١١ ـ ١١٢ ؛ رسائل في علوم الحديث للنسائي ص٦٧ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٤٢٩ ص١٠٦ ؛ تهذيب الكمال ج١٩ ص٧٥ ـ ٧٧ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم٧٥ ص٧٨ ـ ٧٩ ؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم ٥٠ ص٢٢ ـ ٢٣).

٣ ـ **محمد بن إسحاق**. من رجال الصحيح كما أوضح ذلك وبيّنه المزي في ترجمته له.

قال المزي: محمد بن إسحاق بن يسار، روى عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، روى عنه يحيى بن سعيد الأموي. (تهذيب الكمال ج٢٤ رقم٥٠٥٧ ص ٤٠٥ ـ ٤١٠).

وثقه ابن معين، وابن المديني، والعجلي، وابن سعد، والخليلي، والبوشنجي، وغيرهم. وقال شعبة: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث. وقال الزهري: لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيهم ابن إسحاق. وقال عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناسّ علم ما عاش محمد بن إسحاق. وقال أحمد ابن حنبل:

تذكير:

أقول: لا يتصورنَّ أحد أنَّ الأدلة والشواهد في المقام قليلة، بل هي أكثر من أن يتحمل هذا المختصر الإشارة إلى مصادرها.

ومما ينبغي التذكير به، أن مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام، قد تزوجها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سنة ثمان للهجرة على ما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ولا أدري متى بلغت عائشة درجة الفضل والكمال المزعوم لها، حتى نسبوا زوراً وبهتاناً إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قوله: أن فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على الطعام!!

والذي يعنينا ويكفي لنا، أنهم مجتمعون على أن قوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ كان خطاباً موجهاً لعائشة وحفصة، وكذا قوله تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ

حسن الحديث. وقال يعقوب بن شيبة: سألت علي بن المديني، قلت: كيف حديث محمد بن إسحاق عندك صحيح؟ فقال: نعم، حديثه عندي صحيح. وقال أبو زرعة: محمد بن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه منهم سفيان، وشعبة، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد. وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق. وقال محمد بن عبد الله بن نمير: وذكر ابن إسحاق فقال: إذا حدث عن من سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق وقال عبيد بن يعيش: احتمله أحمد، ويحيى بن معين، وعامة أهل العلم. وقال ابن عدي: لم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به. وقال ابن البرقي: لم أرَ أهل الحديث يختلفون في ثقته. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في المشاهير: ممن عنى بعلم السنن وواظب على تعاهد العلم وكثرت عنايته فيه وجمعه له على الصدق والإتقان. (سؤالات ابن أبي شيبة ص٨٩؛ الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٢١؛ الثقات ج٧ ص٣٨٠؛ مشاهير علماء الأمصار رقم١١٠٥ ص٢٢٢؛ تاريخ بغداد ص٢٣٠ ـ ٢٤٧؛ من له رواية في كتب الستة ج٢ رقم٤٧١٨؛ تهذيب الكمال ج٢٤ ص ٤٠٥ ـ ٤٢٩؛ تهذيب التهذيب ج٩ رقم٥١ ص٣٤ ـ ٤٠).

مُؤْمنَات قَانتَات تَائبَات عَابدَات سَائحَات﴾.

فكيف يكون فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على الطعام، وعائشة هي تلك المرأة المتظاهرة بالإثم والعدوان على النبي الأكرم ﷺ؟!

قال القرطبي: **﴿وَإنْ تَظَاهَرَا عَلَيْه﴾**، أي تتظاهرا وتتعاونا على النبي ﷺ بالمعصية والإيذاء[1].

أقول: وقد ثبت بقول عمر بن الخطاب وغيره أن عائشة تظاهرت، وقد قال الذهبي في السير في ترجمة حفصة: حفصة وعائشة هما اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ، فأنزل الله فيهما **﴿إنْ تَتُوبَا إلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإنْ تَظَاهَرَا عَلَيْه﴾**[2].

وقال ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: **﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للَّذينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ﴾**، قال المفسرون منهم مقال: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيا ربهما لم يغن رسول الله ﷺ عنهما شيئاً[3].

وقال ابن الجوزي، والقرطبي، وابن قيم الجوزية، قوله تعالى **﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للَّذينَ كَفَرُوا﴾**، قال يحيى بن سلام: مثل ضربه الله يُحذِّر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ثم ضرب لهما مثلا بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين[4].

---

(١) تفسير القرطبي ج١٨ ص١٨٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٢٩؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٥؛ تفسير الثعالبي ج٥ ص٤٥١.

(٣) زاد المسير ج٨ ص٥٥.

(٤) زاد المسير ج٨ ص٥٦؛ تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٠٢؛ الأمثال في القرآن ص٥٥؛ فتح القدير ج٥ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦.

وقال ابن قيم الجوزية: التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد[1].

أقول: والذي يعنينا ويكفي لنا أيضاً، أنهم مجتمعون على أن قوله تعالى ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ**﴾ كان خطاباً لعائشة وحفصة.

وبحسب ما ذكره عمر بن الخطاب وأنَّ هذا المضمون هو الذي ذكره فنزلت الآية، فيكون ابن الخطاب قد وافق رب العباد جلت كلمته في أنه قد كان موجوداً في النساء من هو خير من عائشة.

فيا ترى هل كانت عائشةُ متصفةً بالأوصاف الموجودة في الآية؟

وكيف تفضُلُ عائشة سائر النساء، وكيف لا يدانيها امرأة، ونحن نسمع الله تعالى يقول مهدِّداً إياها ورفيقتها: ﴿**خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ ..**﴾!!

وهل يريدون منا أن نكذِّب الله تعالى، أو يريدون منا أن نعتقد بأن النبي الأكرم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان يجهل بوجود من هي أفضل من عائشة؟ ولا نلتزم بثبوت مادة أفعل التفضيل فيها قط.

ولا أدري كيف تكون عائشة أحب الناس إلى النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وكيف تفضُلُ سائر النساء، وهي التي تصرح بأنها كانت تغضب من النبي الأكرم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟

وهي التي كانت ترفع صوتها على سيد الخلق صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ! وهي التي هجرها رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ متهما إياها ـ والعياذ بالله تعالى ـ بما زعمته في حديث الإفك

---

(١) الأمثال في القرآن ص٥٨.

المفترى زوراً وبهتاناً! وهي التي كان يشكوها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيها! وهي المتظاهرة على نبي الله صلى الله عليه وآله! وهي المخالفة لنص الكتاب الآمر لها بالقعود في البيت، والمخالفة لرسوله صلى الله عليه وآله الناهي لها عن الخروج، وقد حذرها نباح كلاب الحوأب! وهي المتحاملة على سيدة نساء العالمين خديجة الكبرى، التي من فرط غيرتها وحسدها تصفها قائلة: حمراء الشدقين!!

وهي .. وهي.. مما مر ومما أعرضنا عن الإشارة إلى الكثير منه.

وأي فضل لامرأة شوَّهت صورتها حيث ذكرت النبي صلى الله عليه وآله، بالرجل المسحور، البريء من الحشمة والغيرة، الناسي لآيات من كتاب ربه، المواظب على النوم جنباً، المتقلِّب مع الشياطين التي لا تفر إلا من عمر، السباب الشاتم لأفراد المسلمين!!!

وقد أخرج الصنعاني وابن حبان بإسنادهما عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وآله استعذر أبا بكر من عائشة، ولم يخش النبي صلى الله عليه وآله أن ينالها أبو بكر بالذي نالها، قال: فرفع أبو بكر بيده، فلطم في صدر عائشة، فوجد من ذلك النبي صلى الله عليه وآله، وقال لأبي بكر: ما أنا بمستعذرك منها بعد فعلتك هذه.

قال الزمخشري في الفايق: أي كن عذيري منها إن عاقبتها.

وقال ابن الأثير في النهاية: أي كن عذيري منها إن أدبتها(١).

أقول: والسند صحيح، فقد رواه عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن الزهري، عن يحيى بن سعيد بن العاص، عن عائشة، وتقدم بيان حال الجميع

---

(١) المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٩٢٣ ص٤٣١ ؛ صحيح ابن حبان ج٩ ص٤٩١ ؛ موارد الظمآن ص٣١٩ ؛ سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٩ ؛ غريب الحديث ج١ ص٢٦٨ ؛ الفايق في غريب الحديث ج٢ ص٣٤٠ ؛ النهاية في غريب الحديث ج٣ ص١٩٧ ؛ لسان العرب ج٤ ص٥٤٨ ؛ تاج العروس ج٣ ص٣٨٩.

في حاشية الحديث الثاني من أحاديث الطائفة الخامسة.

أقول: وهذه شهادة من عائشة على أنها كانت تسيء إلى النبي الأكرم ﷺ، بحيث دفع ذلك سيد الخلق إلى الاستنجاد بأبيها، وبعد هذا كيف تفضل عائشة سائر النساء المؤمنات، القانطات، المطيعات؟!!

ولا أقصد ذلك بالإضافة إلى سيدتنا فاطمة وأمها خديجة الكبرى ؊، فإن عائشة نفسها قد كفتنا مؤونة التفصيل في بيان دنو مرتبتها عن أن تقاس بمن هن أدنى من سيدتنا خديجة صلوات الله تعالى عليها.

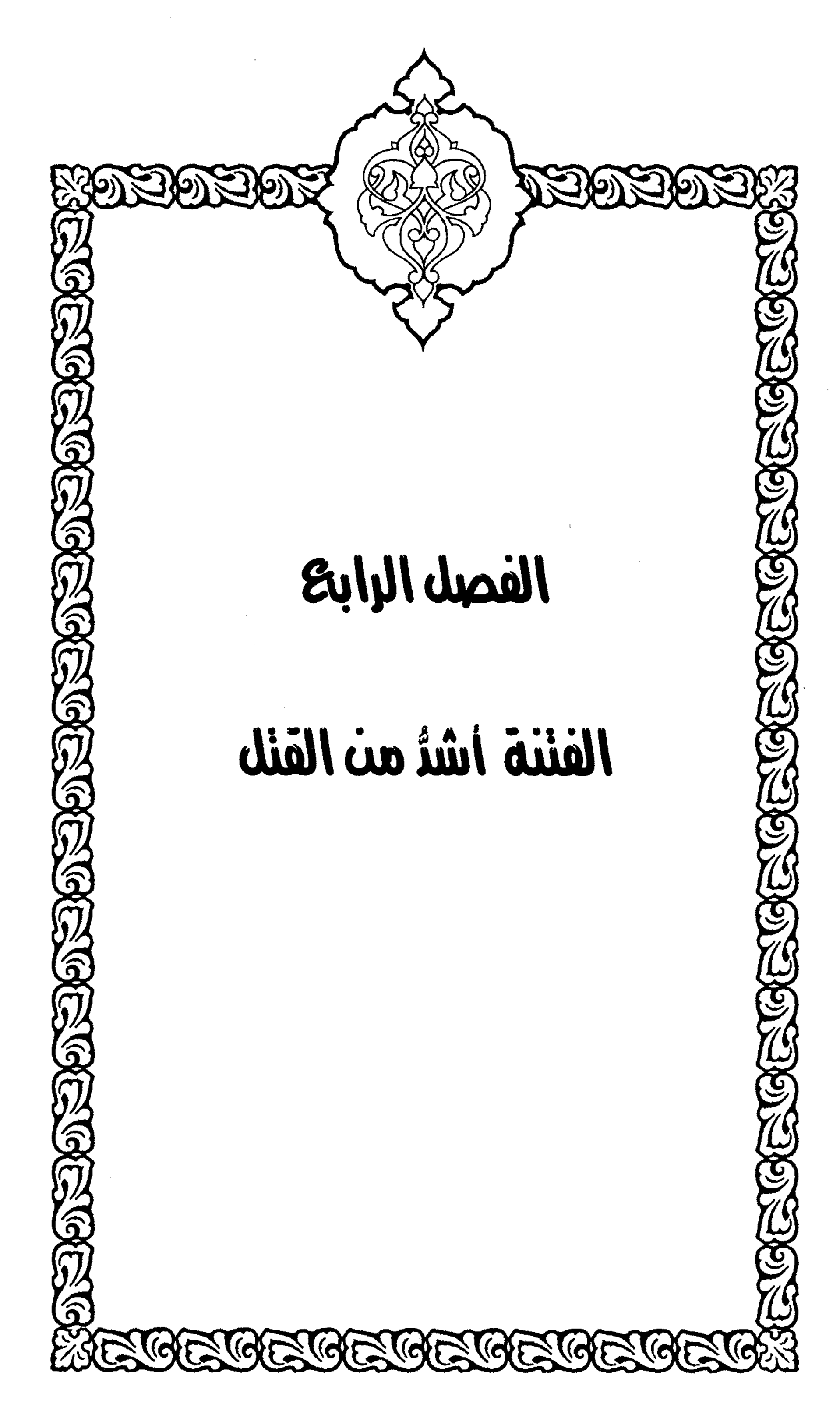
بالله تعالى عليك، وقد استعرضتَ معنا الأحاديث التي نقلناها في الطوائف المتقدمة وعند الحديث عن حرب الجمل، ووقفت على وثاقة رواتها برجوعك إلى المصادر المشار إليها، هل يمكن لك أن تحتمل صحة حديث من الأحاديث المزعومة في فضائل عائشة؟

ألا تعجب من قوم تعمدوا الافتراء على سيد الخلق؟

وأكاد أقطع أن حديثاً واحداً مما مر عليك ـ كحديث عائشة عن بدء النبوة ـ يكفي للتعرف على حقيقة القوم الجاحدين.

ولا أراك ترضى حديثاً من أحاديث السيدة عائشة المتقدمة في مقام تعريفنا شخصية حبيب الله المصطفى ﷺ، لا أراك ترضاه لشخص ذي نفوذ اجتماعي متوسط.

لا أراك ترضى حديثاً واحداً مما مر عليك في حق مثل أحمد بن حنبل إنْ كنت حنبليَّ المذهب، أو في حق الشافعي إنْ كنت شافعي المشرب، فلماذا هذا الإصرار على القبول بذلك في حق نبينا ﷺ؟



الفصل الرابع

الفتنة أشدُّ من القتل

قال الله تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

أقول: إن من البديهي أنه لا يقع الابتلاء بين أفراد الخير ومصاديق الحق، وإنما الذي يمكن أن يوجد هو التخيير بين أفراد الأول ومصاديق الثاني، وأما الابتلاء وهو الامتحان فلا يقع إلا بين الخير والشر، ولا ريب أن الحكمة الباعثة على تكليف الله تعالى عباده إنما هي ليتحقق من المطيع اختيار الخير، ومن العاصي اختيار الشر، وبقرينة قوله تعالى ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فإن الأمر فيما ذكرناه واضح.

هذا وإن الله تعالى أودع في الإنسان القوة العاقلة المفكرة وتلطف عليه بالعقل لغرض التمييز بين ما هو حق وبين ما هو باطل، ليختار الإنسان بإرادته أحد الطريقين ويسلك أحد المسلكين، وعلى أساس ما اختاره يجزى يوم العرض عليه سبحانه.

وكلما تحقق في موضع ما وجود ابتلاء لله تعالى بين مسلكين وأمرين، فلا محالة لا يكون كل منهما حقاً، بل يتعين أن يكون أحدهما فحسب هو الحق، والآخر هو الباطل.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٥.

ولكن أن يكون اتِّباع الأول حقاً ومع ذلك يكون صاحب الراية على باطل فإن هذا محال، وكذا أنْ يكون اتِّباع الثاني باطلاً ومع ذلك يكون الثاني وهو صاحب الراية على حق فإن هذا مستحيل.

لذا لا يكون هناك ابتلاء بين داعي الحق وبين داعي الشر إلا في المورد الذي يكون فيه الأول حقاً، ويكون الثاني فيه باطلاً.

فإذا ابتلى الله تعالى جماعة من الناس في اتباع أحد شخصين، فإنه لا محالة يكون اتباع داعي الحق قاضياً بحصول النجاة لتابعيه يوم القيامة، ويكون اتباع داعي الباطل قاضياً بوقوع تابعيه في الضلال واستحقاق العقاب والعذاب في الآخرة.

ولا شبهة أنه لا يمكن أن يكون اتِّباع خالد صاحب راية الباطل موجباً لاستحقاق تابعيه للعقاب والعذاب، ومع ذلك يكون خالد من أهل النجاة والفوز يوم القيامة.

وإذا كان زيد يعلم بأنه منهي عن سلوك مسلك معين، ومع ذلك سلكه فإن كون مآله إلى الخسران والخذلان أوضح وأظهر.

وقد تقدم أن عائشة كانت منهيةً عن الخروج بعموم خطاب القرآن الكريم لها ولصواحبها من نساء النبي صلى الله عليه وآله، ومنهية عن الخروج بالخصوص كما يوضحه حديث نباح كلاب الحوأب، مضافاً إلى أنها لم تكن مأمورة من ذي قبل بالطلب بدم عثمان، وقد كانت أبرز أو على أقل تقدير من أبرز المحرضين عليه، وليست هي ولية دمه على جميع التقادير، لذا فلا يكون اتِّباعها إلا اتباع امرأة سلكت مسلكاً باطلاً.

وقد أخرج ابن حنبل، والبخاري وغيرهم بإسنادهم عن أبي وائل، قال: لمَّا بعث عليٌّ عليه السلام عماراً والحسن عليه السلام إلى الكوفة ليستنفرهم، فخطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله عز وجل ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[1].

أقول: لسنا بصدد تصويب ما في الحديث من كون عائشة زوجةً لسيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله في الآخرة، وليس من الضروري أن يكون الحديث بتمامه صحيحاً، وما يعنينا من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره، أن عماراً رضوان الله تعالى وهو مع أمير المؤمنين عليه السلام قد صرح بأن اتِّباعَ عائشة اتباعٌ للباطل،وأنَّ الله تعالى قد اختبر الأمة وابتلاهم بها من حيث إنها زوجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الدنيا، وكونها زوجته في الآخرة أيضاً موضع شكٍّ عندنا على أقل تقدير، وما مرَّ من أحاديث عائشة تفيد كونها مما لا يحسن منا التصريح به هنا بعد وضوحه بأدنى التفاتة.

وعمار رضوان الله تعالى عليه إنما قام خطيباً ليُبيِّن للناس ويحتج عليهم ليهلك من هلك عن بينة، وقد مر تصريح عائشة بأنها كانت مخطئة في خروجها على أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وأنها ندمت ندامة شديدة.

ولكن تقدم منا أننا لا نعلم من الله تعالى قبول توبتها، ولا شبهة في أن من هلك من أصحابها وأنصارها هم من أهل النار، فقد كانوا أتْبَاع الشر، ولا معنى لافتراض دخول الجنة لمن مات منهم وهم من أتْبَاع الشر.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٦٥؛ صحيح البخاري ج٤ ص٢٢٠؛ سنن الترمذي ج٥ ح٣٩٧٦ ص٣٦٥؛ السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٤؛ تاريخ خليفة ص١٣٧.

ولكن المريب هو الالتزام بأن عائشة وهي صاحبة الفتنة وحاملة راية الباطل والضلال أن تكون من أهل النجاة، وفي المقابل يكون أتباعها الذين هلكوا في حرب الجمل من أهل النار.

ولا أدري كيف يصح أن تكون عائشة زوجة النبي ﷺ في الآخرة أيضاً وهي صاحبة الفتنة العظيمة وسائقة الآلاف إلى النار، لذا لا بد وأن في حديث عمار زيادة موضوعة يُكذِّبها ويدل على كونها موضوعة الحديث نفسه.

حديث ابن عمر في شأن عائشة:

والذي يرفع الشك والتردد فيما لو كان في البين أدنى شكٍّ، أنه ورد في صحاح العامة أن النبي الاكرم ﷺ أشار إلى بيت عائشة قائلاً: ههنا الفتنة ثلاثاً.

والحديث لم يرد إلا من طريق عبد الله بن عمر، والمصادر التي نقلت الحديث قد ورد فيها اختلاف يُخيَّل للناظر غير المتأمل أنه اختلاف ضائر، ولكن مع التأمل في الحديث يخرج المتأمل أن مفاد الحديث لا يحتمل إلا معنى واحداً، وليس الاختلاف إلا من باب أن الراوي ينقل المعنى دون المحافظة على ألفاظ الحديث، وهو ما وقع كثيراً في مئات الموارد.

ولو سلمنا جدلاً بأن في البين اختلافاً حقيقياً، فإنه لا يسعنا إلا الأخذ بما في صحيح البخاري، حيث أجمع أبناء العامة على أنه لا ترجيح لأي كتاب على صحيحه، وأن صحيحه أصح كتاب بعد القرآن الكريم[1].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص١٤ ؛ مقدمة ابن الصلاح ص٢٠ ؛ مقدمة فتح الباري ص٨ ؛ كشف الظنون ج١ ص٥٤١.

ولن نظن بالبخاري أنه تفطن لمعنى الحديث، ولن نظن بابن حنبل وبغيره أنهم فقهوا معنى الحديث الذي أوردوه، نعم ما نظنه جداً هو أن بعض رواة الحديث، قد تنبَّهوا إلى ما لم يتنبَّه له البخاري، حيث نقلوا المعنى فقط، لكنهم غفلوا عن أن المعنى الذي نقلوه لا يخالف اللفظ الذي أثبته البخاري في صحيحه.

وقد ظنوا أنهم بالنحو الذي أوردوه قد أصابوا، ولكن سيتبين للقارئ الطالب للنجاة عكس ما قصدوه وما راموا إثباته أو إبعاده.

ذلك أن جميع المصادر قد اتفقت على رواية الحديث عن ابن عمر، وأن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد أشار إلى جهة المشرق، بعد الفراغ من الصلاة، أو حين قام خطيباً.

نعم في بعض الموارد لم يرد أن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قام خطيباً أو أنه بعد الفراغ من الصلاة قال قوله الحق، غير أن ذلك لا ينافي ما في تلك الموارد، لوضوح عدم بيان خصوصية مغايرة لما فيها.

بمعنى، أن ما في مسند ابن حنبل مثلاً من حيث عدم التعرض لكون رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال ما قاله بعد الفراغ من الصلاة أو حين قام خطيباً، لا ينافي ما في صحيح مسلم من أنه قال ذلك بعد الفراغ من الصلاة مثلاً، فإن ابن حنبل يكون قد اقتصر على إيراد قول الرسول الأكرم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من دون بيان تلك الخصوصية، بينما يكون مسلم في صحيحه قد أورد قول النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ مع بيان خصوصية ما، وأنت تعرف أن بيان خصوصية في حديث في كتاب معين، لا ينافي عدم بيان تلك الخصوصية عند إيراد الحديث نفسه في كتاب آخر أو في الكتاب نفسه

في موضع آخر منه.

وإنما تقع المنافاة ويقع التعارض فيما إذا تحدث الراوي عن خصوصية ما، وفي كتاب آخر يكون الراوي نفسه قد تحدث عن خصوصية منافية للخصوصية الأولى، أو قد تحدث بالحديث مع نفي الخصوصية الأولى من دون أن يتعرض لبيان خصوصية مغايرة.

وبعبارة أخرى: إن زيداً القائل المخبر عن حادثة واحدة بقوله تارة، قال خالد: أمطرت السماء يوم الجمعة بعد فراغنا من الصلاة، لا ينافيه قوله في مورد آخر قال خالد: أمطرت السماء يوم الجمعة، ولا قوله ثالثة في مورد ثالث قال خالد: أمطرت السماء بعد فراغنا من الصلاة.

وظاهر جداً أنه لا منافاة ولا تعارض بين مفاد هذه الجمل، غايته أن الاختلاف في بيان خصوصية ما غير ضائر في مضمون ما أراد زيد الإخبار عنه، وهو أن السماء أمطرت.

وأيضاً: إذا قال زيد: قال خالد: إنَّ في بيت فلان شيطاناً، وفي مورد آخر ورد أنَّ زيداً قال: قال خالد: إن في ذلك البيت شيطاناً، فإنه لا منافاة بين القولين فيما إذا كان لفظ «ذلك» مشاراً به إلى بيت فلان الذي ورد اسمه في الحديث الأول.

وأيضاً لا منافاة بين أن يقول زيد، قال خالد بعد الفراغ من الصلاة، وبين أن يقول: قال خالد حين قام خطيباً، فإن كون خالد قام خطيباً قرينة على أنه تكلم بما تكلم به بعد الصلاة.

وإذ قد حفظت وتنبهت ووعيت ما ذكرناه لك، فلنرجع إلى هدي الرسول

الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولكن نُنبِّه أولاً إلى أن لفظ هنا أو ههنا لا يشار به إلا إلى المكان القريب.

قال ابن مالك: وبهنا أو ههنا أشر إلى داني المكان ...[1].

الطريق الأول: أخرج البخاري بإسناده عن جويرية، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، قال: قام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان[2].

الطريق الثاني: أخرج البخاري، وابن حنبل، وابن حبان بإسنادهم عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يشير إلى المشرق، فقال: ها إن الفتنة ههنا، إن الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان[3].

الطريق الثالث: أخرج البخاري، والترمذي، وابن حنبل، والصنعاني بإسنادهم عن الزهري، عن سالم، أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول وهو على المنبر: ألا إن الفتنة ههنا يشير إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان[4].

الطريق الرابع: أخرج ابن حنبل بإسناده عن ابن شهاب الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قام يخطب، فقال: ألا

---

(١) شرح الرضي على الكافية ج٢ ص٤٨٤؛ شرح ابن عقيل ج١ ص١٣٦؛ مختار الصحاح ص٥٤؛ تاج العروس ج٨ ص٢١٩؛ تفسير القرطبي ج١٤ ص١٤٦؛ شرح نهج البلاغة ج٨ ص٢٤١.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص٤٦.

(٣) صحيح البخاري ج٤ ص٩٣؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٥٠ و٧٣ و١١١؛ صحيح ابن حبان ج١٥ ص٢٤ و٢٥.

(٤) صحيح البخاري ج٤ ص١٥٧ وج٨ ص٩٥؛ سنن الترمذي ج٣ ح٢٣٧٠ ص٣٦٢؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص١٢١؛ المصنف للصنعاني ج١١ ح٢١٠١٦ ص٤٦٣.

وإن الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني المشرق[١].

الطريق الخامس: أخرج مسلم بإسناده عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق، ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان[٢].

الطريق السادس: أخرج البخاري، ومسلم، وابن حنبل بإسنادهم عن ليث، عن نافع، عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان[٣].

الطريق السابع: أخرج ابن حنبل وأبو يعلى بإسنادهما عن ابن أبي الصهباء، عن سالم، عن عبد الله بن عمر، قال صلى رسول الله ﷺ الفجر ثم سلَّم فاستقبل مطلع الشمس، فقال: ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا، حيث يطلع قرن الشيطان[٤].

أقول: ألفاظ الحديث وإن اختلفت غير أن المعنى والمراد واحد.

ذلك أن مفاد الحديث أن النبي الأكرم ﷺ قد أشار إلى جهة المشرق بعد الفراغ من الصلاة كما في لفظ، وفي لفظ آخر أنه كان يخطب، وفي لفظ ثالث أنه كان على المنبر، ولا شبهة أن الصعود على المنبر يكون لغرض الخطبة، والخطبة تكون بعد الفراغ من الصلاة، فاتفقت جميع طرق الحديث في إفادة معنى واحد.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص١٤٠.

(٢) صحيح مسلم ج٨ ص١٨١.

(٣) صحيح البخاري ج٨ ص٩٥؛ صحيح مسلم ج٨ ص١٨٠؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٩٢.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٧٢؛ مسند أبي يعلى ج٩ ح٥٤٤٩ ص٣٣٨.

ثانياً: إن النبي الأكرم ﷺ قد دُفِن في مسكن عائشة، وبيت عائشة يقع من جهة المشرق بالنسبة لمن يقوم خطيباً على المنبر، وعليه فإشارة النبي ﷺ إلى جهة المشرق لا يكون إشارة إلى غير مسكن عائشة، وعليه فاتفقت أيضاً جميع طرق الحديث في إفادة معنى واحد.

ثالثاً: لا يمكن الالتزام بأن النبي ﷺ كان جاهلاً بلغة العرب، وهو الذي أوتي جوامع العلم والكَلِم، ولفظ ههنا لا يشار به إلى المكان البعيد، وإنما يشار به إلى المكان القريب، وليس بين موقع إلقاء النبي الأكرم ﷺ للخطبة وبين مسكن عائشة مكان يمكن أن تقع الإشارة الحسية إليه، فإن مسكنها كان مطلاً على المسجد متصلاً به، لا يفصله شيء أجنبي عنه.

الطريق الثامن: أخرج مسلم وابن أبي شيبة وابن حنبل بإسنادهم عن عكرمة بن عمار، عن سالم، عن ابن عمر، قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني المشرق[(١)].

أقول: قوله: «يعني المشرق»، من كلام الراوي قطعاً، بقرينة قوله يعني فإنه ليس من لفظ النبي ﷺ وإنما هو توضيح من الراوي، والظاهر أن هذا من كلام ابن أبي شيبة نفسه كما هو ظاهر من كلامه في المصنف، وقد روى مسلم في صحيحه الحديث عن ابن أبي شيبة، عن وكيع عن عكرمة، وهذه الزيادة ليست في مسند ابن حنبل الذي روى الحديث عن وكيع.

ثانياً: قوله «يعني المشرق» لا يمكن أن يكون من كلام النبي ﷺ، فإن لفظ ههنا لا يشار به إلا إلى المكان القريب بإجماع أهل اللغة.

---

(١) صحيح مسلم ج٨ ص١٨١ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٢٣ و٢٦ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ح٩ ص٥٥٢.

وكون النبي صلى الله عليه وآله قال ذلك بعد أن خرج من بيت عائشة لا ينافي أن يكون قد قاله وهو يخطب، إذ يمكن لنا أن نقول بأنه خرج من بيت عائشة للصلاة، وبعد الفراغ من الصلاة قام خطيباً وقال ما قاله مشيراً إلى بيت عائشة.

ثالثاً: لنا أن نلتزم بأن هذا حديثاً ثانياً للنبي صلى الله عليه وآله، كالذي أخرجه البخاري وغيره بإسنادهم عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قال: قالوا وفي نجدنا؟ قال: قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قال: قالوا وفي نجدنا؟ قال: قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[1].

وتأمل في هذا الحديث حيث ورد لفظ هناك، وهو لفظ يُشار به إلى المكان البعيد.

ثالثاً: لنا أن نلتزم بأن الراوي هنا أو أصحاب الكتاب قد حرَّفوا كلام ابن عمر، فبدلاً من أن يبقوه على النحو الذي أثبته البخاري، أتوا باللفظ الذي ذكروه حيث تفطنوا إلى معنى الحديث.

رابعاً: الذي يدل على أن التحريف قد وقع في لفظ الحديث، أن الزهري محمد بن مسلم وأبو الصهباء قد اتفقا في الرواية عن سالم بأن النبي صلى الله عليه وآله قال ذلك بعد الفراغ من الصلاة، وقد مضى في ترجمة سالم بن عبد الله، أن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية قالا: أصح الأسانيد: الزهري، عن سالم، عن أبيه.

أقول: هذا بغض النظر عن القدح الوارد في عكرمة بن عمار[1]، وهذا مما

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٢٣؛ مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٩٠ و١١٨؛ سنن الترمذي ج٥ ح٤٠٤٧ ص٣٨٩: المعجم الكبير ج١٢ ص٦٦؛ صحيح ابن حبان ج١٦ ص٢٩١؛ تاريخ مدينة دمشق ج١ ص١٣٣ و١٣٤؛ الدر المنثور ج٣ ص١١٣.

(١) فقد ذكره العقيلي في الضعفاء. وقال ابن حزم في المحلى: عكرمة بن عمار ساقط، ضعيف. وقال الآجري: سألت أبا داود عن أصحاب يحيى بن أبي كثير، قلت: عكرمة بن عمار؟ قال: عكرمة مضطرب

يقوي أن التحريف من عكرمة إذ لعله لم يحفظ، وعلى جميع التقادير فلا يصلح حديث عكرمة عن سالم لمعارضة حديث الزهري عن سالم بلا ارتياب.

ثم إن أبناء العامة بحسب الظاهر متفقون بأن أول الفتن هي فتنة قتْل عثمان بن عفان، ثم فتنة حرب الجمل وهكذا.

ولا شبهة بأن أول المحرضين على قتْل عثمان بن عفان هي عائشة، وقد أشرنا إلى بعض المصادر فيما تقدم، وحرب الجمل هي الحرب التي سببت تفرقة المسلمين عن وليهم وإمامهم، ولولا حرب الجمل وما تلاها من حروب كان صاحب بذرتها عائشة لما وقع المسلمون فيما وقعوا فيه من الضلال والحيرة، وقائدة حرب الجمل هي عائشة.

قال النووي معلقاً على حديث: «إني لأرى مواقع الفتن»، وهو حديث أسامة بن زيد الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما بإسنادهم عنه، قال: أشرف النبي صلى الله عليه وآله على أطم من آطام المدينة ثم قال: هل ترون ما أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطر![1]، **قال**: وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعه الجمل، وصفين، والحرة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين عليه السلام وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وآله[2].

الحديث. قال أحمد بن حنبل: ملازم ثقة، عكرمة بن عمار مضطرب. (المحلى ج٢ ص٣٢ وج٧ ص٤٠٨ ؛ سؤالات الآجري رقم١٠٤٣ ج٢ ص٣٨ ـ ٣٩ ؛ ضعفاء العقيلي ج٣ رقم١٤١٥ ص٣٧٨ ؛ العلل لابن حنبل ج١ رقم٧٣٣ ص٣٨٠ وج٢ رقم٣٢٥٥ ص٤٩٤).

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٢٠٠ صحيح البخاري ج٢ ص٢٢٢ وج٣ ص١٠٣ وج٤ ص١٧٦ وج٨ ص٨٨ ؛ صحيح مسلم ج٨ ص١٦٨ ؛ المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح١٩ ص٥٩٤ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٥٠٨.

(٢) شرح مسلم للنووي ج١٨ ص٨

وقال الصالحي الشامي: فوقعت فتنة قتلت عثمان، وتتابعت الفتن إلى فتنة الحرة[١].

وقال المباركفوري: قال العيني في شرح حديث ابن عمر: وإنما أشار ﷺ إلى المشرق لأن أهله يومئذ كانوا أهل كفر، فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذلك كانت هي وقعة الجمل، ووقعة صفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق، وما وراءها من المشرق، وكانت الفتنة الكبرى التي كانت مفتاح فساد ذات البين قتْل عثمان[٢].

وقال ابن حجر معلِّقاً على الحديث: وإنما اختصت المدينة بذلك، لأنَّ قتْل عثمان كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل، وبصفين كان بسبب قتْل عثمان، والقتال بالنهروان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه. ثم إن قتْل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه، ثم عليه بتوليته لهم، وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهي من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي[٣].

أقول: ويقصد ابن حجر أنه لا منافاة بين حديث الباب وهو حديث أسامة وبين حديث ابن عمر وأن الفتنة تأتي من المشرق.

قال ابن حجر بعد ما يقرب من ثلاثين صفحة معلِّقاً على حديث ابن عمر: وقد ذكرتُ في شرح حديث أسامة في أوائل كتاب الفتن وجه الجمع بينه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٤٧.

(٢) تحفة الأحوذي ج١٠ ص٣١٥.

(٣) فتح الباري ج١٣ ص١٠ ـ ١١.

وبين قوله ﷺ إني لأرى الفتن خلال بيوتكم، وكان خطابه ذلك لأهل المدينة[١].

أقول: الأمر كما ذكره ابن حجر وغيره، ولكنهم تجاهلوا أو تغافلوا أو تعمدوا التدليس بالباطل، فإن أول من حرَّض على قتْل عثمان وأول الطاعنين عليه هي عائشة، ولا أدري لماذا أغفلوا التعرض لحديث البخاري وهو نص في المقام، وخير شاهد على ما ذكروه من أن مبدأ الفتن كان قتل عثمان، وهم يعلمون جيداً أن عائشة كانت أول وأبرز المحرضين على قتله وقتاله!

وعليه فحديث البخاري وغيره حيث أشار النبي ﷺ إلى مسكن عائشة قائلاً: إن الفتنة ههنا، حديث لا مجال لتكذيبه بأي نحو من الأنحاء، وبغض النظر عن كون النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى وأنه تعالى أطلعه على غيبه، فإن الفتن التي تلت تحريض عائشة للناس على قتال عثمان كان مرجعها مسكن عائشة، فصدق الرسول الأكرم ﷺ، وهو الصادق الأمين.

وليس تشبيه الساكنة في الدار بقرن الشيطان إلا تعبيراً عما ستُمثِّله في المستقبل القريب، فإن المراد من القرن الرأس.

قال ابن قتيبة: قوله «في المشرق من ههنا يطلع قرن الشيطان»، لا يريد به ما يسبق إلى وهْم السامع من قرون البقر، وإنما يريد من ههنا يطلع رأس الشيطان[٢]. وقال السيوطي في التنوير: «قرن الشيطان» أي حزبه، وأهل وقته وزمانه، وأعوانه[٣].

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص٣٨.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص١١٩.

(٣) تنوير الحوالك رقم١٧٥٧ ص٧٠١.

أقول: ولسنا نحن من روى أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد أشار إلى مسكن عائشة قائلاً، «ههنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان».

ولسنا نحن من وضع ألفاظ اللغة العربية، وأنّ لفظ ههنا يشار به إلى المكان القريب.

ولسنا نحن الذين ذكرنا بأن فتنة قتْل عثمان كانت سبباً لجميع ما وقع بعد ذلك من فتن.

ولسنا نحن من روينا بأن عائشة كانت تحمل قميص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وتقول: هذا قميص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يَبْلَ، وعثمان أبلى سنته، اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

ولسنا نحن من روينا أنه بعدما حوصر عثمان في داره كان الناس يأتون عائشة يستنجدونها فتطعن عليهم وعلى عثمان.

ولسنا نحن الذين روينا حديث عمار بن ياسر وأن الله تعالى ابتلى المسلمين وقتئذ بعائشة امتحاناً لهم في شأن انقيادهم لإمامهم.

ولسنا نحن الذين روينا بأن عائشة بعد أن علمت بتولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ للخلافة دعت بالويل والثبور.

ولسنا نحن من روينا حديث نهي النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعائشة عن الخروج إلى المكان الذي ينبحها فيه كلاب الحوأب.

وأخيراً، فلسنا نحن الذين روينا ما مر عليك من أحاديث صحت أسانيدها عن عائشة برواية أعيان ثقاتها وأبنائها عنها، أحاديث تسيء إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أحاديث تريد منا أن نعتقد بسيدنا محمد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على أنه كان شخصاً

عادياً، بل ليت الأمر اقتصر على ذلك، فأرادت منا عائشة ان نعتقد بسيدنا رسول الله ﷺ على أنه كان مسحوراً، ذا شيطان، فحّاشاً سباباً، متلبساً بالباطل.

هذا، ولا أراك تنسبنا إلى التعصب والتحامل على السيدة عائشة، فإننا لم نروِ شيئاً مما مرَّ عليك إلا من كتب أبنائها المخلصين لها، وإلا من طريق ثقاتهم .

فإما أن تقولوا كلمتكم بكل جرأة وصراحة، وأن البخاري ومسلم وابن حنبل، ومن ورائهم أعلامكم الموثِّقون لرواة الأحاديث القادحة في شرف سيدنا محمد ﷺ وفي صميم قداسته ونزاهته، تقولوا بأنهم جميعاً متحاملون على السيدة عائشة، مفترون عليها في ما نسبوه إليها، وبالتالي فيسقطون عن درجة الإيمان بل الإسلام، وإما أن تتبرؤوا من الشخص الذي عمد إلى الطعن بنبوة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، أي من الشخص الذي نسب الرسول الأكرم ﷺ إلى الباطل، وعلى كلا التقديرين يهوي البخاري ومسلم ومن شاكلهما وتابعهما وتابعاه في درك الضلال والغي.

إذ لا فرق بين من يعتقد بصحة الحديث الذي ينسب النبي ﷺ إلى الباطل في القول والعمل والاعتقاد، وبين من يمدح رواة الحديث بالديانة والورع والثقة والأمانة، وبين من حدث به مفترياً على الرسول الأكرم ﷺ.

لا أراك تنسبنا إلى التعصب ونحن في مقام الذب عن سيدنا محمد ﷺ.

اللهم إلا إذا كنت ترى نفسك ملزَماً بالدفاع عمن ينسب إلى نبيك الباطل الفاضح، وملزَماً بتكفير مَن يذبُّ عن سيد الخلق ما نسبه أهل الزور والبهتان إليه، ولكن ظني بك أنك مسلم.

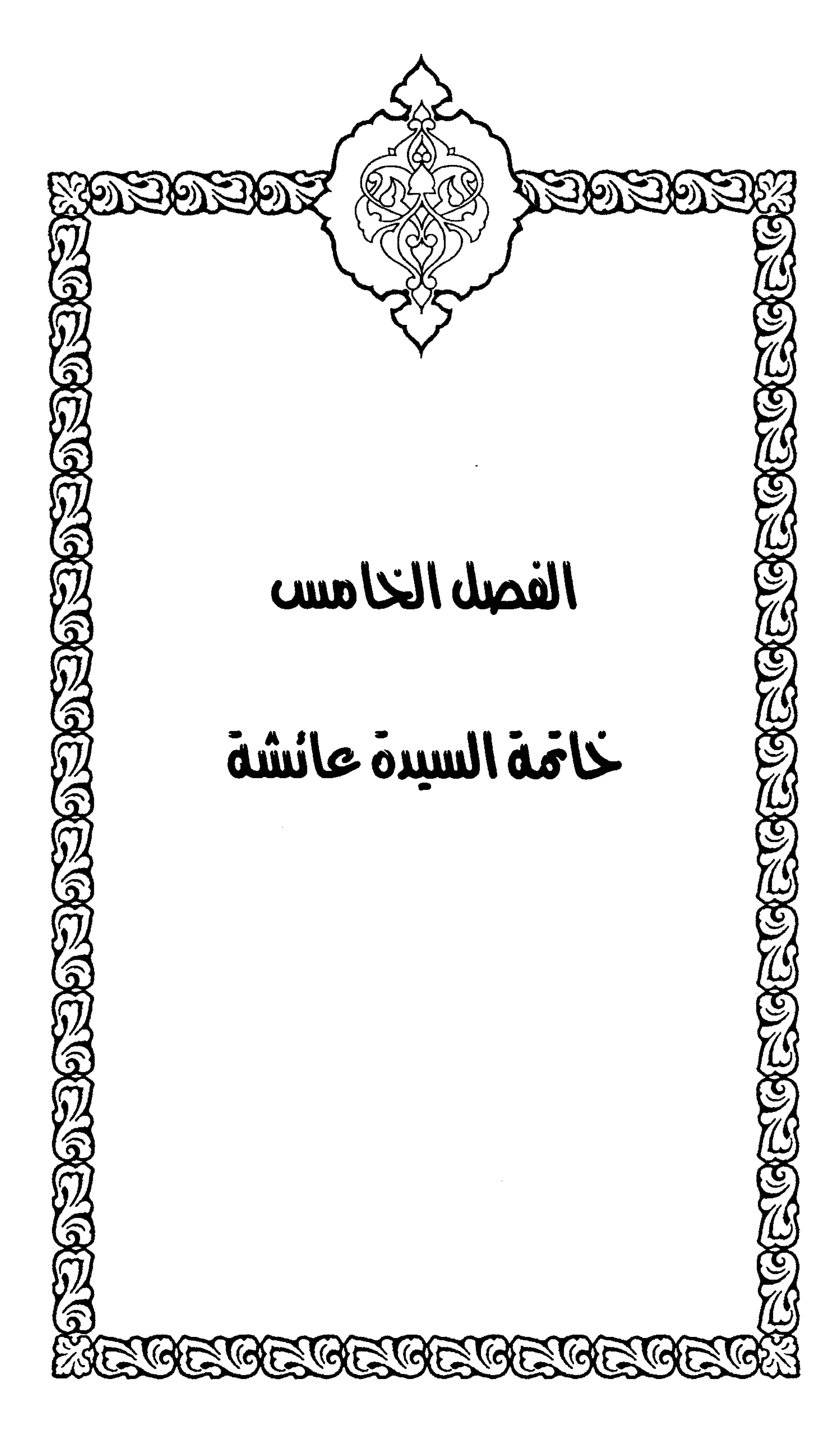
والمسلم هو من يؤمن بمحمد بن عبد الله ﷺ على أنه نبي الإسلام، لا

على أنه نبي ورقة بن نوفل النصراني المتهوِّد.

والمسلم هو من يؤمن بمحمد بن عبد الله ﷺ على أنه النبي المعصوم عن الباطل، لا على أنه كان رجلاً يعاين الباطل مع الشياطين التي كانت تفر من عمر بن الخطاب.

ثم ختاماً هنا لا بد وأن نُنبِّه على أن الأحاديث الواردة في الفتن كثيرة، فلا يعني ذلك لزوم اتحاد جميعها في إفادة معنى واحد، لوضوح أن الحديث في تلك الموارد ليس عن شيء واحد، وإنما عن جملة من الفتن، ومن البديهي أن يختلف التعبير تارة، وأن تتحد بعض الأحاديث في إفادة بعض المعاني أخرى، فلا يعني اختلاف التعبير وجود منافاة بين تلك الأحاديث، كما أنه لا مانع من أن يكون للشيطان أكثر من رأس وقرن بحسب اختلاف موارد الفتن، إذ لا شبهة أن في حرب صفين كان معاوية هو قرن الشيطان، وهذا لا ينافي أن يكون نغله اللعين هو قرن آخر في وقعة كربلاء الطَّفِّ.

وإذ قد ثبت بشكل قاطع على أن عائشة رأس فتنة عمياء صماء بكماء، وأن فتنتها كانت سبباً مباشراً لما تلاها من فتن، فناسب جداً من عائشة أن تدعو بالويل والثبور حين وافتها المنية، فإلى الحديث عن خاتمة عائشة.



الفصل الخامس

خاتمة السيدة عائشة

قال الله تعالى على لسان الصديقة مريم بنت عمران
﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾[١].

أقول: إنَّ مريم سلام الله عليها لم تكن تلك المرأة اليائسة القانطة من رحمة ربها، وهي سيدة نساء عالَمها، وهي الطاهرة البتول المطهَّرة، وإنما لمَّا أنْ كان حمْلُها بنبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه السلام أمراً غير طبيعي، ولا يحتمل مبرراً معقولاً مقبولاً من أبناء مجتمعها ومحيطها لا سيما مجتمعها الخاص، فإن من الطبيعي أن تتمنى الموت قبل أن تسمع وترى أحداً من الناس يبادر إليها بالتهمة في عرضها وشرفها وحيائها.

وليس من الطبيعي أن لا تقابل مريم عليها السلام ما حصل معها بغير ما تمنته من أنها ليتها كانت نسياً منسياً، بل لا يحتمل في حق من هي أدنى منها إلا أن يسيطر عليها نحو من الحيرة، والتردد، والاضطراب.

ولا يحتمل ممن هو أدنى منها إلا أن تهرب بحملها حياءً من خالتها ومن نبي الله زكريا على نبينا وآله وعليه السلام، وخشيةً من أن يتهمها قومها بالسوء.

---

(١) سورة مريم الآية ٢٢ ـ ٢٣.

وفعلاً فانتبذت أي تنحت وابتعدت كثيراً، وكيف لا تبتعد وهي تعلم بأنهم سيتهمونها، وتهمتُهم إياها أمْرٌ طبيعي جداً، ﴿**قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً**﴾[1]، فإنَّ وضْعها حرجٌ للغاية.

ولكن سرعان ما ظهر وبانَ لها أنَّ في الأمر سراً عظيماً، حيث ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَ تَحْزَنِي**﴾، فسكنت لنداه نفسُها، وهدأ بتطمينه روعها، فغدت امرأة تملك الحجة القاطعة الساطعة الواضحة، وأنَّ حمْلها أمْرٌ رباني، وأنَّ طفلها رحمةٌ إلهية خصَّها الله تعالى به.

وأيضاً من الطبيعي جداً أن تأتي مثل مريم عليها السلام قومها حاملة وليدها غير مكترثة ولا مترددة، بل هي أتت بطفلها بكل وثوق نفس، واطمئنان قلب.

وكيف لا تأتي قومها ومعها الحجة البالغة!

وكيف لا تأتي قومها وهي تحمل كلمة الله تعالى وروحه!

وفعلاً، فغدا التردد والحيرة والاضطراب أمراً عرض لفترة زمنية محدودة، وتعقب ذلك إيمان راسخ، وعقيدة ثابتة، واطمئنان استوعب قلبها وعقلها.

وكأن لسان حالها وهي تشكر المولى تعالى، قائلة: الحمد الله أنه تعالى لم يستجب دعائي لما أن دعوت بيا ليتني مت قبل هذا.

وكأنها قائلة بلسان الحال، اللهم اغفر لي ما سلف مني من تردد وحيرة وخوف وخشية واضطراب.

وليست مريم عليها السلام وحدها تكون كذلك، بل إن كل شخص يملك حظاً إيمانياً إذا ما خشي أمراً ما ثم أتته بيِّنة صادقة من ربه باعثة على الاطمئنان، فلا

---

(١) سورة مريم عليها السلام الآية ٢٧.

محالة سيتولد عنده سكون نفس بحيث يبادر إلى مواجهة ما كان يخشاه.

نعم ما هو غير محتمل من الشخص المؤمن أن يبقى خائفاً مضطرباً بعد ذلك، وهذا ما لا يمكن انسجامه مع كونه مؤمناً.

فمن يظن بأن السلطان سيعاقبه على أمر ما، لا نحتمل منه أن يبقى خائفاً إذا ما وقع تحت أيدي جماعته بعد أن علم بصدور العفو من السلطان عنه.

كما أنه لا يمكن أن يبقى خائفاً فيما إذا حصَّل حجة قاطعة على براءته.

وأما إذا كانت الحجة تتمثَّل في وجه إعجازي من جهة، دالة على عظيم عناية الله تعالى به، كاشفة عن رفيع منزلته عنده تعالى، فإن مثل هذا الشخص يجهد في أن يقابل السلطان، ويكون شوقه وعزمه على لقائه والاجتماع به شديداً.

وفعلاً، فإن مريم عليها السلام بعد أن خرجت من بين قومها خائفة مضطربة متمنية الموت، وإذ بها تسرع في العود والرجوع لمواجهة قومها.

ولو أن مريم عليها السلام لم ترجع بعد ما حصل معها ما حصل، وبعد أن وقفت على النداء الحق، فإن من غير الممكن أن نلتزم بكونها امرأة مؤمنة بالله تعالى.

فإن بقاءها خائفة إما أن يرجع إلى عدم إيمانها أصلاً، أو أنها تحتمل عدم كفاية ما أتاها في مقام إلقاء الحجة على قومها، وكفايته في براءتها.

واحتمالها عدم كفاية ما أتاها لبراءتها يرجع إلى التشكيك في الحق تعالى، وهو خلاف كونها مؤمنة بالله سبحانه، وبحكمته، ولطفه، ورحمته.

والذي يكفينا أن مريم عليها السلام بعد أن تمنت أن تكون نسياً منسياً، الكاشف ذلك عن وقوعها في مأزق رهيب جداً، بمجرد أنْ أتاها النداء الحق، أتت

قومها تواجههم بما كانت تخشى أن تواجههم به، وهذا يدل على رسوخ إيمانها، وجليل محلها.

والملفت أن مريم عليها السلام لم تطلب المزيد والمزيد من البينات والأدلة الشاهدة ببراءتها، وإنما اكتفت بما تفضل الله سبحانه وحده دونما أدنى طلب منها بحسب الظاهر.

إشارة في كلمة لا بد منها:

وفي مقام بحثنا وجدنا أن عائشة تدعي بأنها كانت أحب الناس إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وأنها زوجته في الآخرة، وأنها أفضل من جميع النساء.

هذا بالإضافة إلى ما يدعى لها من الدرجات العالية من العلم والتقوى والعدالة والورع.

ولا يحفظ أبناء العامة لها موقفاً مريباً، وإنما غاية ما يدّعونه أنها أخطأت في شأن عثمان بن عفان وأنها تابت بعد ذلك، وأنها أخطأت عن اجتهاد في خروجها في حرب الجمل وقد استغفرت من ذلك وتابت.

إذن عائشة أولاً: أفضل نساء العالمين حيث إن منزلتها في النساء منزلة الثريد من الطعام.

ثانياً: هي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا وزوجته في الآخرة.

ثالثاً: هي المرأة العالمة الورعة الحافظة لسنة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

رابعاً: هي المرأة المبشَّرة بالجنة مراراً.

خامساً: هي صاحبة الفضائل التي لم يشاركها فيها إلا مريم بنت عمران.

سادساً، وسابعاً، وثامناً......

أقول: إن واحدة من جملة هذه الفضائل المزعومة لها يكفيها لأن تكون مطمئنة القلب، ساكنة النفس لمواجهة رب العباد، مشتاقة للقاء ربها ورب حبيبها، وهي حبيبة حبيب الله تعالى.

إذن كيف تتمنى تلك المرأة التي لم يبلغ أحد من النساء مرتبتها في الصلاح والتقوى، كيف تتمنى أن تكون نسياً منسياً حين موتها؟!!

هل كانت تظن بأنَّ النبي الأكرم ﷺ غيرُ صادق في ما أخبرها به من نجاتها يوم القيامة وأنها زوجته وحبيبته؟

ولكنها ليست بصاحبة جرم موبق، وليست بصاحبة ذنب عظيم يحملها على القنوط واليأس!

وكيف يتمنى صاحب الدرجات الرفيعة، وصاحب المقامات العظيمة عند ربه، أن يكون نسياً منسياً، وهو وافد على ربه الكريم الذي وعده على لسان حبيبه بالفوز؟

صحيح أن الدنيا دار امتحان وعمل، ولكن عائشة قد أعطاها النبي ﷺ صك براءتها من النار في كثير من المناسبات!

صحيح أن أهوال الحشر وما يسبقه في البرزخ ومن سكرات الموت شيء عظيم، غير أنه مهول على المذنب العاصي.

هو أمْر مهول على من لا يعلم بنجاته، وأما الشخص الذي بلغ ما بلغته عائشة من الفضل والكرامة بحسب زعمها، فلا يحتمل منه إلا أن يكون مشتاقاً للقاء ربه، ليوفيه أحسن الجزاء، ﴿**فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾ (البقرة: ٩٤).

بل المؤمن العادي وإن كان مقترفاً للذنوب غير أنه يبقى راجياً عفو ربه، وغفران ذنبه.

فهل إن عائشة لم تكن مذنبة مقترفة لعظائم الأمور؟

فلماذا هذا الجزع حين وافتها المنية؟

وهل إن عائشة لا تعرف شيئاً مما زعموه لها من الفضائل والمكارم؟

وهب أنها لا تعلم بشيء من ذلك، ولكن ما الذي يدعوها لأن تتمنى أن تكون نسياً منسياً؟

فعائشة، إما أن لا تكون بصاحبة ذنوب موبقة، أو أنها صاحبة جرائم عظيمة.

فإذا لم تكن إلا امرأة ورعة، فلا تكون جزعة يائسة عند الممات حتى لو لم يصح شيء مما ادعته لنفسها أو ادعوه لها من فضائل.

وإذا كانت صاحبة جرائم عظيمة، فلا بد وأنها تقدم على ربها آمنة مطمئنة بعد أن تواترت صكوك نجاتها وفوزها عند ربها.

ومهما كانت ذنوب الإنسان وجرائمه عظيمة، فإن صكاً واحداً من رب العباد يأتيه ببراءة يكفي لتطمين نفسه.

فيا ترى لماذا أصرت عائشة حين الوفاة على تمني أن تكون نسياً منسياً؟

ألا يكفيها أنها حبيبة حبيب الله تعالى، وأنها زوجة سيد الخلق في الجنة؟

ولكنكم لا تلتزمون بأن عائشة صاحبة ذنب عظيم، بل وتؤمنون بأن لها محلاً يغبطها عليه جميع نساء العالمين، فكيف صح عندكم حديث جزعها عند الموت؟!

وهل يكون المؤمن عندكم عند الموت يائساً قانطاً من رحمة ربه؟!

فأنتم أمام أحد أمرين: فإما أن تلتزموا بأن عائشة صاحبة جرائم وذنوب عظيمة موبقة، وإما أنَّ حديثَ تمنيها أن تكون نسياً منسياً حديثٌ باطلٌ.

وأما أن تقولوا لنا بأن ما كان من عائشة من تمنٍّ حين الموت يرجع إلى عظيم خوفها وخشيتها، فهذا كلام زائغ، ووحي باطل.

فإن عيسى على نبينا وآله وعليه السلام أولى منها بأن يتمنى ذلك حين الموت، فإنه أخوف من ربه منها وأخشى، وقد قال: ﴿**وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً**﴾[1].

والأولى بسيد الخلق صلى الله عليه وآله أن يتمنى ذلك منها، فإنه أخوف الخلق من ربه وأخشاهم.

فإذا كان حَمَلَها ورعُها وخشيتُها من ربها على تمنيها ما تمنَّت، فالأولى بذلك منها هم أنبياء الله تعالى وأحباؤه!

وهل يصح عندكم أن يتمنى سيد الخلق صلى الله عليه وآله عند الموت أن يكون نسياً منسياً!!

والله إن هذا عجيب غريب، شخص موعود من ربه بالفوز والجنان، والنعيم والرضوان، ومع ذلك يقدم على ربه يائساً، ويقابل وعْد ربه بالقنوط، متمنياً أن يكون نسياً منسياً!

شخص يبعث إليه سلطان البلاد بأن أقدم علينا مرحباً بك محبواً بالكرامة والمحل الرفيع عندنا، فيردّ على السلطان الصادق الحكيم اللطيف العادل، بيا ليتني كنت نسياً منسياً!!

---

(١) سورة مريم عليه السلام الآية ٣٣.

وتفصيل الكلام في ما ذكرناه لا حاجة فيه بعد وضوح الأمر، فدونك أحاديث السيدة عائشة:

الحديث الأول: أخرج البخاري بإسناده عن ابن أبي مليكة، قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتُ الله، قال: فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، وددت أني كنت نسياً منسياً[(١)].

الحديث الثاني: وروى ابن أبي شيبة وابن سعد بإسنادهما عن عائشة، أنها قالت: وددتُ أني إذا متُ كنتُ نسياً منسياً[(٢)].

الحديث الثالث: روى ابن أبي شيبة بإسناده عن إسحاق مولى زائدة أن عائشة قالت: يا ليتها شجرة تُسبِّح وتقضي ما عليها، وأنها لم تُخلَق.

الحديث الرابع: روى ابن أبي شيبة عن عروة، أنه سمع عائشة تقول: يا ليتني لم أُخلَق[(٣)].

الحديث الخامس: روى الصنعاني بإسناده عن عائشة قالت: يا ليتني كنت نسياً منسياً، أي حيضة[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص١٠.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح١ ص١٩١ ؛ الطبقات الكبرى ج٨ ص٧٣.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ح٢ وح٣ ص١٩٢.

(٤) المصنف للصنعاني ج١١ ح٢٠٦١٦ ص٣٠٧.

أقول: مضافاً لرواية البخاري في الصحيح لقول عائشة، فنحن تثبيتاً للحجة نُبيِّن وثاقة رجال إسناد الأحاديث مبتدئين بسند الحديث الأول فالثاني وهكذا[1].

---

(١) أما الحديث الأول فبعد رواية البخاري له فلا نبحث في رجال إسناده إلزاماً لهم بما يلتزمون به، حيث يلتزم جميع أبناء العامة بصحة جميع أحاديث صحيح البخاري، والحديث الثاني رواه ابن أبي شيبة عن عبدة بن سليمان وعبد الله بن نمير، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، والحديث الثالث رواه ابن أبي شيبة عن زيد بن الحباب عن أسامة بن زيد عن إسحاق مولى زائدة عن عائشة، والحديث الرابع رواه ابن أبي شيبة عن شبابة بن سوار، عن ليث بن سعد، عن يزيد، عن عراك، عن عروة، والحديث الخامس رواه الصنعاني عن معمر، عن الزهري، عن عروة عن عائشة.

وتقدم بيان حال ابن أبي شيبة وعبدة بن سليمان في حاشية حديث الطائفة الثالثة، وعبد الله بن نمير وهشام بن عروة بن الزبير وأبوه في حاشية الحديث الأول من الطائفة الأولى، وعبد الرزاق الصنعاني في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الرابعة، ومعمر بن راشد والزهري محمد بن مسلم في حاشية الحديث الثاني من الطائفة الخامسة، وزيد بن الحباب في حاشية الحديث الثالث من الطائفة السادسة، وليث بن سعد في حاشية الحديث الثاني من الطائفة العاشرة.

وقد قال المزي: عبد الله بن نمير، روى عن هشام بن عروة، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج١٦ رقم٣٦١٨ ص٢٢٥ ـ ٢٢٧).

وقال أيضاً: زيد بن الحباب، روى عن أسامة بن زيد الليثي، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج ١٠ رقم٢٠٩٥ ص٤٠ ـ ٤٤).

وقال أيضاً: ليث بن سعد، روى عن يزيد بن أبي حبيب، روى عنه شبابة بن سوار. (تهذيب الكمال ج٢٤ رقم٥٠١٦ ص٢٥٥ ـ ٢٥٩).

فلم يبق إلا أن نُبيِّن حال أسامة بن زيد الليثي، وإسحاق مولى زائدة، وشبابة بن سوار، ويزيد بن أبي حبيب، وعراك بن مالك.

١ ـ **أسامة بن زيد الليثي**، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج٥ ص٢٦ و٧٠ و١١٣).

قال المزي: أسامة بن زيد الليثي، روى عن إسحاق مولى زائدة، روى عنه أبو أسامة حماد بن أسامة. (تهذيب الكمال ج٢ رقم٣١٧ ص٣٤٧ ـ ٣٤٨).

وثقه يحيى بن معين، والعجلي، وعلي بن المديني. وقال ابن عدي: ليس بحديثه ولا برواياته بأس. وقال أبو داود: صالح. وقال الذهبي: الإمام الصدوق. (معرفة الثقات ج١ رقم٦١ ص ٢١٧ ؛ تاريخ ابن معين للدوري ج١ رقم٦٦٥ ص١١٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم١٠٣١ ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ ؛ سؤالات ابن أبي شيبة ص٩٨ ؛ الكامل لابن عدي ج١ ص٣٩٥ ؛ تهذيب الكمال ج٢ ص٣٤٧ ـ ٣٥٠ ؛ سير أعلام النبلاء ج٦ رقم١٤٥ ص٣٤٢ ؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٣٩٢ ص١٨٣ ـ ١٨٤).

٢ ـ إسحاق مولى زائدة، من رجال الصحيح. (صحيح مسلم ج١ ص١٤٤).

قال المزي: إسحاق مولى زائدة، روى عنه أسامة بن زيد الليثي. (تهذيب الكمال ج٢ رقم٣٩٦ ص٥٠٠ ـ ٥٠١).

وثقه العجلي، ويحيى بن معين، وابن حزم، وابن حجر، وذكره ابن حبان في الثقات، وصحّح حديثه الحاكم وابن حبان. وقال ابن حزم: وثّقه أحمد بن صالح الكوفي وغيره. (معرفة الثقات ج١ رقم٧٧ ص٢٢١ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٢ رقم٨٤٣ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ ؛ الثقات ج٤ ص٢٣ ؛ المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٣٥٧ ؛ صحيح ابن حبان ج٥ ص٥٢٣ ؛ المحلى ج١ ص٢٥٠ ؛ تهذيب الكمال ج٢ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ ؛ تهذيب التهذيب ج١ رقم٤٨٧ ص٢٢٦ ؛ تقريب التهذيب ج١ ص٨٧).

٣ ـ شبابة بن سوار، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٣ ص٢٠٦ وج٥ ص٦٤ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٩٠ وج٢ ص١٥١ وج٤ ص١٧٣ وج٦ ص١٢٨).

قال المزي: شبابة بن سوار، روى عن الليث بن سعد، روى عنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. (تهذيب الكمال ج١٢ رقم٢٦٨٤ ص٣٤٣ ـ ٣٤٥).

وثقه علي بن المديني، ويحيى بن معين، والعجلي، وعثمان بن أبي شيبة، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد: كان ثقة صالح الأمر في الحديث. وقال ابن حبان في الثقات: مستقيم الحديث. وقال زكريا الساجي وعثمان بن أبي شيبة: صدوق، وزاد الثاني: حسن العقل. وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: صدوق في الحديث. وقال ابن عدي: لا بأس به في الحديث. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٣٢٠ ؛ معرفة الثقات ج١ رقم٧١٣ ص٤٤٧ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٤ رقم١٧١٥ ص٣٩٢ ؛ الثقات ج٨ ص٣١٢ ؛ تاريخ أسماء الثقات رقم٥٥٨ ص١١٤ ؛ تاريخ بغداد ج٩ رقم٤٨٣٩ ص٢٩٤ ـ ٢٩٨ ؛ تهذيب الكمال ج١٢ ص٣٤٣ ـ ٣٤٨ ؛ تهذيب التهذيب ج٤ رقم٥٢٨ ص٢٦٤ ـ ٢٦٥).

٤ ـ يزيد بن أبي حبيب، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص٢٢٨ وج٦ ص١٣٠ ؛ صحيح مسلم ج٢ ص١٦٦ وج٤ ص١٣٥ وج٨ ص٢٧).

قال المزي: يزيد بن أبي حبيب، روى عن عراك بن مالك، روى عنه الليث بن سعد. (تهذيب الكمال ج٣٢ رقم٦٩٧٥ ص١٠٢ ـ ١٠٥).

وثقه ابن سعد، والعجلي، وأبو زرعة، وابن أبي خيثمة، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال

وختاماً، فلقد اضطررنا في هذا البحث للقدح في أئمة الفرقة والتحريف، بعد اجتماعهم على التحريف والتزوير على زوجة رسول الله ﷺ السيدة عائشة.

فإن الأخذ بأحاديثهم الواردة في صحاحهم وكتبهم مما روته عائشة، يلزم عنه صيرورة نبوة سيدنا محمد ﷺ أسطورة تاريخية ولا يعدوها.

وإن الأخذ بتلك الأحاديث يلزم عنه بطلانها هي نفسها أيضاً، لأن مآلها إلى شخص زعموا أنه نبي، ولكنهم في زعمهم أبطلوا نبوته وعصمته.

ونحن وإن نظن أن تبرئة السيدة عائشة أولى من تبرئتهم، غير أننا في المقابل لا يصح منا أن نُشكِّك بوثاقة من اجتمعت كلمتهم على غاية وثاقتهم وعدالتهم.

الليث بن سعد: يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعالمنا. وقال أيضاً: ابن أبي جعفر ويزيد بن أبي حبيب، هما جوهرتا البلاد. وقال الحاكم: أثبت إسناد المصريين الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب. وقال الذهبي: كان حجة حافظاً للحديث. (الطبقات الكبرى ج٧ ص٥١٣ ؛ معرفة الثقات ج٢ رقم٢٠١٠ ص٣٦٢ ؛ معرفة علوم الحديث ص٥٦ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٩ رقم١١٢٢ ص٢٦٧ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٩٥٣ ص١٩٧ ؛ الثقات ج٥ ص٥٤٦ ؛ تاريخ أسماء الثقات رقم٤٦٤ ص١٠١ ؛ تهذيب الكمال ج٣٢ ص١٠٢ ـ ١٠٦ ؛ تذكرة الحفاظ ج١ رقم١١٦ ص١٢٩ ـ ١٣٠ ؛ تهذيب التهذيب ج١١ رقم٥١٥ ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ ؛ تقريب التهذيب ج٢ ص٣٢٢).

٥ ـ **عراك بن مالك**، من رجال الصحيح. (صحيح البخاري ج٢ ص١٢٧ وج٣ ص١٤٩ وج٤ ص١٨٦ ؛ صحيح مسلم ج١ ص٥٧ و١٨٢ وج٢ ص١٦٦ وج٣ ص٦٧).

قال المزي: عراك بن مالك، روى عن عروة بن الزبير، روى عنه يزيد بن أبي حبيب المصري. (تهذيب الكمال ج١٩ رقم٣٨٩٣ ص٥٤٥ ـ ٥٤٧).

وثقه أبو حاتم، وأبو زرعة، وغيرهما، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي: ثقة، صالح من خيار التابعين. (معرفة الثقات ج٢ رقم١٢٢٦ ص١٣٣ ؛ الجرح والتعديل للرازي ج٧ رقم٢٠٤ ص٣٨ ؛ مشاهير علماء الأمصار رقم٨٩١ ص١٨٧ ؛ الثقات ج٥ ص٢٨١ ؛ تهذيب الكمال ج١٩ ص٥٤٥ ؛ سير أعلام النبلاء ج٥ رقم٢١ ص٦٣ ؛ تهذيب التهذيب ج٧ رقم٣٤٠ ص١٥٦ ـ ١٥٧ ؛ تقريب التهذيب ج١ ص٦٦٩).

وأيضاً لا يمكن لعاقل أن يجزم باجتماع أعيان وأجلة المتيِّمين بالسيدة عائشة وبأبيها في تواطئهم متعمِّدين التحريف على لسان سيدتهم وأمهم.

فإما أن نعتقد بوثاقتهم كما هم مجمعون على ذلك، وبالتالي فتغدو السيدة عائشة أولَ مكذِّبة بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وهذا ما لا يصح منا أن نظنه فيها.

وإما أن نظن بكونهم وضَّاعين محرِّفين على لسان زوجة النبي ﷺ، وبالتالي فلا مجال للأخذ بأقوالهم وشهادتهم في أي شأن من شؤون الدين والدنيا والآخرة.

فإن من يتعمد التحريف على زوجة النبي ﷺ بنحو يريد منا أن نعتقد فيها خروجها عن الدين والملة، لا يمكن أن نأمنه على ديننا ودنيانا وآخرتنا.

وإن أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبا حاتم، وابن معين، والعجلي، وابن حبان، وأبا زرعة، وابن سعد، والذهبي، ويحيى بن سعيد القطان، وابن عدي، والدارقطني، والخطيب البغدادي، وغيرهم ممن مدحوا ووثَّقوا أولئك الرواة الراوين لتلك الأحاديث، لهم أخطر على الدين من الرواة أنفسهم.

وكيف يمكن أن نأمن على ديننا وأن نأخذ أحكام الله تعالى من طريق أشخاص وثَّقوا الرواة الطاعنين في شرف نبيهم، وفي عصمته، وفي عرضه، وغيرته، وحشمته، وورعه، و.. و...؟

وكيف لنا أن نثق بهم، وقد وثَّقوا الرواة الذين أرادوا منا أن نعتقد بأن زوجة النبي ﷺ وهي السيدة عائشة لم تكن مؤمنة بنبي الله تعالى!!

نعم لا أراك تقول: فكيف تحتجون بأحاديثهم التي رووها في فضائل أهل

البيت عليهم السلام؟

إذ نجيب: إنهم متهمون في حبهم لأهل البيت عليهم السلام، ونحن لا نحتج بأحاديثهم لنا، وإنما نحتج بأحاديثهم عليهم، وفرق بين أن نستدل بكلام أحد كدليل، وبين أن نُلزمَ الشخص بما يعتقد به مما يُمثِّل حجة عليه وليس له.

ولنختم الكلام حامدين الله تعالى ذا الجلال والإكرام. وكان الفراغ من كتابة هذا المختصر ليلة الإثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من شهور السنة السادسة والعشرين بعد الأربعمائة والألف لهجرة سيد الأنام سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وأنا الراجي عفو ربي وشفاعة سادتي محمد وآله خير البرية صلوات الله عليهم أجمعين، علي، بن حسين، بن عباس، بن محمد، بن أبو الحسن، بن مهدي، بن إبراهيم، بن عبد السلام، بن زين العابدين، بن عباس، بن علي، بن علي نور الدين، بن نور الدين علي، بن الحسين عزِّ الدين، بن محمد، بن الحسين، بن علي، بن محمد، بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن، بن محمد ولقبه شمس الدين، بن عبد الله ولقبه جلال الدين، بن أحمد، بن أبي الفوارس حمزة، بن أبي محمد سعد الله، بن أبي أحمد حمزة، بن أبي السعادات محمد، بن أبي محمد عبد الله نقيب نقباء الطالبيين في بغداد، بن أبي الحرث محمد، بن أبي الحسن علي المعروف بابن الديلمية، بن أبي طاهر عبد الله، بن أبي الحسن محمد المحدث، بن أبي الطيب طاهر، بن الحسين القطعي، بن موسى أبي سبحة، بن إبراهيم المرتضى، بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الميامين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

فهرس التراجم

٢١) الحسين بن حريث ص٢٩٣.

٢٢) حماد بن أسامة أبو أسامة ص٢٥١.

٢٣) حماد بن سلمة ص٥٩.

٢٤) حميد بن الربيع ص٣٣١.

٢٥) حميد بن عبد الرحمان الرؤاسي ص٢٨١.

٢٦) خالد الحذاء ص٣٣٥.

٢٧) خالد بن الحارث ص١٣٦.

٢٨) خارجة بن عبد الله بن سليمان ص١١٨.

٢٩) خالد بن يوسف بن خالد السمتي ص٣٥٣.

٣٠) داود بن أبي عوف أبو الجحاف ص٣٤٩.

٣١) زكريا بن يحيى الساجي ص٣٥٢.

٣٢) زكريا بن يحيى السجزي ٣٤٤.

٣٣) زهير بن حرب ص٨٧.

٣٤) زيد بن الحباب ص١١٧.

٣٥) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ص٣٤٣.

٣٦) سعيد بن يحيى بن سعيد ص١٤٢.

٣٧) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ص٢٠١.

٣٨) سليمان بن المغيرة ص١٨٦.

٣٩) سليمان بن مهران الأعمش ص٨٨.

٤٠) سماك بن حرب ص٩١.

٤١) شبابة بن سوار، ص٣٩٦.

٤٢) شعبة بن الحجاج ص٢٥٤.

٤٣) شيبان بن فروخ ص١٨٦.

فهرس الموضوعات

فهرس الكتب والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ إثبات عذاب القبر للبيهقي ط الثانية دار الفرقان عمان ١٤٠٥هـ

٣ ـ الآحاد والمثاني للضحاك دار الدراية الرياض ١٤١١هـ

٤ ـ الإحكام لابن حزم ط دار العاصمة القاهرة.

٥ ـ الأدب المفرد للبخاري مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٦هـ

٦ ـ أسباب نزول الآيات مؤسسة الحلبي القاهرة ١٣٨٨هـ

٧ ـ أسد الغابة لابن الأثير انتشارات إسماعيليان طهران.

٨ ـ الإصابة لابن حجر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ

٩ ـ إكمال الكمال لابن ماكولا دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

١٠ ـ أمالي الحافظ لأبي نعيم الأصبهاني ط الأولى دار الصحابة للتراث ١٤١٠هـ

١١ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري تحقيق محمد طه الزيني طبع مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٧٨هـ

١٢ ـ أمالي المحاملي ط الأولى المكتبة الإسلامية الأردن ١٤١٢هـ

١٣ ـ الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية ط الأولى دار مكتبة الصحابة ١٤٠٦هـ

١٤ ـ كتاب الأوائل لابن أبي عاصم ط دار للخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت.

١٥ ـ أنساب الأشراف للبلاذري ط الأولى مؤسسة الأعلمي بيروت ١٣٩٤هـ

١٦ ـ الأنساب للسمعاني ط الأولى دار الجنان بيروت ١٤٠٨هـ

١٧ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر الكاشاني ط الأولى مكتبة الحبيبية باكستان ١٤٠٩هـ

١٨ ـ بداية المجتهد لابن رشد ط دار الفكر ١٤١٥هـ

١٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٨هـ

٢٠ ـ بغية الباحث للحارث بن أبي أسامة تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني دار الطلائع.

٢١ ـ تاج العروس للزبيدي ط دار الحياة بيروت.

٢٢ ـ تاريخ ابن معين للدارمي تحقيق الدكتور محمد أحمد نور سيف دار المأمون للتراث دمشق.

٢٣ ـ تاريخ ابن معين للدوري دار القلم بيروت.

٢٤ ـ تاريخ أسماء الثقات لعمر بن شاهين الدار السلفية الكويت ١٤٠٤هـ

٢٥ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ

٢٦ ـ تاريخ جرجان للسهمي ط الرابعة دار الكتب بيروت ١٤٠٧هـ

٢٧ ـ تاريخ خليفة بن خياط للعصفري ط دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ

٢٨ ـ التاريخ الصغير للبخاري دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ

٢٩ ـ تاريخ الطبري مؤسسة الأعلمي بيروت.

٣٠ ـ التاريخ الكبير للبخاري ط المكتبة ا لإسلامية ديار بكر.

٣١ ـ تاريخ المدينة لابن شبة النميري دار الفكر قم المقدسة ١٤١٠هـ

٣٢ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر طبع دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ

٣٣ ـ تاريخ اليعقوبي ط دار صادر بيروت.

٣٤ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ط دار الكتب العلمية بيروت.

٣٥ ـ التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا النووي ط الثالثة دار ابن حزم بيروت ١٤١٤هـ

٣٦ ـ التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ط الأولى مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٩هـ

٣٧ ـ تحفة الأحوذي المباركفوري ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ

٣٨ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي مكتبة الحرم المكي مكة المكرمة ١٣٧٤هـ

٣٩ ـ التعديل والتجريح لسليمان الباجي بتحقيق أحمد لبزار.

٤٠ ـ تفسير الجلالين ط دار المعرفة بيروت.

٤١ ـ تفسير ابن كثير دار المعرفة بيروت ١٤١٢هـ

٤٢ ـ تفسير القرطبي دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ

٤٣ ـ تفسير مجاهد ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد باكستان.

٤٤ ـ تفسير مجمع البيان للطبرسي ط الأولى مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤١٥هـ
٤٥ ـ تقريب التهذيب لابن حجر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ
٤٦ ـ تنوير الحوالك للسيوطي ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ
٤٧ ـ تلخيص الحبير لابن حجر دار الفكر بيروت.
٤٨ ـ تهذيب الكمال للمزي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ
٤٩ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ط الاولى دار الفكر ١٤٠٤ هـ
٥٠ ـ الثقات لابن حبان مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ١٣٩٣هـ
٥١ ـ جامع البيان لابن جرير الطبري ط دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ
٥٢ ـ الجرح والتعديل لشيخ الإسلام الرازي دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ١٣٧١هـ
٥٣ ـ الجوهر النقي للمارديني ط دار الفكر بيروت.
٥٤ ـ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي مكتبة نينوى الحديثة.
٥٥ ـ خلق أفعال العباد للبخاري ط الأولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ
٥٦ ـ زاد المسير لابن الجوزي دار الفكر بيروت ١٤٠٧هـ
٥٧ ـ الدر المنثور للسيوطي طبع جدة ١٣٦٥ هـ
٥٨ ـ كتاب الدعاء للطبراني ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ
٥٩ ـ دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد الأصبهاني دار طيبة الرياض ١٤٠٩هـ
٦٠ ـ الديباج على مسلم لجلال الدين السيوطي دار ابن عفان السعودية الخبر ١٤١٦هـ
٦١ ـ ذخائر العقبى مكتبة القدسي مصر ١٣٥٦ هـ
٦٢ ـ الذرية الطاهرة النبوية لمحمد بن أحمد الدولابي الدار السلفية الكويت ١٤٠٧هـ
٦٣ ـ ذكر أخبار أصبهان للحافظ الأصبهاني ليدن ١٩٣٤م.
٦٤ ـ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ
٦٥ ـ سبل السلام لابن حجر ط الرابعة مكتبة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٧٩هـ
٦٦ ـ سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ
٦٧ ـ سنن ابن ماجة تعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت.
٦٨ ـ سنن أبي داود الأشعث السجستاني تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت.

٦٩ ـ سنن الترمذي دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ

٧٠ ـ سنن الدارقطني ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ

٧١ ـ سنن الدارمي مطبعة الاعتدال دمشق.

٧٢ ـ سنن النسائي دار الفكر بيروت ١٣٤٨هـ

٧٣ ـ السنن الكبرى للبيهقي دار الفكر بيروت.

٧٤ ـ السنن الكبرى للنسائي دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ

٧٥ ـ كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم المكتب الإسلامي بيروت ١٤١٣هـ

٧٦ ـ سؤالات ابن أبي شيبة ط الأولى مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٤هـ

٧٧ ـ سؤالات الآجري لأبي داود مكتبة دار الاستقامة مكة المكرمة ١٤١٨هـ

٧٨ ـ سؤالات البرقاني ط مكتبة القرآن القاهرة.

٧٩ ـ سؤالات حمزة للدارقطني مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٤هـ

٨٠ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ

٨١ ـ السيرة النبوية لابن كثير دار المعرفة بيروت ١٣٩٦هـ

٨٢ ـ سيرة النبي ﷺ لابن هشام مكتبة محمد علي صبيح القاهرة ١٣٨٣هـ

٨٣ ـ شرح الرضي على الكافية جامعة قاريونس ١٣٩٨هـ

٨٤ ـ شرح مسند أبي حنيفة دار الكتب العلمية بيروت.

٨٥ ـ شرح مسلم للنووي دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧ هـ

٨٦ ـ شرح معاني الآثار عبد الملك بن سلمة دار الكتب العلمية ط الثالثة بيروت ١٤١٦هـ

٨٧ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه ١٣٧٨هـ

٨٨ ـ الشمائل المحمدية للترمذي ط الأولى مؤسسة الثقافة الإسلامية ١٤١٢هـ

٨٩ ـ الصحاح للجوهري ط الرابعة دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٧هـ

٩٠ ـ صحيح ابن خزيمة ط الثانية المكتب الإسلامي ١٤١٢هـ

٩١ ـ صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤هـ

٩٢ ـ صحيح البخاري دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ

٩٣ ـ صحيح مسلم دار الفكر بيروت.
٩٤ ـ الضعفاء الصغير للبخاري ط الأولى دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ
٩٥ ـ الضعفاء الكبير للعقيلي دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ
٩٦ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ط الأولى دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ
٩٧ ـ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد دار صادر بيروت.
٩٨ ـ طبقات المحدثين بأصبهان ابن حيان أبي الشيخ الأنصاري مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ
٩٩ ـ العلل لأحمد بن حنبل ط الأولى المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٨ هـ
١٠٠ ـ علل الدارقطني دار طيبة الرياض ١٤٠٥هـ
١٠١ ـ عون المعبود للعظيم آبادي ط الثانية دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ
١٠٢ ـ كتاب العين للفراهيدي ط الثانية دار الهجرة إيران ١٤٠٩هـ
١٠٣ ـ غريب الحديث للحربي ط الأولى دار المدنة للطباعة جدة ١٤٠٥هـ
١٠٤ ـ غريب الحديث لابن سلام ط الأولى دار الكتاب العربي بيروت١٣٩٦هـ
١٠٥ ـ غريب الحديث لابن قتيبة ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ
١٠٦ ـ الفايق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ
١٠٧ ـ فتح الباري الطبعة الثانية دار المعرفة بيروت.
١٠٨ ـ فتح العزيز لعبد الكريم الرافعي دار الفكر بيروت.
١٠٩ ـ فتح القدير للشوكاني ط دار عالم الكتب.
١١٠ ـ فضائل سيدة النساء لعمر بن شاهين ط الأولى مكتبة التربية الإسلامية القاهرة ١٤١١هـ
١١١ ـ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل دار الكتب العلمية بيروت.
١١٢ ـ فقه السنة لسيد سابق ط الكتاب العربي بيروت.
١١٣ ـ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ط الأولى جامعة ا لمدرسين قم المقدسة ١٤١٢هـ
١١٤ ـ كتاب الفتن لنعيم بن حماد ط دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ
١١٥ ـ الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي ط الأولى دار النفائس بيروت ١٣٩١هـ
١١٦ ـ الفوائد لابن منده ط الأولى دار الصحابة للتراث ١٤١٢هـ

١١٧ ـ قصص الأنبياء لابن كثير ط الأولى دار الكتب الحديثة مصر ١٣٨٨هـ
١١٨ ـ الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي دار الفكر بيروت ١٤٠٩هـ
١١٩ ـ كشاف القناع لمنصور البهوتي ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ
١٢٠ ـ كشف الخفاء للعلجوني ط الثانية دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ
١٢١ ـ كشف الظنون حاجب خليفة ط بيروت دار إحياء التراث العربي.
١٢٢ ـ كنز العمال للمتقي الهندي ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩هـ
١٢٣ ـ لباب النقول للسيوطي ط دار الكتب العلمية بيروت.
١٢٤ ـ لسان العرب ط الأولى دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ
١٢٥ ـ لسان الميزان لابن حجر مؤسسة الأعلمي بيروت ١٣٩٠هـ
١٢٦ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان طبع المكتبة العزيزية حيدر آباد ١٩٧٠م.
١٢٧ ـ مجمع البحرين للطريحي ط الثانية دار مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٤٠٨هـ
١٢٨ ـ مجمع الزوائد للهيثمي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ
١٢٩ ـ المجموع في شرح المهذب للنووي ط دار الفكر بيروت.
١٣٠ ـ المحلى لابن حزم ط دار الفكر بيروت.
١٣١ ـ معاني القرآن للنحاس ط الأولى جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٠٨هـ
١٣٢ ـ مختار الصحاح لابن عبد القادر ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ
١٣٣ ـ المدونة الكبرى لمالك صاحب المذهب ط دار السعادة مصر.
١٣٤ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري طبع دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ
١٣٥ ـ مسند ابن الجعد ط الثانية دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ
١٣٦ ـ مسند أبي حنيفة لأبي نعيم الأصبهاني ط الأولى مكتبة الكوثر الرياض ١٤١٥هـ
١٣٧ ـ مسند أبي داود الطيالسي دار الحديث بيروت.
١٣٨ ـ مسند أبي يعلى دار المأمون للتراث دمشق.
١٣٩ ـ مسند أحمد بن حنبل دار صادر بيروت.
١٤٠ ـ مسند أسامة بن زيد للبغوي ط الأولى دار الضياء الرياض ١٤٠٩هـ

١٤١ ـ مسند إسحاق بن راهويه مكتبة الإيمان المدينة المنورة ١٤١٢هـ
١٤٢ ـ مسند الحميدي ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٩هـ
١٤٣ ـ مسند سعد بن أبي وقاص ط الأولى دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٧هـ
١٤٤ ـ مسند الشاميين للطبراني مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٧هـ
١٤٥ ـ كتاب المسند للشافعي ط دار الكتب العلمية بيروت.
١٤٦ ـ مسند عائشة للسجستاني ط الأولى مكتبة الأقصى الكويت ١٤٠٥هـ
١٤٧ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان دار الوفاء القاهرة ١٤١١هـ
١٤٨ ـ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي دار الفكر بيروت ١٤٠٩هـ
١٤٩ ـ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي المجلس العلمي.
١٥٠ ـ معجم البلدان للحموي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٩هـ
١٥١ ـ المعجم الكبير للطبراني الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٥٢ ـ المعجم الصغير للطبراني ط دار الكتب العلمية بيروت.
١٥٣ ـ المعجم الأوسط للطبراني ط دار الحرمين ١٤١٥هـ
١٥٤ ـ معجم ما استعجم للبكري ط الثالثة عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ
١٥٥ ـ معرفة الثقات للعجلي مكتبة الدار المدينة المنورة ١٤٠٥هـ
١٥٦ ـ معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ
١٥٧ ـ المغني لعبد الله بن قدامه دار الكتاب العربي بيروت.
١٥٨ ـ مفردات غريب القرآن للراغب للأصفهاني ط الأولى دفتر نشر الكتاب ١٤٠٤هـ
١٥٩ ـ مقدمة ابن الصلاح للشهروزي ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ
١٦٠ ـ مقدمة فتح الباري ط الثانية دار المعرفة بيروت.
١٦١ ـ المناقب للخوارزمي طبع جامعة المدرسين قم المقدسة ١٤١١هـ
١٦٢ ـ منتخب مسند عبد بن حميد مكتبة النهضة العربية بيروت ١٤٠٨هـ
١٦٣ ـ المنفردات والوحدان لمسلم صاحب الحديث.
١٦٤ ـ من لم يرو عنه غير واحد للنسائي ط الأولى دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ
١٦٥ ـ من له رواية في كتب الستة للذهبي مؤسسة علوم القرآن جدة ١٤١٣هـ

١٦٦ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ط دار الكتب العلمية بيروت.

١٦٧ ـ موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لعبد المنعم الحفني ط الأولى مكتبة مدبولي القاهرة ١٤٢٣هـ

١٦٨ ـ ميزان الاعتدال للذهبي دار المعرفة بيروت ١٣٨٢هـ

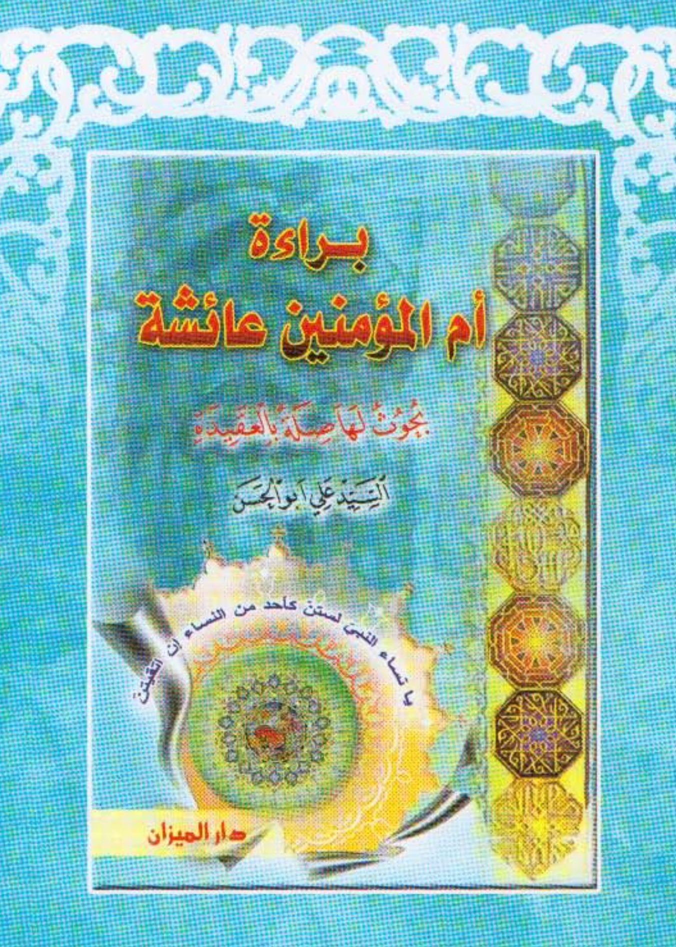
١٦٩ ـ الناسخ والمنسوخ للسدوسي ط الثالثة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩هـ

١٧٠ ـ ناسخ الحديث ومنسوخه لعمر بن شاهين ط الأولى دار المنار ١٤٠٨هـ

١٧١ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ

١٧٢ ـ نيل الأوطار للشوكاني ط دار الجليل بيروت ١٩٧٣م.

١٧٣ ـ كتاب الوفاة للنسائي ط مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.


براءة
أم المؤمنين عائشة
بحوث لها صلة بالعقيدة
السيد علي أبو الحسن
دار الميزان